المدينة العربية

خصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي



المعهد العربي لإنماء المدن

للحصول على أي معلومات اضافية عن هــذه
الندوة الرجاء الكتابة الى :

د. محمد عبدالله الحماد
مدير عام المعهد العربي لانماء المدن
ورئيس اللجنة الفنية للندوة
ص . ب ٦٨٩٢ ـ الرياض ،المملكة العربية
السعودية

للحصول على أي معلومات بخصوص طباعة هذا الكتاب يرجـــى
توجيه الرسائل الى

اهداءات ٢٠٠٠

المرحوم أ.د. فريـد الشافعـي
أستاذ العمارة الإسلامية - القاهرة

اسماعيل سراج الدين

PO Box 911
Arlington VA. 22216 USA
الولايات المتحدة الامريكية

قام بتحرير هذا الكتاب اسماعيل سراج الدين وسمير الصادق

طبع بواشنطن بالولايات المتحدة الامريكية سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

أبحاث من ندوة

المدينة العربية

خصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي

إشترك فى تنظيم الندوة

- منظمة المدن العربية
- المعهد العربى لإنماء المدن
- وزارة الشئون البلدية والقروية
- بلدية المدينة المنورة
بالمملكة العربية السعودية

عقدت بالمدينة المنورة

من ٢٤ - ٢٩ ربيع الثانى ١٤٠١هـ
الموافق ٢٨ فبراير - ٥ مارس ١٩٨١م

قام بتحرير هذا الكتاب إسماعيل سراج الدين وسمير الصادق

تنظيم الندوة

اللجنة العليا للندوة

معالى الشيخ / عبد الله العلى النعيم	أمين مد ينة الرياض رئيس مجلس أمناء المعهد العربي لانماء المدن بالنيابة	رئيسا
سعادة الشيخ / صدقة حسن خاشقجي	رئيس بلدية المدينة المنورة	
سعادة الدكتور/ محمد عبد الله الحماد	مديرعام المعهد العربى لانماء المدن	
سعادة الأستاذ/ طالب الطاهر	مديرعام منظمة المدن العربية	
سعادة المهندس / عبد الرازق طالب حكيم	مدير ادارة التخطيط ببلدية المدينة	
سعادة الدكتور/ سمير صادق محمد الصادق	الاستاذ المشارك بكلية العمارة والتخطيط بجامعة المللك فيصل	سكرتير عام الندوة

اللجنة الفنية للندوة

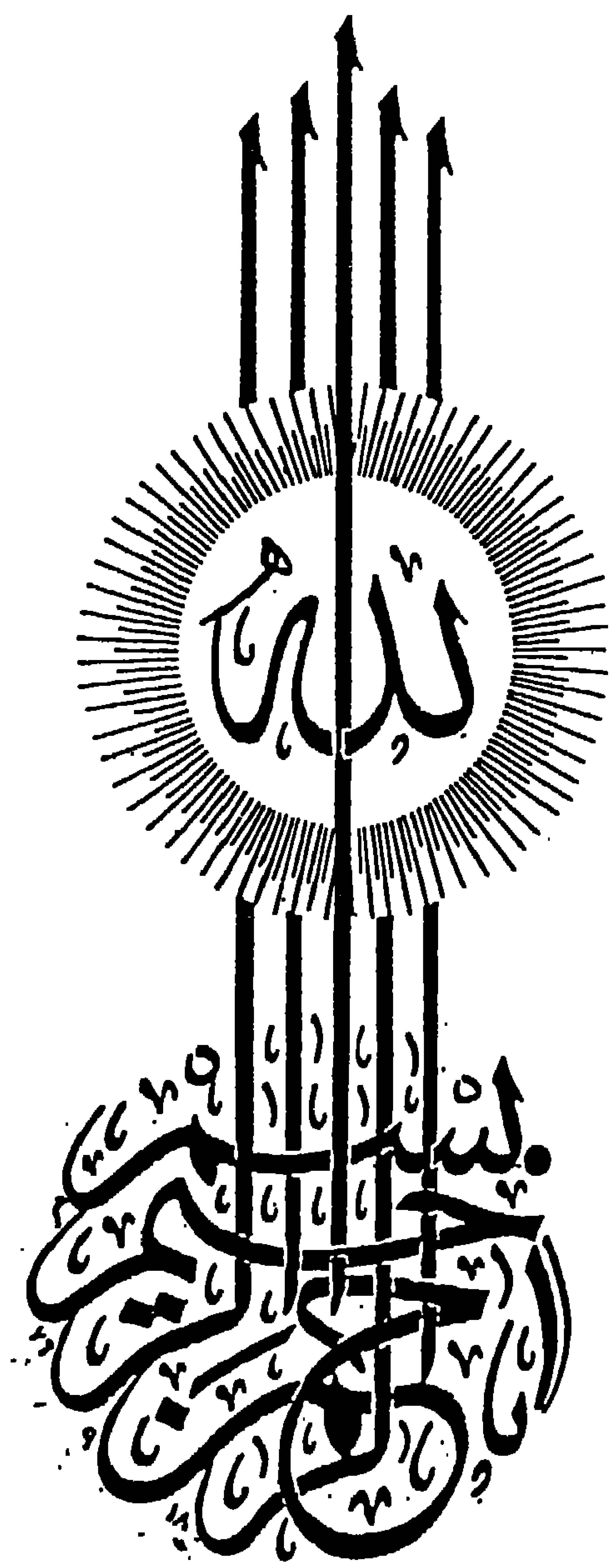
سعادة الدكتور/ محمد عبد الله الحماد	مديرعام المعهد العربى لانماء المدن	رئيسا
سعادة الدكتور/ سمير صادق محمد	سكرتير عام الندوة	
سعادة الدكتور/ على عبد الرحمن تاج	الاستاذ ورئيس قسم العمارة بكلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك فيصل	

مستشار الندوة

سعادة الدكتور/ اسماعيل سراج الدين

استشارى التحرير

سعادة/ ريتشارد هربرت


الله

الصفحة

الصفحة



تقـــــديم

اليوم والعالم يقف على عتبة صحوة فكرية حضارية خلاقة يستمدها من أصوله الحضارية وتراث أمجاده وعراقة أجداده وماضى تراثه وما قدمه للانسان فى مشرق الأرض ومغربها وما سطرته الكتب واحتوته المكتبات وشهدت به الآثار الرائعة المنتشرة هنا وهناك .

فى هذه الصحوة الجديدة المتوثبة لوصل الحاضر بالماضى مع الاستفادة من معطيات العلم الحديث وروعة ما ابتكره الانسان المعاصر يجدر بنا أن نقف وقفة تأمل نراجع فيها أنفسنا ونعود بها الى عراقة تراثنا الحضارى الأصيل .

يسعدنى أن أقدم للقراء الكرام هذا المجلد الذى يتضمن الأبحاث التى قدمت باللغة العربية لندوة المدينة المنورة عن (المدينة العربية : خصائصها والحفاظ على تراثها الحضارى والاسلامى) المنعقدة فى الفترة ما بين ٢٤ — ٢٩ ربيع ثانى عام ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٨ فبراير الى ٥ مارس عام ١٩٨١م .

أما الأبحاث التى قدمت باللغة الانجليزية فقد حررت وصدرت فى كتاب مستقل ، وجدير بالذكر أن عددا من الأبحاث القيمة (المطولة) التى عرضت ولخصت فى تلك الندوة ولم تنشر فى هذين المجلدين سوف ينشر كل واحد منها مستقلا .

هذه الندوة التى اجتذبت اليها مئات كثيرة من المهتمين بدراسة المدينة العربية فى كل انحاء الوطن العربى وخارجه وحاضر فيها عدد كبير من العلماء الأفاضل من مختلف القارات لتعطى انطباعا واضحا على الرغبة الملحة لدى العلماء ، وطلاب العلم على الاهتمام بتراث المدينة العربية وهى أولى الندوات التى تعقدها منظمة المدن العربية بالمملكة العربية السعودية كما انها أول ندوة يعقدها المعهد العربى لانماء المدن وبما أنها باكورة أعماله فانها تعنى تفاؤلا غير محدود فى أن يساهم المعهد فى احياء تراث المدينة العربية ونظرا لأهمية المعهد وما يعقد عليه من آمال لمتابعة توصيات الندوة ولمساهماته فى تطوير المدينة العربية ، رأينا أن نعرف القارىء بمعهدنا ، فتفضل سعادة الدكتور محمد عبد الله الحماد مدير عام المعهد العربى لإنماء المدن بكتابة تعريف عن المعهد وأهدافه ونشاطاته ، رأينا أن نعتبره المدخل الحقيقى لكل ما يلى فى الكتاب وتفضل الصديقان محررا هذا الكتاب الدكتور / اسماعيل سراج الدين والدكتور/ سمير الصادق بكتابة نبذة عن الندوة ذاتها ناقلين للقراء لمحة من ثراء النقاش وغزارة المادة التى اتسم بها هذا اللقاء ومقدمين بها التبويب الذى اتبع فى تجميع هذه البحوث .

لقد عقدت الندوة تحت الرئاسة الشرفية لكل من صاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة وصاحب السمو الملكى الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الشئون البلدية والقروية بالنيابة ووزير الاسكان والأشغال العامة ، ورئيس مجلس أمناء المعهد العربى لإنماء المدن .

وقبل أن أختم هذا التقديم اتقدم بالشكر الجزيل لسعادة مدير عام المعهد العربى لانماء المدن الدكتور/ محمد عبد الله الحماد وسعادة أمين المدينة المنورة الشيخ صدقة خاشقجى وزملائه العاملين بالامانة وسعادة الاستاذ/ طالب طاهر مدير عام منظمة المدن العربية وزملائه لما أعطوه جميعا من العون لانجاح هذه الندوة واشكر اخوانى أهل المدينة المنورة على كريم معاونتهم التى فاقت كل وصف وأشكر كل من ساهم فى الندوة أو مهد لانجاحها والاعداد لها وبالذات جامعة الملك فيصل بالدمام وعلى رأسها مدير الجامعة الصديق/ الدكتور محمد سعيد القحطانى .

راجيا أن تكون هذه الندوة متبوعة بندوات أخرى مماثلة ، وأن ينفع الله بها ، والله الموفق .

أمين مدينة الرياض
رئيس مجلس أمناء المعهد العربى لانماء المدن
بالنيابة ورئيس اللجنة العليا المشرفة على الندوة

عبد الله العلى النعيم

منظمة المدن العربية والمعهد العربى لإنماء المدن
في خدمة المدينة العربية

د. محمد عبد الله الحماد
مدير عام المعهد العربي لإنماء المدن

١ – مقدمـــة : –

حينما بزغ نور الاسلام في « مكة المكرمة » سجدت الأرض لرسالة السماء وفتح التاريخ صفحاته لاستقبال الحدث العظيم وتسجيل آثاره الكبرى ، وحينما هاجر محمد صلوات الله وسلامه عليه الى يثرب تلفت العالم الى هذه المدينة المنورة التى أصبحت عاصمة الدولة الاسلامية ومنارة الهداية للبشرية ومركز الاشعاع لحضارة جديدة متميزة ضربت بسهم وافر في كل نواحى الحياة واخذت بمجامع العلم والمعرفة وجمعت بين الدين والدنيا في نظام التزم شريعة الله فارتفعت ألويته في مشارق الأرض ومغاربها ..

وفي عصر النهضة الاسلامية بلغت المدينة العربية درجة كبيرة من الرقى والتقدم سبقت بها مدنا عريقة وحواضر ذات أمجاد . وظهرت الى جانب المدينتين المقدستين عبر عصور الاسلام الزاهرة مدن اخرى (كبغداد ، ودمشق ، والكوفه ، والبصرة ، والفسطاط ، والقيروان ، وغيرها) اشتهرت بطابعها الاسلامي المميز في فنون العمارة وماضمته من مساجد ومعاهد ومؤسسات علمية ومراكز للاداب والفنون ومختلف العلوم الفلكية والطبية والرياضية والطبيعية وغيرها مما برع فيه علماء المسلمين ومفكروهم ..

ثم رانت على الدولة الاسلامية فترات خمول حضارى تأثرت بها مدنها فتخلفت عن حركة التطور والتحديث الى أن تغيرت الظروف السياسية بالمنطقة العربية وسيطرت الأمة العربية على ثرواتها ومقدراتها فشهدت المنطقة مع بداية الخمسينات نموا سريعا متجاوزا معدلات النقلة الحضارية وبتركيز على المدن دون غيرها من المستوطنات البشرية ..

وظهرت حاجة المدن العربية الى نوع من التنسيق والتعاون على مواجهة آثار التحول الحضارى بتضاعف مساحتها وزيادة عدد سكانها وضرورة تحسين وتطوير تجهيزاتها الأساسية ومرافقها وخدماتها البلدية والوان نشاطها الاخرى .. والتوفيق بين متطلبات النمو السريع واحتياجات المواطن مع الحفاظ على هوية المدينة العربية وأصالتها وتراثها الاسلامى وحمايتها من مخاطر الطفرة التى تصاحب حركات التنمية السريعة ..

٢ – منظمة المدن العربية :

وسط هذه المتغيرات ، اجتمع رأى بعض الرواد من قيادات المدن العربية على ضرورة انشاء منظمة تسعى لتأكيد التعاون وتقوية الروابط ودعم الصلات بين الأشقاء على ساحة الوطن العربي بأسلوب يبعد عن تيارات السياسة ومنعطفاتها وتقلباتها ، ويستهدف انماء المدن العربية عامة والخدمات البلدية ومرافقها بصفة خاصة ..

وفي عام ١٩٦٧م على اثر اجتماع تأسيسي عقد في الكويت شارك فيه مندوبون عن سبع وعشرين مدينة عربية ، وبعد دراسة مستفيضة منطلقة من فهم عميق لواقع الوطن العربي وتطلعاته وآماله ، قامت « منظمة المدن العربية » وروعي أن تكون منظمة مدن تفتح ذراعيها لكل المدن العربية التي تتساوى جميعا في الحقوق والواجبات بغض النظر عن عدد سكان المدينة العضو أو القطر الذى تنتمي اليه أو أية اعتبارات أخرى ، واقبلت المدن على الانضمام للمنظمة سنة بعد أخرى حتى وصل عددها هذا العام الى « ٢٣٠ » مدينة ..

وخلال الأربع عشرة سنه الماضية هي عمر المنظمة كانت واضحة في خطها الاستقلالي وتمسكها بمبدأ البعد عن المشاكل والخلافات السياسية مما جعلها محل ثقة الحكومات والبلديات والمواطنين ..

وكانت أهدافها واضحة لرفع مستوى الخدمات والمرافق البلدية فى المدن العربية وتطويرها بما يواجه النمو السكاني نحو حياة أفضل للمواطن العربي ورقي وازدهار للمدينة العربية ..

ثم لاحظ المسئولون في المدن والحكومات العربية أن المدينة العربية الاسلامية في نموها السريع فقدت الكثير من طابعها وتراثها الاصيل ولم تأخذ – في معظم الاحيان – بعين الاعتبار احتياجات البيئة والعادات والتقاليد والواقع الاقتصادى والثقافي والاجتماعي ، ورأوا ضرورة النص على ذلك في النظام الأساسي للمنظمة الذى جرى تعديله في الآونة الاخيرة باقتراح الأمانة العامة وأخذ رأى المدن الأعضاء تفهما لسير الاحداث ومتطلبات العصر وتطلعات المستقبل وادراكا لأهمية الاستجابة لحركة التطور والسعي الجاد لتحقيق الأهداف على نحو أفضل ..

وفي الفترة من ١٩٦٧ – ١٩٨٠ م عقدت المنظمة ستة **مؤتمرات عامة** بحثت فيها العديد من الموضوعات الهامة وكانت مجالات خصبة لتبادل المعرفة والخبرات واستعراض البحوث والدراسات والوصول الى قرارات وتوصيات في خدمة المدن العربية وانمائها .. وهي بسبيل الإعداد للمؤتمر السابع المزمع عقده في الربع الاخير من سنه ١٩٨٢ م بمدينة الجزائر ..

كذلك عقد **المكتب الدائم** ستة عشر اجتماعا اتخذ فيها الكثير من القرارات والتوصيات الهامة فضلا عن متابعة قرارات وتوصيات المؤتمرات العامة ..

وفي عام ١٩٧١ م عقدت المنظمة **أول ندوة** لها لمديرى البلديات وتوالت ندواتها بعد ذلك بمعدل ندوة أو ندوتين سنويا خصصت كل منها لدراسة مشكلة من المشاكل التى تواجه المدن العربية واشرفت على الاعداد العلمي لها هيئات علمية متخصصة تضم مجموعة من الخبراء (لعدم وجود جهاز فني متخصص للمنظمة حينئذ) ..

وقد انتهجت المنظمة على المستوى الدولي سياسة قوامها الانفتاح وتدعيم التعاون مع المدن الصديقة والمنظمات الدولية فاسهمت بشكل ايجابي في تحقيق أهدافها ، وتسير المنظمة في طريق تعزيز علاقاتها بالمدن والمنظمات الصديقة والافادة من كافة الخبرات المتاحة وتطويعها بما يتلاءم مع احتياجات مدننا وظروفها ويخدم تطلعاتها وآمالها ..

وفي حرص المنظمة على أن تصل خدماتها الفعلية الى المدن الأعضاء ونظرا لما استبان من ناتج الدراسات التى أجرتها الأمانة العامة للمنظمة من ان ضعف الموارد المالية يقف حجر عثرة في طريق تنفيذ الكثير من المشاريع الهامة للمدن ، تبلورت فكرة انشاء (**صندوق تنمية المدن العربية**) الذى بدأ وقام فعلا بتقديم خدماته في مساعدة المدن الاعضاء وتقديم القروض المالية لها ، فقدم اكثر من ثلاثين قرضا للمدن الصغيرة المحتاجة ..

ثم كان سعي المنظمه لانشاء **جهازها المتخصص ليحمل** عبء **الجوانب الفنية والعلمية** في مجالات خدمات المدن ورفع مستوى اداء العاملين بها وتحديث طرق العمل وأساليب الادارة والتنظيم واجراء البحوث والدراسات وتقديم الاستشارات فيما تطلبه المدن ..

٣ – المعهد العربي لإنماء المدن :

التعريف بالمعهد : –

المعهد ، مؤسسة علمية ثقافية استشارية تهتم بالمدينة في كافة مجالاتها واختصاصاتها واغراضها ، وبالمدن العربية والشئون البلدية بصفة خاصة . وهو الجهاز المتخصص لمنظمة المدن العربية في مجالات التدريب والابحاث والاستشارات والتوثيق وكل ما من شأنه دعم المنظمة والعمل على تحقيق أهدافها في رفع مستوى المدينة العربية وتطويرها مع الحفاظ على هويتها العربية والاسلامية وتراثها الحضارى ..

وللمعهد شخصيته المعنوية وذمته المالية المستقلة ومقره مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية ويباشر مهامه بالتعاون والتنسيق مع المنظمة ..

ويشرف على المعهد ويرسم سياسته ويضع خططه (مجلس أمنائه) الذى اختارته المدن العربية في سنواته الأولى برئاسة سمو وزير الشئون البلدية والقروية بالمملكة وعضوية كل من : معالي أمين مدينة الرياض (نائبا للرئيس) وأصحاب المعالي والسعادة أمناء ورؤساء مدن : جدة – بغداد – دمشق – عمان – طرابلس – تونس – الرباط (مختارين من اعضاء المكتب الدائم للمنظمة) وأمين عام المنظمة ومدير عام المنظمة ومدير عام المعهد (أمينا عاما للمجلس) .

وتتحمل المملكة العربية السعودية الدعم الكامل لميزانية المعهد مدة السنوات الثلاث الاولى ، وتتعدد موارده المالية بعد ذلك مع الأخذ في الاعتبار المورد الاساسي من حكومة المقر .

فكرة المعهد ونشأته :ـــ

في المؤتمر الثالث لمنظمة المدن العربية الذى عقد بتونس في المدة من ٢٠ ـــ ٢٦/ ٩/ سنه ١٩٧١ م ، تقرر انشاء مركز للابحاث والدراسات يكون مقره مدينة الرياض لتحقيق أهداف عدة في خدمة المدن الاعضاء .

وتمنت المنظمة على المملكة العربية السعودية الاستجابة لرغبة المؤتمر ، وكانت المملكة كالعهد بها في كل ما يتعلق بدعم المدن العربية وتطويرها ، فصدرت الموافقة من المقام السامي برقم ١٩٥٠٢ وتاريخ ١٣٩٢/٩/٢٨هـ .

وفي المؤتمر الرابع للمنظمة المنعقد بمدينة بغداد في المدة من ١٠ – ١٦ نوفمبر ١٩٧٣م تقرر تكليف أمين مدينة الرياض بأن يتولى اجراء الاتصالات التى يراها مناسبة لانجاز الدراسات المتعلقة بهذا المركز والاتصال بالمعاهد والمراكز المماثلة في العالم – وصدرت الموافقة السامية على ذلك برقم ٢٤٠٥٧ وبتاريخ ١٣٩٣/١٠/٩هـ .

وقد جرى تداول الموضوع بين المنظمة وأمانه مدينة الرياض والجهات المعنية سعيا لاقامة مؤسسة على ركائز قوية مع توفير عناصر ومقومات النجاح لها . وكان بين الجهات التى كلفت بالدراسة الجهاز التنفيذى للأمم المتحدة واللجنة الاقتصادية لغرب آسيا وبعض المكاتب الاستشارية . الى أن تلقت وزارة الشئون البلدية والقروية بالمملكة خطاب المنظمة المؤرخ في ١٩٧٧/٣/٩ والذى يفيد أن احدى الشركات الاستشارية التى كانت مكلفة باعداد الدراسة تعرضت فى حوادث بيروت المؤسفة لفقدان مكاتبها واتلاف كافة وثائقها ، وطلبت المنظمة استئناف الدراسة حتي يقوم المركز في الرياض كما تقرر من قبل ..

وفي المؤتمر الخامس للمنظمة المنعقد بمدينة الرباط في شهر يونيو سنة ١٩٧٧م تقرر مجددا انشاء المركز المذكور بمدينة الرياض بموافقة جميع المدن الاعضاء بالمنظمة ..

وفي ١٩٧٧/١٢/٢٠م أرسلت المنظمة خطابها رقم ١١/٢/٣ – ١ ٣٥ بابلاغ قرار المكتب الدائم في اجتماعه الحادى عشر بمدينة العين بتكليف أمين مدينة الرياض بالاشراف على كافة الأعمال التنفيذية لانجاز انشاء مشروع مركز الابحاث والدراسات وعقد اجتماع تشارك فيه المنظمة والأمانة وممثلون عن الامم المتحدة ووزارة الشئون البلدية والقروية وقد تم في الاجتماع الذى عقد في ١٣٩٨/٣/٢٥هـ بحث الموضوع وتحديد عناصره الأساسية وخطة العمل والبرامج والاحتياجات البشرية والمادية .. الخ ..

وتابعت وزارة الشئون البلدية وأمانة مدينة الرياض الموضوع فرفع سمو الوزير خطابا الى صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء في ١٣٩٨/٩/٢هـ شارحا الظروف التى صادفت انشاء مركز الأبحاث وتمسك منظمة المدن العربية بانشائة في مدينة الرياض ، واقترح أن تقوم حكومة المملكة بتجهيز المقر اللازم واتمام وضع الخطة والدراسة والمنهج اللذين بدأتهما أجهزة الامم المتحدة وان ممثلى المدن العربية يأملون ان تقوم حكومة المملكة بتحمل نفقات تشغيله لمدة ثلاث سنوات ..

وقد تفضل سمو ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء بالموافقة على ذلك بالخطاب رقم ٥/ف/٢٢٣٣٦ وبتاريخ ١٣٩٨/٩/٢٤هـ والأمر بانفاذة وزود معالي وزير المالية والاقتصاد الوطني بصورة الخطاب لتوفير الاعتماد اللازم ..

وفي ١٩٧٨/٩/٣٠ ورد خطاب من أمين عام المنظمة رقم ٢/١/١٢ – ٢٦٧ بأن المكتب الدائم في دورته الثانية عشرة المنعقدة بمدينة طرابلس في ١٩٧٨/٩/١٧م أحيط علما بقرار الحكومة الموقرة ، ووافق على مشروع النظام الاساسي للمعهد (مركز الأبحاث في صورته الاولي) وقرر تأليف مجلس أمناء المعهد تحت رئاسة سمو وزير الشئون البلدية والقروية بالمملكة وعضوية أمناء ورؤساء مدن : الرياض – جدة – بغداد – دمشق – عمان – طرابلس – تونس – الرباط وأمين عام منظمة المدن العربية ومديرها العام ومدير عام المعهد ..

وفي خطاب اللجنة الاقتصادية لغربى آسيا التابعة للامم المتحدة رقم ١٤٠ وتاريخ ١٩٧٨/١٢/٦م أعربت اللجنة عن سرورها باعداد الوثيقة النهائية الخاصة بمعهد انماء المدن العربية وابلاغها للمنظمة وفي انتظار الخطوات العملية الرامية الى مباشرة المعهد لنشاطه وتبدى اللجنة استعدادها لبذل اقصي جهودها لانجاح المشروع لدعم جهود الانماء في المنطقة العربية ..

وفي الاجتماع الذى عقد برئاسة سمو وزير الشئون البلدية والقروية في ١٣٩٩/٢/١٢هـ الموافق ١٩٧٩/١/١٠م اتخذت عدة قرارات من بينها : ـــ

- تكليف لجنة لدراسة مشروع اتفاقية المعهد العربي لانماء المدن ، ويتم التوقيع عليها خلال شهرين ..
- تكليف أمين مدينة الرياض بالقيام بأعمال نائب رئيس مجلس الامناء على ان يتم تعيينه فى هذا المنصب بعد الاجتماع الاول لمجلس الامناء ..
- يتولي أمين مدينة الرياض الاشراف على متابعة تنفيذ كافة القرارات والتوصيات المتعلقة بانشاء المعهد ..
- تتولي أمانه مدينة الرياض تسديد كافة النفقات المالية اللازمة التى تترتب على تنفيذ القرارات المتخذة في هذا الاجتماع وكذلك المترتبة على الأعمال التحضيرية والميزانية واختيار الموقع ، وترشيح مدير المعهد ..

قامت اللجنة المكلفة بمراجعة مشروع الاتفاقية ، وقدمت مسودة لمشروع بديل أحاطت به المنظمة التى أفادت بالخطاب رقم ١/١٣ ٢٣٩٠٠ وبتاريخ ١٩٧٩/٦/١٠م بأنه تمت دراسة المسودة المذكورة وطباعتها وتوزيعها ..

وفي ١٩٧٩/١١/٢٧م طلبت المنظمة بكتابها رقم ٤٤٧/١٠٠١٢ موافقة حكومة المملكة العربية السعودية على تعيين الدكتور محمد عبد الله الحماد (الذى كان يعمل مديرا عاما للتخطيط والبرامج بوزارة الشئون البلدية والقروية) مديرا عاما للمعهد وتم اقرار ذلك وتم اختيار المقر المؤقت للمعهد (الى ان يدبر له مقر دائم) وبدىء في شغل الوظائف الشاغرة فيه وفقا للهيكل الوظيفي وحسب خطة زمنية قسمت الى مراحل تتناسب مع حاجات المعهد ونشاطاته وطبيعة العمل فيه ..

دراسات اجريت عن المعهد :

اجريت عدة دراسات عن المعهد تضمنت أولاها خلفية المشروع والاسباب الموجبة لقيامه ، استعرضت كيف احتلت المدينة في الحضارة الاسلامية مكانتها الممتازة بين المستوطنات البشرية ولماذا يتعين في الوقت الحاضر التصدى لمشاكل النمو الحضرى وتوجيه وترشيد الخدمات البلدية والاجتماعية وتوفير الحاجات الاقتصادية الأساسية والاستقرار النفسي للمواطن العربي ، وكيف يمكن القيام بعملية التحديث في المدن العربية مع المحافظة على التراث الحضارى الاسلامي .

وتطرقت الدراسة الى الأجهزة التى عليها ان تواجه المشاكل الحضرية ومدى افتقارها الى العنصر البشرى الكفء ، والى التنسيق اللازم بين الادارات والقطاعات ذات العلاقة ، وكيف ان بعض الحكومات لجأت الى الاستعانة بخدمات الشركات الاستشارية الأجنبية ، كما لجأت حكومات أخرى الى استيراد القوى البشرية ، أو ايفاد عدد كبير من مواطنيها لمتابعة تحصيلهم العلمي أو التدريبي في الخارج ، غالبا أوروبا وأمريكا الشمالية ، ولكن التدريب في الخارج مهما كان مستواه رفيعا وحتي في أفضل الجامعات لا يغني عن التدريب الذى يعتمد وينطلق من الواقع الاقتصادى والحضارى والاجتماعي والثقافي للدول العربية وأنه يجب النظر الي استيراد الخبراء والاختصاصيين الاجانب على انه تدبير مؤقت . ولهذا فان انشاء معهد يعمل على الصعيد الاقليمى قد أصبح امرا ضروريا لسد احتياجات المنطقة ، وليغطى بنشاطاته كافة المدن العربية على الا يقتصر على تدريب الاختصاصيين فحسب بل انه في ضوء حجمه وموارده سوف يؤمن مستوى رفيعا لمجالات تخصص متعددة ومختلفة وبالاضافة الى ذلك يمكن للمعهد كمؤسسة اقليمية ان يمد من نشاطه ليشمل سلسلة أوسع من مواضيع الأبحاث في مجال الانماء الحضرى وانشاء مركز للمعلومات عن تخطيط وتنظيم المدن ، ونشرة دورية تتحول في مرحلة لاحقة الى مجلة علمية وتقديم الخدمات الاستشارية الى المدن الاعضاء ..

وتناولت الدراسة الثانية الحاجة الى انفتاح أشمل يتسع لبلدان الوطن العربي كله وأن الغرض من وجود المعهد هو انشاء مؤسسة للتدريب والأبحاث تتبع منظمة المدن العربية وأن يعتبر المشروع عند اقراره (المرجع القانونى) المنظم للعلاقات مع حكومة المقر ، وأن (الهدف الانمائي) للمؤسسة هو التركيز على احتياجات الإنماء للمستوطنات البشرية في الدول العربية وقيامها بتنفيذ برامج التدريب في مجالات التخطيط وعمل البحوث ودعم البرامج التعليمية وجمع ونشر المعلومات عن التحضر في المنطقة وتوفير الخدمات الاستشارية للمدن المشاركة في المشروع .

كما تناولت مدى الحاجة الى انشاء هذا المعهد في هذه المنطقة من العالم حيث نشأت وازدهرت في أوج الامبراطورية الاسلامية مدن عديدة بلغت الحياة فيها مستوى عاليا من الرقي الفكرى والفني لم تصل اليه المدن الاوربية في حينه ، وضرورة مضاعفة وتنظيم الجهود لتدريب المخططين والمستوى المتوسط من الفنيين على نطاق العالم العربى لسد حاجات المنطقة .

وفى المرحلة الأولي من انشاء المعهد يمكن اختيار هيئة التدريس والجهاز الوظيفى على المستوى الدولي سواء من الاقليم نفسه أو من خارجه ، ويكون الهدف النهائى بطبيعة الحال أن تكون هيئة التدريس كلها من قلب الاقليم نفسه ..

وأشارت الى أهمية الاتصال بالجامعات والمؤسسات المتخصصة على المستوى الرسمى وغير الرسمى لتحقيق أقصى سبل التعاون وتبادل الخبرات .

أما الدراسة الثالثة فقد تناولت فى (القسم الأول) الاطار القانونى فى تنظيم العلاقة بين منظمة المدن العربية وحكومة المملكة العربية السعودية (الدولة المضيفة) وتحدثت فى (القسم الثانى) عن أهداف المشروع وعن برامج التدريب المختلفة والقيام بالبحوث فى مجالات الإنماء الحضرى وانشاء مركز للمعلومات وتقديم الخدمات الاستشارية للمدن الأعضاء وعن الانشاءات والتجهيزات اللازمة لنشاطات المعهد وتأمين الجهاز الوظيفى من خبراء وموظفين ومستخدمين .

وعن (الاطار التنظيمى وادارة المعهد) وزعت الأمور التنظيمية على مستويين : وضع السياسة العامة للمعهد وادارته العليا ، ويختص بها (مجلس الأمناء) وسير العمل التنفيذى ويتولاه (المدير العام) .

أغراض المعهد وأهدافه

يمكن أن نشير فى ايجاز الى الأهداف الأساسية للمعهد وهى : التدريب والبحوث والاستشارات والتوثيق على المستوى الاقليمى للمدن العربية وبتركيز خاص على المتطلبات الانمائية لهذه المدن ، ويشمل ذلك ما يلى :

١ – التدريب : وضع برامج التدريب الشامل فى مجالات الخدمات البلدية وتخطيط المدن وتصميم الاعمال الهندسية والأمور ذات العلاقة بتطوير المدينة ، وذلك بهدف تخفيض العجز الكبير فى الاختصاصيين ومساعديهم ورفع مستوى الاداء فى قطاعات العمل المختلفة بالمدن العربية .

٢ – البحوث والدراسات : القيام بالبحوث والدراسات فى مجالات اهتمامات المعهد مع الجهات والمعاهد المتخصصة لتطوير المعطيات الأساسية المتوافرة للمنطقة ودعم البرامج والمساهمة فى مشاريع التنمية وفى اثراء المعرفة والمعلومات .

٣ – الاستشارات : تأمين الخدمات الاستشارية للمدن الاعضاء فى مجالات تخصص المعهد .

٤ – التوثيق : انشاء مركز متخصص لجمع المعلومات والوثائق والمطبوعات لتغطية كل ما يتعلق باهتمامات المعهد وتطوير الأنظمة والوسائل لنشر وتوفير هذه المعلومات .

بدء نشاط المعهد :

حرص المعهد على أن يبدأ فى مباشرة المهام الموكلة اليه على أسس تستند الى الحاجات الحقيقية للمدن العربية وذلك من خلال القيام بأعمال المسح وجمع المعلومات التى تتيح للمعهد مواكبة هذه الحاجات واعطاء الأولوية للموضوعات ذات الاهتمام المشترك بين المدن والبلديات ويحاول المعهد التوصل الى ذلك من خلال الطرق والأساليب العلمية المتبعة .

وقد بادر المعهد باستطلاع اراء المدن الأعضاء فوجه استمارات « استبيان رأى » لتزويد المعهد باحتياجات العاملين بالبلديات من الجوانب التدريبية وما تقترحة المدن من برامج أو من دورات لذلك .

كما تم ارسال استبيان اخر بطلب البيانات الأساسية عن المدن ونظامها الادارى وتعداد سكانها ومساحتها الى جانب الأجهزة الرئيسية بها من مصالح ومعاهد ومؤسسات وغير ذلك ليتسني اصدار دليل يقدم تعريفا عاما بكل مدينة عربية . كذلك يتابع المعهد ارسال عدة استبيانات أخرى متخصصة لاغراضه المختلفة ..

كما أجرى المعهد العديد من الاتصالات بحوالي سبعين جامعة ومعهدا متخصصا في الوطن العربي ، وحوالي مائة وخمسين جامعة أجنبية ومعهدا متخصصا لاستطلاع مدى امكانية تعاونها مع المعهد في اقامة الندوات والبرامج التدريبية في الموضوعات التى تهم البلديات والمدن ليتسنى على ضوء مايرد من اجابات وضع التخطيط المدروس للبرامج المختلفة ..

وقد تلقي المعهد اقتراحات جادة ومفيدة هي الان قيد الدراسة ولاتزال الاجابات ترد حتى اعداد هذه السطور .. ومن الاقتراحات التى تجدر الاشارة اليها في هذا الخصوص اقتراح جامعة هارفارد ومعهد ماسا تشوستس بامريكا ، وعقد برنامج تشارك فيه كل من كلية الدراسات العليا للتصميم في جامعة هارفارد ومعهد ماسا تشوستس للتكنولوجيا (كلية العمارة والتخطيط) وهو برنامج مهني انمائي للعاملين بالبلديات يغطى كلا من الأمور الفنية وغير الفنية التى تقابل المشتركين ، ويركز على تأثيرات انماء المدن السريع على وظائف البلديات وبدلا من الاعتاد على تطبيق المواد الدراسية الموجودة أو استعمال برنامج منمط تعتمد البرامج المقترحة على مواد تعليمية معدة خصيصا لدراسة أعمال ومشاكل البلديات في المدن العربية بأسلوب علمي وعملي وأيضا بأسلوب تطبيقي ..

بعض انجازات المعهد :

رغم قصر المدة التى انقضت منذ بدأ المعهد مباشرة نشاطه بصورة فعلية فقد استطاع بتوفيق من الله وبتعاون المسئولين في المدن الاعضاء بالمنظمة وبما وفرته حكومة المقر من امكانيات انجاز بعض الأنشطة العامة يمكن الاشارة الى بعضها فيما يلى على سبيل المثال : –

(١) ندوة المدينة العربية :

كانت الندوة بمثابة باكورة أعمال وأنشطة المعهد وقد كان موضوع الندوة « المدينة العربية : خصائصها وتراثها الحضارى الاسلامى » وقد اختيرت عاصمة الاسلام الاولى مثوى الرسول الكريم « المدينة المنورة » مقرا لعقد هذه الندوة خلال (المدة من ٢٤ – ٢٩ ربيع ثاني ١٤٠١هـ الموافقة للفترة من ٢٨ فبراير الى ٥ مارس ١٩٨١م) .

وقد حضر الندوة حوالي الالف مشارك يمثلون المدن العربية الأعضاء في المنظمة والكثير من الهيئات العلمية والجامعات وحضرها عدد كبير من المتخصصين والمعنيين فى المدن والبلديات بالاضافة الى عدد كبير من الخبراء العاملين في هذا المجال المهتمين بما عنيت الندوة بتناوله من موضوعات .. وبعض الوفود التى تمثل عددا من الهيئات والمنظمات الدولية .

معرض المدينة العربية :

وقد صحب انعقاد الندوة افتتاح معرض المدينة العربية المتصل بموضوع الندوة والذى يعتبر أساسا للمعرض الدائم والمؤقت والمتنقل للمدينة العربية وقد قام بافتتاح المعرض سمو الامير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة والامير متعب بن عبد العزيز وزير الشئون البلدية والقروية بالنيابة ، وقد شمل المعرض العديد من الرسوم والخرائط والصور والمجسمات التى عرضتها المدن العربية فيما يتصل بموضوع الندوة ..

توصيات الندوة :

تمخضت الندوة عن عدد من التوصيات الهامة والتى هي نتاج لما تمت دراسته فيها من أبحاث وما طرح بها من أفكار واراء واقتراحات بناءة وقد طبعت هذه التوصيات في كتيبات ويجرى توزيعها على المدن والبلديات والجامعات . والجدير بالذكر أن معظم التوصيات إما انها قد طبقت بالفعل أو جار الاخذ بها ووضعها موضع التطبيق وفق الامكانيات والظروف المناسبة ومن ذلك أن الندوة أوصت باعداد مشروع متكامل ينظم منح جوائز تشجيعية للمشروعات العمرانية المتميزة فى المدن العربية والتى تقترح حلولا ملائمة أو تصلح لتكون حلولا يحتذى بها وذلك بهدف اعطاء مضمون للمفاهيم التى شملت توصيات من جهة ولتشجيع المعماريين والمخططين العرب من جهة أخرى .

مجلدات بأبحاث الندوة :

والجدير بالذكر أن العمل جار فى طبع ابحاث الندوة باللغتين العربية والانجليزية وكان قد جرى بعضها فى شكل كتيب منفرد وسيتم توزيع المجلدات التى ستضم هذه الابحاث على المدن الاعضاء والجامعات والمعاهد العلمية والبلديات فى المدن العربية والمراكز والمنظمات الدولية ذات العلاقة أو الاهتمام بموضوع الندوة أو المعنية بالمدن وتنميتها .. وذلك بهدف تعميم الفائدة التى تحققت من وراء تنظيم الندوة .

(٢) ندوات أخرى ودورات تم تنظيمها :

قام المعهد بعد تنظيمه لندوة المدينة العربية بالمدينة المنورة . بتنظيم عدة دورات وندوات وفقا لما تتطلبة احتياجات المدن من موضوعات وما صدر عن المدينة العربية من توصيات نذكر منها :

١ – دورة مديرى ومأمورى البلديات الحديثة فى (مسقط – عمان) :

أنشأت سلطنة عمان بشكل سريع ومفاجىء عددا من البلديات ورغبة فى المساعدة فى اعداد الكوادر القيادية العاجلة لهذه البلديات فقد رئى التعجيل باقامة هذه الدورة وعقد جانبها النظرى فى مسقط فى الفترة من (٣/٢٨ الى ١٩٨١/٤/٧م) ليحضرها قرابة خمسين مشتركا من مديرى ومأمورى البلديات الحديثة ويتلقوا محاضرات فى التنمية الاقتصادية ودور الهيئات والسلطات المحلية واختصاصاتها وموضوعات أخرى .

٢ – الدورة التطبيقية لدورة مديرى البلديات الحديثة فى (سلطنة عمان والخليج) :

نظمت هذه الدورة لتقام فى العاصمة الاردنية (عمان) على ان تبدأ من ١٩٨١/٥/١٨م ويتضمن برنامجها موضوعات عن تخطيط المدن وصحة البيئة والنظافة والمسالخ ونظم البلديات وادارتها .

ويشترك فيها عدد من مأمورى ومديرى البلديات العمانية وآخرون من مدن الخليج والجزيرة العربية كما تتضمن الدورة برامج تطبيقية وزيارات ميدانية ولقاءات مع المختصين .



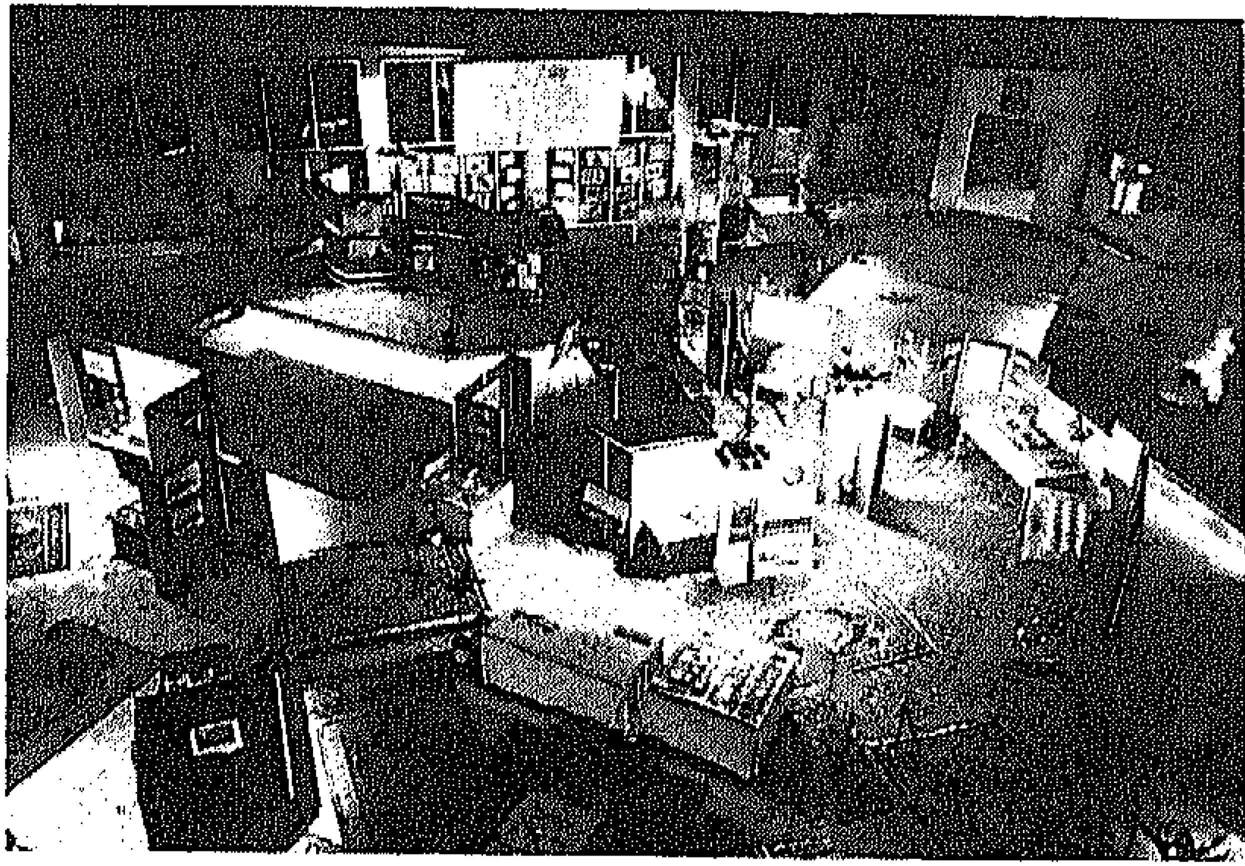




٢ الفندق



٣ لقاء فكري

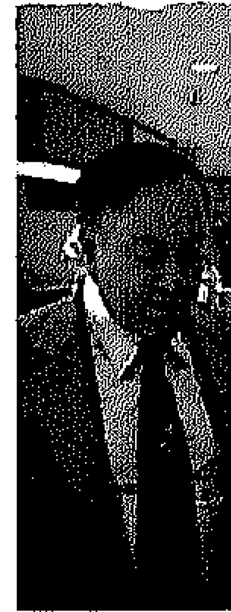


٤ المعرض



٥ المعرض




٦ وجوه ولقاءات ومناقشات

٣ – ندوة التخطيط الحضرى فى البلاد العربية مع خلفية خاصة فى الحفاظ على هوية المدينة العربية وتنميتها :

تم الاتفاق على تنظيم هذه الندوة وضمن القرار رقم (١) من اتفاقية التعاون بين منظمة المدن العربية والمؤسسة الالمانية للانماء العالمى فى برلين فى الفترة من (٨/٣١ الى ١٩٨١/٩/١١م) ويشترك فيها بعض المسئولين عن التخطيط فى المدن العربية وتجمع عناصر من أحدث ما وصل اليه العلم في التطبيق الحضرى من نظريات ..

دراسات وبرامج هامة للندوات ودورات قادمة :

١ – الدورة التدريبية لدراسة المشاكل الادارية للمدن المتوسطة فى العالم العربى :
وينظمها المعهد بالتعاون مع المؤسسة الألمانية للانماء العالمى خلال الفترة من (٨/٢٨ الى ١٩٨١/١٠/١٨م) فى برلين الغربية .

٢ – ندوة دور البلديات فى حماية البيئة :

تنظمها منظمة المدن العربية ويشارك فيها المعهد مع جمعية حماية البيئة بالكويت فى الفترة من (٥ – ١٠ ديسمبر ١٩٨١م) لبحث الدور الذى يمكن للبلديات فى المدن الأعضاء ان تقوم به من أجل حماية البيئة التى تتعرض حاليا وفى أماكن كثيرة من العالم من بينها المنطقة العربية بصفة عامة لاخطار كثيرة بسبب زحف المناطق الصناعية وانتشار الدخان الصادر منها أو من السيارات والمكائن ، بالاضافة الى الكثافة السكانية ونقص الاماكن الخضراء وتأثير ذلك على النواحى الصحية والاجتماعية لسكان المدن .

٣ – دورة عن مياه الشرب بالمدن (مصادرها – تنقيتها – ترشيد استهلاكها .. الخ والتى يجرى التنسيق بشأنها حاليا مع بعض الجهات المعنية .

٤ – ندوة عن تنظيم وادارة المرافق العامة بالمدن .

٥ – دورة عن تنظيم النظافة والتخلص من النفايات .

٦ – دورة عن مركز المعلومات واستخدام الحاسب الآلى فى خدمة البلديات والمدن .

٧ – دورة لمقاييس الاطفاء العامة فى برلين .. تعقد فى صيف عام ١٩٨٢م .

٨ – دورة لادارة المدن المتوسطة فى المركز الدولى فى برلين تعقد فى صيف عام ١٩٨٢م .

٩ – دورة لادارة المدن المتوسطة تعقد فى ميلانو وسيزنون بالتعاون مع المركز الدولى لكبريات مدن العالم خلال عام ١٩٨٢م .

فى مجال التعاون مع المنظمات والجامعات والمعاهد والمراكز المتخصصة :

بينما يعمل المعهد على توثيق علاقاته مع المعاهد والمراكز التى تعمل فى مجال مماثل للافادة من خبراتها فانه يسعى ليكون بمثابة همزة وصل بين الجهات الاكاديمية (بتلاحمه معها ورعايته ودعمه للبحوث الاكاديمية ذات العلاقة بنشاط المعهد) وبين بلديات المدن العربية لتزويدها بما تستخلصه البحوث الأكاديمية من نتائج تفيد فى مجال التطبيق العلمى لمجالات علاج ما تعانى منه المدينة العربية .

وهناك تنسيق وتعاون مع منظمة العواصم الاسلامية التى كانت منظمة المدن العربية من الساعين لتأسيسها كما تشتمل اللجنة الاستشارية العليا للمعهد العربى لانماء المدن من بين أعضائها على عدد من المتخصصين من المدن العربية ومنظمة العواصم الاسلاميه والجامعة العربية (ادارة الاسكان) والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

والجدير بالذكر ان المعهد يقيم فى اطار منظمة المدن العربيه عددا من الروابط والعلاقات مع المؤسسات والجامعات والمنظمات الدولية والمراكز الاقليمية ذات العلاقة والاهتمام فى مجال الشئون المختلفة للمدن .

وقد تم عقد عدة اتفاقيات تعاون مشترك مع عدد من الهيئات نذكر منها على سبيل المثال :

– منظمة المدن البافارية فى (المانيا الغربية) .
– بلدية مدينة برلين والمؤسسة الدولية للانماء بها .
– اتحاد مرمرة والمضايق بتركيا .
– جامعة البصرة ومركز دراسات الخليج .

وهناك اتفاقيات أخرى فى طريقها للتصديق .

كذلك يتابع المعهد عن كثب الدراسات التى تجرى فى الوطن العربى عن طريق الهيئات الاكاديمية أو الاجهزة الحكومية الوطنية وما تقوم به المنظمات الدولية ذات العلاقة فى هذا الخصوص بهدف استخلاص النتائج ونقل الحلول المناسبة الى المدن الاعضاء فى المنظمة .

ولا يكتفى المعهد بذلك بل أنه يتقدم بالدعم والمساندة المادية والعلمية فى اجراء البحوث والوسائل التعليمية فى الجامعات وغيرها والتى تتعلق بالمدينة العربية كالمقاييس المعمارية وتخطيط المدن ، والنقوش والزخارف والطرز العربية الاصيلة أو تلك التى تعرض للمشكلات التى تعانيها المدينة العربية .

ان الكثير من الدارسين فى المراكز العلمية بالوطن العربى يبعثون برسائلهم التى تتضمن مقترحات وافكارا واستفسارات وطلب معلومات ويعمل المعهد على تزويدهم بآرائه وخبراته ويمدهم بالمعلومات والمساعدات المتاحة لديه ...

فى مجال العمل الاعلامى :

تتضمن خطة العمل الاعلامى للمعهد مد قنوات الاتصال بين المدن العربية وغيرها من خلال وسائل الاعلام العربية والعالمية وأساليب الاتصال المباشرة .

ويجرى الاعداد حاليا لقيام المعهد بالتنسيق مع المنظمة باصدار سلسلة كتاب المدينة العربية ليلقى الضوء على المدن العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها واصدار مجلة المدينة العربية التى ستتابع نشر المعلومات والأنشطة المتصلة بالمدن العربية .

وتحمل الشهور القادمة خطوات عملية لتنفيذ عدد من الأفكار الهامة منها انتاج فيلم سينمائي وتلفزيونى يصور الحضارة الاسلامية العربية لمدننا العربية وآخر وثائقى كما يعد فيلم للتوعية بالنظافة ومدى اهميتها بالنسبة لمستقبل المدن العربية التى تواجه نموا سكانيا وعمرانيا سريعا ..

ومن الأفكار محل الدراسة اقامة معرض للصور ينتقل في المدن العربية والى المحافل الدولية ويعتمد على الصور والخرائط والرسومات والمجسمات للتعرف على المدن العربية وملامحها الأصيلة وكذلك اقامة معرض دائم له كل مقومات المعارض الحديثة ..

كذلك يدرس المعهد حاليا فكرة انتاج برنامج اذاعي للتعريف بالمدينة العربية بالتعاون مع الاذاعات المحلية في المدن الاعضاء بالمنظمة واتحاد الاذاعات العربية ..

ويستعد كذلك لاصدار تقويم سنوى مصور يحوى بيانات تاريخية وحضارية عن العواصم العربية والمدن التاريخية ..

كما يجرى الاعداد حاليا لعمل موسوعة كبرى تضم جميع ما صدر حول المدن والبلديات العربية من قوانين وأنظمة ولوائح لتكون بمثابة مرجع هام بالنسبة للجامعات ولمراكز المعلومات والمدن ..

خاتمــة : -

ان مهمة النهوض بالمدينة العربية لتحتل ما كانت لها من مكانة مرموقة ، ورفع مستوى الخدمات والمرافق فيها ، وتطويرها وتحديثها ، واطلاق ملكات التخطيط العمرانى بمراعاة الواقع الاقتصادى والاجتماعي والثقافي والبيئي للمدينة مع الحفاظ على هويتها العربية وتراثها الاسلامي ، تمثل عبئا ثقيلا حملته منظمة المدن العربية منذ أربعة عشر عاما ولاتزال . وفي مواجهة تحديات العصر وسباق العلم والتقنية ينبغي ان تكرس كل جهود المنظمة واجهزتها المتخصصة مع تعاون المدن الاعضاء ومشاركتها والاستفادة من كل جديد في مجالات العلم والمعرفة ..

ونحن لانصعب المهمة ولا نخفف منها ، بل نقدر حجمها ونعلم ابعادها ونتفهم مسالك الطرق اليها . وننظر بشيء من التفاؤل الى تزايد الاهتمام بالحفاظ على الشخصية العربية لمدننا وابراز الكثير من معالم تراث حضارتها الاسلامية ، واللمسات الفنية في العمارة والتخطيط وانشاء مبان حديثة على طرز عربية واسلامية متطورة واجتذاب هذه الحركة للكثير من المفكرين والمتخصصين في هذه الميادين ..

وفي نطاق ظاهرة التضخم السكاني بالمدن .. بدأت موجة عكسية بالاتجاه الى سكنى المناطق الريفية ، وتعميرها وانمائها والى انشاء ضواحي جديدة حول المدن الكبرى لاتلتصق بها ولا تبعد كثيرا عنها ، وفي ذلك تخفيف مطلوب عن المدن واتاحة الفرصة للتخطيط السليم والتطوير والتحديث وعلاج المشاكل القائمة ..

وتابعت المنظمة مجريات الأمور وقياس الاتجاهات العامة وحركات التطوير في مختلف المدن والمجتمعات وسعت سعيها الدائب للاقتراب اكثر من المدن الاعضاء وتقوية اواصر الارتباط بها والتعاون معها وشد أحاسيس المسئولين فيها الى الترابط والتكافل فيما بينها ، ولفت الانتباه الى اهمية الاستفادة من تجارب مدن العالم الاخرى مع الحفاظ على طابع المدن العربية وهويتها وتراثها الحضارى ، وكان من آثار ذلك اقبال المدن على المنظمة وارتفاع عدد الاعضاء الى اكثر من تسعة اضعاف العدد الذى بدأت به نشاطها ..

وفي سعيها لتطوير وسائلها لتحقيق اهدافها ، اجرت المنظمة تعديلا في نظامها الأساسي لمواجهة المتغيرات الجديدة والاستجابة الى رغبة المدن الاعضاء وأملهم في أن تواصل المنظمة مسيرتها الى الأمام وان تكون عونا للبلديات وللمدن العربية ، مع رسم سياسة المستقبل على أسس علمية وواقعية مدروسة عبر عنه بموضوع تطوير منظمة المدن العربية بوضع خطة تشمل : -

١) الاستمرار في عقد المؤتمرات والندوات العلمية واقامة المعارض التى تبرز طابع المدن العربية ومنجزاتها ..
٢) الاهتمام بالدورات التدريبية في مجالات نشاط المدن والبلديات لرفع مستوى التخصصات المختلفة مع تبادل الخبرات بين المدن ومطالبة المدن الكبرى بمعاونة المدن الاخرى .
٣) العناية بمتابعة تنفيذ السياسات والخطط وتوصيات المؤتمرات والندوات وتخصيص مكتب دائم لذلك ..
٤) عقد اتفاقيات مع المنظمات العربية والدولية للتعاون معها في شتي المجالات ومن ذلك المنح الدراسية لمرشحى المنظمة من منسوبي المدن العربية ..
٥) الاستمرار في تدعيم العلاقات مع المنظمات العالمية والاقليمية والمدن العربية ..
٦) تدعيم الموارد المالية للمنظمة وصندوق تنمية المدن العربية ..
٧) توفير جهاز ادارى ومالي متكامل ومتفرغ ..
٨) استكمال الخطوات التنفيذية اللازمة لقيام المعهد العربي لانماء المدن ..

لقد نجحت المنظمة في تطوير نفسها وتنويع الوسائل لبلوغ اهدافها ، والفصل بين هيئاتها ومؤسساتها وتحديد اختصاصاتها ومسئولياتها وتهيئة الظروف الملائمة لتؤدى كل منها المهمام المنوطة بها ، وفي اطار التخصص والتكامل قام المعهد كمؤسسة علمية ثقافية استشارية اختصتها المنظمة بالاهتمام بتغطية مجالات التدريب والبحوث والتوثيق والاستشارة ووضعها في خدمة المدن العربية ، حظي المعهد بتشجيع المنظمة ورعاية ومعونة المملكة العربية السعودية « دولة المقر » ومنذ بدأ في استكمال مقوماته الاساسية انطلق لاداء رسالته فلم يضيع وقتا ولم يدخر جهدا ..

نظم - بمعاونة الامانة العامة - ندوة « المدينة العربية » والندوات والدورات الأخرى وغيرها من المنجزات - السابق الاشارة اليها - ، وأجرى اتصالات بأكثر من « ١٧٠ » جامعة ومعهدا ومؤسسة عربية ودولية ، واتجه الى المدن الاعضاء باستمارات استبيان لتحديد مطالبها والتعرف على مشاكلها ووضع أولويات مجال العمل بالتعاون معها ..

كما قام المعهد بالاتصال ببعض مراكز المعلومات في الوطن العربي والبلدان الاجنبية لتزويده بالمعلومات والبيانات بصفة مستمرة واشترك في عدد من الدورات العلمية وبدأت الردود تصل من أنحاء مختلفة ..

وتتجمع خيوط الخطة وعناصرها يوما بعد يوم لتشمل : -

(١) برامج التدريب والمؤتمرات والندوات وحلقات البحث والدراسات العليا ..
(٢) اجراء البحوث العلمية والاعداد لنشرها ..
(٣) جمع المعلومات والوثائق وتصنيفها وتنظيمها واستخدام أحدث الاساليب لإتاحة استرجاعها عند الحاجة لتكون أساسا لمركز المعلومات عن المدن العربية ولتوضع في خدمتها ..
(٤) دعم مكتبة المعهد المتخصصة وتزويدها بكل ما يلزم المكتبة الحديثة ..
(٥) استكمال قوائم العلماء والخبراء والمستشارين المتعاونين مع المعهد في التخصصات المختلفة ..
(٦) تكوين فرق عمل في التخصصات البلدية وغيرها استعدادا للاستجابة السريعة لدعوة أى من المدن الاعضاء ..
(٧) متابعة الاتصالات بالجامعات والمعاهد والمنظمات المتخصصة..
(٨) تقوية الروابط بالمدن العربية ودعمها ..

إنها بداية طريق طويل يحتاج الى خلاصة كل فكر ثاقب ، ونتاج كل خبرة قادرة ، وتعاون كل صاحب رأى وتجربة ، وتآزر العلماء والخبراء في مختلف التخصصات التى تدخل في نشاط المعهد . ولعل العقول العربية أولي بألا تضن على المعهد بما أفاء الله عليها .. لخدمة الوطن العربي من خلال العمل على رفع مستوى مدنه والحفاظ على أصالتها وتراثها وحضارتها العربية والاسلامية ..

والله سبحانه وتعالي وراء القصد وهو يهدى السبيل

مدير عام المعهد العربي لإنماء المدن

M. A. Hammad

د. محمد عبد الله الحماد

عن الندوة وهذا الكتاب

اسماعيل سراج الدين وسمير الصادق

ندوة المدينة العربية

ان هذا الكتاب يضم مجموعة من الأبحاث التى قدمت فى ندوة « المدينة العربية : خصائصها وتراثها الحضارى الاسلامى » المنعقدة بالمدينة المنورة من ٢٤ الى ٢٩ من ربيع الثانى ١٤٠١ هـ (الموافق ٢٨ فبراير الى ٥ مارس ١٩٨١م) والتى اشترك فى تنظيمها منظمة المدن العربية ، المعهد العربي لانماء المدن ، ووزارة الشئون البلدية والقروية ، واستضافتها بلدية المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية . وقد حضر الندوة ممثلو أكثر من مائتي مدينة عربية بالاضافة لما يزيد على المائة من الأساتذة والمتخصصين والمفكرين .

لقد قدمت الى الندوة عشرات من البحوث والدراسات أسهم بها العديد من الخبراء ، والمختصين ، وجرت مناقشتها فى جو علمى سادته روح الأخوة الصادقة والرغبة الأكيدة فى التوصل الى أنجح السبل لتحديد خصائص المدينة العربية والحفاظ على تراثها الحضارى وكنوزها الفنية والمعمارية . وقد فاق عدد وحجم هذه البحوث مايمكن أن يتضمنه الكتاب الواحد ، ولذلك رأى المعهد العربى لانماء المدن أن ينشر بعضها ، خصوصا الذى كان مفصلا ومطولا منها ، فى صورة مطبوعات مستقلة حتى تأخذ حقها من التوزيع دون أن يضيع بعض فائدتها فى الاختصار الذي يستلزمه النشر فى مثل هذا المجلد . ولايفوت القارىء مدى ثراء هذه الندوة ، فبالرغم من أن هذا المجلد لا يحتوى على كل ماورد بالندوة من أبحاث ، الّا أننا نأمل أن نكون وفقنا أن ننقل للقارىء انطباعا عن هذا اللقاء الذى اتسم بغزارة المادة والذى تمكن من أن يجمع هذا الموضوع الواسع من اطرافه المترامية ويحقق رؤية شاملة للمدينة العربية بين ماضيها ومستقبلها ، ويوجه الأنظار إلى دور التراث الحضارى الاسلامى فى تكوين خصائص المدينة العربية المعاصرة .

وان الأبحاث التى قدمت ، والمناقشات التى دارت بالندوة رمت الى دراسة الملامح الرئيسية لطابع وشخصية المدينة العربية والعوامل المختلفة التى أثرت على نموها ، وعلاقة ذلك بالتراث الحضارى الاسلامى لامكان تحديد سبل تطوير وانماء المدن العربية مع ضمان الحفاظ على القيم الأساسية لهذا التراث . ومثل هذه الأهداف تعني بالضرورة التعرض لموضوعات عديدة منها : العلاقة بين التراث الحضارى الاسلامى ونمو المدينة العربية ، الملامح الأساسية لطابع وشخصية المدينة العربية ومكوناتها ، العوامل التى توجه نمو المدينة العربية ، أسس الحفاظ على التراث الحضارى الاسلامى فى المدينة العربية ، والخطط والأساليب والمبادىء التى يمكن تطبيقها فى المستقبل .

أهمية الندوة

ان اللقاء الذى تم بالمدينة المنورة كان لقاءً بالغ الأهمية من عدة نواح :

أولا : أهمية الموضوع ذاته : فالعالم العربى بأسره يمر بفترة حرجة من تاريخه ، يجابه فيها التحدى الحضارى الغربي ، ولاجدال فى أن المدينة العربية هى الساحة التى تمارس فيها معركة التغريب ، حيث انتفضت قوى ذاتية بالمجتمع العربى تنادى بالحفاظ على الأصالة الحضارية والاستمرارية فى التعبير الحضارى لمجتمعاتنا .

ثانيا : أنه كان لقاء المفكرين والمسئولين : ولانريد فرض تباين وهمى ، ولكن نقصد أنه لقاء أعطى فرصة الربط بين النظرية والتطبيق ، وفرصة ادخال قيود الواقع ، مره وحلوه ، على الحلول الأكاديمية المثالية ، وصهر كل ذلك فى بوتقة واحدة للخروج بما هو أجدى وأنفع .

ثالثا : تعارف ممثلى المدن العربية : فليس باليسير على المسئولين من شتى أنحاء العالم العربى الفسيح أن يتبادلوا الرأى مع زملائهم من كل الأقطار العربية من الخليج الى المحيط . وقد قام منظمو الندوة عامة وممثلو منظمة المدن العربية والمعهد العربى لانماء المدن خاصة بالعديد من اللقاءات التنظيمية مع مندوبى المدن العربية ، تلك اللقاءات التى وطدت أواصر الصداقة والأخوة ، وأرست قواعد التعاون وتبادل الرأى والمشورة

حصر موضوعي

لقد تشعبت الموضوعات فى المناقشات بالندوة ، ولكن لتوضيح هذا الوصف من الممكن تجميع موضوعات النقاش بالندوة حول ثلاثة محاور رئيسية :

أولا : ماهية المدينة العربية : فقد تعرض الكثيرون لمحاولة ربط مدينة الماضى بالحاضر ، وأكد آخرون على تكامل النظرة الشمولية للمدينة العربية بين مكوناتها المادية ومقوماتها المعنوية . وأكد الكثيرون على رفض الازدواجية التاريخية التي – على حد قول فرج استنبولي – جعلت من المدينة العربية الاصيلة وعاء للفقراء والمعدمين وحرمت من الخدمات العمرانية الأساسية مثل المجارى والمياه واعتبرت رمزا للتأخر بينما اعتبرت الأحياء الحديثة المستغربة رمزا للديناميكية والتقدم . وقد أدى هذا الوضع المعوج الى البخس من قيمة التراث العمرانى والمعمارى الأصيل ، وأصبح فريسة محللة للعدوان الاقتصادى والعقارى وتعرضت القيم الأخلاقية والاجتماعية ذاتها لحملة

ضارية من التغريب . ورأى الكثيرون أنه لا مفر من الحفاظ على التراث المعمارى والعمرانى المهدد فى موجة التوسع الحضرى والغزو الحضارى ، ورأوا فى ذلك احتراما لماضينا ، وصيانة لكرامتنا وحفاظا لأمانة فى أعناقنا وجب علينا تسلميها للأجيال القادمة . كما أكد الكثيرون على أن الحفاظ على التراث يجب أن يتعدى المفهوم المتحفى الضيق الذى يقضى بحماية الأثر ، بل وحماية واستمرارية القيم الحضارية التى أفرزت هذا التراث الأصيل . ونؤكد هنا على أن المقصود هو حماية استمرارية القيم الحضارية الاصيلة وليس أوضاع اقتصادية واجتماعية وتكنولوجية سادت فى مدن عالمنا العربى منذ قرون . ان الانغلاق عن المد الحضارى العالمى لايمكن الا أن يكون اختناقا لقدرات الشعوب وملكاتها الخلاقة .

ثانيا : المشاكل الآنية للمدينة العربية : حيث تعانى المدينة المعاصرة من الازدحام السكانى ، والاختناق المرورى ، وأزمة السكن المناسب ، الى آخره من المشاكل العمرانية وليدة التخلف والاستعمار والتى تفاقمت نتيجة للانفجار الديموغرافى الذى اجتاح العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، أعيت الجهود المخلصة لمعالجتها بالتقنيات والأساليب التخطيطية المتفاوتة . وقد تعرض الكثيرون لأوجه مختلفة من أزمة المدينة العربية المعاصرة ، بما في ذلك دراسات اجتماعية لمسببات التحول فى المدينة العربية وتأثير ذلك على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ومردودها على البيئة والنسيج العمرانى عامة والتعبير المعمارى خاصة . وقد أثرت هذه المناقشات العديد من الدراسات الموضوعية لحالات خاصة Case Studies أكملت الحديث النظرى بالواقع الملموس ، وربطت التعميم بالتخصيص فزادته وضوحا وموضوعية .

ثالثا : الحلول المقترحة : من الجدير بالذكر أن الكثيرين من الحاضرين رأوا أن المدخل السليم للتوصل لحلول مناسبة لمعالجة مقتضيات هذا المنعطف الحضارى الحرج ، هو الاتجاه نحو الفكر وتأصيله وأكدوا على دور التعليم السليم فى تكوين المعماريين والمخططين ، كما شاركهم آخرون في التأكيد على دور المؤسسات فى تكوين الأطر المناسبة المحددة للمسئوليات بما فى ذلك ضبط أسلوب العمل ، وتحديد أسس ممارسة المهنة .

واتسعت قاعدة الاتفاق على أهمية التجربة كوسيلة لاستلهام الحلول المناسبة ، ورأى البعض ربط ذلك بما ورد فى مناقشة ماهية المدينة العربية ، ومن ثم ذهبوا الى أن مستقبل المدينة العربية مرهون بمقدرة المخططين والمعماريين العرب لأن يتصدوا لتيار التغريب الجارف ، وأن يستعيدوا من ماضيهم العريق أصول التخطيط والمعمار العربى الاسلامي ، وأن يستلهموا من الماضى صيغا آنية قادرة على مجابهة تحديات المستقبل ، واستعادة المدينة العربية وحدتها العضوية ، ومن ثم كان كسر الانفصام الحضارى هو الخطوة الأولى نحو تحقيق ميلاد جديد للمدينة العربية .

التوصيـــات

وقد نتج عن هذا الحوار العديد من التوصيات التى أصدرت باللغتين العربية والانجليزية ، وطبعت فى كتيبات مستقلة ووزعت على المسئولين . وقد تناولت التوصيات : أولا : الحفاظ على التراث الحضارى الاسلامى للمدن العربية ، ثانيا : مشاكل المدينة العربية المعاصرة ، وثالثا : المعهد العربى لانماء المدن حيث عقد المجتمعون آمالهم على المعهد لمتابعة تنفيذ العديد من التوصيات التى تمخضت عن هذا اللقاء العظيم .

هذا الكتاب :

هذا الكتاب يتضمن جزءا من الأبحاث المقدمة بالندوة ، وقد ذكرنا فى طيات صفحاته أسماء الأبحاث التى قدمت باللغة العربية ، بالاشارة الى أن عددا منها سوف ينشر نشرا مستقلا فيما بعد ، ونود هنا أن نخص بالذكر الأبحاث الثلاثة الاتية :

– خصائص العمران فى المدينة المنورة فى عصر الرسول ﷺ
لعبد المنعم محمد حسنين

– عناية الاسلام بتخطيط المدن وعمارتها — لمحمد السيد الوكيل

– المدينة العربية التاريخية : تركيبها الاجتماعى والاقتصادى (تطبيق : المهدية) — لمحمد الباهى

حيث ستقوم الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة بطباعة البحثين الأولين ، بينما يتم التنسيق حاليا لطباعة الأخير طباعة مستقلة .

وقد جمعنا الأبحاث التى يتضمنها هذا الكتاب فى ثلاثة فصول ، يحتوى كل منها على عدد من الأقسام ، وهى :

الفصل الأول : المدينة العربية وتراثها الحضارى الاسلامى

الفصل الثانى : المدينة الغربية المعاصرة بين الحاضر والمستقبل

الفصل الثالث : دراسات عن المدن العربية .

إعتذار ....


وثمة إعتذار نسوقه إلى السادة الباحثين .. فقد إقتضت ظروف الطبع ، من حيث الالتزام بعدد معين من الصفحات ... اللجوء إلى إختصار كثير من النصوص برغم ما نشهد لها بداية من قيمة ، وجهد علمى مبذول .. ونأمل أن يكون اعتذارنا محل القبول ..

... وشكر ...

لايمكن أن ننهى هذا التقديم دون أن نتقدم بالشكر لمنظمة المدن العربية والمعهد العربى لانماء المدن ووزارة الشئون البلدية والقروية بالمملكة العربية السعودية وبلدية المدينة المنورة والذين شاركوا فى هذه الندوة من ممثلى المدن العربية ومن الباحثين والعلماء المهتمين بموضوع المدينة العربية وتراثها الحضارى الاسلامى. كما أننا نود أن نشكر بعض الذين ساهموا معنا فى اخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود ، ومع أنهم كثيرون ، نود أن نخص بالشكر السادة محمد مذكور ، خميس البكرى ، احمد ثابت ، ريتشارد هربرت وبصفة خاصة مختار صَالح الذى ساهم بالكثير فى الإخراج الفنى لهذا المجلد .

... وأمـــل :

وختاما ، إذ نضع هذه الأبحاث بين يدى القارىء ، نرجو أن نكون وفقنا فى أن نضع فى متناول يده تلك المادة الثرية التى شارك بها الباحث والممارس فى لقاء المدينة المنورة . وفقنا الله جميعا إلى ما فيه الخير ، والله ولى التوفيق .



الفصل الأول

المدينة العربية وتراثها الحضارى الإسلامى

يحتوى هذا الفصل على أربعة أقسام ، تتناول بتسلسل الموضوعات التالية :

أولا : مفهوم المدينة :

ليست المدينة مجموعة من المنشآت والمبانى والطرق فحسب ، كما أنها ليست مجرد تجمع من البشر فى مكان جغرافى واحد ، ولكن المدينة عبارة عن تفاعل حقيقى بين الانسان والانسان ، وبين الانسان والمكان . ولايتم هذا التفاعل فى فراغ بل تحكمه أطر فكرية وتكنولوجية تعبر عن صيرورة تاريخية لذلك المجتمع وهذا المكان .

ثانيا : المدينة والتراث :

انطلاقا من هذه الصيرورة التاريخية ، كان للتراث دور جوهرى فى تحديد ماهية الحاضر واتجاهات التطور فى المستقبل . ولذا وجب على المفكرين والمسئولين بالمدن العربية أن يعمقوا نظرتهم للتراث باعتباره أكثر من مبان بالية خلفتها لنا أجيال سابقة ، فهذه النظرة المتحفية القاصرة إنما تمهد لاقتلاع الحاضر من جذوره وتجهز الأرض الخصبة لحملة التغريب العاتية . بينما الفهم الواعى للتراث هو الأساس لتأصيل الجديد وتطوير الحاضر .

ثالثا : المدينة التاريخية :

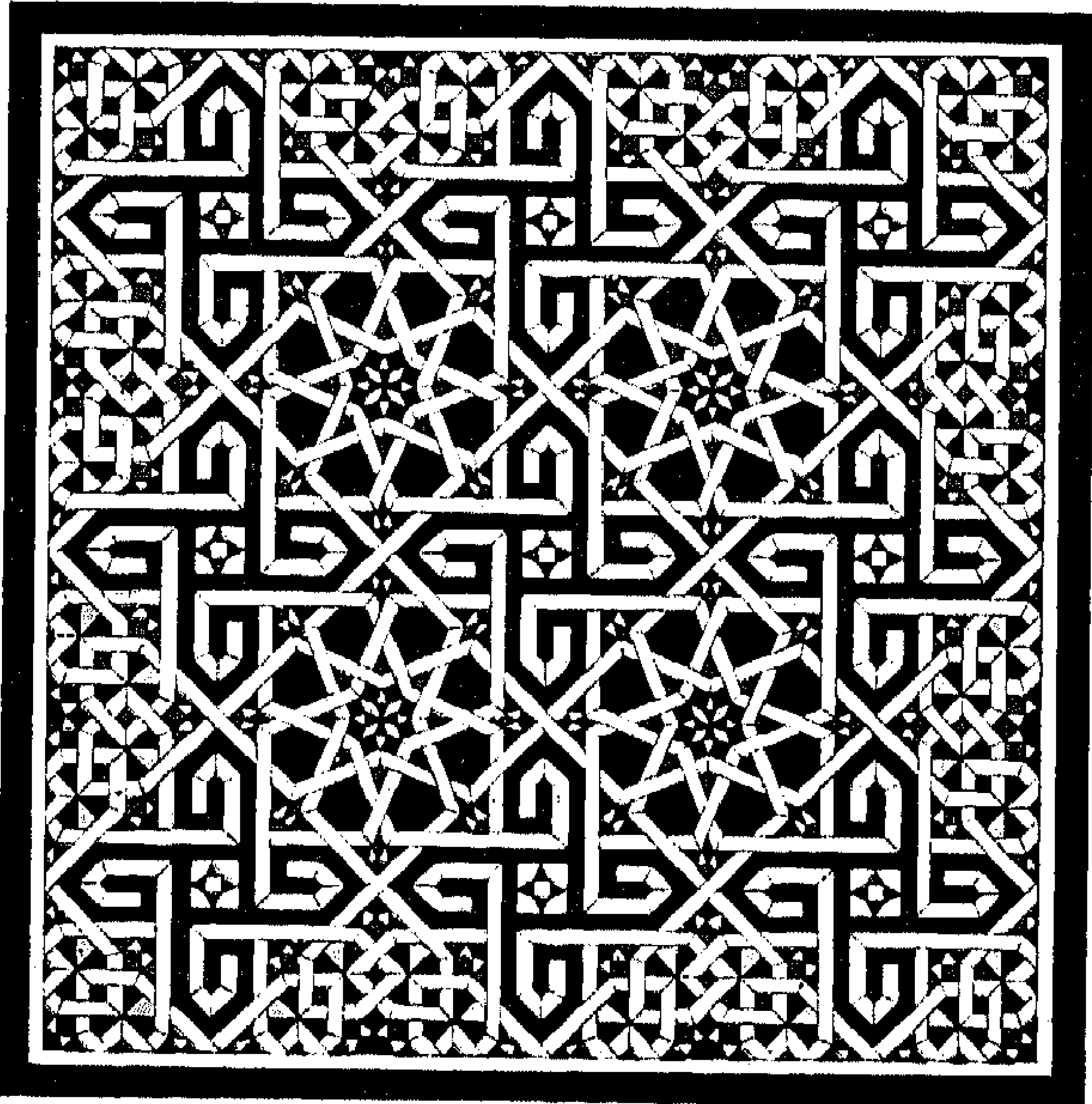
اذا انتقلنا من دراسة التراث بمفهومه الواسع ومن التحدث عن دوره فى تكوين المناخ الفكرى المناسب للتفاعل مع الواقع ، وجب علينا تعميق تلك المفاهيم بالعودة الى المدينة العربية التاريخية ، وتفهم جذورها وأصولها ، فالمدن المعاصرة وليدة التطور التاريخى ولايجوز الفصل بين الماضى والحاضر وكأن صفحة التاريخ تطوى والاستمرارية الحضارية تنقطع . بل إن محاولة تفهم المدينة التاريخية انما يظهر مدلول التراث المعمارى فى اطار التراث الحضارى .

رابعا : حول حماية التراث :

مما لاشك فيه أن التراث المعمارى والعمرانى للمدن العربية مهدد بالتبديد والضياع . ومن ثم كان على كل من تصدى للعمل فى هذا الميدان أن يعطى ماعنده فى تحديد كيفية حماية هذا التراث حتى يتسنى لنا أن نحافظ على شخصية مدننا وذاتية حضارتنا .

*****

ومن مراجعة هذه الموضوعات بات جليا أن التراث الحضارى الاسلامى ليس موضوع المؤرخين واهتمام المتخصصين فى شئون المتاحف ، انما التراث الحضارى الاسلامى الركيزة التى يجب أن يستند عليها كل تحرك واع هادف الى تطوير المدينة العربية المعاصرة لتحقيق الوفاق المرموق بين البيئة والمجتمع وبين القديم والجديد .



٨ رسم هندسي من الفن العربـــــي

القسم الأول
مفهوم المدينة

ان المدينة العربية تستمد ماهيتها من مفهوم حضارى للمكان ، ومن تطور تاريخى للعمران ، ومن صيغة معينة لتعامل الانسان مع الانسان رسمتها فى المقام الأول الحضارة الاسلامية فى تطبيق المفاهيم الاسلامية على واقع البيئة العربية والأمصار المفتوحة التى اكتسبت التعريب . وقد كتب محمد أركون* عن مفهوم المدينة فى اطار الحضارة الاسلامية ، مؤكدا أن هناك ضرورة واضحة للتوجيه التاريخى للفكر العربى المعاصر ، وملوحا بالوضوح بين التاريخية والأسطورية ، ومحددا لتيارين فكريين هما :

١ – التيار الداعى الى انجاز « المدينةالفاضلة » فى هذه الحياة الدنيا ليسير جميع الناس نحو النجاة والسعادة القصوى .

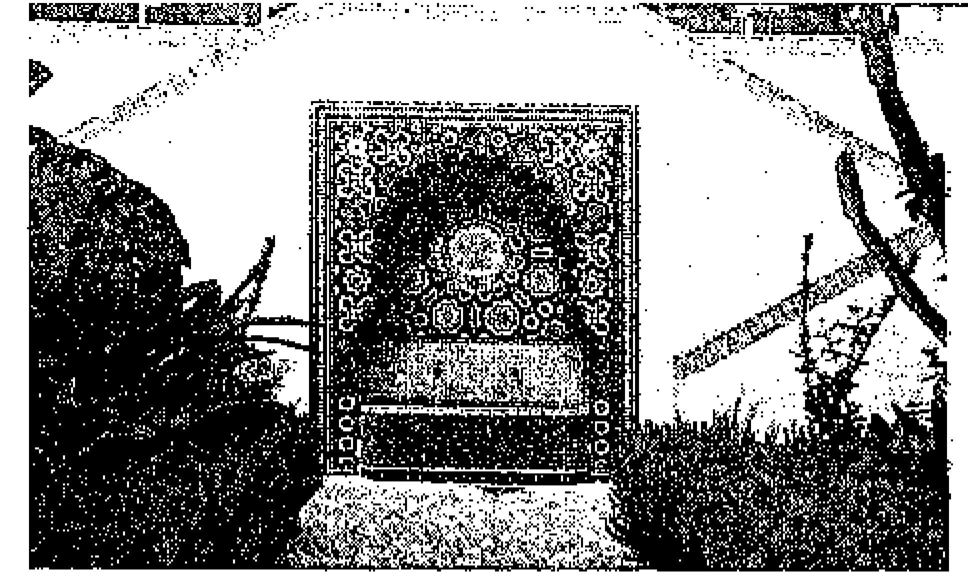
٢ – التيار المراعى للمدينة التاريخية ، أى الحياة الواقعية فى المجتمع الحضرى والبدوى والريفى ، حتى يتوصل الى تفهم اسرار الحياة الاجتماعية ثم اصلاح مالا يستقيم فى هذه الحياة .

ويأتى البحثان المدرجان فى هذا القسم لتكملة هذه الرؤية التاريخية الفلسفية فيكتب حسن حنفى باختصار عن **فلسفة المكان** مؤكدا أن المدينة الاسلامية لقاء بين الزمان والمكان ، لقاء يتم بناء للتصور الاسلامى للعالم فى هذا الزمان بعينه .

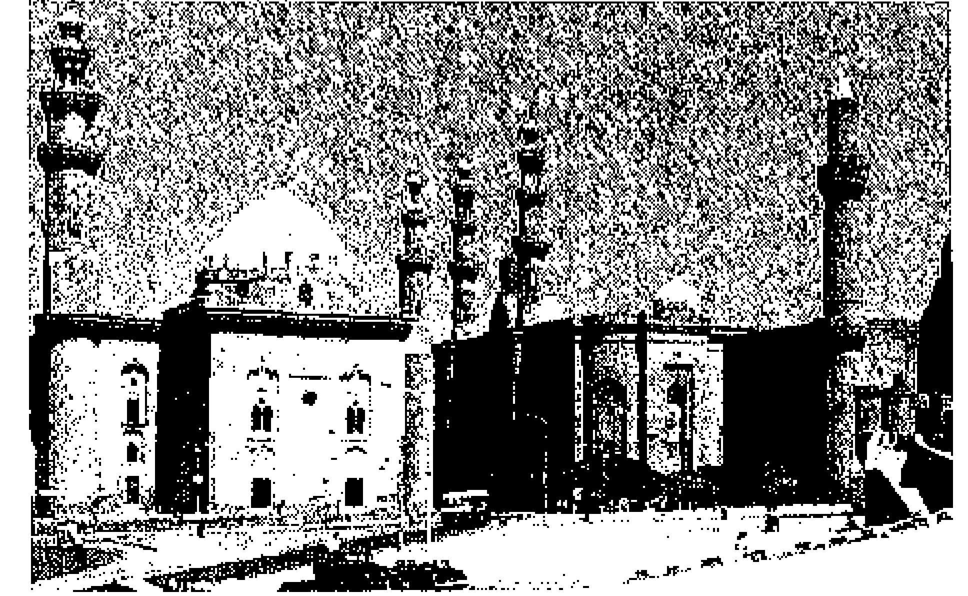
أما اسماعيل سراج الدين فيحاول أن يحدد حقيقة **المدينة العربية وتراثها الحضارى الاسلامى بين المكونات المادية والمقومات المعنوية** ، مؤكدا أنه لايمكن التفريق بين المادى والمعنوى لأن الأول مرآة الثانى ووعاؤه .

---

* راجع محمد أركون « مفهوما المدينة الفاضلة والمدينة التاريخية فى الفكر العربى» فى ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٦) البحث سوف ينشر مستقلا فيما بعد .



٩ حديقة بفندق قصر الجامعي – فاس



١٠ مدرسة السلطان حسن ومسجد الرفاعي – القاهرة



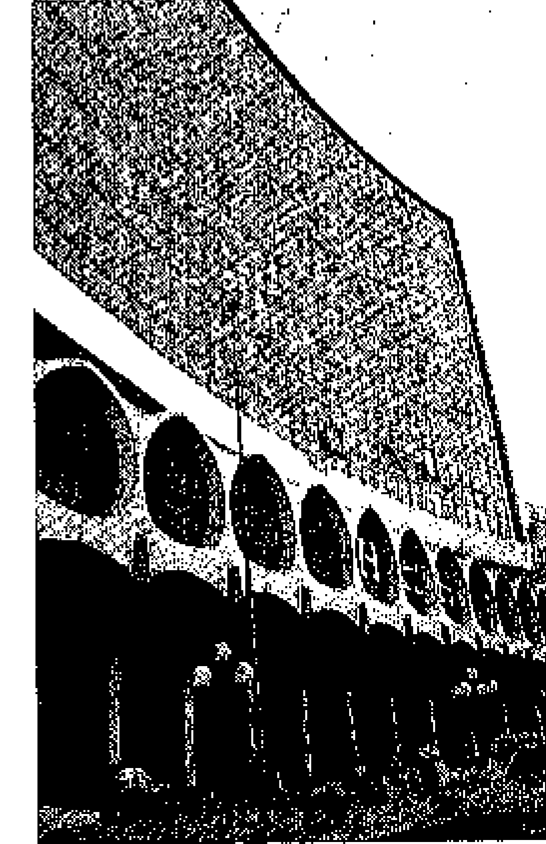
١١ قلعة ومدينة تاروت من الجو – السعودية



١٣ صنعاء



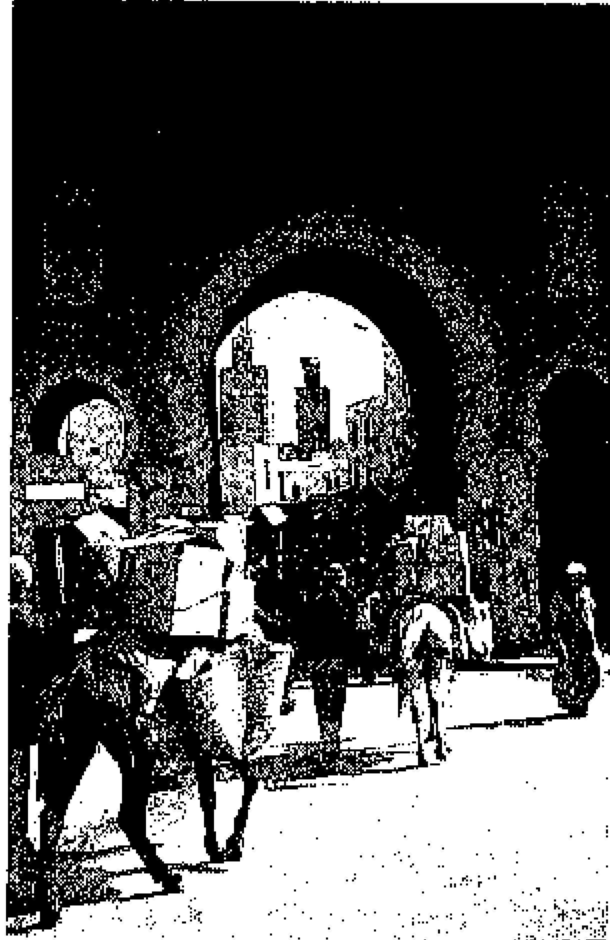
١٢ منظر من المغرب



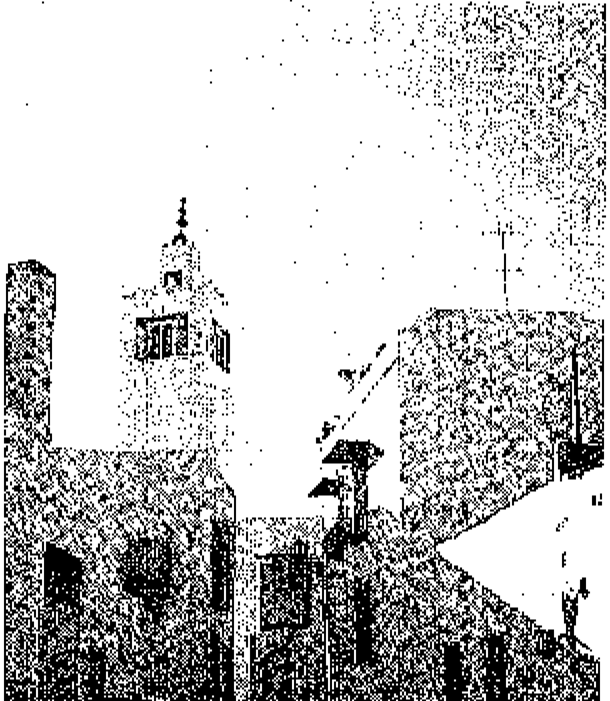
١٤ عمارة الملكة – جدة



١٥ منظر جوي للجزائر



١٦ مدخل مدينة فاس



١٧ سيدي بو سعيد – تونس

فلسفة المكان

حسن حنفى



المدينة الاسلامية لقاء بين المكان والزمان . واختيار المكان لايتم عشوائيا بل طبقا لمواصفات للبقعة التى يستقر فيها البشر والتى تخدم اغراضهم ومقاصدهم والتى تجسد تصوراتهم للعالم . فالمكان ذاته لقاء بين الطبيعة والفكر ، بين المساحة والتصور ، بين الامتداد والرؤية . ولما كان وضع الانسان فى العالم كما حدده الاسلام انه سيد الكون ، وخليفه الله فى الأرض ، كل شيء مسخر له ، فإن اختيار المكان يتحدد طبقا لهذا التصور فى أواسط البقاع للسيطرة والاشراف على الاطراف ، كما هو الحال فى العواصم أو على الاطراف للدفاع كما هو الحال فى الثغور ، أو على السواحل للدفاع عن الشواطىء ، كما هو الحال فى المرافىء .

ويتم بناء المدينة ايضا طبقا للتصور الاسلامى للعالم ، محورها ومركزها المسجد الكبير ، مسجد المدينة الذى به يخطب الامام ويوجه الامة ويرعى مصالحها . وبه وحوله المدارس ودور المعلم ومساكن الطلاب ، والمكتبات . وحولها وسط المدينة من أسواق وحمامات ومرافق عامة . فالمدينة لها قلب وأطراف ، مركز ودوائر ، وفى المركز أيضا دور القضاء ، وحاكم المدينة ويتم البناء طبقا للطبيعة التى أبدع الله صنعها من أرض خضراء ، وماء ، وهواء ، وبالتالى تنشأ ضمن الدار ، قطعة من الطبيعة وامتداد لها ، كما نشأت اساليب التهوية الطبيعية ، وغابات النخيل فى صورة أعمدة لانهائية فى العدد كالنخيل الباسقات والفن الاسلامى العربى يعبر بوحداته الصغيرة اللامتناهية عن اللامتناهى وعن التوحيد .

ولكن المدينة أيضا موجودة فى الزمان ، فى عصر بعينه ، وفى التاريخ . يتم التوسع فيها بناء على نفس التصور للعالم مادام التصور مازال موجودا عند الاجيال المتعاقبة . ولا حرج فى البناء على بقايا البنايات القديمة التى تعبر عن تصور آخر للعالم ، فليست الحضارات متاحف متوازية بل يكمل بعضها بعضا ويحتوى الاكثر امتدادا الأقل امتدادا . ولاتمتد القطيعة فى التاريخ الا بعد ان يغيب التصور الاسلامى ويطغى عليه أو يحل محله التصور الأجنبى عن تقليد وتبعية ، وهنا يقع الانفصال فى الزمان كما يحدث الخلط فى المكان وتنشأ التجمعات والابنية المزروعة من بيئة الى بيئة اخرى فيثبت التغريب ويقوى الانفصال ، ولايرتبط بالتصور القديم ألا هواة الفن من الفقراء أو بناة القصور من الاغنياء .

١٨ منظر جوي لمدينة صغيـــــرة بالمغرب

المدينة العربية وتراثها الحضارى الاسلامى بين المكونات المادية والمقومات المعنوية

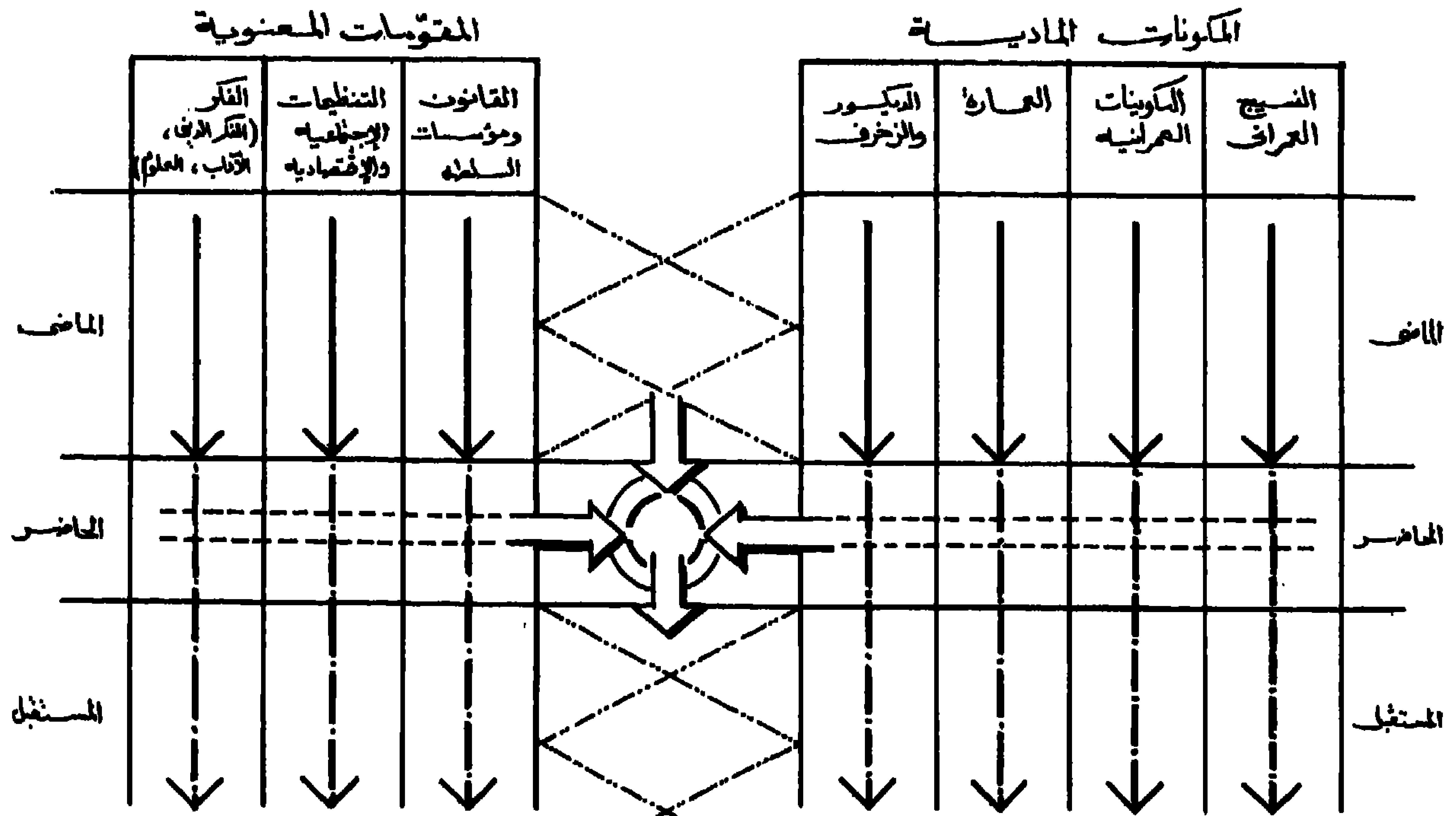
إسماعيل سراج الدين

لم يشهد العالم طفرة عمرانية شاملة كالتى تمر بها مدن العالم العربى اليوم وجدير بنا اذا نجابه مشاكل اليوم والغد ، أن نطمع فى الحفاظ على استمرارية تراثنا الحضارى الاسلامى ، وحماية ماخلفته لنا أجيال سابقة من الارث المادى والمعنوى . ومن ثم كان المنطلق الأساسى لهذا البحث ، بل هذه الندوة ، هو الربط بين الماضى والمستقبل ، باعتبار كينونة الحاضر حلقة فى تيار مستمر لاينقطع . فماضينا الحضارى جزء منا ، ولايمكن ان نرنو لمستقبل بدون تلك الاستمرارية الحضارية المكونة للشخصية ، المحددة للذات . ولذا نجد عبر التاريخ كله ، ان الحلول الناجحة والأساليب والخطط الموفقة ليست هى التى واءمت مشاكل الواقع الذى جابهته والبيئة التى نمت فيها وحسب ، ولكنها هى التى تعدت ذلك وأتت بالجديد الأصيل ، رافضة الاستسهال والاستيراد .

ان الربط بين الماضى والمستقبل هو مهمة المهندس والمخطط والعالم والمواطن ، كل فى مكانه ، فلابد من التغيير لأن التشبث بالماضى ورفض الجديد هو استسلام لانتحار بطىء . ولابد من الاصالة لأن التجديد بدون تأصيل هو تخبط فى الضياع .

اذا سلمنا بأن الأصالة والتجديد وجهان لنفس العملة ، بات ضروريا أن نتفهم ماهية المدينة العربية اليوم ، بخصائصها ومشاكلها وواقعها المر والحلو على السواء . كما بات ضروريا أن نتفهم المقومات المعنوية لتراثها الحضارى الاسلامى بالاضافة للمكونات المادية لهذا التراث من عمارة وآثار وزخرف وابداع انسانى يكون فى مجمله هذا النسيج العمرانى الفريد الذى عجز المحدثون عن محاكاته . وهنا كان ضروريا أن نتعرف على المدينة الملموسة ، بمكوناتها المادية التى تتدرج مقياسا من الطابع العام للنسيج العمرانى الى مجموعات المبانى والهيكل العام للمدينة الى عمارة المبنى الواحد ، الى زخرفة ونقوش ونتاج الفنون الأخرى . ثم أن نربط بين هذه المدينة الملموسة المادية ، التى تكون الوعاء المادى لنشاطات مجتمعنا الحيوى ، وبين المقومات المعنوية للمجتمع العربى الاسلامى الذى يسكن هذه المدينة ويشكلها ويتشكل بها .

أما المكونات المادية للمدينة ، فيمكن أن نحددها من منطلق مقياسها الفعلى ، فنبدأ بادىء ذى بدء **بالنسيج العمرانى** الذى نعرف أنه يطرح علينا نماذج متباينة بين المدينة الاسلامية بتكوينها العضوى المتماسك وبين



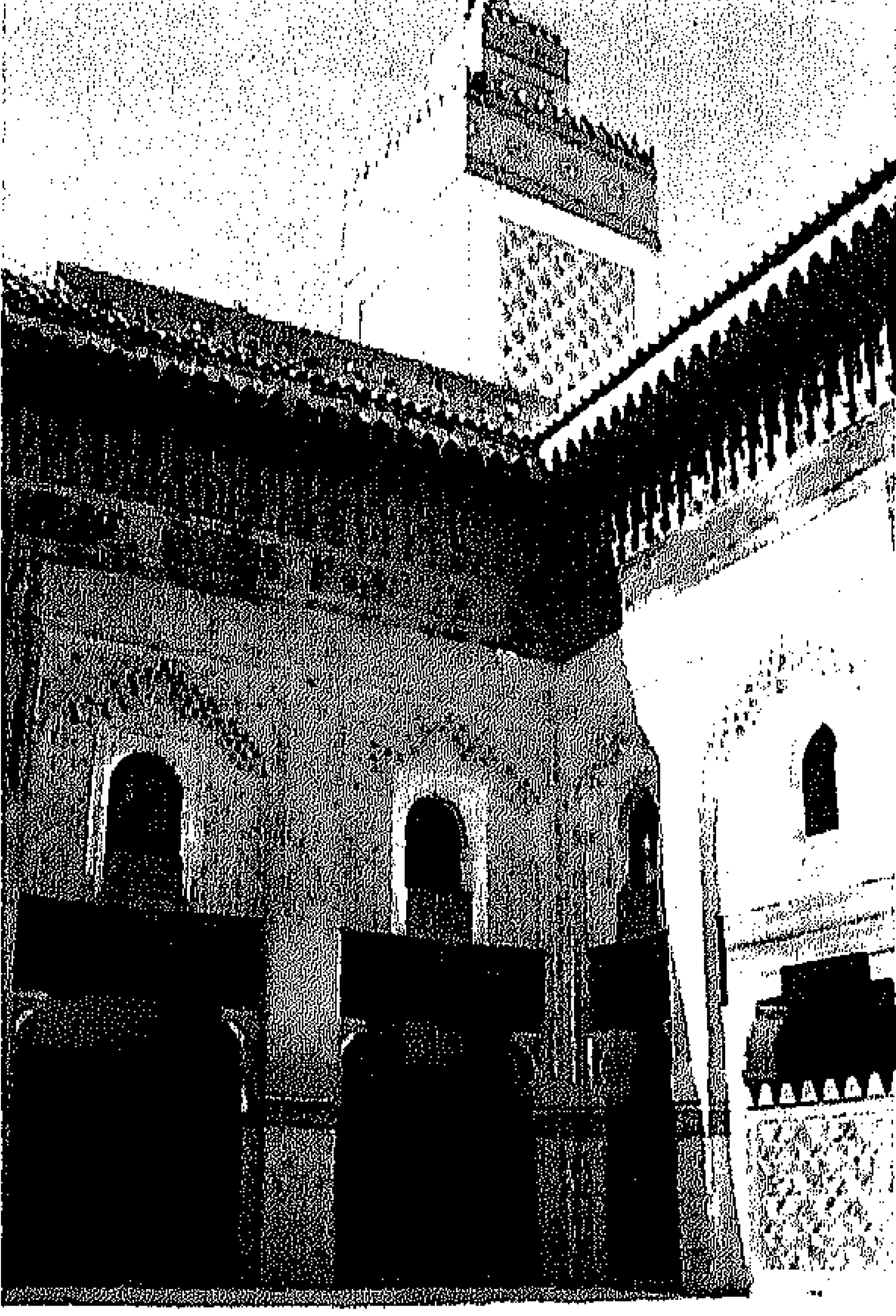
المدينة الغربية بتنظيمها الهندسي الجامد حيث اتسقت الأولى مع الانسان ، بينما انقادت الثانية لتأثير الآلة .

ثم ننتقل خطوة أخرى الى **التكوينات العمرانية** ، وهى تلك العناصر الأساسية التى تحدد معالم المدينة والتى يخطط منها واليها ، فهى بمثابة الوحدات التكوينية للهيكل العمرانى . ومن تراثنا العربى الاسلامى ، كان المسجد والسوق وأحيانا القلعة أو دار الامارة هى التكوينات العمرانية الأساسية ، ثم تليها التكوينات الثانوية مثل التجمعات السكانية فى الحارات والرباع .

ثم ننتقل خطوة اخرى فنصل الى **العمارة** ذاتها بما فى ذلك مجموعات من المبانى أو المبنى الواحد المنفصل . ولايفوتنا ذكر أنها عمارة اتسقت مع البيئة والمناخ من جهة واتفقت مع أسلوب الحياة الاسلامية من جهة أخرى . وأغلب هذه المكونات المعمارية لاتحتاج الى التعريف . يكفينا القول أنها ضربت مثلا فى جمال النسب والابتكار الخلاق يتباين تماما مع الالتزام الهندسى الأعمى الذى طغى على كثير من العمارة الأوروبية الكلاسيكية ، الذى نصب السيمترية الهندسية فوق كل شيء متجاهلا حقيقة أن العمارة الناجحة هى التى تربط بين الوظيفة والجمال .

ثم ننتقل من هذا المجال الى **الديكور والزخرف** ، ولاحاجة لنا أن نزيد عما قاله المستشرقون فى انبهارهم بالانجازات الفنية الرفيعة التى طوعت المادة لأقصى حدودها وأثرت التراث الحضارى الفنى العالمى بوافر العطاء .

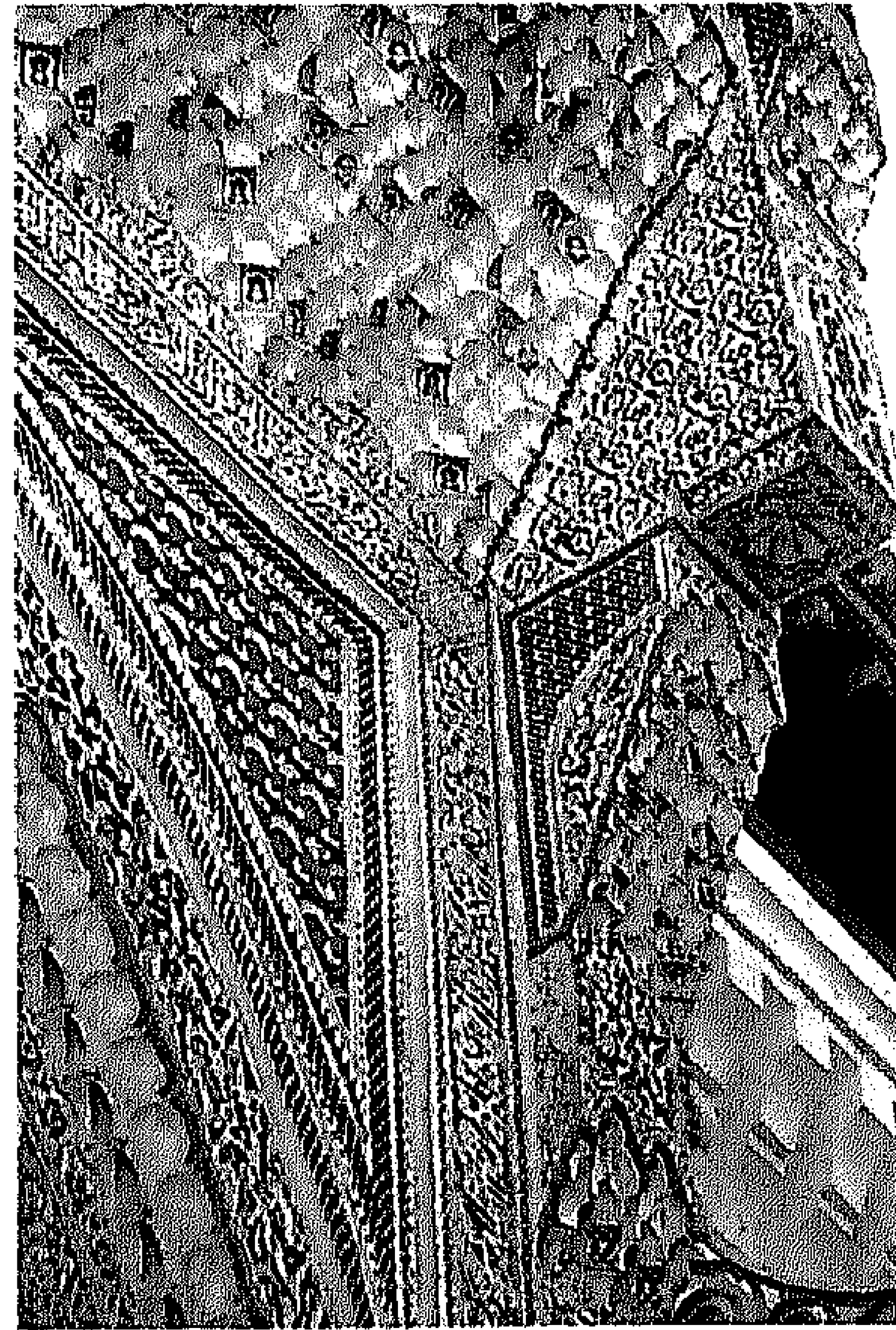
هذه اذن هى المكونات المادية للمدينة العربية ، وهى التى تحدد الاطار المادى الذى تتم فيه المعاملات بين الأفراد ، وهذه الأخيرة هى المضمون



٢٠ منظر لمدينة فاس



٢٢ شارع مغطى ــ فاس



٢١ تفاصيل معمارية ــ فاس

الحقيقى للحياة الحضرية ، ومن الجدير بنا أن نقف وقفة تمحيص لمقوماتها الأساسية .

ان المقومات المعنوية للمدينة العربية الاسلامية تدور حول محاور ثلاثة نعتبرها محاور رئيسية للتطور المعنوى للمجتمع الحضرى . المحور الأول هو القانون ومؤسسات السلطة ، هذا المحور هو الذى ينظم المعاملات بين الأفراد ، ويتحكم فى الأرض وتقسيمها ، ويربط استعمالها ، الى غير ذلك من التطبيقات . والمحور الثانى هو المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التى تمخضت عن تطور المجتمع العربى الاسلامى عبر القرون ، فرأينا آثارها التخطيطية فى ظهور أحياء وحارات معينة مثل « حارة النحاسين » و « الصاغة » وغيرها . أما المحور الثالث ، فهو مايمكن أن نسميه الفكر وتطوره وهو فى تفاعل جدلى مع كل شىء آخر رسمناه فى هذا التصور من مكونات مادية أو مقومات معنوية . وللفكر روافده ، أهمها ثقافيا فى المجتمع الاسلامى هو الفكر الدينى ، ثم ما ينتجه هذا المجتمع فى الميادين المختلفة من الفنون والعلوم .

الترابط والتطور :

لايخفى علينا أن هناك ترابطا واضحا بين المكونات المادية للمدينة ومقوماتها المعنوية . فالأولى مرآة الثانية فى أغلب الاحيان فالنتاج المادى هو نتاج فكر المجتمع وابداع الانسان ، ولايمكن أن يكون أصيلا الا اذا كان كذلك .

ولكن المهم هو أننا كثيرا ما نظرنا الى كل من هذه المكونات المادية والمقومات المعنوية على حدة . وقام المتخصصون بدراسة تطوره فى انغلاق فكرى ونظرة احادية . ولم ينظر الى هذا التداخل والتفاعل الا فيما ندر .

ويهمنا أن نعترف أننا نقف اليوم عند ملتقى الماضى بالمستقبل ، ومن هذا المركز الحيوى ، أمامنا مهمة شاقة وهامة ، ألا وهى أن نربط بين الماضى والحاضر لكل من هذه المكونات والمقومات حتى لانأتى بما يحدث انفصاما فكريا وخللا حضاريا وبالتالى وجب علينا أن نتخذ هذه النظرة الشمولية التى تحدثنا عنها ، التى تربط بين المهندس والاجتماعى والمحامى والفقية والاقتصادى وغيرهم ، كل يعطى عطاءه فى سبيل الهدف المشترك .

ان هذه النظرة الشمولية للمدينة العربية وتراثها الحضارى الاسلامى هى الوحيدة الكفيلة لتحقيق الرؤية الشاملة للمجتمع ومدنه ومدنيته تلك الرؤية التى تتطلبها جسامة المسئولية الملقاة على عاتق المفكرين والمخططين والمهندسين العرب فى هذا المنعطف التاريخى الحاسم الذى يجابه أمتنا فى مطلع قرنها الخامس عشر .



٢٣ مكة المكرمة من الجو

القسم الثانى
المدينة والتراث

بعد التعرف على مفهوم المدينة بات ضروريا توضيح مفهوم التراث ، وهو مشتق لغة من الارث ، أى ما خلفه الأولون للآخرين ، مايرثه الخلف عن السلف .

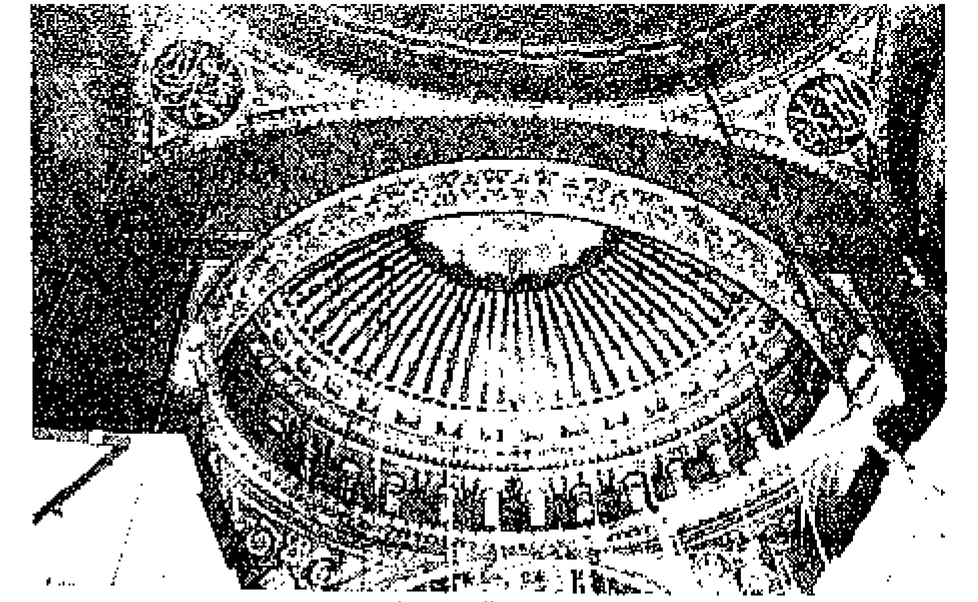
ومن هذا المنطلق واضح أن التراث هنا لايعنى فقط تلك المبانى والمنشآت التى أقامها اجدادنا فى المدن العربية ولكنه يعنى أيضا الاطار الفكرى والنظام الاجتماعى (المتطور) الذى يستند الى الاسلام ، ومنه نرى أن التراث الحضارى الاسلامى للمدينة العربية تراث حى متطور يعتبر تفهمه هو المدخل الحقيقى للحفاظ على شخصية المدن العربية وذاتيها فى وجه توسعها العمرانى السريع .

وفى هذا القسم يتعرض ثلاثة كتّاب لذلك الموضوع .

أولا : حسن الششتاوى الذى يرى **المدينة العربية بين الدعوات الثلاث : السلفية والمعاصرة والمتحفظة** ، ينادى فيها بالتحفظ ألا يستمر الخاصة فى البحث والتنقيب والمناقشة بينما يزداد العامة انغماسا فى التغريب .

ثانيا : صباح محمود محمد الذى يتحدث عن **التراث المعمارى العربى الاسلامى وسبل صيانته** ، ويأتى ذلك مكملا لما ورد فى البحث السابق ، مؤكدا على شخصية المدينة العربية وخصائصها .

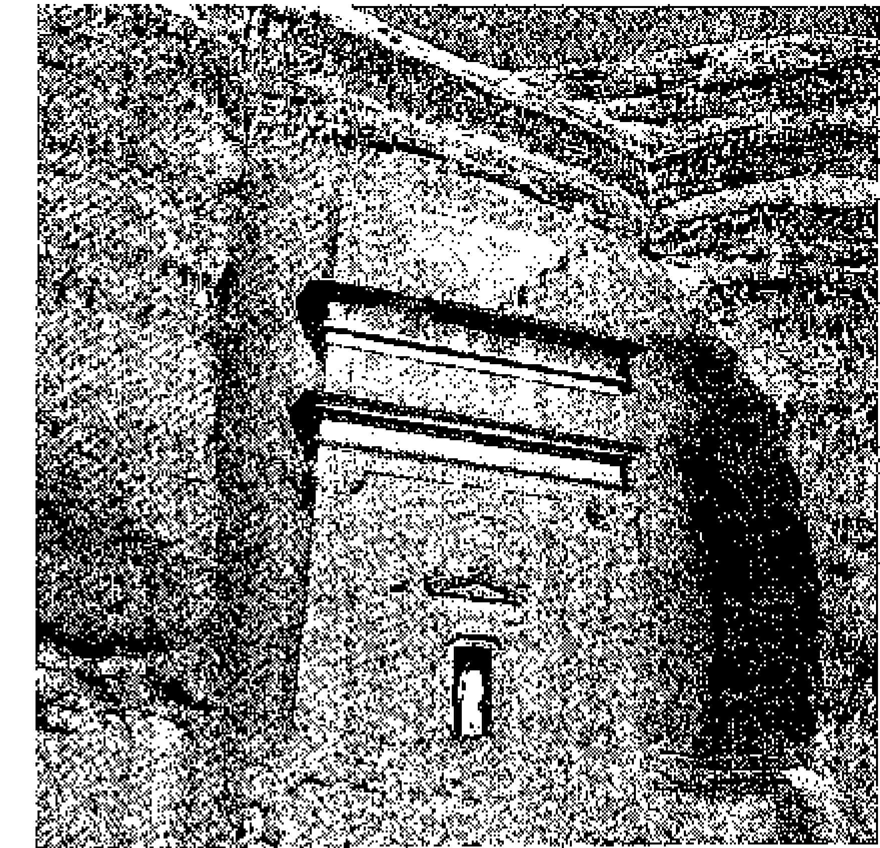
ثالثا : محمود حمندى ، الذى يكتب عن **السبيل الى الحفاظ على الخصائص الأصيلة للمدينة العربية**، حيث ينتهى الى بعض التوصيات المحددة التى يراها أساسا للتحرك المستقبلى فى هذا المضمار .


٢٤ قبة جامع محمد علي بالقاهرة


٢٥ نساج حرف الرخام – فاس القديمة

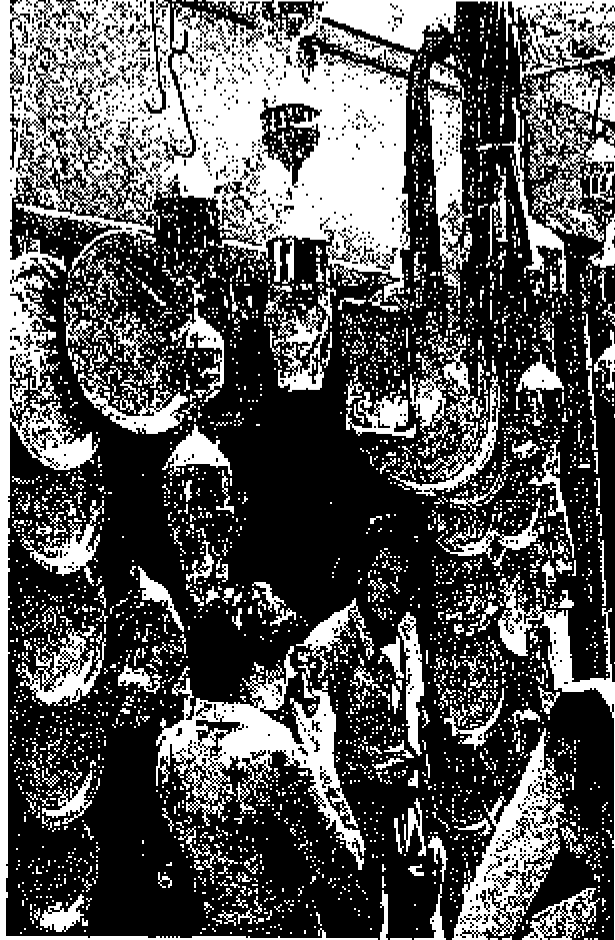

٢٦ احد القصور القديمة بالرياض

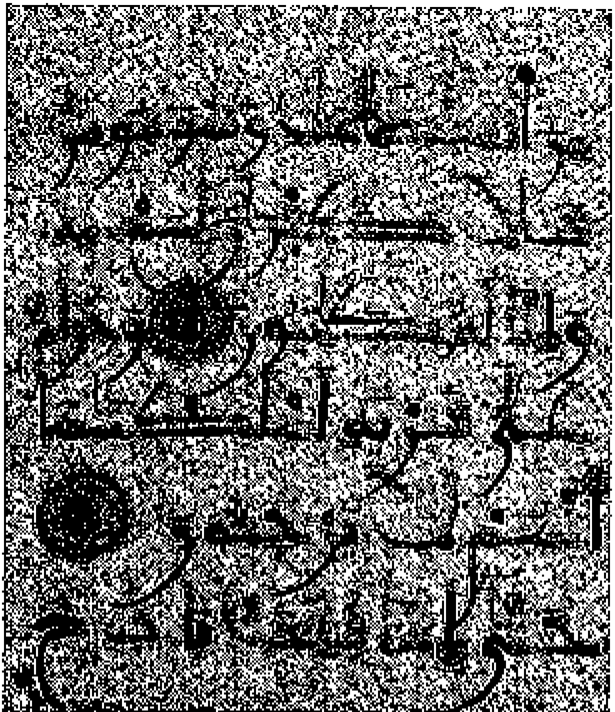

٢٧ منظر من مدينة فاس


٢٨ قبر نبطي من مدائن صالح


٢٩ عامل ماهر من سوريا


٣٠ الحرم ومكة المكرمة من الجو


٣١ تاجر النحاس بتونس


٣٢ مخطوط مصحف قديم – فاس

المدينة العربية بين الدعوات الثلاث : السلفيـة والمعـاصرة والمتحفظة

حسن الششتاوى حسن

مقدمة :

أسست المدينة العربية الاسلامية الأولى فى العام الأول للهجرة هنا فى المكان المسمى بيثرب « المدينة المنورة فيما بعد » حيث عاش المسلمون فى بدء الدعوة بمكة ثلاثة عشر عاما دون أن يكون لهم مسجد – بالمعنى الشائع – يقيمون فيه صلواتهم حتى أقيم مسجد قباء بيثرب .. وحقق الله للمسلمين النصر والفتح وعاد من عاد منهم الى مكة ببيوتها ودروبها وبطاحها وحطموا الاصنام .. ثم انتشر الاسلام خارج الجزيرة العربية فى بلاد ذات حضارات وأنماط حياة وبيئات مختلفة ولم تكن معظمها عربية الا أنها دخلت فى المضمار العربى وأصبح لها لسانه وحضارته فكانت الوحدة الكبرى التى هيأت السبل لخواص عامة جمعت الشعوب الاسلامية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة ، فعرفت فى العصور الأولى أمثلة شامخة كالقاهرة وبغداد وفاس وغيرها .

والمشاكل العمرانية والمعمارية التى يعانيها العالم اليوم ليست مقصورة على العالم الاسلامى فحسب ... اذ هى فى معظمها من نتائج التحول من مراحل ماقبل التصنيع الى مراحل مابعد التصنيع .. الا أن العالم الاسلامى يختص منها بعدم الوضوح الكافى وعدم استمرارية التطور التاريخى وسرعة التغيير وفجائيته بالاضافة الى عمليات الهدم المستمرة للتراث . ولب تغير العالم الاسلامى هو فى حقيقته تغير المسلم ذاته حيث أن حديثا عن الاسلام والمسلمين لابد وأن يخضع للتساؤل عن المسلمين كما كانوا أو كما هم الآن ؟ وأن عودتهم الى رحاب الاسلام سوف تحقق لهم الريادة كما كانت لهم فى ماضيهم المجيد .

البحث عن النموذج :

وفى مجال البحث عن النموذج يجدر تحديد الحقبة من التاريخ الاسلامى وكذلك تحديد المكان منه ليحتذى به .. فالزمان والمكان هما من القضايا الرئيسية للتفهم الصحيح . ففى الوقت الذى يعبر فيه المكان عن البيئة بكل معطياتها الطبيعية وكذلك التى من صنع الانسان يعبر فيه الزمان عن الحقبة التاريخية بمؤثراتها التى تداخلت وأعطت النتاج الحضارى بغير ما اغفال للتاريخ الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والسياسى . وكان للتقدم التقنى للغرب والرغبة فى مواجهة مشاكل الانشاء والتعمير وبسرعة الاثر البالغ فى عدم اعطاء الفرصة لشعوب كثيرة للاختيار الا أن تقلد وفى معظم الاحيان تكلف شركات أجنبية بالتخطيط والتنفيذ جميعه ... واذا استمر الحال كذلك فسوف تتحول مدن العالم الاسلامى الى مقابر لهذه النسخ المقلدة لعدم مواءمتها للحياة حضاريا واجتماعيا وبيئيا وتكون النتيجة عمرانا متدهورا تماما .

المدينة العربية كما كانت :

من المسجد يرتفع صوت المؤذن خمس مرات يوميا وتتجه القلوب الى الله فى هدوء وطمأنينة وتتجه الشوارع الى المسجد ومنها الى الحارات المغلقة وتؤدى الشوارع الى البوابات الضخمة للمدينة وينساب الماء الضرورى للطهارة فى المساجد والبيوت وتتوزع الاسواق والبازار والحوانيت وورش الصناعات الخفيفة مقسمة حسب نوعياتها وتتوافر لاغراض التجارة القيصريات والخان والوكالات . ويشكل البدو الرحل العنصر المتغير فى التركيبة الاجتماعية وانقسم وقت المسلم بين مكان عمله لطلب الرزق والسعى لطلب العلم والعبادة والبيت لطلب الراحة والسكينة وكانت المدينة مفعمة بالحركة .

وكوّن البيت ذو الشكل الرباعى – فى معظم الاحيان – مع البيوت الاخرى على غير ما استقامة ولا تماثل خطوطا منحنية وهى الصورة المغايرة تماما للتصميمات العمرانية والمعمارية الرومانية أو الاغريقية حيث بنيت على التشكل الهندسى الثابت والمنتظم .. وترابطت الكتلة العمرانية لتعطى دلالة الأخوّة والترابط البشرى للمسلمين وبرزت الوحدة بين البناء والسماء عن طريق تشكيل نهايات المبانى متفادية الخط الافقى القاطع .

وكان تماثل الفكرة وليس للتماثل الهندسى الصفة السائدة فى التصميمات العمرانية والمعمارية وكان أيضا للنمو العضوى والبعد عن النموذج المتكرر فى الاسكان والكتلات العمرانية والمعمارية التى يتخللها الفراغات الاثر البالغ فى اعطاء الصفات والسمات للمدينة العربية .

وارتبطت مواقع العمل بمواقع السكن بصفة مباشرة وكانت العلاقة بين المنتج والبائع ثم بين البائع والمستهلك بدون طرف ثالث وقلت المسافة بين الانتاج والتسويق ونشأت على جوانب الطرق خدمات ترويحية كالمطاعم والاستراحات للعابرين . ومثلت الحارة الوحدة الاجتماعية وحققت الترابط والتعاون والحماية وتجمعت حول أفنية ومساحات ومنها الى الشوارع الرئيسية فحققت هذه الفراغات الهدوء المطلوب للسكن . للحماية من الضوضاء وأخطار السيارات ولتحقيق الخصوصية .

بعض العناصر التى تميزت بها المدينة العربية :

المسجد : إن شمولية التصور الاسلامى التى اعتبرت كل حركة للانسان خالصة لله بمثابة عبادة هى ذاتها التى اعتبرت الأرض كلها مسجدا وتربتها طهورا كما أنها ذاتها التى اعتبرت أبواب السماء مفتوحة فى كل اتجاه ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله ﴾ (سورة البقرة ، ١١٥) .

البيت فى القرآن الكريم : ورد البيت بمعنى السكن :
﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين . والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ صدق الله العظيم (سورة النحل ٨٠ - ٨١) .

وورد البيت أيضا بمعنى دار العبادة :
﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ صدق الله العظيم (سورة النور ، ٣٦) .

ثم يأتى التوجيه الالهى نحو خصوصية البيت والمسلك الذى يجب أن يكون بداخله .
﴿ فاذا دخلتم بيوتا فسلّموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ .

وحرمة البيت مؤكدة :
قال الله تعالى :
﴿ واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون الا فرارا ﴾ صدق الله العظيم .
ولتحقيق هذه الخصوصية للمسكن بذل المسلمون الاوائل محاولات كثيرة كانت منها الافنية الداخلية والمشربيات .

ولايتحقق هذا الا بالحفاظ على ماتبقى من آثارها وترميمه وتسجيله ثم بسلوك النهج الحضارى الذى يتواءم معه وذلك بالرجوع الى مابناه الأولون .

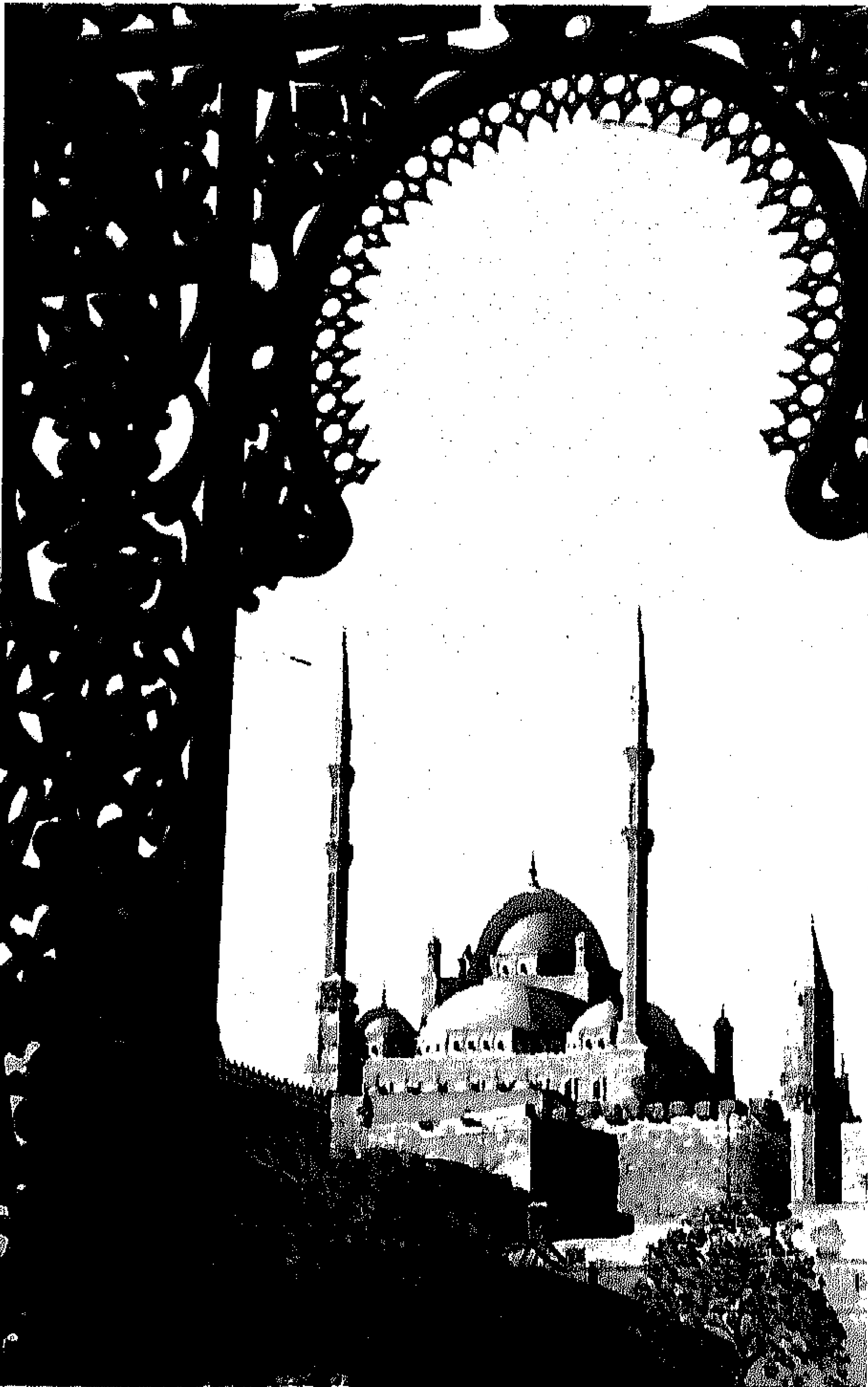
المتغيرات والثوابت

وتجدر الاشارة الى انه من الخطورة بمكان أن يظل الخاصة من المسلمين فى هذا المجال يتباحثون فى المثاليات والمتوارثات الحضارية بينما يظل العامة منهم ينغمسون أكثر وأكثر فى معطيات المدينة الغربية مما يزيد الهوة اتساعا ويحصر هذه المثاليات فى النطاق العلمى (الاكاديمى) النظرى .

هل من الصحيح أن نرى المستقبل بعين الماضى أو أن نرى الماضى بعين المستقبل ؟

ليس صحيحا على أية حال أن نعظم أو نضفى صفات العصمة على الماضى فى هذا المجال فى طريقنا للبحث عن النموذج . آخذين فى الاعتبار المتغيرات والثوابت فى البلاد الاسلامية المختلفة فليس صحيحا أن نعود الى مابناه الاوائل ونطبقه تماما لانه ليس تشريعا ولأنه كان وسيلة لتحقيق الهدف بامكانات وعوامل معينة تغيرت الآن تماما ومع ثبوت الاهداف علينا أن نجتهد كما اجتهد الذين من قبلنا ولا يضيرنا فى هذا أن ننقل بعضا مما توصلوا اليه أو نترك البعض كما أنه ليس صحيحا تماما أيضا أن ندير ظهرنا للتراث المعمارى بكامله ونجنح الى المستورد من بيئات غريبة علينا ولدت نظرياتها ومعاييرها فى أجواء وتحت ظروف مغايرة تماما لواقعنا فى الوقت الذى ولدت وتطورت عمارتنا من خلال التجربة والخطأ فى عهود الاسلاف حتى اكتمل لها المعيار والفكرة والحلول الكفيلة بالقناعة الوظيفية والجمالية والتى تتناسب مع المعطيات البيئية .

إن السيارة والطائرة والقطارات ووسائل الاتصالات الحديثة والاعداد الكبيرة من السكان وخدمات البنية الأساسية infrastructure كلها جديدة ومعقدة ويجب أن ندخلها فى الاعتبار ونواجه المشاكل بشكل جذرى وصريح .. حيث أن محاولة الخروج من هذا المأزق بتقليد أبنية اسلامية معروفة يؤدى الى ألا تكون هذه الأبنية إسلامية الخصائص ولاحديثة التقنية .



٣٣ جامع محمد علي - القاهرة

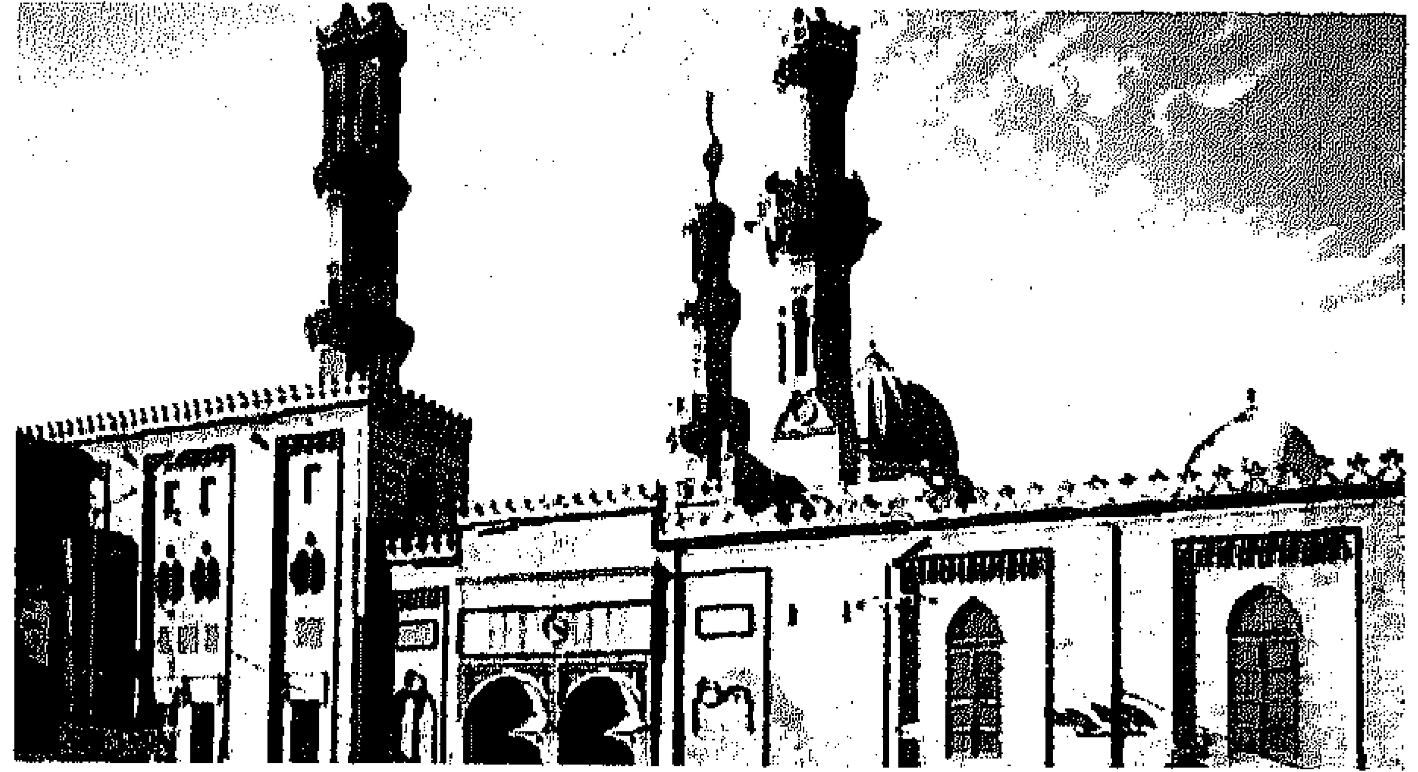
وأخطر من ذلك الاتجاه السائد والذى يمكن تسميته بعمارة الواجهات كحل سريع ولكنه مزيف . وذلك باستعمال عقود وكوابيل بدون العلاقة قطعا بالفراغات الداخلية سواء بالنسبة للمساقط أو للحجوم فهى الرؤية السطحية من الشارع .

والعائدون من البلاد الغربية نجد أن نسبة منهم يحاولون جاهدين ان ينقلوا صورة المدينة الغربية الى بلادهم والنتيجة هذا التشويش المعمارى الذى نشاهده فى كل مكان .

وساعدت وسائل الاعلام على ابراز صور النهضة بأبنية وشوارع على النمط الغربى فهجر الناس ماضيهم الذى هو فى مفهومهم رمز للتأخر وجنحوا الى النمط الغريب الذى صور لهم على أنه رمز للمدنية والتحضر . ووقفوا ينظرون باعجاب الى الأيدى المستوردة وهى تبنى وتشيد أبنية فاقدة الهوية .. ولسنا ندعو الى اعتبار المدينة العربية فرعا من فروع الآثار التى يلجا اليها السائح وانما الى اعطائها الفرصة لكى تساهم بايجابية فى تقديم الحلول التطبيقية فى المجالات العمرانية والمعمارية والتحكم البيئى .

ويجب أن تكون الصحوة من أبناء البلاد العربية وذلك بتكوين جيل من الرواد ومن الصناع المهرة فى كافة التخصصات ذات العلاقات الوثيقة قادرين على التعامل مع المشروعات العمرانية والمعمارية بمختلف نوعياتها ومقاييسها آخذين بالاسباب العلمية التى وجدوها وحيثما ناسبتهم محققين الامتداد والاستمرارية الحضارية وهذه الامانة لاتقع فقط على المعماريين والا نكون كمن وضع العربة قبل الحصان ولكنها موزعة على كافة المستويات وكل منا يقف على ثغر وعليه أن لا يؤتى الاسلام من جانبه .

ولايفوتنى فى هذا المجال أن أنوه الى الدور الذى يلعبه الاحتلال الصهيونى لكى يفقد مدينة عربية اسلامية عزيزة علينا وهى (القدس) ملامحها وعروبتها « والله غالب على أمره والله من ورائهم محيط »



٣٤ واجهة الجامع الأزهر ـ القاهرة



٣٥ قلعة صلاح الدين ـ القاهرة

التراث المعمارى العربى الاسلامى وسبل صيانته

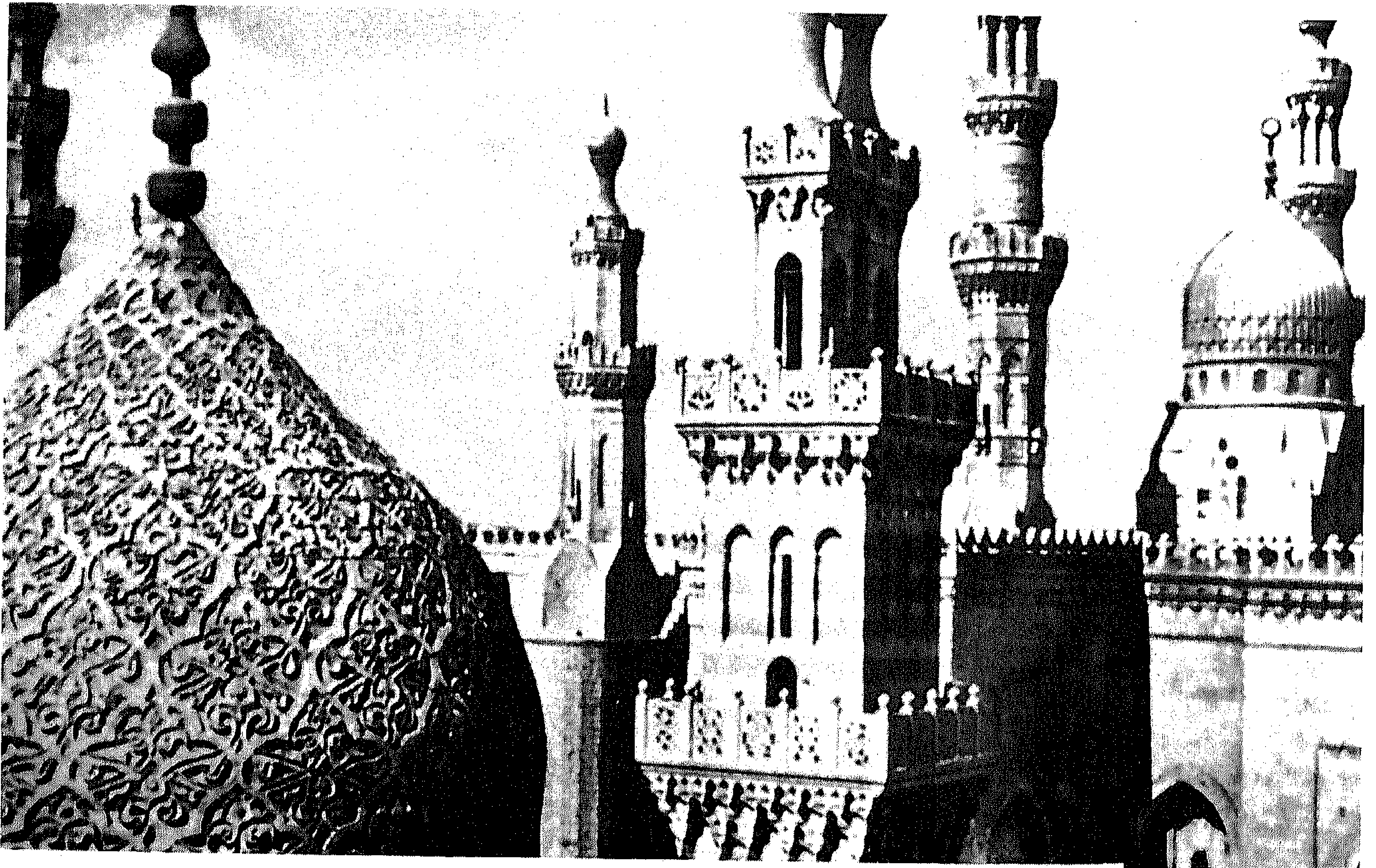
صباح محمود محمد

مقدمة

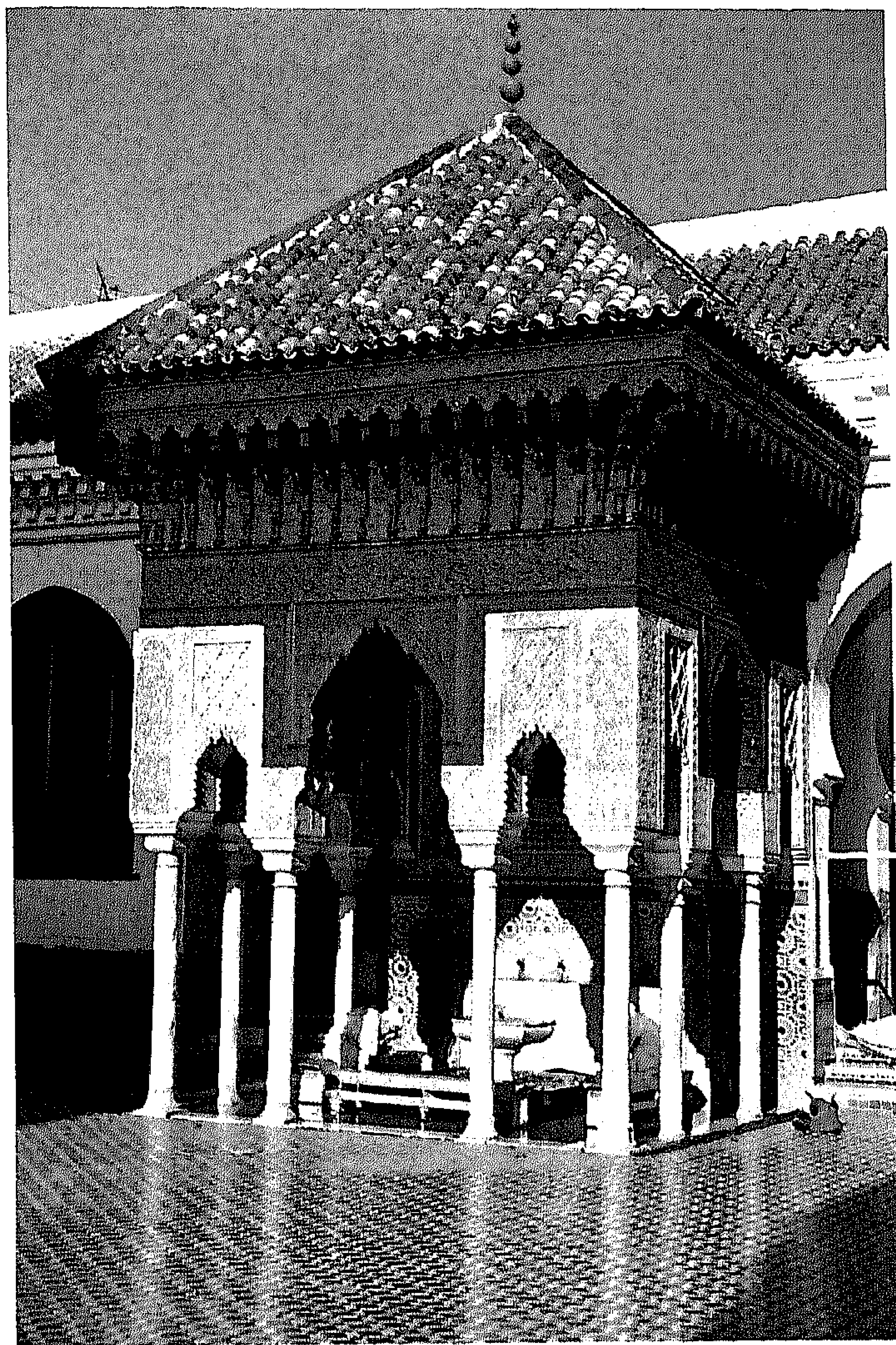
تعرضت وتتعرض الاقطار العربية والاسلامية الى غزو اجنبى متعدد الجوانب مختلف الاشكال ويساهم البعض فى ذلك بدعوى الاخذ باسباب الحضارة الجديدة واقفا من التراث العربى الاسلامى موقف المستصغر المستخف — ويعتبر الغزو المعمارى الاجنبى لمدننا العربية الاسلامية وتشويه العمارة العربية احدى القنوات التى ينفذ منها الاستعمار العالمى لتشويه الحضارة العربية الاسلامية والماضى العريق للامة العربية والقضاء على شخصيتها بالتالى ؛ ولهذا فاننا ندعو لدراسة تراثنا المعمارى وتناوله بالتحليل العلمى والتقويم الموضوعى ووضع الوسائل والاساليب التى تمكن من الحفاظ على هذا التراث الاصيل .

خصائص المدينة العربية الاسلامية :

لقد تأثرت العمارة العربية بالظروف البيئية للاقليم العربى وطبيعة الحياة البدوية ولهذا فقد اوجد العرب نموذجا من التصميم المعمارى للبيت ذى الصحن الذى من خصائصه ان جزء المعيشة فيه يتكون من صحن مفتوح للسماء وتطل عليه ايوانات الجلوس تتقدمها لوجيات كما نراه فى بيوت الفسطاط وقصر الاخيضر ومنازل تونس(١) . ان للساحات الوسطية المكشوفة فى الدار اهميتها فى توزيع الاضاءة والتهوية الجيدة(٢)



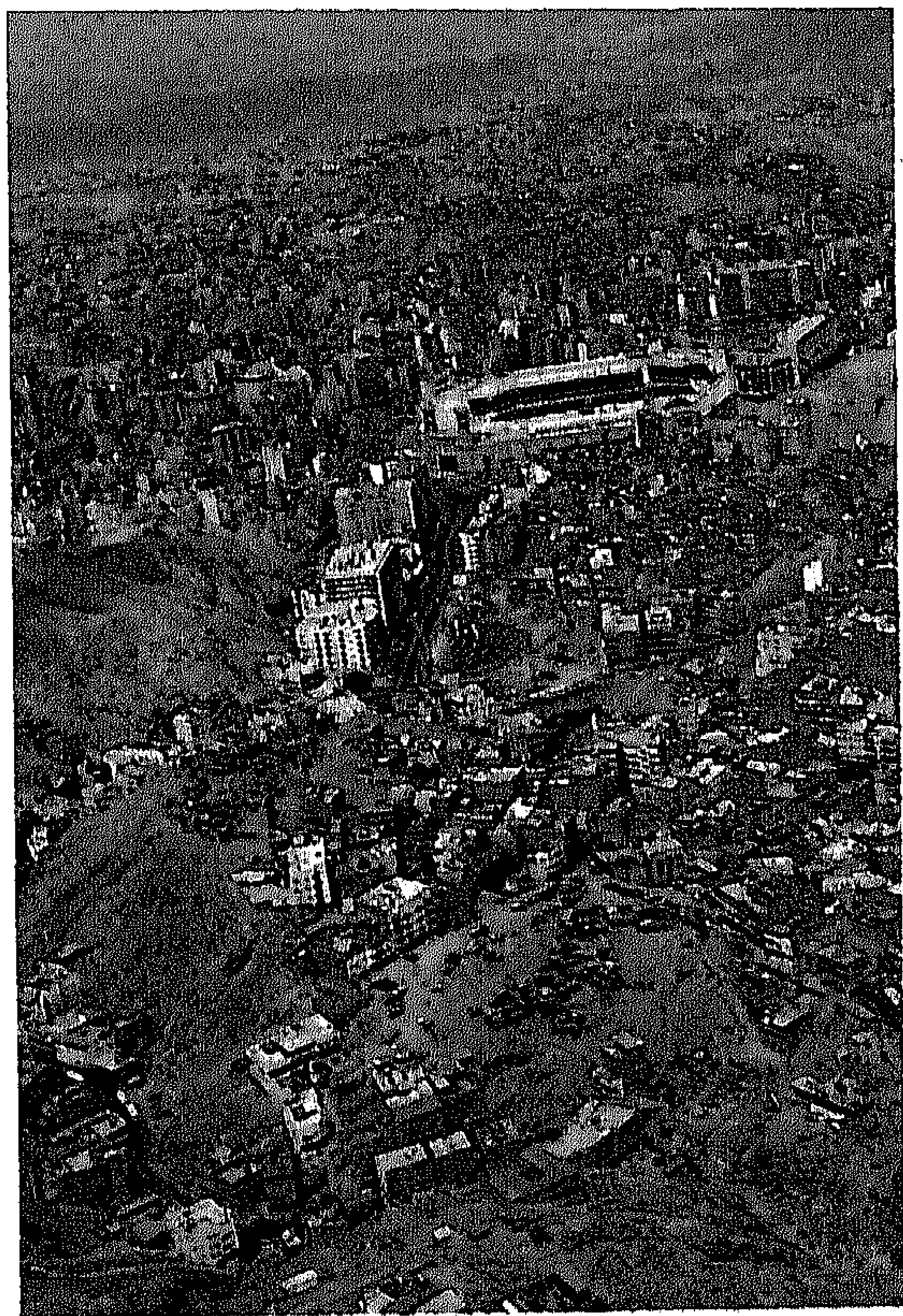
٣٦ مآذن القاهرة



٣٧ مسجد القرويين – فاس



٣٨ مدينة فاس



٣٩ مكة المكرمة من الجو

وقد دلت البحوث المعمارية التى قام بها احد المختصين على سلامة فكرة الصحن فى البيت العربى الاسلامى وملاءمة ذلك لبيئة المناخ الصحراوى الجاف[٣] كما وضع العربى نافورة ماء فى الصحن كما قد تحتوى بعض الدور على سراديب وبادكير التى هى عبارة عن مجارٍ عمودية للتهوية متصلة بسطح الدار – ويتصل البادكير بتجويفة تؤدى الى مستوى منخفض فى ارضية السرداب حيث يساعد الماء الموجود فى القاع على تلطيف الهواء الخارجى الجاف الاتى من السطح وترطيبه .[٤] ، ولم تكن الظروف البيئية وحدها المؤثرة على طبيعة تصميم الصحن الذى يتوسط السكن وانما هناك عامل اخر متعلق بحرص العربى (على دوام الاتصال بالسماء كما تعود عليه عندما كان يعيش فى الصحراء لذا فانه ادخل فكرة الرمز الكونى بالشكل المعمارى فانه يرمز الى الجدران الأربعة المحيطة بالصحن بانها الأعمدة الأربعة حاملة قبة السماء وزيادة على ذلك فان وضع نافورة ماء وسط الصحن لكى تنعكس هذه السماء على صفحة الماء فيها ويراها طول الوقت تسحب رحمتها وقدسيتها وسط البيت وبين الحجرات)[٥] وبالنظر لاهمية المسجد فى حياة العرب المسلمين فقد اعتادوا أن يبدأوا بناء المدينة به فى وسط أو مركز المدينة وقد أدى المسجد وظائف متعددة باعتباره مركزا سياسيا واجتماعيا وحضاريا[٦] .

تقع السوق أو منطقة الاعمال المركزية قرب المسجد ممتدة على الطريق الرئيسى والطرق الاخرى المتفرعة من مركز المدينة .. وقد عرف عن السوق العربية بانها تنقسم الى قطاعات تحتلها فعاليات تجارية متخصصة ، كما تتجاوز فعاليات تجارية بسبب الارتباط الوظيفى أو التكامل فيما بينها(٧) .

يتحدد موقع مؤسسات الادارة فى مركز المدينة وقرب المسجد اما المناطق السكنية فتتخذ لها مواقع حول السوق مرتبطة بها بشوارع رئيسية ويؤثر عامل الارتباط القبلى على توزيع السكان داخل المدينة .

تتميز شوارع المدينة الاسلامية بكونها ضيقة وملتوية وبعضها غير سالك – وقد رسمت هذه الخصائص عوامل متعددة اهمها ، ميل ورغبة السكان بسبب الروابط القبلية الى الاحتشاد فى مكان واحد كما أن هذا الاحتشاد يساعدهم فى الدفاع عن انفسهم اضافة الى ان الشوارع غير السالكة تسهل حصر المعتدين وابادتهم – ولاشك ان تقارب الدور السكنية فى هذا الاقليم الصحراوى يوفر ظلا للمشاة فى هذه الأزقة الضيقة(٨) .

ومن خصائص المدن العربية الاسلامية وجود الاسوار حولها وفى بعض الاحيان الخنادق كما هو الحال بالنسبة الى بغداد وقد تهدمت تلك الاسوار اما بفعل الحروب أو نتيجة لتوسع نمو المدينة خارج اسوارها وخنادقها .

مقترحات لصيانة التراث المعمارى للمدن العربية الاسلامية

ان الخصائص المعمارية للمدن العربية الاسلامية ترسم لهذه المدينة صورا جمالية مشرقة تظهر بشكل دقيق عبقرية العربى والاسس العلمية للفكر العربى والذوق الرفيع له ولغرض الحفاظ على هذا التراث نقترح الوسائل التالية :–

١ – أن يكون المسجد جزءا حيويا فى الوضع الاجتماعى العربى وهذا يتطلب اعطاءه اهتماما بارزا فى خطة المدينة العربية .

٢ – ان موقع السوق فى المدينة العربية الاسلامية يتفق والتركيب التجارى للمدينة الحديثة وهذا يتطلب الحفاظ على موقعها وتهيئة التسهيلات اللازمة لتطويرها .

٣ – انشاء المعهد العربى للدراسات والبحوث الحضرية ، ويمكن ان يكون مركز التخطيط الحضرى والاقليمى فى جامعة بغداد نواة لذلك للقيام بالدراسات والبحوث حول المدن العربية والاسلامية واعداد الكوادر المتخصصة فى هذا المجال .

٤ – اعطاء أولوية خاصة واهتمام دائم بمدينة القدس والقيام بكل ما من شأنه الحفاظ على الخصائص العربية والاسلامية لها عبر قنوات متعددة عن طريق ندوة دولية حول العمارة العربية الاسلامية لمدينة القدس واعداد اطلس لها يبين تلك الخصائص وطبع كارتات خاصة بذلك وغير ذلك من الوسائل .

٥ – قيام منظمة المدن العربية بعقد مؤتمر سنوى يخصص لمدينة عربية معينة كل سنة ويعقد فى نفس المدينة التى يخصص المؤتمر لدراستها .

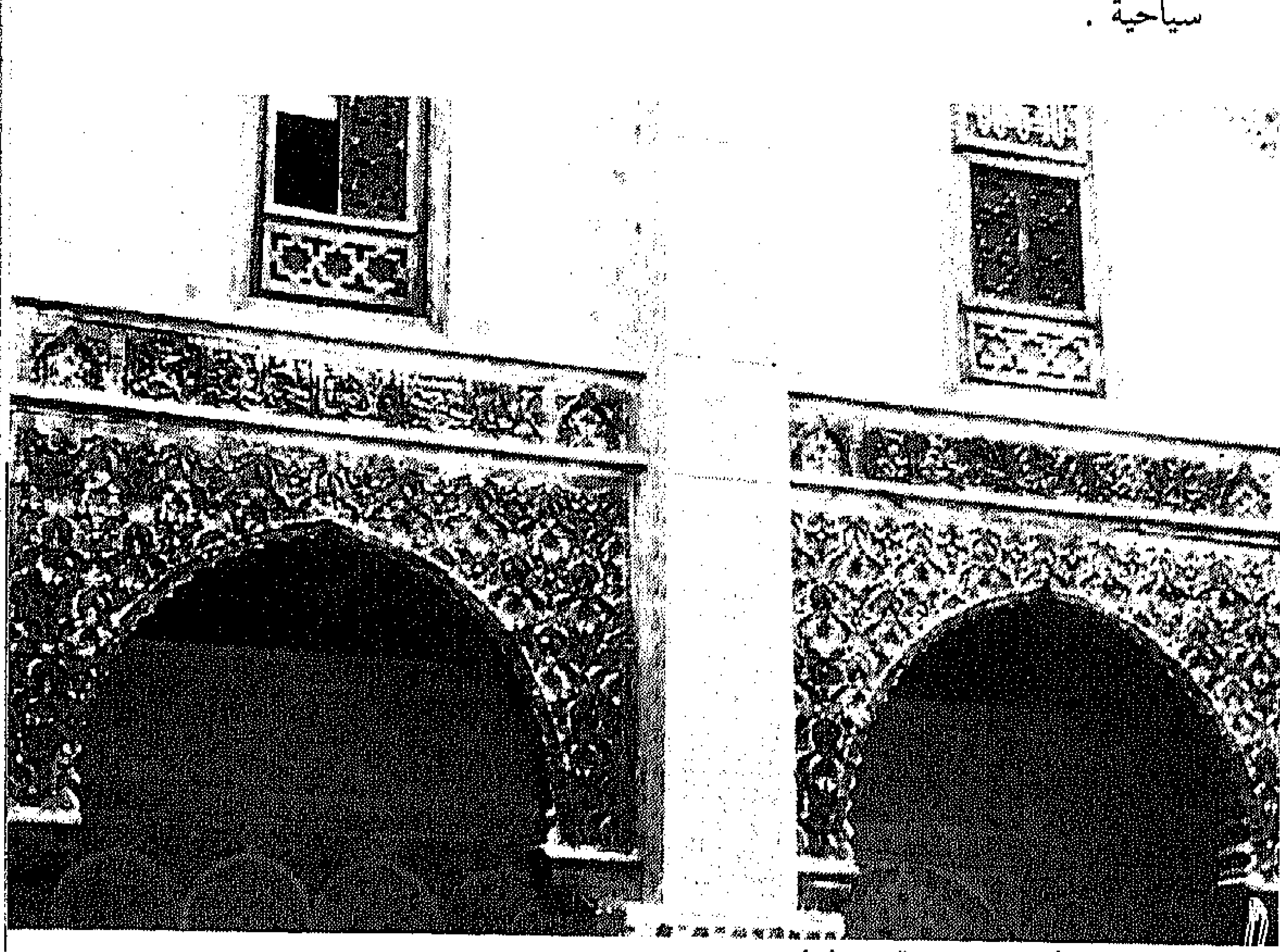
٦ – نشر وترجمة الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) والكتب التى تتناول أو تدرس العمارة والمدن العربية الاسلامية .

٧ – الطلب من المهندسين والمصممين عرب واجانب تثبيت خصائص العمارة العربية الاسلامية التى دخلت فى تصاميمهم للابنية التى يكلفون بها واعتبار ذلك شرطا اساسيا للتعاقد معهم .

٨ – تخصيص منح ومقاعد دراسية للطلبة عرب وأجانب لدراسة العمارة العربية والاسلامية .

٩ – دعوة المتخصصين من الجامعات والمؤسسات الاجنبية ذات العلاقة لزيارة المدن العربية الاسلامية والاطلاع على الخصائص المعمارية لها .

١٠ – قيام المسئولين على شئون التراث والعمارة والحكم المحلى فى الاقطار العربية الاسلامية بالحفاظ على بعض الابنية التراثية القديمة التى تحمل الاصول الأولية والدقيقة للعمارة العربية وتجديدها وتحويلها الى مراكز سياحية .



٤٠ تفاصيل معمارية – فاس

(١) حسن فتحى : العمارة العربية الحضرية بالشرق الأوسط – جامعة بيروت العربية نيسان ١٩٧١ بيروت ص١٥ .

(٢) صالح فليح حسن : تطور الوظيفة السكنية لمدينة بغداد الكبرى ١٩٥٠ – ١٩٧٠ بغداد ١٩٧٦ ص١٩٩ محمد مكية – بغداد ، عرض تاريخى مصور بغداد ١٩٦٩ ص٢٢٨ .

(3) D. Dunham: The Courtyard House as a Temperature Regulator The New Scientist, 8, Setp., 1960. PP 659-666.

(٤) صالح فليح حسن ص ٢٠٠

(٥) حسن فتحى : مصدر سبق ذكره ص ١٦

(٦) د . عبد الرزاق عباس : جغرافية المدن – بغداد ١٩٧٧ ص ٢١
W.J. Fisehel; The city in Islam
M.E. A, VcL. 7, 1956 PP. 227 - 232

(٧) 7- A.H. Hourani and S.M. sterm (eds):
The Islamic City. Oxford 1970.

(٨) د . عبدالرزاق عباس : نشأة مدن العراق وتطورها القاهرة ، ١٩٧٣ ص ٣٩ – ٤٠ ود . ساباجورج شير : العلم وتنظيم المدن العربية الكويت ١٩٦٣ ص ٣٠ .

السبيل الى الحفاظ على الخصائص الأصيلة للمدينة العربية

محمود حمندى


٤١ طرابلس – ليبيا

مقدمة :

المدينة العربية – كغيرها من المدن – كيان فيزيائى ينشأ ويترعرع بما فيه من مجتمع وحياة وعمل وطبيعة ومناخ ومواد .

نشأت المدن فى البداية من حاجة أفراد معينين الى المأوى فى مواقع توافق أهواء أولئك الافراد أو متطلباتهم . ولما كان الانسان مدنيا بالطبع فقد توسعت مستوطنات أولئك الافراد بازدياد الحاجات وتكاثر أعداد ذوى العلاقة .

كان توسع المدينة أنذاك فطريا . ومع أن المعلومات الوثيقة لاتشير بالضبط الى بداية تخطيط المدن الا أن المعروف ان مدينة كاهون التى انشأها الفرعون سنوسرت الثانى فى وادى النيل كانت أول مستوطنة بتخطيط وهدف .

بهذا تكون بلادنا العربية مهدا لأول مدينة فى العالم أقيمت وفق خطة مرسومة .

وبالمرور الزمنى وتطور الحياة والعادات والحاجيات نمت المدينة العربية وتطورت وخاصة بعد ظهور الاسلام وفق مقومات دينية واجتماعية وسياسية وعسكرية واقتصادية . وقد وضعت هذه المقومات فى تسلسل يتناسب ذكره مع عجلة تطور المدينة العربية وتغيرها رغم أن المدن وخاصة فى السالف – بطيئة التطور والتغير .

ولما كانت المعتقدات الدينية فى البلاد العربية أقل المقومات تغيرا بحكم المكانة السامية التى يتبوؤها الدين الاسلامى فإن تصاميم الجوامع والاضرحة والابنية الدينية الاخرى بقيت ثابتة تقريبا فى حرمها وصحنها ومحرابها واتجاهاتها ولم يتغير منها سوى النقوش والزخرفة ومايتعلق بالسعة . وهذا ماجعل المقام الدينى فى العمارة العربية بارزا وثابتا (ستاتيكا) على مر السنين .

أما الحياة الاجتماعية للمدن العربية فقد تطورت نسبيا أكثر مما تحركت فيه المعتقدات الدينية – ولكن هذا التطور فى العلاقات الاجتماعية المتينة للعرب يكاد يكون طفيفا اذا ماقورن بالحياة الاجتماعية المتينة فى أوروبا . والفضل فى ذلك يعود الى متانة الدين الاسلامى فى نفوس العرب . مع ذلك فإن الدخول المفاجىء للمدنية الغربية فى النصف الأول من هذا القرن قلب الكثير من العلاقات الاجتماعية وبالتالى تغيرت موازين العمارة فى البلاد العربية مما جعلها – ولازالت – تبدو وكأنها فى تناقض تام مع الحياة الاجتماعية الاصيلة للوطن العربى .

أما بالنسبة للمقومات السياسية فقد بدأت فى المدن العربية بالتركيز على دار الحاكم التى كانت تبنى فى موقع متميز ينم عن قوة الحاكم التى جمعت بين السلطة الدينية والسلطة الحكومية . وكان بينها وبين أبنية الناس فارق كبير من ناحية الوجاهة والسعة والبعد .

بعد انتشار الاسلام تطور دار الحاكم الى دار الخلافة التى بدأت فى مكة والمدينة المنورة ثم انتقلت الى دمشق عند الامويين والى بغداد عن العباسيين والى القاهرة عند الفاطميين .. الخ . وقد اتسمت دار الخلافة مع مايحيطها من مساجد ومعابد دينية بالعلاقة الوطيدة بين الحكام والمواطنين الذين ساوى الاسلام بينهم .

بعد ازدهار العمارة الاسلامية التى تألق فيها نجم دار الخلافة مرت البلاد العربية أثناء الاحتلال العثمانى فى دور السبات .

عند بدء النهضة الاخيرة فى هذا القرن وجد العرب أنفسهم مشتتين اجتماعيا وموزعين بين الدول الاستعمارية فحاولوا لم الشتات باجتهادات قومية وسياسية مختلفة الى أن حققت أغلب الاقطار العربية استقلالها الوطنى وبالتالى الهيمنة على ثرواتها .

تبعا لهذا التغيير السياسى فقدت المقومات السياسية الاساسية للعمارة العربية سماتها مما يستوجب أن يأخذا العرب هذا مأخذ الجد فيجعلوا العمارة العربية تعبيرا عن الموقف السياسى لبعض الزعامات العربية المتميزة . وهذا أمر يتطلب الدراسة المتعمقة وتحديد المواقف وفق عزة الأمة العربية وكرامتها .

أما المقومات العسكرية فإن التكنولوجيا الحديثة قد غيرت الكثير من مبادئها وأسسها بحيث لم تعد الاساليب القديمة فى الاسوار والحصون والخنادق ملائمة للتطورات الجديدة مما يتطلب نظرات فى الدفاع العسكرى جديدة .

بالنسبة للمقومات الاقتصادية فان الطفرة الجديدة فى الموارد ودخول التقنيات الحديثة بشكل سريع ومفاجىء قد غيرت الكثير من مقومات المدينة العربية ولابد لنا أن نعمل وفق متطلبات مجتمعنا فى العصر الراهن .

طابع المدينة العربية :

البلاد العربية منطقة تغلب عليها الصفة الصحراوية . وقد أضفت تلك الصفة على العرب طباعا معلومة منها الشجاعة والكرم وعزة النفس .

أما انبثاق الاديان السماوية فى البلاد العربية فقد أوجد لدى العرب اخلاقيات وسلوكيات متينة فى العلاقات الاجتماعية والعرف .

وبناء على ذلك شيدت المدن العربية وهى تعبر نظريا عن الخصال العربية والدينية وخاصة مايتعلق منها بالدين الاسلامى الذى تعتنقه الاكثرية الكاثرة من العرب . والتعبيران المهمان فى ذلك هما :

- بساطة وتواضع مظاهر الابنية من جهة الطريق .
- غنى الدواخل أو فقرها وفق الحياة الاقتصادية للافراد .

لذا اتسمت الجدران الخارجية للمدن العربية التراثية باستواء جدرانها التى لايكسوها من التكوينات الجمالية سوى الشرفات العليا العميقة وأبواب المداخل التى تكون صغيرة وغير متقابلة — بينما تزخر الدواخل بالتزيينات الجمالية والزخرفية والخزفيات والفرش الوثير والالوان الزاهية .*

اضافة الى هذه السمات فان الابنية كانت متلاصقة لضمان نوع من السياج الامنى بينما توافرت فى الدواخل افنية محوطة ذات أشجار ونافورات تتيح لاهلها تلبية الطبيعة الاجتماعية فى الارتياح المحتشم وابعاد الفعاليات العائلية عن الازقة والضوضاء وفضوليات السابلة .

لقد كان انتشار المدن العربية وازدهارها فى القرون الأولى من الحكم الاسلامى مستندا الى الاصالة العلمية والفطرية والتكوين الانسانى والاجتماعى والاقتصادى الذين كانا سائدين آنذاك .

بعد ذلك جاءت فترات الاستعباد والركود وربما التدهور فدخلت مدننا فى سباق عميق انقطعت أثناءه الصلة الحضارية والروحية بين سكان المدن واسلافهم الذين اقاموا صروحها .

اضافة الى انقطاع الصلة الحضارية والروحية وزوال المفهوم الاصيل لاقامة المدن — تاريخيا وعلميا وبيئيا فان العالم العربى امسى — وهو فى عداد الشعوب المتأخرة والمستعبدة — منقطعا حتى عن الحضارة الغربية .

حين وعى العرب وتوافرت لديهم معايير التحديث والتطوير وجدوا مدنهم بعيدة الصلة عن كل امكانيات التطوير التقنى المعاصر والمعالجات التلطيفية التى تتماش مع مادخل من تقنيات جديدة فلجأوا الى التوسع العشوائى وأنشأوا الابنية المستنسخة من الغرب دون أن يعلموا ان الغرب كان هو أيضا يتخبط فى منشآته تجاه ماداهم العالم من تقدم تكنولوجى كبير وسريع .

وهكذا أصبحت مدننا خليطا عجيبا من ابنية مندثرة فاقدة لقيمها العملية ومنشآت افتقدت قيمها الحضارية .

ومع علمنا بذلك فان من المؤسف له ان مدننا مازالت تستنسخ الابنية العُلبية فى مدننا وكأننا شعب يفتقر الى الاصالة والتفكير الصائب والابتكار الحقيقى الذى يتواءم مع ظروفنا ومجتمعاتنا ومفاهيمنا .

وعليه وبغية الاقلال من الاضرار المستمر فى مدننا علينا أن نبدأ فى مؤتمرات وندوات منظمة المدن العربية واتحاد المهندسين العرب والمؤسسات ذات العلاقة بانطلاقة وطيدة وسريعة وعلى أسس علمية وفى تقويم الانحرافات القائمة والاخذ بمسيرة معلومة وواضحة لجعل مدننا قائمة على حضارة اصيلة ومتوائمة مع التقدم العلمى والتقنى السائر .

ان المدن العربية العريقة زاخرة بالمعالم الحضارية والنفائس — وان ما يتوافر من تلك الشواخص فى مدينة ما يتوافر غيره فى مدن اخرى دون ان يكون هنالك استنساخ لبعضها بعضا . الخطوة الأولى فى ذلك هى تأسيس مركز ضمن منظمة المدن العربية لتسجيل وتوثيق الخصائص الاصيلة للمدن العربية بعد تحديدها رسما واجراء الدراسات الدقيقة لها وتسجيل ذلك تسجيلا سينمائيا وخرائطيا ووصفيا .

من هذه المسوحات والدراسات يمكن تحديد الخصائص الجيدة والملائمة لمسيرة أمتنا العربية الحاضرة والمستقبلة وتعزيزها فى مدننا العربية .

سعة المدينة العربية

نشأت المدينة العربية وترعرعت وهى صغيرة الرقعة نسبيا للاسباب التالية :

١ — حب التآلف والتقارب مما جعل الدور متقاربة أو متلاصقة .
٢ — القضايا الامنية استوجبت المجاورة المتقاربة .
٣ — ضرورة التقارب لتحقيق الاتصالات مشيا على الاقدام وبزمن ملائم .
٤ — عدم وجود حدائق كبيرة تستنزف الماء العزيز .

اما التقدم التكنولوجى وتطور وسائل النقل ومداهمة السيارة والحافلة والطائرة للمدن فقد جعل الصيغ الجديدة للمدن غير قابلة للتطبيق على المدن العربية التراثية بشكلها الاصيل .

وعليه ولكى تكون المدينة العربية معبرة عن خصائصها الاصيلة وفى نفس الوقت ملبية للحاجة المعاصرة دون ان تتوسع الى الحد الذى تفقد فيه هويتها الانسانية كما هو جار الان فى المدن الكبيرة الصاخبة لابد لها ان تحافظ على حدود قصوى من التوسع وفى حالة عدم التمكن من ذلك لامناص من اللجوء الى اسلوب الانتشار العنقودى فى اقامة المدن أى بانشاء مدينات صغيرة لكل منها علاقاتها وتراكيبها المتكاملة تفصل بينها مساحات كبيرة من الرياض لتكون بمجموعها مدينة كبيرة واحدة . وفى هذه الحالة يمكن تحديد مناطق ومسارات خاصة لسير السيارات دون دخولها الى كل شبر من رقعة المدينات الصغيرة .

استقلالية الدور السكنية

تطلبت العادات الدينية لدى المسلمين أن تكون للعائلة دار مستقلة ومع أن ذلك عادة مستحبة عندما تكون مستطاعة الا ان ضرورات الحياة فى المدن العصرية ومساوىء الامتداد الافقى جعلت من المتعذر التوسع بالدور الخاصة والاتجاه نحو المجمعات السكنية والعمارات — وفى هذا الصدد لابد للمجمعات السكنية فى المدن العربية أن تحفظ للعوائل خصوصيتها .

اضافة الى ذلك فان فى بعض المدن العربية عادة استغلال السطوح للنوم مساء فى فصل الصيف .

أن هذه عادة عربية اصيلة تنبع من النزعة الروحية للفرد المسلم فى أن يتقرب من الله عز وجل ومناجاته قبيل نومه وعند صحوته المبكرة لاداء فريضة الصلاة اضافة الى التمتع ببرودة الهواء الطبيعى الطلق .

مع حبنا لهذه العادة فاننا نرى انها لاتتحقق فى الاتجاهات الحالية للعمارة الغربية المقلدة فى البلدان العربية وعمارات المجمعات السكنية التى تقتضيها الحياة العصرية مما يستوجب على المهندسين* المعماريين توفير مساحات مفتوحة – وقد تكون على شكل أفنية جانبية تجعل العمارة السكنية على شكل مدرجات هرمية .

الهيمنة التصميمية :

لما كانت اقامة المنشآت داخل المدن موكلة الى اصحاب الاملاك – سواء أكانوا مؤسسات حكومية منفردة أو أفرادا أهليين – فان نزعة التباهى والتسامى والاختلاف تكون هى السائدة وخاصة لدى الاهليين .

ومع أن أغلب المنشآت الحكومية الكبيرة تصمم فى مكاتب هندسة مؤهلة الا أن المعروف أن هذه المكاتب تخضع – لاسباب غير مجهولة – الى رغبات اصحاب الثروة والاملاك – مما يجعل التصاميم الناجمة اقرب الى الرغبات الفردية مما هى الى المصلحة العامة .

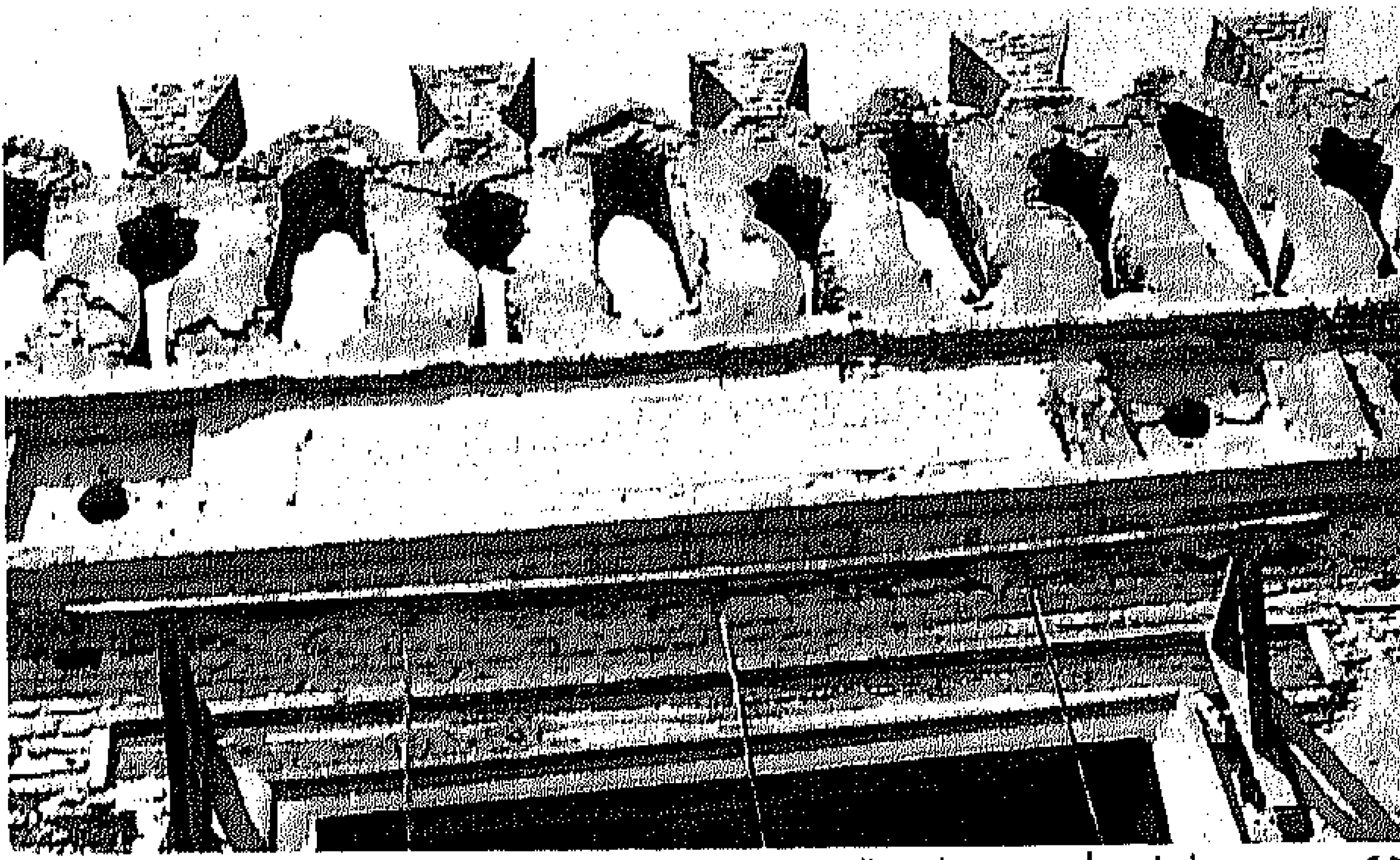
أما التنفيذ فمعلوم أن أغلب ابنية مدننا مليئة بمنشآت مبتذلة ورديئة بسبب نزوع الافراد الى الاكثر بالكلف الاقل .

هذا الامر – اضافة الى فقدان التنسيق هما سبب اللخبطة المعمارية السائدة فى مدننا والعسر الذى تعانيه المدن العربية فى تلبية حاجات العصر .

ولما كانت الشواخص المخلدة والمهذبة من المنشآت العتيدة هى مرآة الحضارات فان الابتذال الحالى فى مدننا يضع أمتنا فى مصاف غير مصاف الحضارات وهذا أمر لايرتضيه أحد .

---

* تراثنا المعمارى وموقعه فى العمارة العربية المعاصرة – بحث من اعداد محمود حمندى مقدم الى ندوة تراثنا المعمارى والعمارة المعاصرة – بغداد .



٤٢ تفاصيل – واجهة جامع ابن طولون – القاهرة

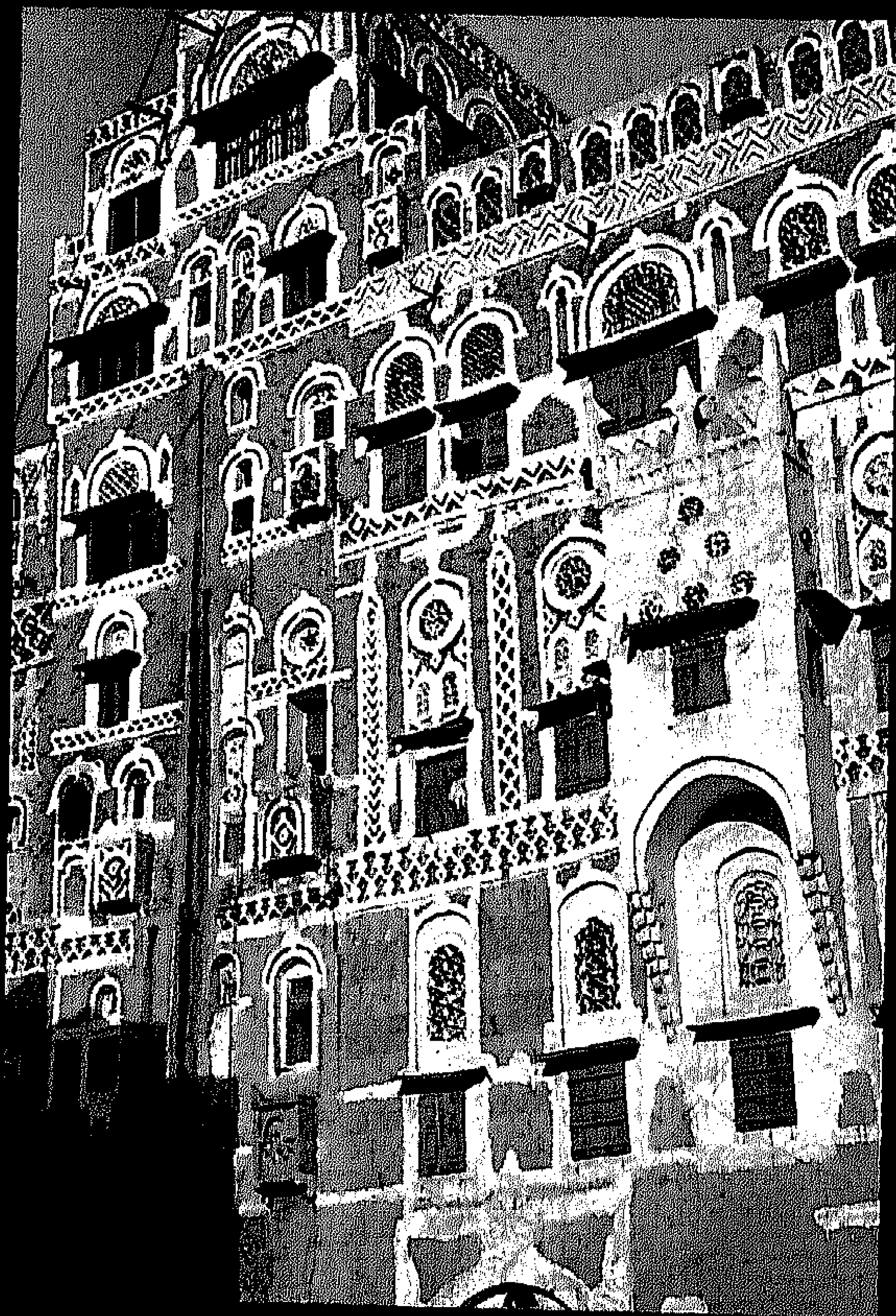


٤٣ شارع في طرابلس – ليبيا



٤٤ سيدي بو سعيد – تونس

٤٥ واجهة مزخرفة – صنعاء ◄



القسم الثالث

المدينة التاريخية

فى قلب أغلب المدن العربية المعاصرة مدن تاريخية سبقتها وساعدت فى تحديد شخصيتها ، ودراسة هذه المدن التاريخية جزء لايتجزأ من الحفاظ على التراث .

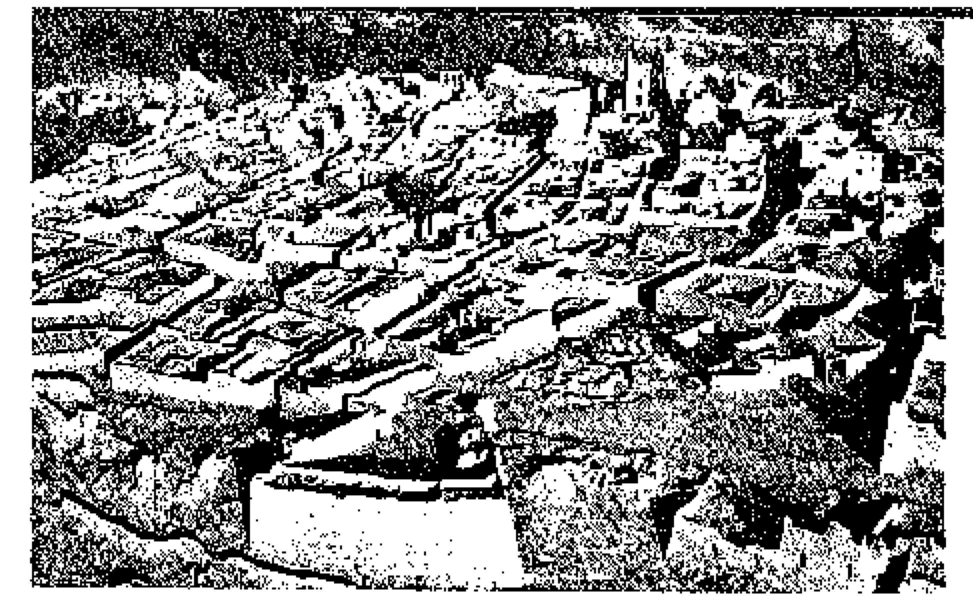
فحدثنا محمد الباهى* عن تجربته فى التعرف على حقيقة الأوضاع بالمهدية وحدثنا فرج ستنبولى** عن الازدواجية المرة التى اتسمت بها علاقة المدن التاريخية بامتداداتها العمرانية الحديثة فى بلاد المغرب العربى ، وانتهى الى أن ذلك الانفصام كان من صنع الاستعمار الأجنبى أصلا ، ولكنه أصبح جزءا من واقعنا الحالى ومن ثم وجب على المخططين العرب أن يعيدوا للمدينة العربية وحدتها العضوية .

يحتوى هذا القسم على بحثين (احدهما ملخص) وهما :
بحث رضا بوكراع (وهو ملخص هنا) عن **العوامل الاقتصادية والثقافية المحددة لنمو المدينة العربية** ، فيطرح فهمه لهذه العوامل وكيف أثرت على تطور المدينة التاريخية عبر العصور مستلهما من ذلك بعض الاتجاهات التى يحسن أن نتبعها حتى تستعيد المدينة العربية توازنها .

أما البحث المطول الذى يحتويه هذا القسم ، فهو بحث دارة الملك عبدالعزيز عن **العلاقة بين التراث الحضارى الاسلامى ونمو المدينة العربية** ، حدد العوامل الاساسية فى هذه العلاقة وورد فيه وصف مختصر لتاريخ المدن العربية المشهورة مهيئا بذلك الاطار الموضوعى لتفهم أوضاع المدن العربية المعاصرة التى ستعالج فى الفصول الباقية فى هذا الكتاب .

* راجع محمد الباهى « التركيب الاجتماعى والاقتصادى للمدينة العربية التاريخية » فى ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٨) ، سينشر مستقلا فيما بعد .

** راجع فرج ستنبولى « مستقبل المدينة العربية فى المغرب » فى ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٢٩) سينشر مستقلا فيما بعد .



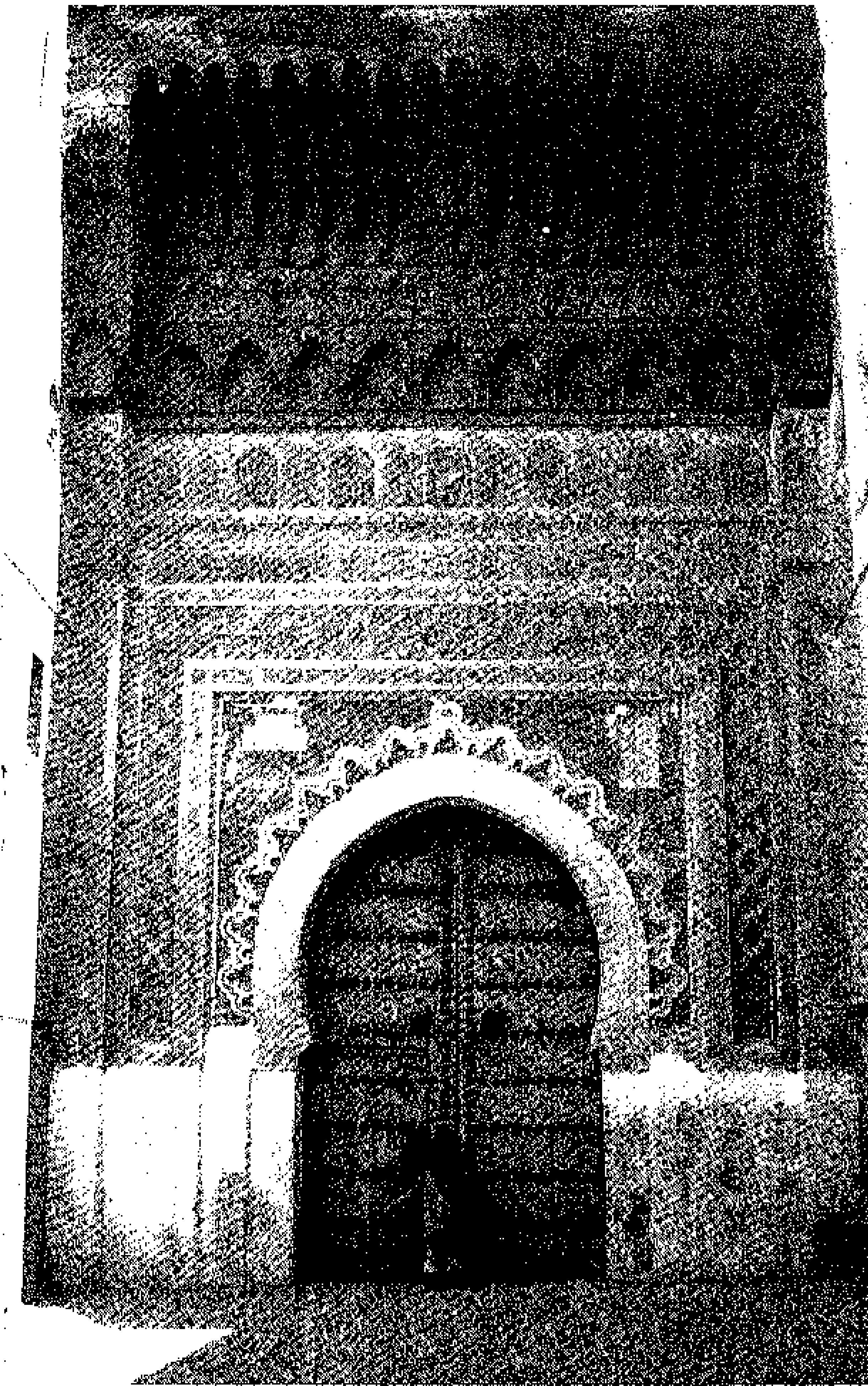
٤٦ مدينة الدرعية من الجو



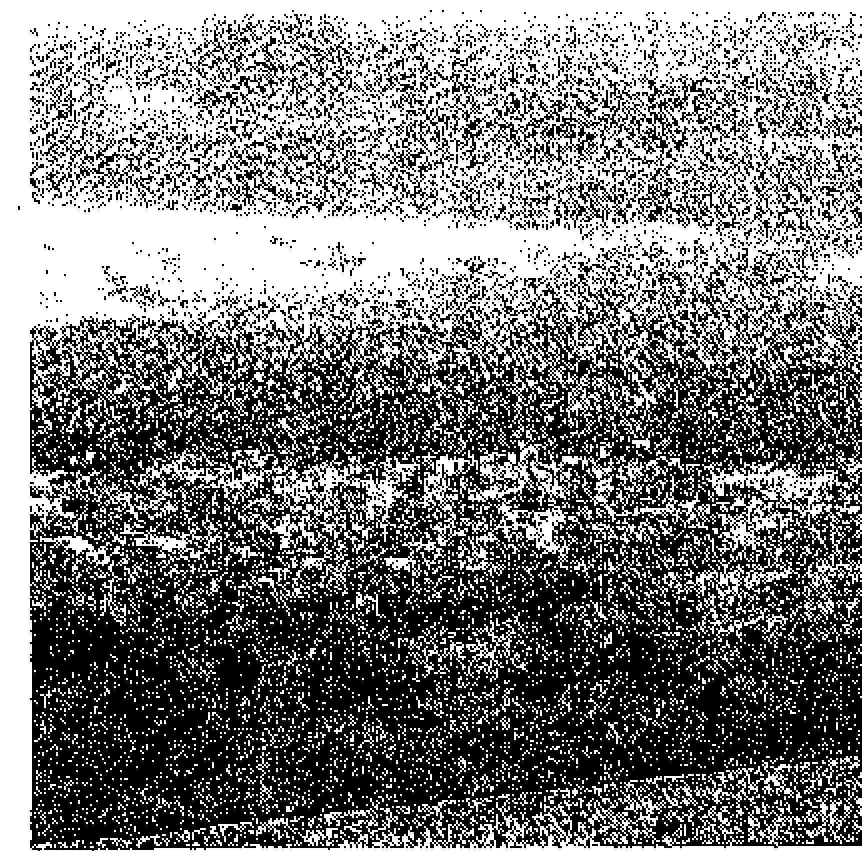
٤٧ قرية قديمة باليمن



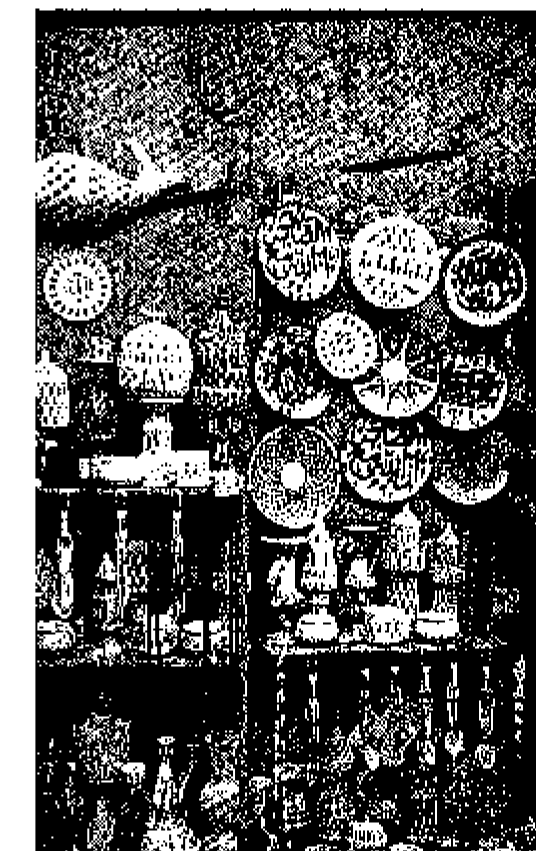
٤٨ مسجد صعدة باليمن



٤٩ بوابة فى فاس



٥٠ منظر عام لمدينة فاس بالمغرب



٥١ صناعة الخزف بأحد أسواق تونس

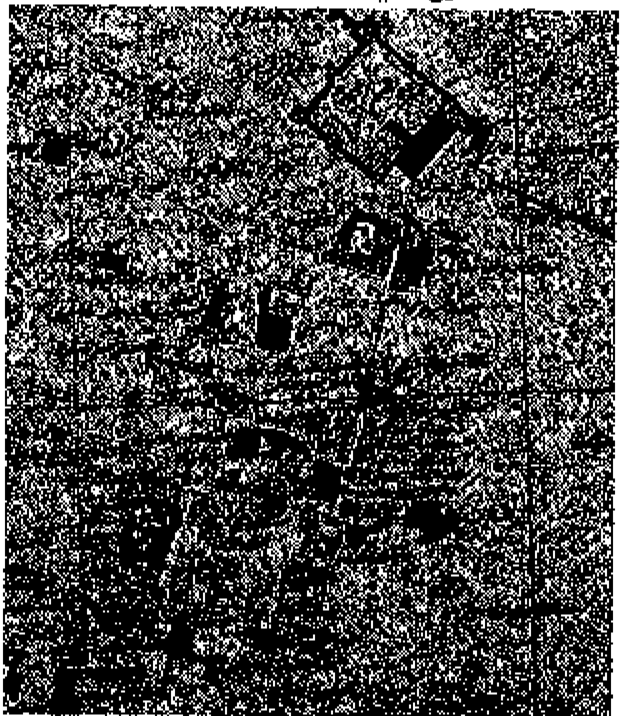




٥٢ صنعاء القديمة



٥٣ شارع فى فاس



٥٤ خريطة مدينة القاهرة الأثرية

العوامل الاقتصادية والثقافية المحددة لنمو المدينة العربية

رضا بوكراع

انما المدينة بنية معمارية تخضع لعوامل جغرافية فى علاقتها بالمحيط وعوامل اقتصادية بحكم انتائها لنمط انتاج وعوامل اجتماعية نتيجة موضعها فى النظام الاجتماعى الذى تختص به التشكيلة الاجتماعية المحتوية لها .

وارتباط هذه العوامل المختلفة يكتسب معنى يولد وحدة حضارية لها خصوصيتها تتحقق فى الثقافة العمرانية المتجسمة فى تكييف المحيط العمرانى وفى طبيعة عملية الانتاج .

والثقافة العمرانية انما هى ارتباط الوظائف العمرانية فى المدينة بنظام الرموز والقيم المتولد عن التجربة الحضارية الجامعية .

والمدينة العربية تحقق فيها التوازن بين هاته العناصر المختلفة التى تستمد معنى التحامها من الاسلام كحضارة واسلوب عيش ونمط انتاج وبنية اجتماعية .

وذلك لايعنى ان بنية المدينة العربية ثابتة لم تتغير عبر عصور التاريخ اذ ان السياقات المختلفة المندرجة فيها كانت تؤثر فى نموها سواء كانت وظائفها الاساسية تجارية أو عسكرية أو سياسية كما تغيرت ايضا بنية المدينة العربية حسب علاقتها بالاقتصاد العالمى الا ان هذا التطور كانت تسيطر عليه القوى الاجتماعية الداخلية ولم يكن هنالك انفصال بين نمو المدينة وتطورها وبين الثقافة الاصيلة المعبرة عن هويتها أى الاسلام .

والتحدى الذى تواجهه المدينة العربية الآن هو ان تسيطر على نموها وذلك حسب خصائص ثقافتها وبالاعتماد ايضا على التقدم العلمى وهذا يعنى مراجعة نمط النمو العمرانى الممارس الى يومنا هذا وذلك باعادة اكتشاف ما اصبح تراثا معماريا وبتسخير ما يشتمل عليه من تقنية ومن تصورات فضائية لبناء عمران متوازن اصيل .

فاذا ما اندرج التراث فى الحياة اليومية المعاصرة وتكيف حسب متطلباتها من غير فقدان جوهره تنتفى بذلك مشكلية التراث بانتفاء التبعية وتستعيد المدينة العربية توازنها واصالتها التى اساسها اشباع الحاجيات المادية والروحية للانسان العربى المسلم .



٥٥ ميناء الجزائر

العلاقة بين التراث الحضارى الاسلامى ونمو المدينة العربية

دارة الملك عبد العزيز

مقـــدمــة :

ليست كل المدن العربية والاسلامية ينقصها التخطيط ولكن هناك مدنا نمت بعد الاسلام بصورة طبيعية وربما كانت هذه المدن اكثر من المدن التى خطط لتأسيسها . فلو نظرنا الى المدن العربية الاسلامية التى ظهرت للدنيا لما وجدنا اختلافا فى تخطيطها . فقد تشابهت هذه المدن فى تخطيطها وتكوينها والى زمن قريب كان يصعب على الناظر الى صورها ان يفرق بينها .

وقد تضافرت عدة عوامل ادت الى ظهور المدن الاسلامية وازدهارها منها الدينى والعسكرى والسياسى والاقتصادى .

تخطيط المدن العربية

ولكننا نجد نوعين لتخطيط المدينة النوع الأول ، وهو المدينة الدائرية ، والثانى هو المدينة ذات المحاور المتعامدة ومع ان النوعين مختلفان شكلا الا ان عناصرهما ومكوناتهما من ناحية التخطيط لاتختلف ، فقد كان المسلمون يبدأون ببناية **المسجد الجامع** فى وسط المدينة سواء الدائرية التخطيط أو ذات المحاور المتعامدة ، وبعد بناء الجامع الذى يجتمعون فيه لأداء عبادة الصلاة الجماعية فيه كصلاة الجمعة والاعياد . ولم يكن المسجد يؤدى هذه الوظيفة فقط ولكنه كان – منذ ان بنى النبى ﷺ مسجده بالمدينة المنورة – مركزا سياسيا واجتماعيا وحضاريا فقد كان عليه الصلاة والسلام يلتقى فيه برجاله وسفرائه . وكثيرا ماكانت المحاكم تعقد فى المسجد – وكان المسجد مركزا حضاريا لدراسة القرآن وحفظه والجامع كان من المراكز المهمة للحركة الفكرية كما كان فى مساجد الكوفة والفسطاط والقاهرة .

بعد بناء الجامع يأتى دور **السوق** فى المدينة وهى المركز التجارى الرئيسى حيث يلتقى فيه التجار والحرفيون ومنه يحصل السكان على حاجياتهم وقد كانت السوق مقسمة الى عدة أقسام ، فنجد أن أصحاب الحرفة الواحدة والتجارة الواحدة مجتمعون فى قسم واحد من السوق وذلك كنتيجة لتأثير اللجان المهنية – فقد كان أصحاب المهن المتشابهة منتمين الى لجنة خاصة تنظم نشاطاتهم ومعاملاتهم وكان من تأثير هذه اللجان المهنية تقارب ذوى المهنة الواحدة وتكتلهم ليسهل الاتصال ببعضهم وجمع الضرائب منهم فى وقت واحد – وكان هذا التقارب والتكتل يفيد اصحاب المهنة الواحدة . فقد كان يفيدهم فى مجال البيع والمنافسة فيما بينهم لتحسين مستوى حرفتهم وقد أصبحت ظاهرة التقريب بين أصحاب الحرفة الواحدة أساسا لتخطيط الاسواق والمناطق التجارية لفائدتها الاقتصادية العظيمة .

بعد السوق نجد **المنطقة السكنية** وكانت المنطقة السكنية تحيط بالسوق وتتصل به بواسطة الشوارع الرئيسية فى المدينة وكانت الشوارع فى داخل المنطقة السكنية ضيقة وملتوية وذلك لعدة اسباب منها :–

– كان للنظام الاجتماعى القبلى أثر كبير فقد كان أفراد القبيلة الواحدة يسكنون فى جهة واحدة من المدينة أى لهم مساحة خاصة بهم فى المدينة وكانت تجمع بينهم روابط قوية ففضلوا السكن قريبا من بعضهم فكانوا يشيدون دورهم متجاورة متلاصقة فنمت المدينة بذلك بطريقة غير نظامية .

– كان ضيق الشوارع يعطى للمدينة شكلا محتشدا مما يساعدهم فى الدفاع عن مدينتهم وأنفسهم ضد الغارات الخارجية .

– كانت تلك الشوارع تستعمل كمسالك للانسان وممرات للحيوانات .

– جعلت تلك الشوارع ضيقة لتكون محمية من أشعة الشمس المحرقة فى المناطق الصحراوية . مما يؤيد ذلك هو تغطية بعض أجزاء الشوارع عن قصد بواسطة تلاقى الشرفات المتقابلة – وكانت هناك ظاهرة اخرى فى المدينة وهى ظاهرة الأزقة غير السالكة أو المقفلة . ويمكن تبريرها بسهولة حصر الغزاة اذا ماتعرضت المدينة لهجمات خارجية . وربما يبرر ذلك ايضا صفة الشوارع الملتوية المتعرجة والضيقة .

وكما أسلفنا فقد كان هناك نوعان من التخطيط يغلبان على المدن العربية الاسلامية ولكننا نجد ان الخطة الدائرية تغلب على المدن الاسلامية وذلك لأن الشكل الدائرى يتناسب والافكار الدينية الاسلامية ، وذلك لأن الشكل الدائرى يسهل الدفاع عن المدينة ويكون مركز المدينة على أبعاد متساوية بالنسبة لأبراج المراقبة الموجودة على سور المدينة .

وكان للاسلام أثر كبير على معظم المدن العربية سواء التى كانت موجودة قبل الاسلام أو التى جدت بعد ظهوره .

المدن الاسلامية :

بعد ظهور الاسلام وانتشاره بدأ المسلمون فى بناء المدن فى زمن مبكر اذ ماكادوا يفتحون العراق ومصر ويصلون الى تونس من زمن عمر بن الخطاب حتى وضعوا اسسا لأربع مدن واستمروا فى بناء المدن حتى العهود الاسلامية المتأخرة .

وقد كان الهدف والدافع الأول لبناء المدن الاسلامية هو الغاية الحربية فى الدرجة الأولى وذلك لاقامة الجند وانزال الجاليات العربية المشتركة فى الفتح . ولما استقر الحكم الاسلامى أصبحت المدينة اما حاضرة أو مركزا للتجارة . وقد احتفظ العرب حتى بعد نزولهم فى المدن وممارستهم الحياة المدنية بالتنظيم القبلى وظلوا ينتسبون الى القبيلة لا الى المدينة ولهذا كانت المدن تقسم عند تخطيطها الى أحياء خاصة تسمى الخطط أو القطائع ينزل فى كل خطة أو قطيعة قبيلة من القبائل . وسنتعرض فيما يلى لبعض المدن العربية الاسلامية الأولى .

الكوفــة :

الكوفة هى المدينة الاسلامية الثانية بعد البصرة التى أسست فى العراق بعد الفتح العربى ، وقد أسسها القائد سعد بن ابى وقاص « رضى الله عنه » عام ١٧ هجرية بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » وهى تقع فى الجانب الغربى من نهر الفرات وكان السبب الرئيسى لتأسيسها أن تكون قاعدة عسكرية للقسم الأوسط من العراق ولتكون دار هجرة وعاصمة للمسلمين بدل المدائن . وكانت الكوفة منذ انشائها موطن المجاهدين العرب ومركز القوة الاسلامية كما رسم لها حين أنشائها ثم نمت بعد ذلك وكثر فيها العمران وازدهرت ازدهارا كبيرا ووصلت الى أوج عظمتها فى العصر الأموى . وأخذت الكوفة دورها الكبير فى الحياة الاسلامية مما أدى الى ازدهارها وتناولتها أحداث الحياة المتلاحقة واحدة تلو الأخرى فى بداية نشأتها . ثم تضاءلت وتحولت الى قرية بسيطة بعد ان كثر الوافدون عليها فأصبحت مركزا للدسائس والمؤامرات الثورية الى نهاية العصر الأموى ويبدو انه حين انتصرت الدعوة العباسية اتخذها العباسيون قاعدة لملكهم وان لم يقيموا فيها ومن المحتمل انهم احسوا انها مركز العلويين مما جر عليها الخراب .

وتعتبر الكوفة بصورة عامة ثغرا من ثغور البادية ومحلا لتبادل التجارة بين الفرس من جهة والبدو من جهة اخرى كما كانت جسرا للاتصال بين الجماعات والقبائل العربية المنتشرة فى البادية وأهل المدن والقرى التى تجاورها .

وقد بدىء بتخطيط الكوفة وتأسيسها بعد الفتح العربى للعراق وحاجة المسلمين الى الاستقرار . وكان قد استقر رأيهم فى بادىء الامر على المدائن عاصمة الدولة الساسانية لكن العرب قد فطروا على حب الصحراء ذات الفضاء الواسع والهواء النقى . وكانت المدائن محاطة بالمياه والمستنقعات مما يجعلها عرضة لأخطار الفيضانات وانتشار الحشرات ثم ان المدائن قريبة من الحدود الفارسية وبعيدة عن مركز الخلافة مما يهدد أمن المسلمين وسلامتهم . ثم ان احتلال هذا المكان المتوسط للعراق يضمن للمسلمين السيطرة على طول نهر الفرات وذلك لقربه من البادية المجاورة للصحراء وكذلك اتصاله بالطرق الرئيسية من جميع الاتجاهات علاوة على خلو المنطقة من العوارض الطبيعية التى تسهل للمسلمين الهجوم والانسحاب والتنقل فى أثناء القتال بحرية كاملة .

وأرض الكوفة عبارة عن سهول عالية فوق مستوى سطح البحر بحوالى ٢٢ مترا وبذلك لاتهددها الفيضانات . وحيث ان موقعها بجانب النهر فتربتها خصبة صالحة للزراعة .

وكان بذلك موقعها منيعا مأمونا بعيدا عن الاخطار فتحدها الصحراء من الغرب ويحدها نهر الفرات من الشرق حيث يمكن قطع الطرق على الأعداء القادمين من النهر وعرقلة تقدمهم . يضاف الى هذا كله وفرة المياه فى نهر الفرات ووجود الأرض الخصبة الصالحة للزراعة والسكن وهذا كله مما جعل المدينة تنشأ وتنمو بسرعة وكان من الممكن استغلال الأراضى البعيدة عن النهر فى حالة توسع المدينة وانتشار العمران وامتداده وذلك لأن المياه الجوفية ليست بعيدة عن سطح الأرض مما يسهل حفر الآبار واستغلال المياه للشرب أو الزراعة .

فالكوفة بذلك تقع فى مكان حيوى يتوسط العراق ويمكن منها فرض السيطرة على طول منطقة نهر الفرات من الناحية الحربية ويجعلها ممرا هاما فى طريق القوافل التجارية ومحطة فى طريق الحج الى مكة ويساعد موقعها هذا على ان تكون مركزا للتجارة وسوقا نشطة للتبادل التجارى . ومما يزيد من اهمية موقع الكوفة أنها منذ انشائها كانت ملتقى عدة طرق رئيسية وهامة وذلك لوقوعها على نهر الفرات من ناحية ومن ناحية اخرى توسطها للعراق . وكانت هذه الطرق تلتقى جميعا فى مركز المدينة وتتفرع من المدينة الى جهات اخرى .

ومن ناحية تخطيط مدينة الكوفة وبنائها فقد كانت على غرار مدينة البصرة التى سبقتها فى التخطيط بعامين أو ثلاثة وكان المسجد الجامع ودار الامارة أول ابنيتها .

وقد التزم المشرفون على تخطيط مدينة الكوفة ببيان عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » الذى أرسله لسعد بن أبى وقاص لما ينبغى ان تكون عليه سكك الكوفة وطرقها وأزقتها حينما شرع سعد فى تخطيط مدينة الكوفة فأمر عمر بن الخطاب أن تكون كل قطيعة أربعين ذراعا وبين كل قطيعتين طريق عرضه عشرون ذراعا .

واما الأزقة فقد أمر عمر ان يكون كل منها سبعة أذرع . وبعد ان تم ذلك نزلت كل قبيلة فى الموضع الذى خصص لها فنجد مثلا أن أهل اليمن نزلوا فى الجانب الشرقى من المسجد وقد كان الجانب الشرقى هذا خير المواضع فى مدينة الكوفة لأنه يقع بين نهر الفرات والمسجد ولأن أهل اليمن كانوا أكثر تعدادا من أى قبيلة أخرى فقد كان هذا الموضع ملائما ومنطقيا لنزولهم .

وخصص المشرفون على تخطيط المدينة قطائع فرعية دون القطائع الرئيسية فى المساحة ولكنها تلاقيها من أطراف مختلفة وقد خطت وراء صحن المسجد وذلك لنزول المحاربين والقواد حين عودتهم من الفتوح .

وأما بالنسبة لسكك مدينة الكوفة فقد راعى المشرفون فى تخطيطها وتنظيمها أن يكون عرض السكة الواحدة خمسين ذراعا من أذرع اليد وكانت تتخلل هذه السكك بعض الأزقة والدروب وكان بعض هذه السكك تنار أثناء الليل بالمشاعل .

وفى الواقع فان تخطيط مدينةالكوفة لم يقتصر على المسجد الجامع وحده بل خطت مساجد اخرى صغيرة للقبائل حسب مواضعها من التخطيط وذلك لتيسير العبادة على المصلين ولاجتماع المسلمين فى صلاة الجمعة فى المسجد الجامع وبذلك أصبحت كل خطة من خطط المدينة تشتمل على مسجد – وقد تهدمت جميع هذه المساجد القبلية ولم يبق الا مسجد السهلة الذى مازال قائما الى اليوم .

هذا وقد اشتملت بعض الأحياء القبلية بعد تخطيطها على بيع وأديرة لأهل الذمة الذين كانوا يعيشون فى كنف الدولة الاسلامية وذلك لتمكينهم من أداء شعائرهم الدينية تحت كفالة الدولة .

كما كانت تتخلل هذه الخطط أيضا بعض الحمامات التى كان يقصدها الناس .

ذلك ماكان من أمر تخطيط مدينة الكوفة تخطيطا شاملا لابنيتها وقطائعها وسككها وأسواقها ومساجدها ومقابرها واديرتها وحماماتها ولننتقل الى مدينة أخرى من المدن الاسلامية :

مدينة بغداد – أو المدينة المدورة :

فى العهود الاسلامية المبكرة كان للعاصمة أهمية عظيمة من الناحيتين الادارية والتنظيمية وذلك مما منح العواصم الاسلامية التى أصبحت بعد ذلك مراكز حضارية وعسكرية فى آن واحد القوة والسيطرة وقد كانت هذه العواصم ذات ارتباطات وثيقة الصلة بالاسر الحاكمة التى تتابعت فى حكم الدولة الاسلامية وذلك امر بديهى بالنسبة لطبيعة الاسر العربية المسلمة الحاكمة كما يتعلق بالظروف السياسية التى جاءت فيها هذه الاسر الى الحكم .

وحينما تم النصر للعباسيين كان موضع اختيار عاصمة جديدة لهم من الامور المهمة التى شغلت بال ابى العباس السفاح فى أو عهد الدولة العباسية وقد تنقل ابو العباس السفاح بين عدة مراكز ولكنه كثيرا ماغير هذه المراكز لعدة أسباب وكان لقصر مدة خلافته الاثر الكبير فى عدم حسم هذه القضية حسما ناجزا . ولما أستخلف ابو جعفر المنصور انتقل أول الامر الى منطقة الكوفة وبنى هناك مدينة الهاشمية ولكنه بعد اكثر من ثمانى سنوات شرع فى بناء مدينة بغداد المدورة – وابو جعفر المنصور هو الذى اوجد المدينة المدورة كفكرة فى أول الامر ثم نفذها فأصبحت حقيقة واقعة تشهد بعظمة الدولة العباسية .

والسبب الذى حدا بالمنصور الى ايجاد بغداد هو ثورة الراوندية التى خشى المنصور من أن تتطور وتتضاعف وربما توقد ثورة كبيرة تذهب استقرار دولته وأمنها وتودى بحياته وخلافته .

وتروى لنا المصادر التاريخية ان المنصور قد قسم مدينته عند بدء تخطيطها الى أربعة أقسام أناط المنصور الاشراف على كل قسم منها الى ثلاثة من رجاله أولهم قائد وثانيهم مولى وثالثهم مهندس وهكذا يتبين أن أربعة من المهندسين اشتركوا فى بناء مدينة بغداد .

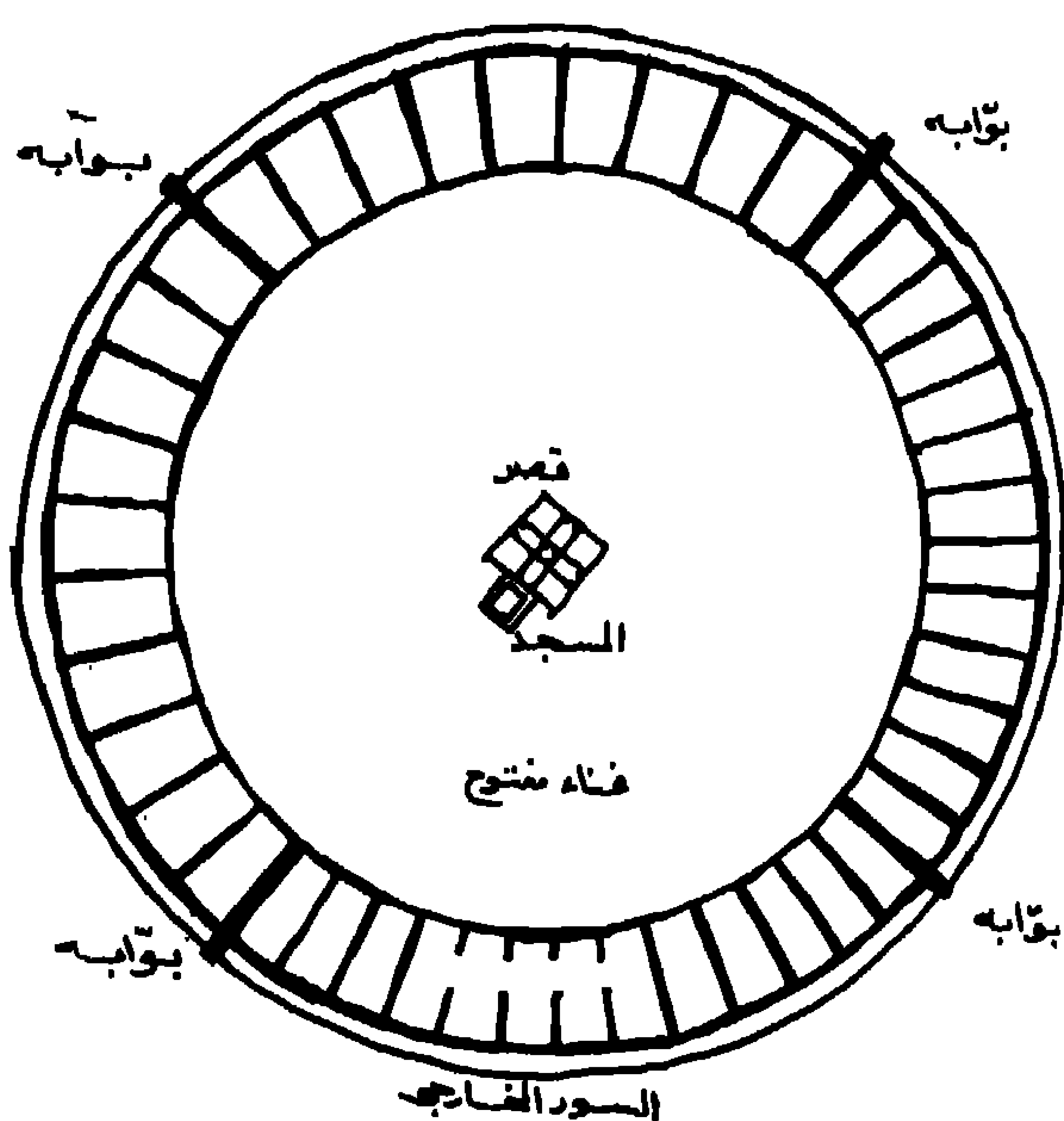
وقد بدىء فى بناء المدينة المدورة عام ١٤٥ هـ وهو أصح التواريخ التى أوردتها لنا المراجع التاريخية . وللمدينة عدة أقسام ومعالم :

– الخنـدق : كانت له سدتان وظيفتهما حماية السور وجدران المدينة من تسرب مياه الخندق اليها . ويحاذى السدة من الخارج السور الخارجى . وكان هذا السور أقل سمكا وارتفاعا من السور الثانى الذى يليه وله اربعة أبواب . وحسب رواية اليعقوبى ان المسافة بين كل باب والباب الذى يليه هى خمسة آلاف ذراع . ومن هذه الرواية يمكننا أن نحدد مساحة المدينة ، لأنه لما كانت المسافة بين جميع الأبواب الأربعة متساوية فان محيط المدينة المدورة يكون عشرين ألف ذراع وهو طول السور الخارجى ولما كان الذراع حوالى نصف متر فيكون محيط المدينة المدورة عشرة آلاف متر وهو طول السور الخارجى وبذلك تكون مساحة المدينة المدورة (٧٩٤٥٤٥٧) مترا مربعا أى أن مساحتها حوالى ثمانية كيلومترات مربعة – وهناك روايات كثيرة عن مساحة المدينة .

أما أبواب المدينة المدورة فسماها المنصور : باب الكوفة ، باب البصرة ، باب خراسان ، باب الشام .

ولهذه الأبواب ظاهرة معمارية فريدة هى ازورار مداخلها وهذا الطراز من الداخل يخفى وراءه أسلوبا عسكريا يلاحظ فيه ان الغزاة بعد اقتحامهم البوابة يضطرون الى الانحراف الى اليسار للعبور من مدخل ثان وبذلك يتعرضون للسهام الموجهة اليهم ونستطيع القول أن المدخل المزور المستعمل فى أبواب مدينة بغداد هو أقدم مثال للمدخل المزور .

وكان السور الخارجى والسور الذى يليه (السور الاعظم) يفصلهما مسافة خالية تسمى (الفصيل) وفائدة هذه المسافة تنحصر فى الدفاع عن المدينة – وقد منع المنصور السكن فى هذا الفصيل .



بغـــداد (القرن الثامن الميلادى) .
اقتباس من العمارة الإسلاميه (كرزويل).
٥٦ مخطط بغداد

– **السور الأعظم** : هناك أختلاف فى المصادر العربية لتحديد أبعاد هذا السور ولكن بناة المدينة حرصوا على جعل هذا السور بناء قويا وضخما حتى يستوفى بذلك شروط الدفاع والاستحكام وقد جعلوا له أبراجا عظيمة وكان عند مدخل هذا السور دهليز عليه بابان من الحديد وكان فوق البوابة الرئيسية فى هذا السور قبة عظيمة عالية ومذهبة وكانت مداخل هذا السور أبواب حديد عددها ثمانية أبواب يوجد بابان منها فى كل مدخل من المداخل .

– **الفصيل الداخلى** : ينتهى الداخل بعد دهليز السور الأعظم الى رحبة مربعة – ويوجد طريقان واحد عن يمينها والثانى على يسارها . وهذا الفصيل مار بجميع الأبواب وعرضه حوالى (٢٥) ذراعا ويؤدى بعد ذلك من الرحبة المربعة الى الطاقات وعدد الطاقات ثلاث وخمسون طاقة وهى غير طاقات المدخل . وفى رواية للخطيب يذكر فيها عرض الطاقات بخمسة عشر ذراعا وطولها من أول الرحبة الى الطاقات الصغرى مائة ذراع . وتمتد المنطقة السكنية خلف الطاقات من جهتى اليمين واليسار .

والمنطقة السكنية تتضمن السكك والشوارع والدور وتنقسم المنطقة السكنية الى أربعة أقسام كل قسم منها يؤلف ربع دائرة وهى المنطقة السكنية الوحيدة للناس فى المدينة وتقع هذه المنطقة السكنية بين الجدار الضخم للسور الأعظم والجدار المحيط بالمنطقة المركزية وكانت سكك المدينة تعرف بقواد المنصور ومواليه وبسكان كل سكة – وكانت الطاقات الموجودة بالمدينة بمثابة الاسواق لبغداد حتى عام ١٥٧ هـ حينما انتقلت الاسواق الى خارج المدينة .

– **الرحبة العظمى** : يؤدى الدهليز العظيم الموجود عليه بابان من الحديد الى الرحبة العظمى . وتقع هذه الرحبة فى وسط المدينة ويمكن لنا أن نسميها قلب المدينة وكان فى هذه الرحبة قصر المنصور والمسجد الجامع ودار للحرس وسقيفتان احداهما لصاحب الشرطة والأخرى لصاحب الحرس وكذلك توجد بها منازل أولاد المنصور الصغار والدواوين . ومن الجدير بالذكر أن المنصور كان لايسمح لأحد من أتباعه أو حاشيته بالدخول الى الرحبة العظمى وهو راكب .

– **قصر المنصور (قصر باب الذهب)** : كان المسلمون قبل بناء بغداد اذا اختطوا مدينة بدأوا بالمسجد الجامع أولا ، أما فى بغداد فان المنصور جعل قصره فى وسطها وقصر باب الذهب عبارة عن مربع طول كل ضلع من أضلاعه الأربعة أربعمائة ذراع وفى صدر القصر ايوان طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون وفوق هذا الايوان مجلس آخر له نفس الابعاد وفوق المجلس القبة الخضراء . وكان على رأس القبة الخضراء صورة فارس فى يده رمح .

– **مسجد المنصور** : يعتبر مسجد المنصور أول مسجد شيد على أرض بغداد ويعد تخطيطه نموذجا لتخطيط الجوامع التى بنيت بعد ذلك فى بغداد ومن المؤسف ان معالم هذا المسجد قد زالت منذ سنين كثيرة .

وقد بنى المسجد ملاصقا للجدار الشمالى الشرقى من قصر باب الذهب ، وتم تنفيذ بناء المسجد على يد الخليفة المنصور عام ١٤٥ هـ وكان عبارة عن مربع متساوى الأضلاع طول كل ضلع من اضلاعه حوالى مائتى ذراع وقد بنى المسجد باللبن والطين وكانت أعمدته من الخشب أما قبلته فاحتاجت الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا ونشأ هذا الانحراف نتيجة لبناء المسجد ملاصقا للقصر الذى كان غير مستقيم على القبلة .

هذا مايمكن قوله عن مدينة بغداد المدورة وعن تخطيطها وأقسامها الهامة المختلفة والتى بناها أبو جعفر المنصور لتكون عاصمة للعباسيين وحاضرة لهم .

القاهرة (قاهرة المعز) :

ويرجع تاريخ قاهرة المعز الى ثلاث مراحل متتابعة أولها الشكل العسكرى فى زمن عمرو بن العاص (الفسطاط) ثم العسكر فى عهد الاخشيديين ثم احتلال الفاطميين لها بقيادة جوهر الصقلى فى زمن المعز لدين الله الفاطمى . ومنذ ذلك العهد بقيت بتسميتها قاهرة المعز أو القاهرة .

والفسطاط مدينة الفتح العربى الاسلامى التى أنشأها عمرو بن العاص بعد أن فتح مصر – وأنشئت الفسطاط خارج مصر فى الجهة الشرقية للنيل وقد اختط عمرو بن العاص الفسطاط عام ٢١ هـ وبنى مسجدها الجامع ودار الامارة المعروفة بدار الرمل وجعل الاسواق محيطة بالمسجد وقسم أرضها كالكوفة والبصرة خططا للقبائل .

ويذكر المقريزى ان الذين تولوا تخطيط الفسطاط ثلاثة من العرب يرأسهم معاوية ابن حديج وكانت خطط الفسطاط كثيرة منها خطة أهل الراية وخطة لخم ومذحج وبنى وائل وبنى سبأ وغيرهم وسميت كل خطة بأسماء من نزلها من القبائل .

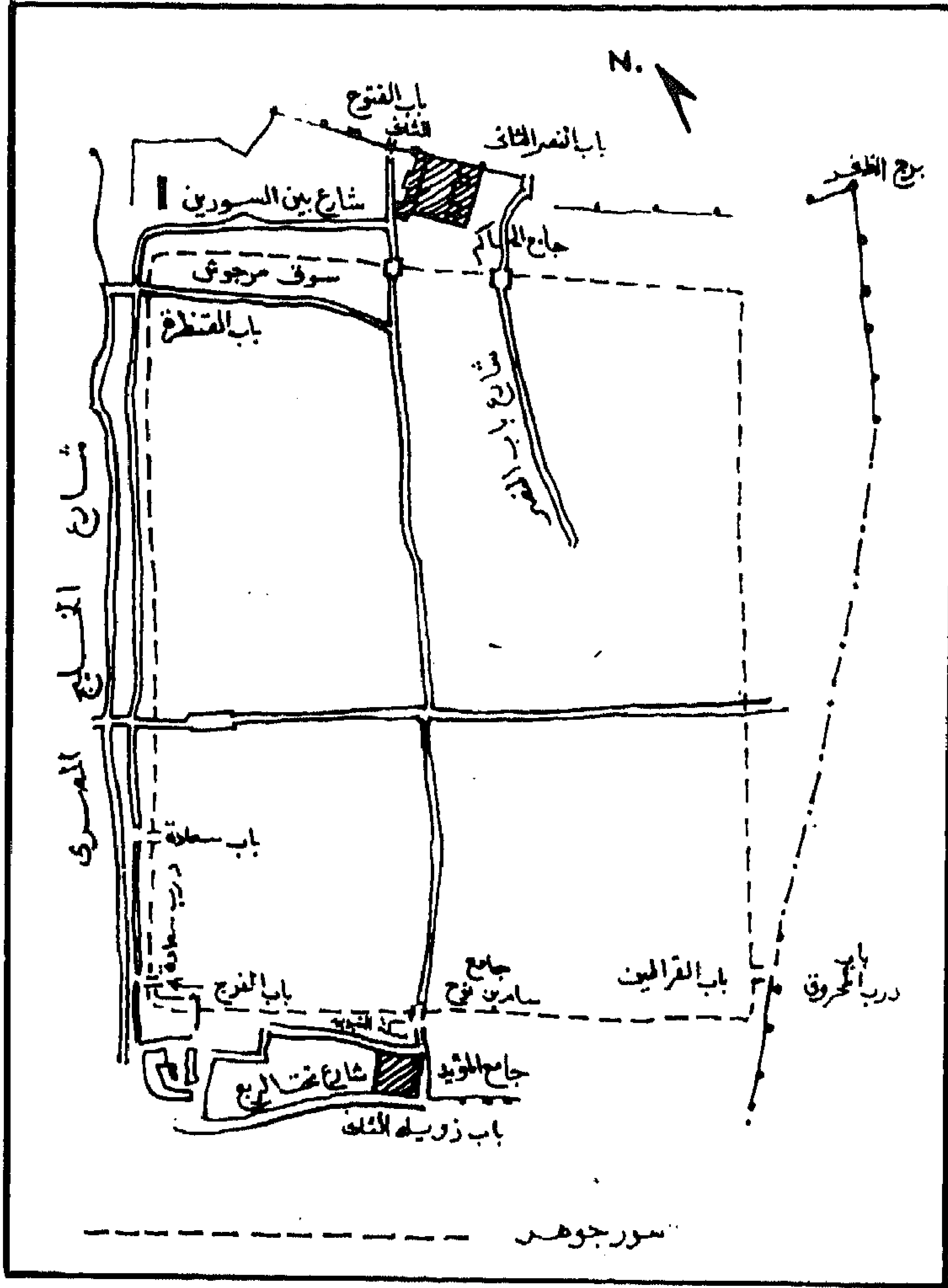
وقد شذت الفسطاط فى تخطيطها عن البصرة والكوفة من ناحية بناء دار خاصة للامارة فليس صحيحا ماذكره اليعقوبى من أن عمرو بن العاص كان قد بنى دارا خصصها للامارة بل أن عمرو بن العاص بنى لنفسه دارا اتخذها مقرا لحكمه وقد ذكر الدكتور احمد فكرى فى مؤلفه « مساجد القاهرة ومدارسها » ما مفاده أن ولاة مصر فى أول الامر لم يكن لهم مقر رسمى ولا دار للامارة واتخذ عمرو بن العاص الدار التى اقامها لسكنه بالقرب من المسجد الجامع مقرا للحكم وصار الامر هكذا بعده فكل وال من بعده كان يتخذ الدار التى يسكنها مقرا للامارة واستمر الحال كذلك الى نهاية العصر الأموى .

وأخذت الفسطاط شكلا منظما شيئا فشيئا والتف العمران فى شكل نصف دائرى حول مسجد عمرو بن العاص . وبعد استتباب الأمر وانتظام العمران والتفافه حول مركز العمران السياسى والقيادى الا وهو المسجد ومع هذا الانتصار جاءت حرية اختيار الموقع الأنسب استراتيجيا والتمشى مع معطيات البيئة ولذلك جاءت **العسكر** والفسطاط بالقرب من مجرى النيل وعلى امتداد هذا المجرى وفى شكل دائرى متكامل .

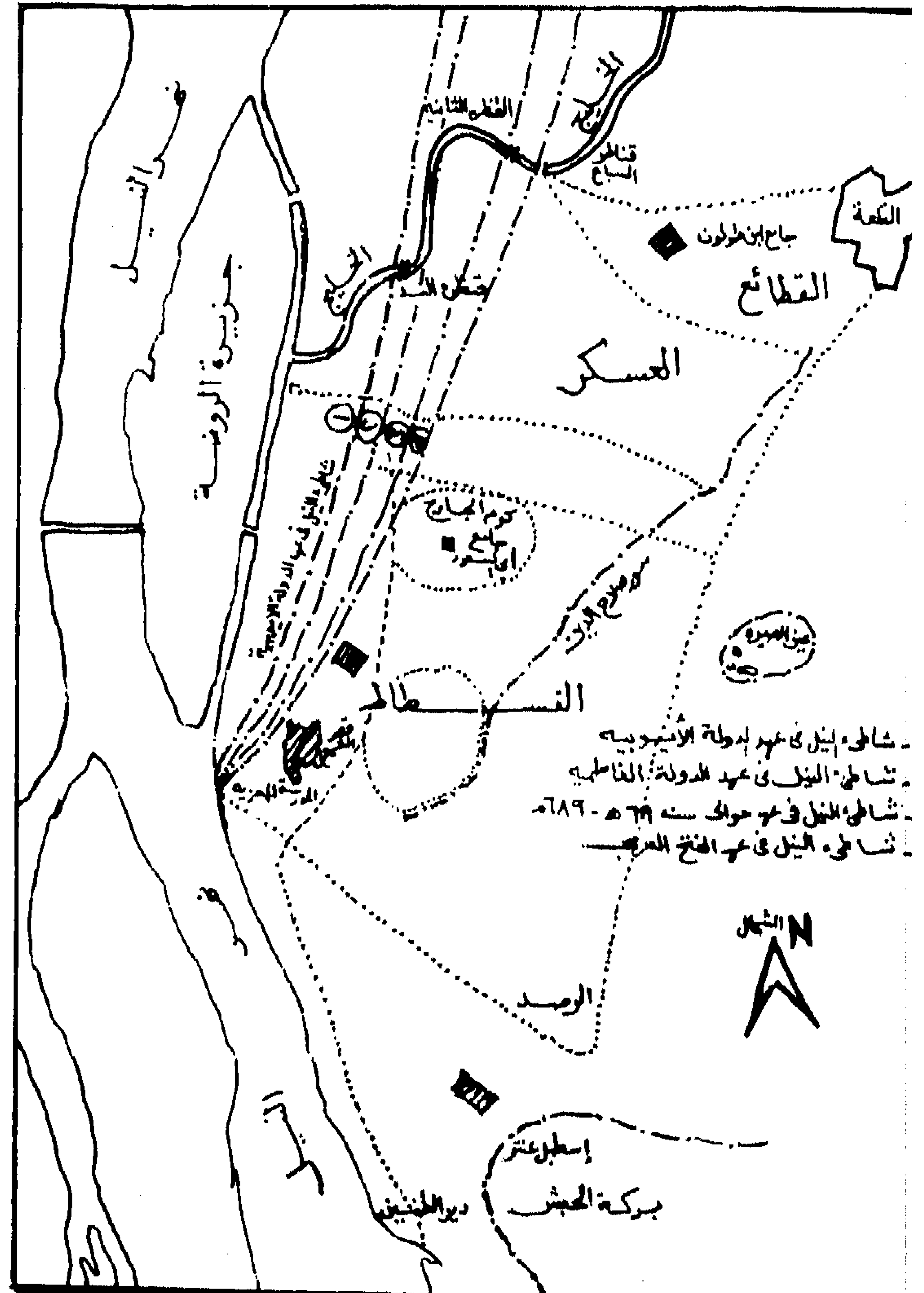
والجدير بالذكر أن **قطائع** احمد بن طولون والمسجد المشهور الذى يحمل اسمه التفت فى زمن تلا عصر أوج الفسطاط فى شكل نسيج عمرانى محدود ومنفصل عن الفسطاط وان كانت تعتبر حيا من أحياء الفسطاط الا أنه مهد لشكل القصر الحصين الذى ظهر واضحا فى الفترات التى تلت ذلك .

لتسمية **القاهرة** تفسيرات عديدة من أهمها انها سميت نسبة لكونها حصنا يحصن القيادة السياسية وقتها والعبرة فى اختيار ذلك الحصن هى احترام قيمة التضاريس والأهمية الاستراتيجية للموقع من حيث انها أشرفت على الفسطاط والعسكر والقطائع والأودية الملاصقة للحصن .

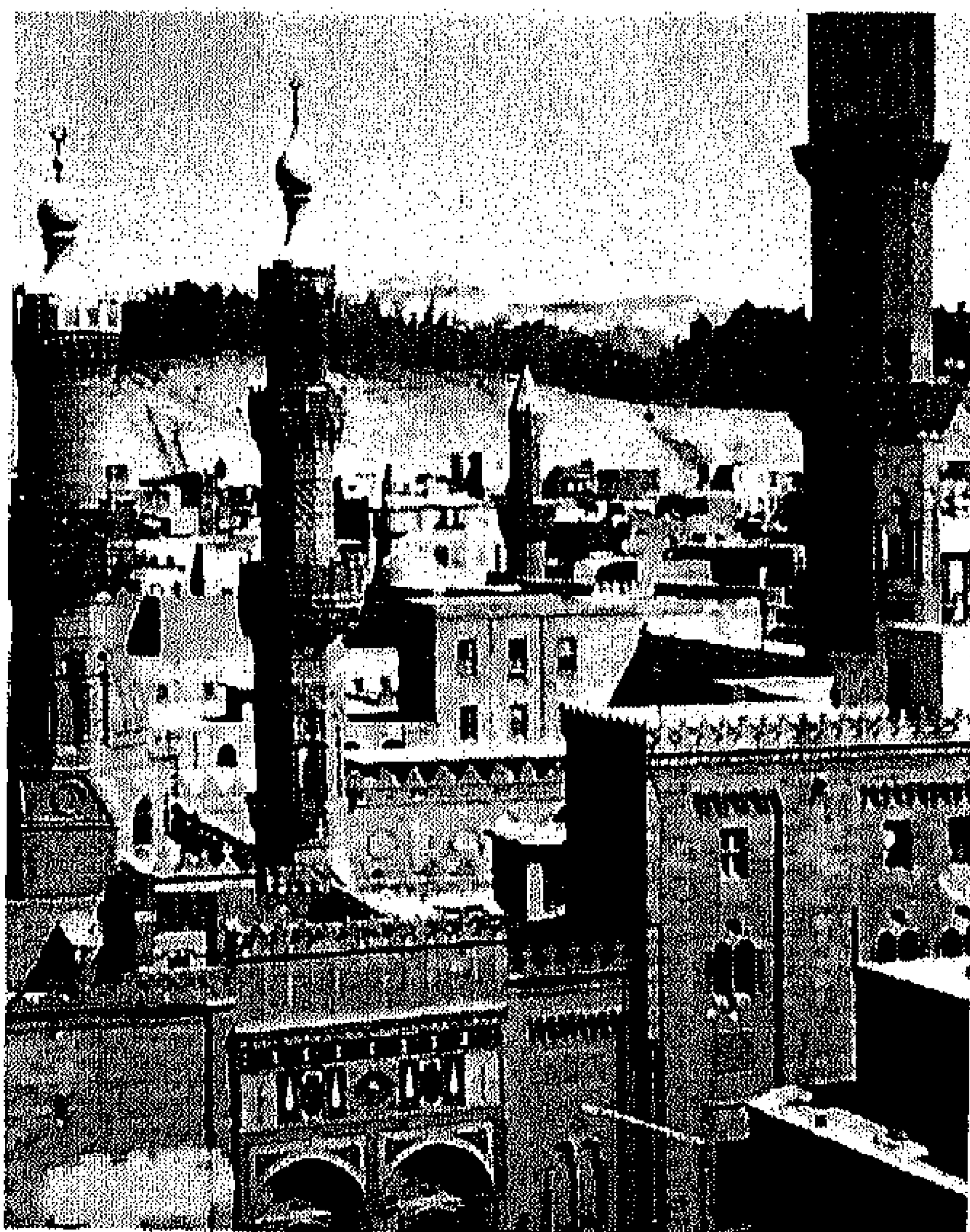
ونستطيع القول أن القاهرة اسم لحصن وليست مدينة عمرانية النسيج وبذلك فإن عاصمة مصر منذ الفتح العربى الاسلامى تكونت بشكل عمرانى فريد إذ أنها عبارة عن مدن وحصون لقصوْر حكامها متلاصقة – وكان أساس هذا التسلسل فى انشاء تلك المدن هو اختيار الموقع المناسب عمرانيا شيئا فشيئا . يبدأ بالمستوى ثم المتدرج ثم الشاهق ، وكلما ارتفع موقع العمران ظهرت الحاجة الى ضخ مياه الشرب من النيل ومن الآبار وظهرت دراسات تحمل اسماء عديدة فى هذا الموضوع منها مقياس النيل وعدة أماكن أظهرت تطور علم تخطيط المدن والبحث العلمى لتوفير مياه الشرب لسكان تلك العصور .



٥٧ القاهرة الفاطمية



طيط الفسطاط والعسكر والقطائع



٥٩ جامع الأزهر – القاهرة

القـــيروان :

اما مدينة القيروان فقد اختطها القائد عقبة بن نافع فى تونس بشمال افريقية عام ٥٠ هـ وكان أول ما اختط فيها هو دار الامارة والمسجد الجامع ولم يحدث فيه بناء وكان يصلى فيه وهو كذلك وبعد تحديد محراب المسجد اقتدى به الناس وبعد بناء المساجد والمساكن شد الناس اليها المطايا من كل بلد وعظم قدرها وكانت دار الامارة لها فى قبلة المسجد وذلك قبل ان يخربها ابراهيم ابن الأغلب . وكانت القيروان فى وسط الصحراء بعيدة عن العمران وكانت بذلك آمنةمن هجوم الاعداء ولم يمنعها انعزالها هذا من ان تنمو وتكبر . واذا كان عقبة بن نافع قد عزل عنها فترة من الزمن الا أنها استعادت عظمتها بعودته عام ٦١ هـ وظلت مايقرب من أربعمائة عام على رأس مدن افريقية والمغرب وكان لها سور له أربعة عشر بابا . وكانت سوقها متصلة بالمسجد من جهة القبلة وممتدة الى باب يعرف بأسم باب الربيع وذكر البكرى انه كان لهذه السوق سطح متصلة به جميع المتاجر والصناعات وان هذا السطح قد تعرض لبعض التهدم . وامر هشام بن عبدالملك بترميمه عام ١٠٥ هـ .

وتختلف القيروان ايضا عن المدن العربية فى ان كل قبيلة نزلت بها لم تكن تختص بمكان معين من المدينة ربما لأن فتحها جاء متأخرا وربما لعدم حرص القبائل التى اشتركت فى فتحها على ان تظل بمعزل عن القبائل الأخرى فى سكنها كما حدث فى المدن السابقة .

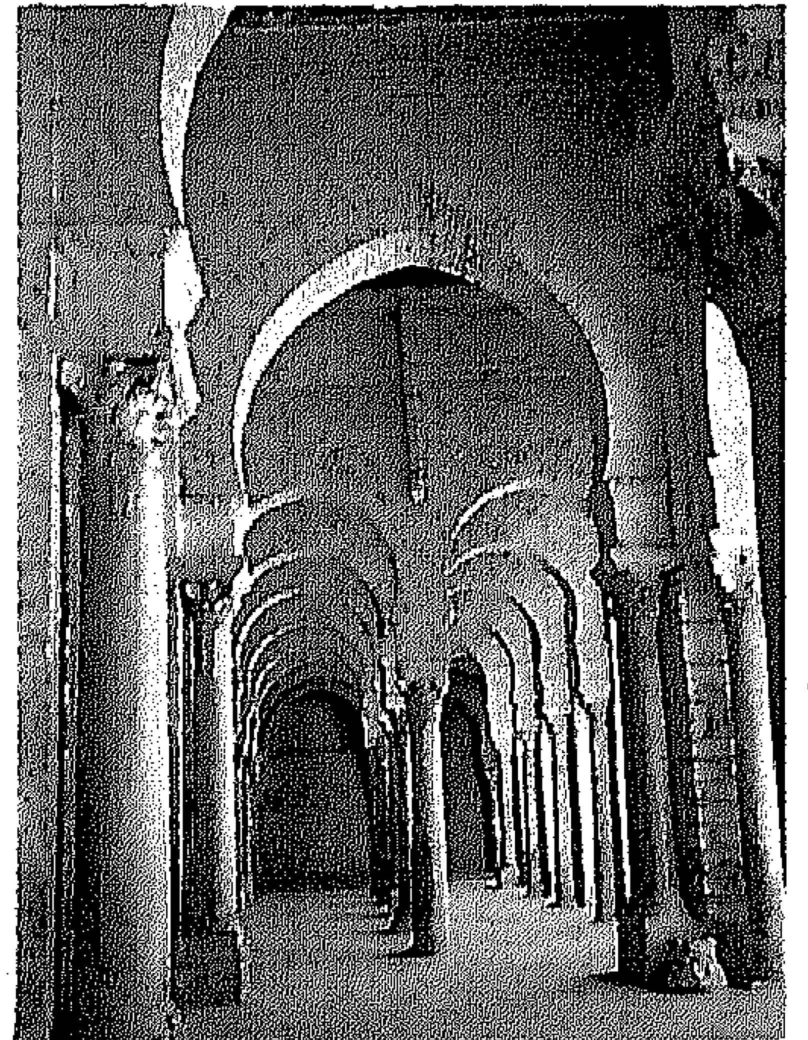
خاتمـــــة :

من كل ماتقدم يمكننا ملاحظة ان تخطيط المدن فى العصور الاسلامية كان يختلف من مكان لآخر تبعا للظروف والملابسات التى مر بها تاريخ البلاد التى اختطت بها هذه المدن ولايتسع المجال لدراسة تخطيط كل مدينة على حدة وبالتفصيل ، ولكن هذه المدن عند تخطيطها تبدأ على أى حال بتخطيط المسجد الجامع ودار الامارة ولم يشذ عن ذلك سوى الفسطاط حيث لم يكن بها دار للامارة بل كانت دار الوالى تقوم بهذه المهمة وهذا من أهم اجزاء النسيج العمرانى الاسلامى الأول ويليه بعد ذلك السوق والمسكن والطرق والسكك .

ومما تقدم نجد ان هذا التشابه والتطابق بين المدن العربية والاسلامية الأولى مبرراته بسيطة وسهلة الاستنتاج والاستنباط . انها كلمة واحدة .. هى الاسلام. نعم الاسلام دين ودولة وشريعة ومنهاج وقاعدة وحكم وعلى الرغم من اختلاف المناخ من بلد لآخر واختلاف ألوان الشعوب ولغاتها الا انها كانت تستقى من ماء واحد هو القرآن الكريم . تطبقه فى حياتها وعملها فأخذت دورها القيادى للبشرية فى الحضارة فكانت نهضتها الفكرية والعلمية وكان للمسلمين دور حضارى رائد فى تشييد المدن وبناء الدور والمساجد والمكتبات على ضفاف دجلة والنيل وفى اقصى المغرب والاندلس حيث كانت أوج القوة والازدهار وما من ريب فى ان التقدم العمرانى فى مختلف ارجاء العالم الاسلامى اذ ذاك الا مظهر قوى لوعى الامة الاسلامية وتطورها وتقدمها .



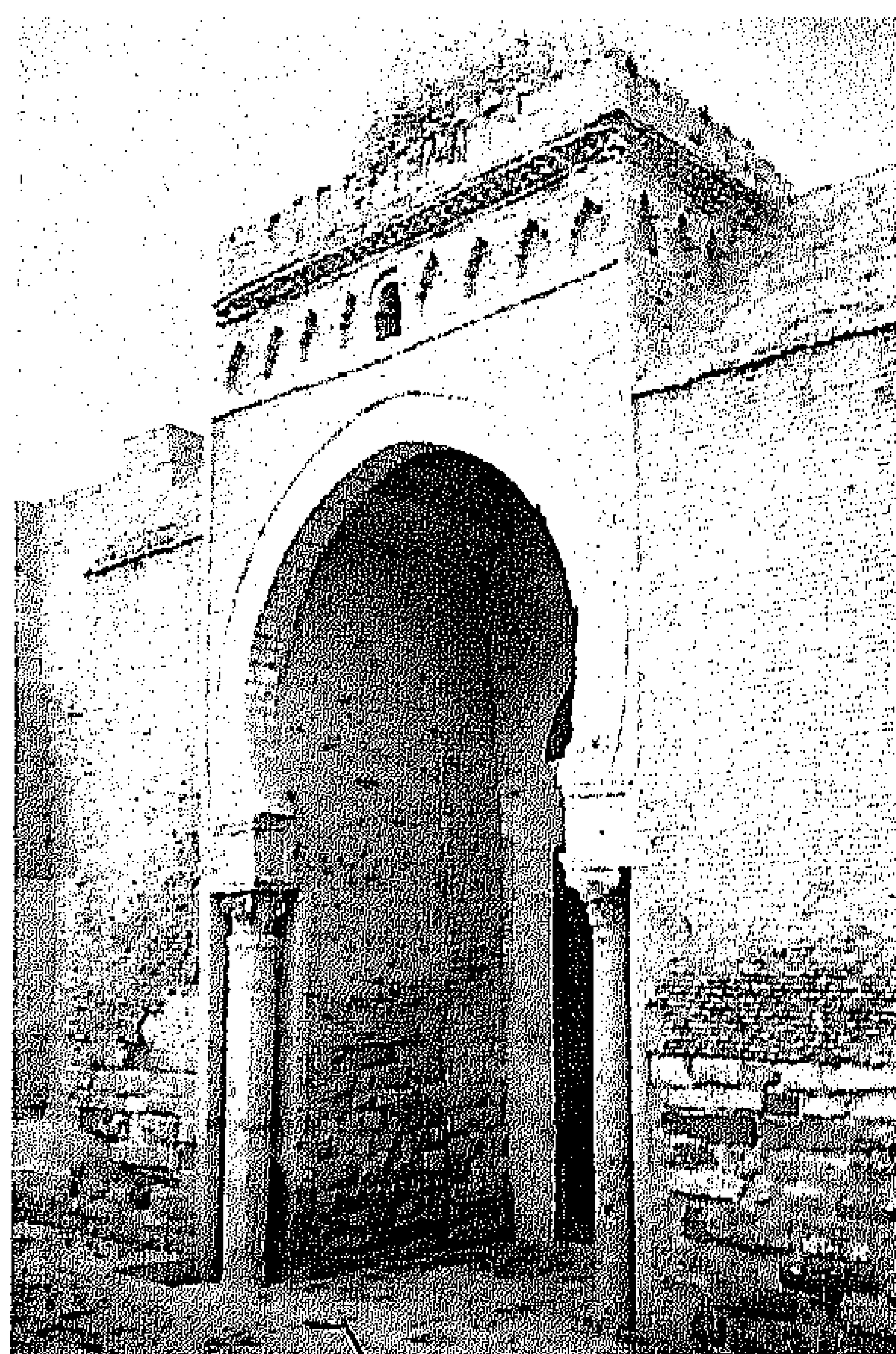
٦٠ القيروان



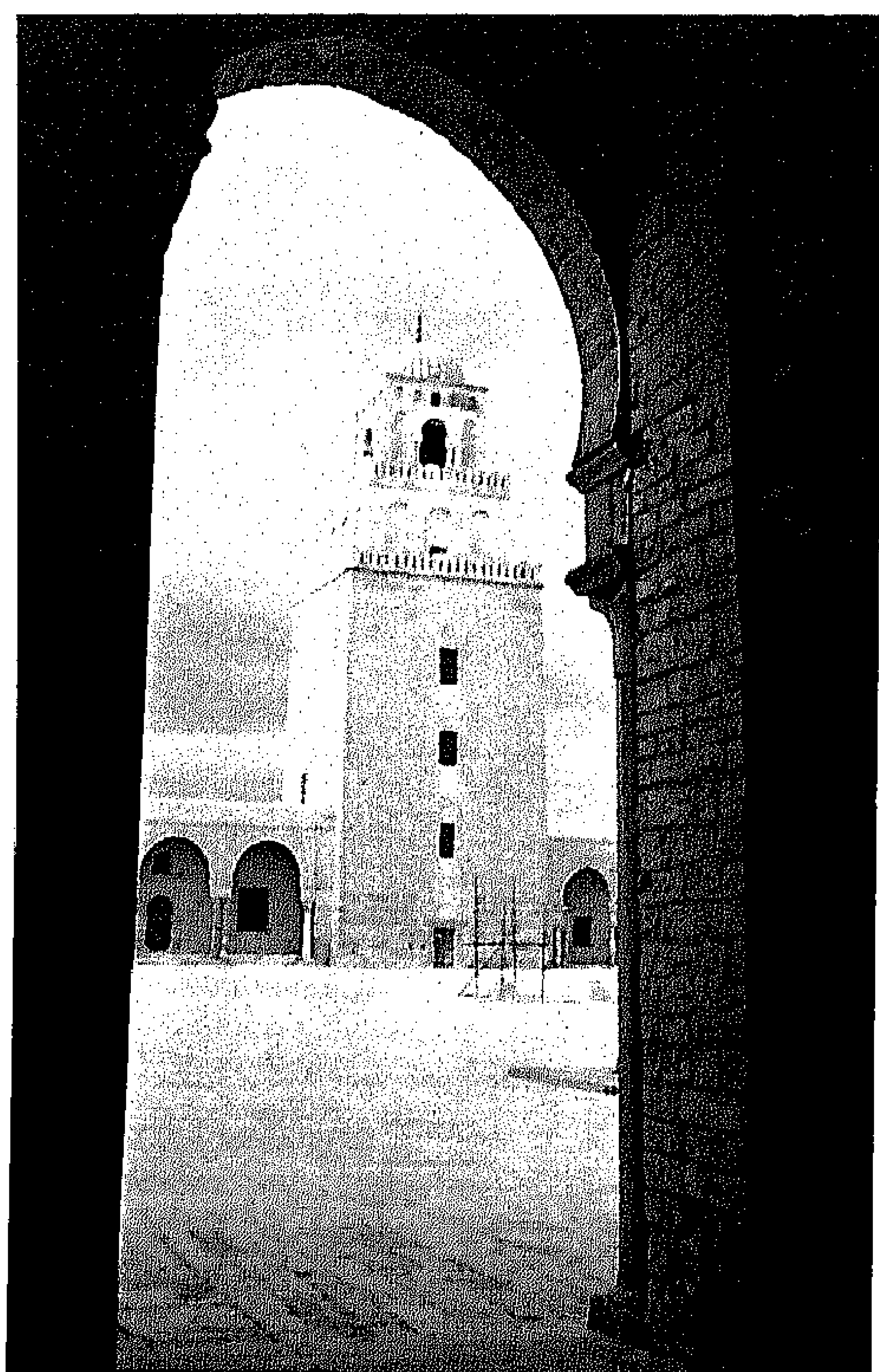
٦١ القيروان



٦٢ القيروان



٦٣ القيروان



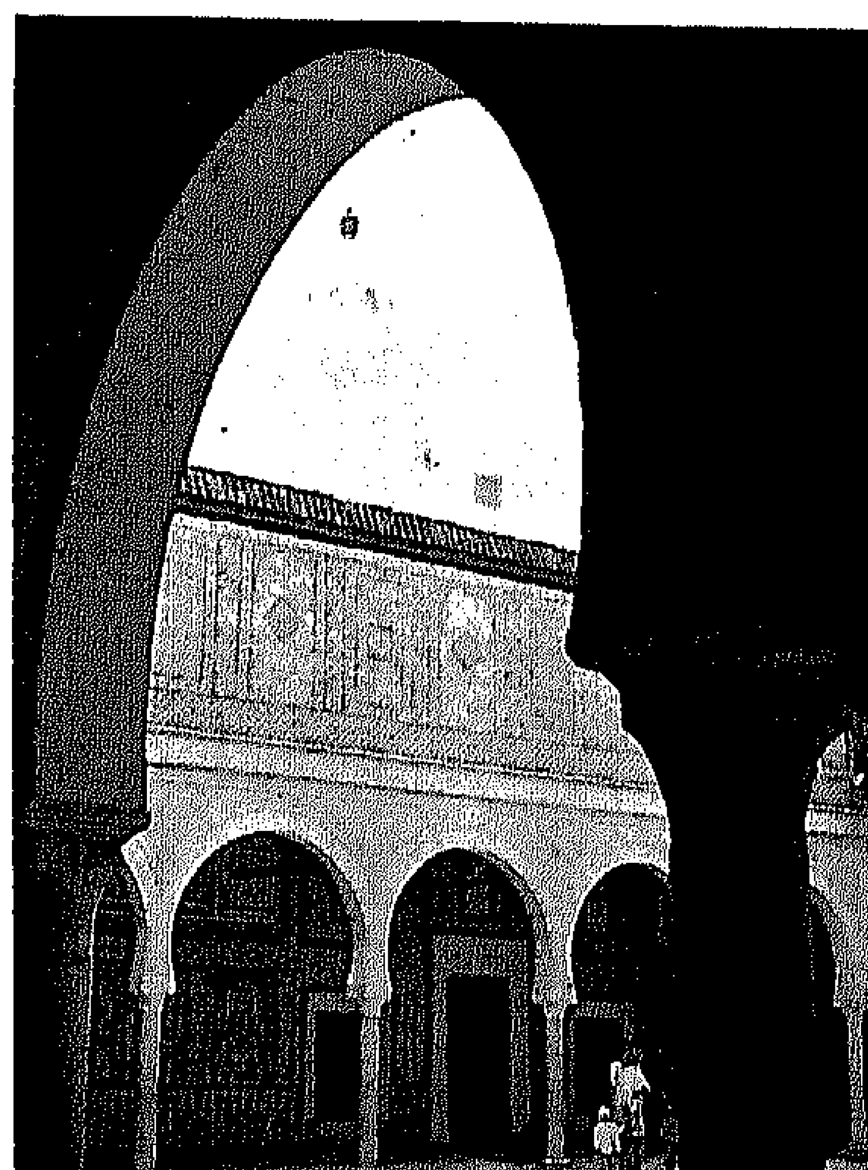
٦٤ القيروان



٦٥ القيروان



٦٦ القيروان



٦٧ القيروان

القسم الرابع

حول حماية التراث

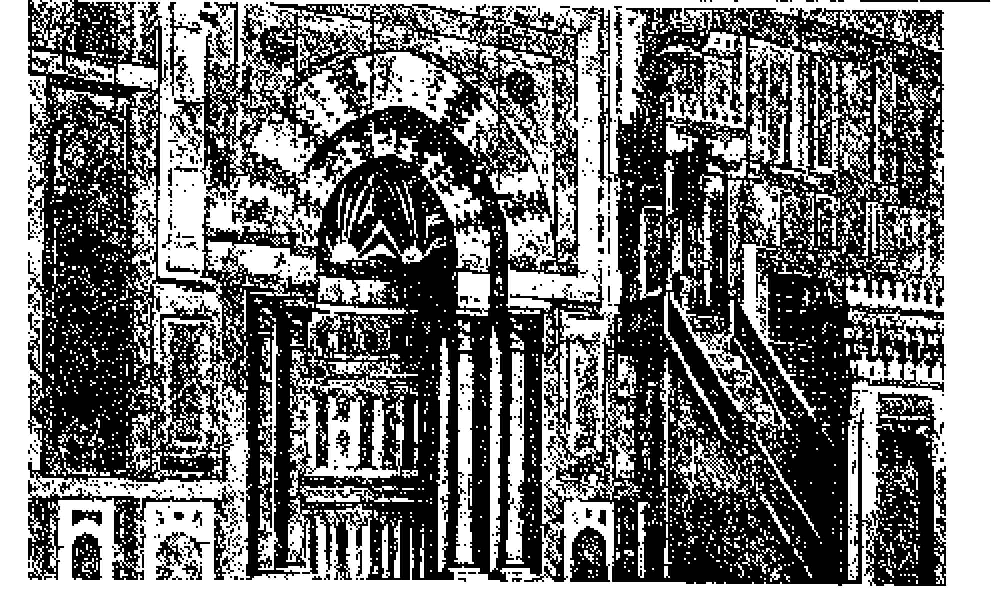
من المخاوف التى تساور الجميع أن حركة التوسع العمرانى ستقضى على التراث العمرانى والمعمارى للمدن العربية الاسلامية . ويحتوى هذا القسم على أربع وجهات نظر حول هذه القضية :

أولا : سعيد ذو الفقار يتحدث (بصورة ملخصة) عن **ازمة التراث العمرانى الاسلامى فى العالم العربى** ، ويدعو الى الاستفادة من تجربة الغرب الذى شتت تراثه العمرانى جريا وراء ماحسبه من مستلزمات التقدم .

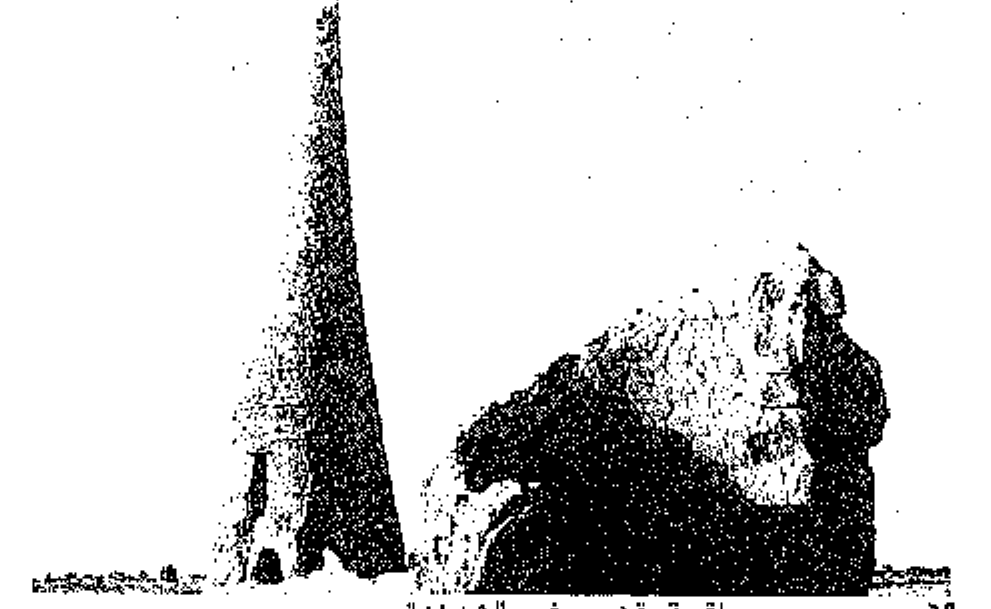
ثانيا: عبدالعزيز الدولاتلى الذى يطرح السؤال **لماذا وكيف نصون المدينة العربية التقليدية** ؟ ويجيبه بمجموعة من المبادىء والتوصيات .

ثالثا : عبدالقادر الريحاوى يتحدث **حول حماية التراث العمرانى فى المدن العربية المراكز التاريخية وطرق صيانتها وتطويرها** ، حيث يقدم مبادىء عامة وأساليب محددة للتنفيذ .

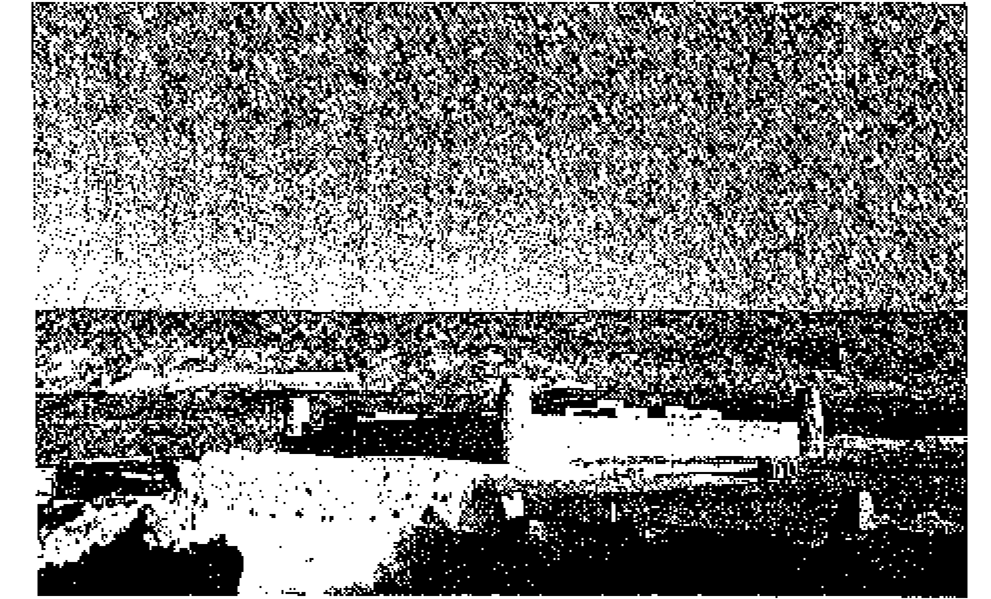
رابعا : عضيمى محمد ، يقدم تصورا عاما للقضية يكمله بسرد لدرس من الواقع **حول حماية التراث فى مكناس بالمغرب** .



٦٨ محراب جامع السلطان حسن – القاهرة



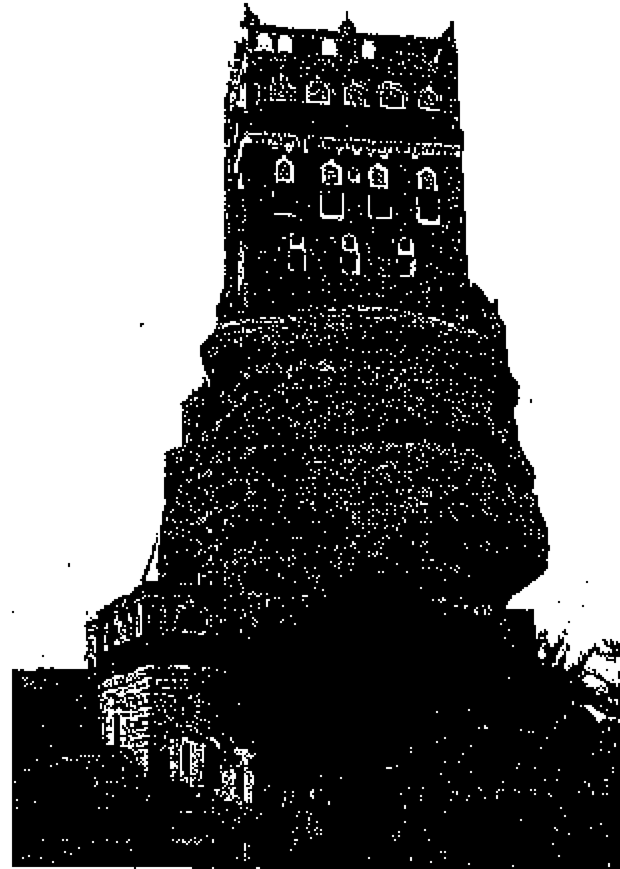
٦٩ برج مراقبة قديم في الشنانة



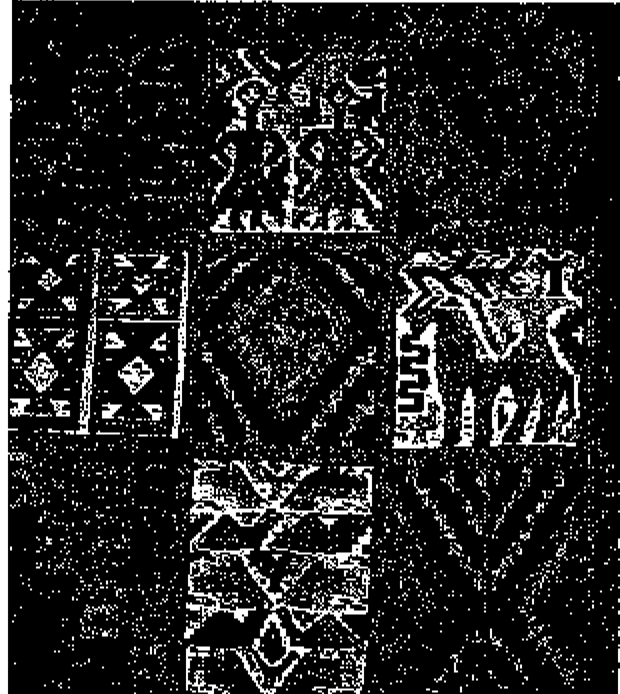
٧٠ قلعة الرولا بالكاف بالمملكة العربية السعودية



٧١ دمشق



٧٤ دار الحجر – بالقرب من صنعاء



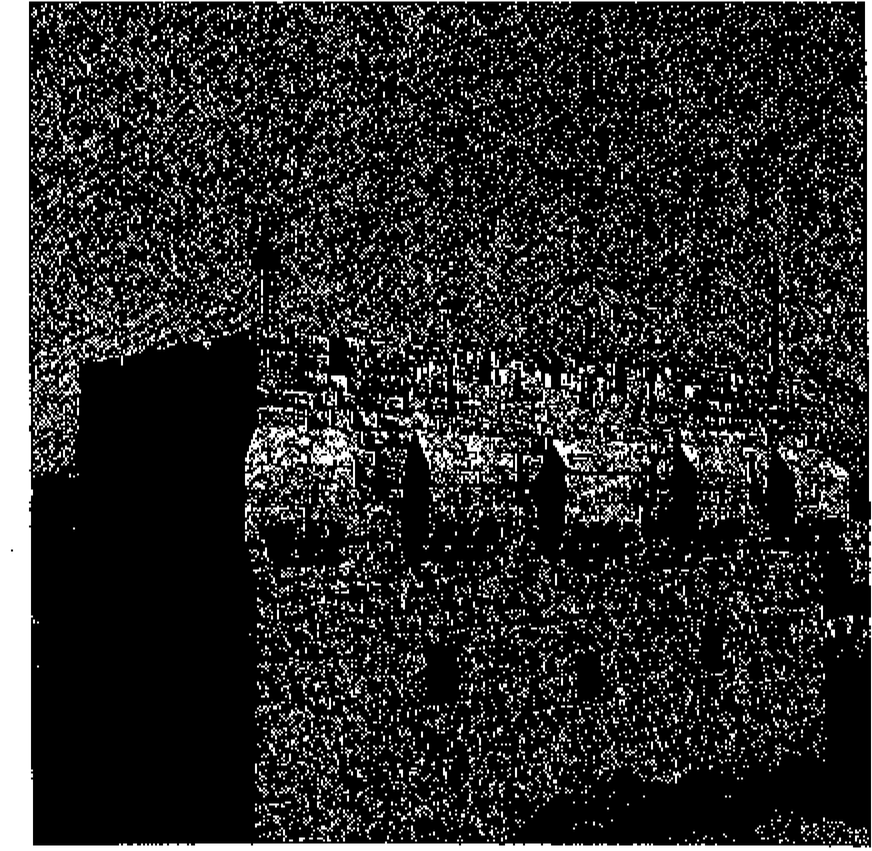
٧٦ زخرف على النسيج – تونس



٧٥ فاس



٧٣ عالم المخطوطات – فاس



٧٢ دمشق

أزمة التراث العمرانى الاسلامى فى العالم العربى

سعيد ذو الفقار

يمر العالم العربى والاسلامى بمحنة هائلة ، باتت تهدد بقاء التراث الحضارى الاسلامى المتمثل فى البنيان العمرانى للمدينة العربية بمبانيها التاريخية وميادينها وواقعها العمرانى المتميز . أن هذه المحنة الحضارية التى تهدد بتشويه مدننا تنم عن عوامل متعددة بعضها نفسى وبعضها اقتصادى .

فلا يخفى علينا ان الهيمنة الثقافية الغربية هى من أهم العوامل النفسية التى أسهمت فى اضمحلال الاستمرارية الحضارية للمدن العربية ، تلك الاستمرارية التى تتجسد فى التعبير المعمارى والعمرانى الأصيل . كما أن النمو الاقتصادى السريع والرخاء الذى عم الكثير من الاقطار العربية ، أدى الى إتساع حركة البناء من جهة ، والى المضاربة فى أسعار الأراضى من جهة أخرى ، والى انفجار حقيقى فى عدد السيارات التى تجتاح شوارع المدن العربية ذهابا وايابا . وتضافرت هذه العوامل مع التغير الملحوظ فى انماط الحياة الشخصية والعائلية ، لتفتيت التماسك العضوى الذى اتسمت به المدن العربية التقليدية والكيان العمرانى للمدن الاسلامية بصفة عامة .

ولم ينج المخططون والمعماريون من تأثير العوامل النفسية والاقتصادية بل كثيرا ماكانوا هم آداة التخريب فى مدننا العربية . مما أدى فى الكثير من الاحيان الى القضاء شبه الكلى على الاحياء القديمة فى قلب مدننا ، تلك الاحياء التى كانت تمثل نماذج رائعة من فن التخطيط والمعمار العربى الاسلامى .

ولكن هناك تطورات صحية داعية للتفاؤل منها هذه الندوة ، ومنها انتفاض العديد من المؤسسات العربية والاسلامية والدولية داعية لحماية هذا التراث العالمى الفريد من الضياع . وربما كان لنا أن نتعلم درسا من الغرب نفسه ، الذى شتت تراثه العمرانى جريا وراء ماحسبه من مستلزمات التقدم ، وبات يحاول جاهدا ان ينقذ الفتات الباقية من هذا التراث وهو يتمنى لو تريث وقدر الامور بقدرها الحقيقى . أفليس لنا أن نتفادى اخطاء هذه التجربة الغربية ، وان نعى من الآن اهمية الحفاظ على تراثنا ، بتأصيل عمارتنا وعمراننا وتجديدهما فى اطار استمرارية حضارية واضحة ، حتى نورث الأجيال القادمة مدنا عربية اسلامية القلب والقالب .



٧٧ مـاذنـة ــ فـاس

لماذا وكيف نصون المدينة العربية التقليدية ؟

عبدالعزيز الدولاتلي

المدن العربية التقليدية اليوم هى عبارة عن أحياء هامشية ملاصقة للمدن العصرية التى تشد عليها الخناق . وهى بذلك تشابه الأحياء الفوضوية العفوية التى كثيرا ماتحيط بالمدن الحديثة ، ولكنها تختلف عنها بقيمتها التاريخية وقيمها الحضارية ومعالمها الأثرية وصناعتها التقليدية .

وعلاوة عن ذلك فهى تأوى العدد الوافر من السكان الذين يصعب نقلهم جماعيا أو التخفيف من كثافتهم .

ما العمل اذن ونحن نواجه انفجارا ديمغرافيا ونموا عمرانيا لا مثيل لهما فى تاريخنا ؟ ما العمل والمدينة الآلية لاتعرف حدودا بل تمتد على شكل اخطبوطى مبتلعة شيئا فشيئا الأرياف ومحكمة الحصار على المدينة العتيقة المنغلقة على نفسها داخل الاسوار ؟

هل نتمادى فى استعمال الحلول الجراحية التى سادت الى اليوم فنهدم الأسوار ونفتح الشوارع لربط المدينة القديمة بالمدينة العصرية ؟

ونحن نعلم مدى خطورة هذه الحلول اليائسة التى تؤول فى آخر الأمر الى تهديم المدينة التقليدية بعد تدهور أوضاع نسيجها خاصة تلك الأحياء المجاورة للمناطق المجددة فتتلاحق عمليات الهدم والتجديد حتى تبيد المدينة فلا تترك منها الّا القليل النادر من المعالم التاريخية الفائقة الأهمية .

هكذا كان الامر بالنسبة للعديد من المدن الأوروبية ولم تفق أوروبا من غفلتها الا مؤخرا عندما اتضح لها أن دية المعاصرة والحداثة كانت ثقيلة جدّا على التراث المعمارى ، عندئذ بدأت تتجه نحو فكرة الصيانة وهى فكرة قديمة لكنّها لم تنطبق الا على المعالم الاثرية الكبيرة الشأن . وهذه الاستفاقة هى فى الحقيقة حديثة نسبيا اذ هى لاتتجاوز العقدين أو الثلاثة عقود الماضية ، وقد تبلورت الفكرة وتهذبت بفضل التوصيات والملتقيات والمؤتمرات العلمية التى نظمها الأوروبيون منذ سنة ١٩٥٧ حيث عقدوا أول ندوة بميلانو حول موضوع نمو المدينة العصرية ومشاكل المحافظة على مركزها التاريخى .

أما العالم العربى الذى يدخل اليوم بكل قوة وعزيمة ميدان التصنع والتكنولوجيا فماذا فعل لصيانة مدنه التاريخية ؟ هل اتعظ بالتجربة الأوروبية ؟ خاصة وان الخطر الذى يهدّد هذه المدن متضاعف لأن سرعة التطور فى عصرنا هذا تبدو مذهلة بالنسبة للقرن الأخير أو حتى للنصف الأول من القرن العشرين ، فعجلة الزمان تدور عندنا دورانا مهولا وهى قادرة على نزف كل الرواسب التاريخية فى أعوام معدودة بحيث أصبحنا مهددين فى كل لحظة بضياع آلاف القصور والجوامع والعديد من معالم حضارتنا العربية الاسلامية .

لكن فكرة المحافظة على محيطنا العمرانى التاريخى لم تفرض نفسها فى عالمنا العربى بنفس السرعة التى استقبلنا بها المستحدثات الحضرية العصرية بل أنها أحيانا لاتزال اليوم محل شك وتشكيك وموضع أخذ ورد فى حين أنها فرضت نفسها فى أوروبا فأصبحت لايجادل فى شأنها .

فبالنسبة لبعض البلدان العربية التى قاست من ويل الاستعمار لم تكن الفكرة الأولى بعد الحصول على استقلالها نداء لصيانة التراث باعتباره من المقومات الأساسية لحضارة الغد . بل بالعكس أمست المدن التاريخية والرواسب الحضارية الاصلية تعد من العقبات والعوائق التى يخاف منها أن تعطّل حركة التقدم السريع للالتحاق بركب الحضارة مهما كان الثمن باهظا وحتى على حساب القيم الاجتماعية العريقة التى تعرضت هى الاخرى الى التشكيك والمراجعة . حتى أنه سرى الاقتناع مع مرور الوقت أن فكرة لاتقتبس من الغرب تبقى محدودة التأثير ولايرجى منها أى مفعول ايجابى على تطور الشعوب وتقدمها الاجتماعى والثقافى .

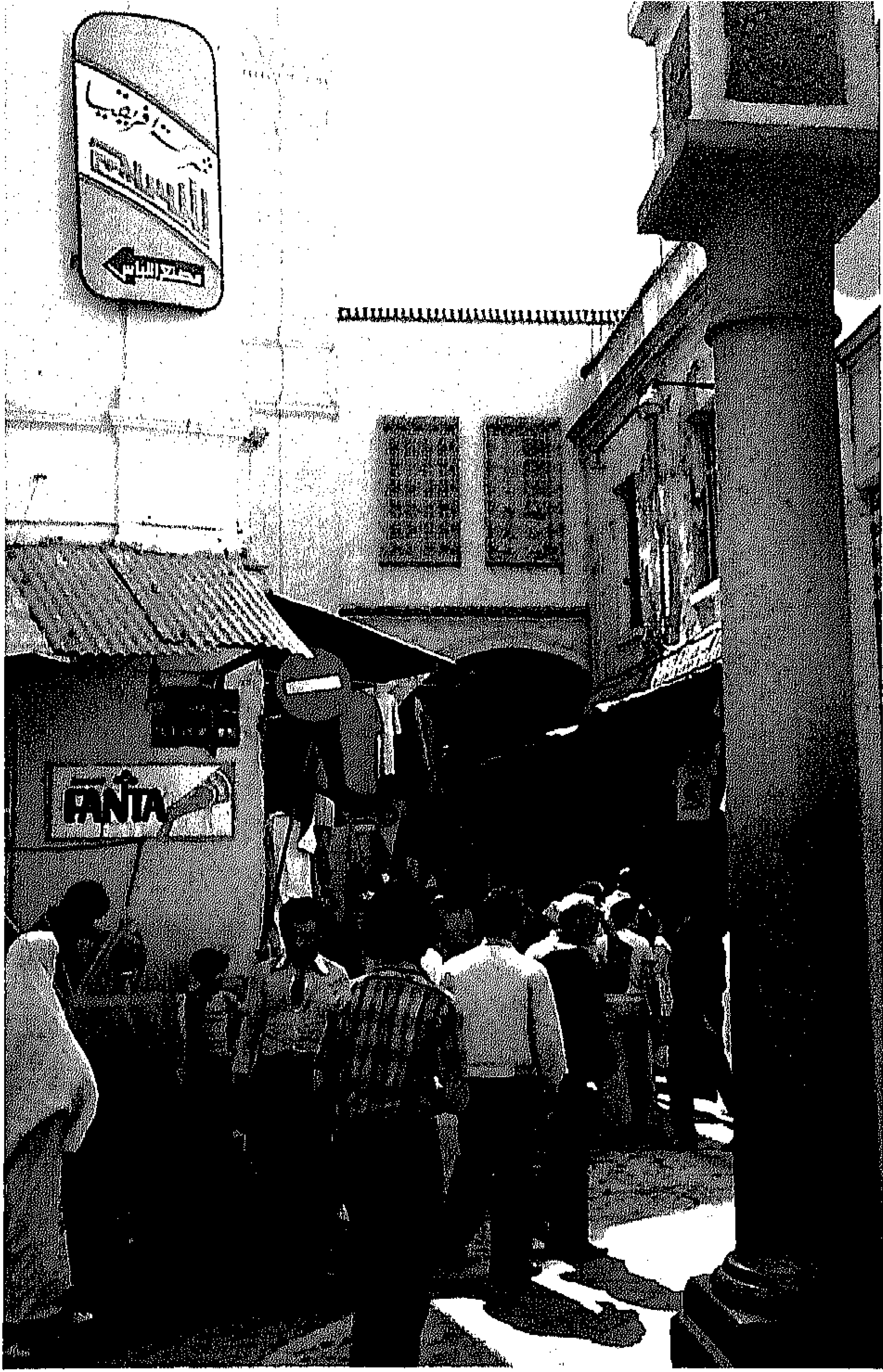
هكذا هجر سكان المدينة العتيقة منازلهم التقليدية تاركينها الى سكان جاءوا من الريف أفواجا باحثين عن مواطن رزق تغدق عليهم المال وترقّهم الى صف الحضر . وذهب أهل الحضر الى المدينة الأوروبية حيث نزلوا فى منازل مستعمريهم السابقين متطفلين عليهم نمط حياتهم وعادتهم وتقاليدهم البعيدة كل البعد عن القيم الاجتماعية والأخلاقية الاسلامية ، فكانت الخسارة جسيمة : خسارة فى القيم الروحية وخسارة فى المخلفات التراثية . تحت تأثير تلك العوامل الاجتماعية من جهة والعمليات الجراحية من جهة أخرى ، اضمحل الكثير من مدننا العربية ذات السمعة العالمية وتدهورت أوضاع الأخرى . وهذه المعاملة السيئة أن صحّ التعبير يمكن تفسيرها أيضا بدوافع مالية كالمضاربات العقارية أو بأسباب سياسية أو أمنية . الّا أنها تختلف حدة من بلد لآخر حسب مقدار الثروة القومية وحسب تقدم الشعوب اجتماعيا وثقافيا وحسب تطور المؤسسات القومية الكفيلة بالدفاع عن التراث وصيانته .

هذا لايعنى بالطبع أن البلدان الأكثر ثروة هى التى حافظت أكثر من غيرها على تراثها المعمارى بل ربما العكس هو الأصح بحيث نجد البلدان الأقل حظا اقتصاديا قد اعتنت عناية خاصة بمدنها القديمة ولاشك أن للضرورة احكام.

لماذا اذن نريد اليوم صيانة المدينة العربية العتيقة ؟ هل تقليدا حتى نساير مرة أخرى ماتفعله أوروبا التى تبقى بالنسبة لنا المثال الذى يجب دوما أن يحتذى ؟ لعل هذا صحيح لأن أوروبا سبقتنا فى هذا الميدان حيث سجلت



٧٨ الشارع الرئيسي في تونس



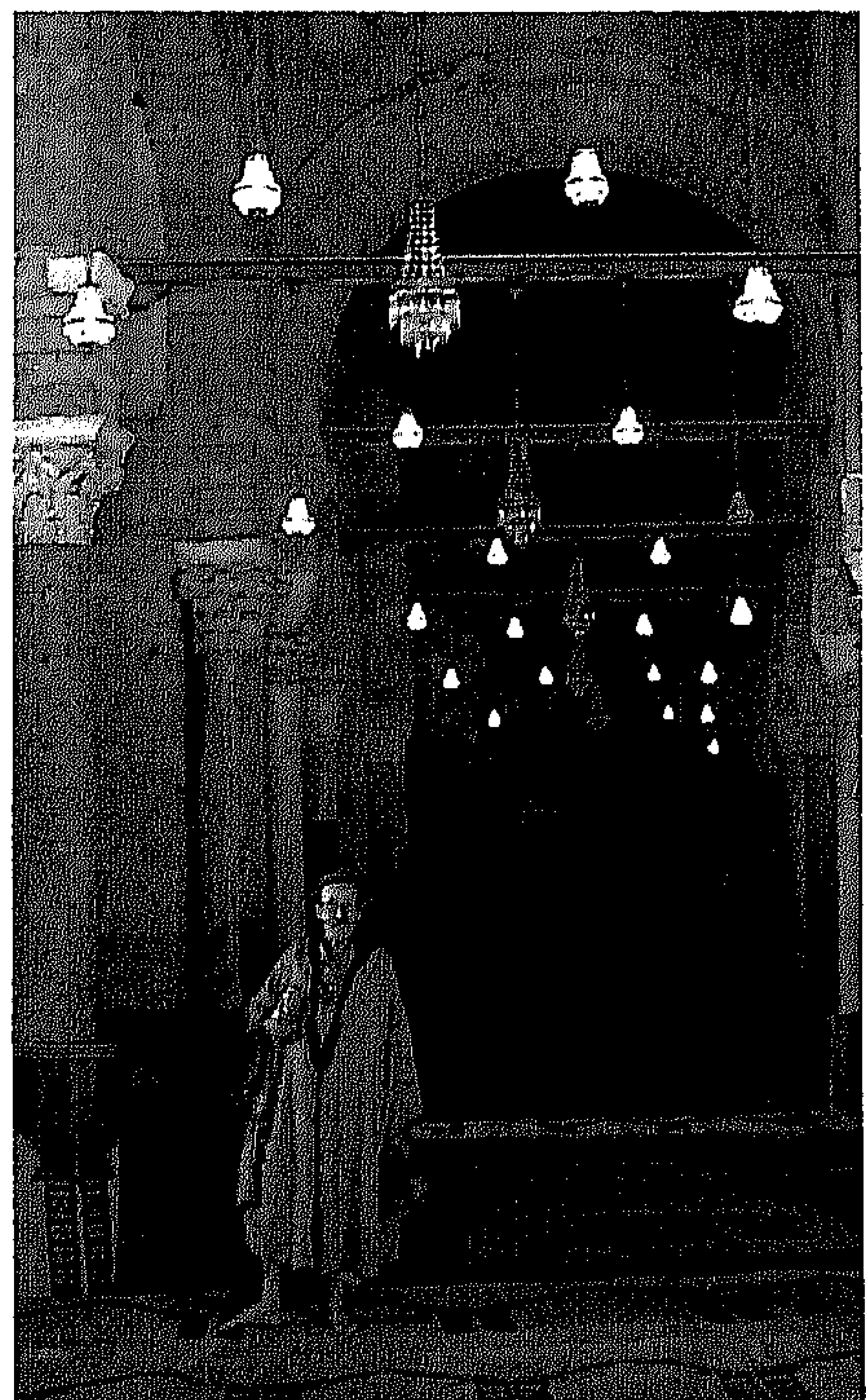
٧٩ شارع في المدينة القديمة ـ تونس



٨٠ جامع الزيتونه في تونس



٨١ شارع في تونس



٨٢ داخل المسجد ـ تونس

أشواطا كبيرة فى مجالات الدراسات والانجازات وكذلك لأن فكرة صيانة المدن شعت على العالم بواسطة المؤسسات الثقافية الدولية التى تبنتها كاليونسكو والمجلس الدولى للمعالم والمواقع الاثرية والمركز الدولى لصيانة الممتلكات الثقافية .

فكانت نتيجة مجهودات تلك المنظمات الدولية أن أنارت السبيل أمام المسئولين العرب الذين شعروا بقيمة التراث العربى الاسلامى وبمكانته البارزة ضمن التراث العالمى . لكن الفضل الكبير يعود الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التى أدرجت ضمن برامجها مسألة تحسيس الرأى العام العربى بموضوع صيانة المدن باعتبار المدينة العربية مرآة صادقة للحضارة الاسلامية . فأضافت لمفهوم التراث العالمى فكرة التراث العربى الذى يكون اللبنة الأساسية فى صرح بناء الوحدة الثقافية العربية .

واليوم حيث بدا شىء من الاجماع حول فكرة صيانة المدينة فاننا نبارك هذا التطور ونبارك بالخصوص تبنى منظمة المدن العربية مواضيع التراث المعمارى والعمرانى كما نبارك هذا الملتقى الذى تحضنه أول مدينة اسلامية ونشكر المنظمين له . اليوم لم نتساءل لماذا يجب أن نصون المدينة بل كيف سنقوم بأعمال الصيانة والتهذيب والتجديد وهل نملك الطرق النظرية والعملية الملائمة لخصوصيات المعمار العربى الاسلامى ؟ ذلك أن علم صيانة المدن لايزال فى طور التكوين بحيث لم تتبلور بعد المناهج والاساليب التى لابد من أن ترضخ للظروف الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بكل بلد ، كما أنه لابدّ من توعية السلطة التى بيدها القرار فى خصوص برامج التخطيط العمرانى فتعتبر الوضعيات الخاصة بالمدن العتيقة ، ولابدّ ايضا من حملة شاملة لتوعية المواطنين ولحثّهم على المساهمة فى عمليات الاحياء .

واعتمادا على الأبحاث والدراسات التى أجريت فى مدينة تونس حول أسباب ومظاهر تدهور أوضاع النسيج المعمارى التقليدى أمكن استخلاص بعض المبادىء الاساسية التى يجب الاعتماد عليها لضبط سياسة عملية ومجدية قصد احياء المركز المعمارى التقليدى .

وأول المبادىء التى لايمكن الاستغناء عنها هو كون المدينة مجموعة متماسكة ومتلاحقة لايمكن تجزئتها أو تقسيمها بواسطة شوارع عريضة دون الاخلال بنظامها الأساسى ودون ان نلحق بها أضرارا فادحة .

ولابدّ من الملاحظ فى هذا الصدد أننا لو تركنا هذه المجموعة تتطور بطبيعتها لآل بها الأمر الى التراجع والانهيار تحت ضغط عوامل التجديد . لأن التجديد يعنى فى الحقيقة تعويض النسيج التقليدى بنسيج آخر لا يحترم المساحات والاحجام والوظائف الأصلية ، على عكس عملية المحافظة التى تهدف الى تجميد المعلم أو الحى أو المدينة الى الأبد دون أى تنازل من حيث الجملة أو التفصيل . أما عملية التهذيب أو اعادة الاعتبار كما يقال بالفرنسية (Réhabilitation) فتتجنب هذين الموقفين المتطرفين باتخاذ أكثر مرونة فى التعامل مع المساحات والوظائف بحيث تمكن من صيانة المجموعة وفى نفس الوقت تطعّمها بالتجهيزات والمعدّات العصرية الضرورية ، وبهذه الصفة يمكن تجاوز الجدلية القائمة بين القديم والجديد بفضل اعانة القديم على الاندماج ضمن المجموعة السكنية المعاصرة .

لذلك يجب على المختصين بالصيانة أن يعدّوا للمدن التاريخية مانسميه بالبرامج المندمجة حيث تلتقى عمليات المحافظة والتطوير ، فنقوم بعمليات التطهير أولا ثمّ ندعمها بأشغال الاحياء ثانيا ، وعلى هذا الأساس نحافظ على اطار الحياة دون أن نشوه هياكله الأساسية مع ضمان نوعية الحياة أو شىء من تلك النوعية على الأقل .

هكذا نقدر أن نوفّر لاطار الحياة ظروف البقاء . وربما نساهم ببقائه فى ابلاغ الرسالة الحضارية التى يحتضنها ، تلك الرسالة التى تبرز مدى ملاءمة الاطار مع المحتوى أى الشكل مع المضمون . وهذه فى الحقيقة أهم الشروط التى تُقاسُ بها نجاعة الانظمة العمرانية وفاعليتها وخصالها ، كما نوفر للمهندس المعمارى والمخطط العمرانى وثائق حية يستطيع أن يستغلها وان يعتبر بها فى مشاريعه العمرانية والمعمارية الجديدة .

لذلك فلابد من معاملة المدينة العتيقة معاملة خاصة بل ممتازة فلا نبخل عليها لا من حيث الامكانيات أو التضحيات ولا من حيث مستوى الدراسات والأبحاث . فنتمهل قبل اتخاذ القرار فى شأنها لأن التدخلات فى النسيج التقليدى صعبة للغاية نظرا للانعكاسات التى يمكن ان تنجرّ على كلّ عملية تتّخذ بدون دراسات مسبقة .

فلا يجب مثلا ان تغرينا عظمة معلم تاريخى فننزلق فى متاهات عمليات الاحياء المتمثلة خاصة فى فتح طريق فسيح أمامه حتى يشاهد من بعيد لأن معالمنا الاسلامية ليست مجعولة لكى تشاهد عن بعد بل هى تباغتنا صدفة داخل الأنهج والأزقة . كما هى لا تملك عادة واجهات فخمة مثل ما هو الحال بالنسبة للمعالم الأوروبية بحيث يمكن وضعها فى رؤية بعيدة .

ولايجب أيضا أن نغتر بضرورة ادخال السيارة فى الأنهج والأزقة لأن هذا التبرير واه اذ نشاهد اليوم المدن الأوروبية نفسها التى خُلقت من أجلها السيارة تُبعدها عن مراكزها وتنشأ الممرات والشوارع المخصصة للمترجلين ، وقد يغطّى هذا النوع من الشوارع مناطق شاسعة تفاديا لكثرة الازدحام ولتعفن هواء مراكز المدن بالغازات المتأتية من السيارات . وكم من مرّة نتذكر ونحن نجوب تلك الشوارع الأوروبية الخالية من السيارات والمكتظة بالمترجّلين نظام أسواق مدننا العربية الأصيلة .

كما أنّ استغلال المدينة سياحيا لايجب ان يحجب عن أبصارنا بعض المخاطر ، ومهما يكن من أمر فلا يجوز أن تكون السياحة هى الهدف الرئيسى من عمليات الصيانة حتى لانجعل من المدينة العتيقة عبارة عن متحف أو « زُوُو بشرى » (Zoo Humain) ، بل لابدّ من دعوة الساكن للمشاركة فى عمليات التهذيب والاحياء حتى يكون أول المنتفعين قبل الأجنبى عن المدينة سائحا كان أو تاجرا عقاريا .

من كل هذه الأمثلة تبرز بكل وضوح ضرورة توخى منهجية واضحة الأهداف والمرامى معتمدة على معطيات وأرقام وتحاليل علمية ، كما يتبين من خلال ما سبق وجوب اعداد برامج للتهيئة العمرانية يمكن تسميتها أمثلة الصيانة تكون بمثابة المراجع القانونية لكل التدخلات العملية فندرجها ضمن برامج التهيئة العامة الشاملة لكل الأحياء السكنية العتيقة منها والحديثة ، لأن المدينة القديمة أصبحت فى الحقيقة جزءا لايتجزأ من المدينة ككل بحيث لا يمكن فضّ مشاكلها بمفردها بل داخل اطار المدينة الكبيرة مع الاحتفاظ بخصوصياتها .

فمن المشاكل العويصة التى لايمكن فضها الا فى اطار المدينة الكبرى مشاكل الاكتظاظ السكنى الذى يحتم علينا انتهاج سياسة سكنية تسمح بتخفيف كثافة الأحياء القديمة وذلك بنقل قسط من سكانها الى الأحياء الجديدة . وبدون هذه السياسة لايرجى أن نُفض مشاكل السكن والصحة

والأمن فى المدن القديمة .

كما يجب أن تدرس المسائل الاقتصادية كإحياء الصناعات التقليدية مثلا فى نطاق اقتصادى واسع لتفاعل التيارات بين كل أحياء المدينة وربما أيضا فى نطاق أشمل هو نطاق التنمية الريفية حتى نصدّ الريفيين عن الهجرة ونمكنهم من مواطن الرزق فى مناطقهم .

كل هذا يعنى فى الحقيقة وهى النتيجة التى أردت الوصول اليها فى هذه الندوة التى تضم عددا لا بأس من المسئولين البلديين ان المدن القديمة تستحق أكثر من البكاء على أطلالها فهى فى حاجة ملحة الى عناية خاصة أى الى مكاتب دراسات علمية مختصة يسيرها اطارات فنية أكفأ وهى محتاجة أيضا الى تمويلات كبيرة تُرصَد لها عن طريق صناديق للتهيئة العمرانية والاحياء أو عن طريق هبات من الدولة والمجموعات المحلية أو عن طريق اعفاءات من الاداءات البلدية أو غيرها . كما هى فى حاجة الى قوانين جديدة لاتوجد فى التشريعات المتعامل بها فى المناطق السكنية العادية بحيث تستجيب للظروف العقارية المتشبعة وتسمح بالتدخل الفورى والانتزاع المستعجل وبضبط معايير تلائم أوضاع التهذيب والتحسين ، وهى كذلك محتاجة الى المؤسسات التى ستُعهد لها أشغال الترميم والتطهير والتنوير والتوظيف والاستغلال والمراقبة والتعهد وهى مؤسسات قلما تتوافر فى بلداننا العربية وان توافرت فلا تفى بكل الحاجيات .

وخلاصة القول أن المدن العربية فى حاجة الى سياسة واضحة لاغبار عليها تعتمد على اختيارات مضبوطة وأهداف مرسومة فى المخططات الانمائية والبرامج السكنية والميزانيات الوطنية لا الى شعارات وخطب فياضة بالمشاعر والاحساسات الطيبة لأن الشعارات والاحساسات لاتُوقف عجلة الزمان ولاتحد من وطأة النمو الخلاق الهدام ولاتمنع القصور والمساجد من أن تصير أطلالا سنبكى عليها غدا لأننا لم نصنها اليوم .

حول حماية التراث العمرانى فى المدن العربية :
المراكز التاريخية وطرق صيانتها وتطويرها

عبد القادر الريحاوى

مقـــدمة :

كان طبيعيا أن تتغير معالم المدن القديمة كما تغيرت المفاهيم والأفكار واختلط فيها القديم والحديث . وأصبحنا نجد فى كل مدينة مدينتين ، قديمة هى مستودع التاريخ والتراث ، وحديثة تطبق احدث أساليب التنظيم العمرانى ، وتنشىء العمائر والمبانى بفنونها المعمارية المستوردة والمقتبسة من خير ماوصلت اليه الأمم المتقدمة فى مجال العلم والفن والتكنولوجيا .

وأصبحنا نلحظ فى هاتين المدينتين المتصلتين والمنفصلتين ، نسبا مختلفة ، واشكالا من الانسجام والتقارب ، أو التنافر والتباعد .

ولذا فقد واجه المسئولون عن المدن العربية فى البدء معضلة من أهم معضلات التنظيم العمرانى وأشدها تعقيدا ، فهم قد ورثوا تركة مثقلة بالاعباء الى جانب العبء الكبير الذى يحملونه من اجل حل ازمات السكن ، وتحقيق التطور السريع ، وتحديث المدن وتوسيعها . وقد حققوا ذلك بنجاح وازدادت المدن العربية بقطاعات واسعة من التنظيم العمرانى الحديث ، والمنشآت الضخمة الراقية ، من طرق وجسور ، ومحطات ومطارات ، وأحياء سكنية حديثة ، وحدائق وملاعب .

واصبح المسئولون عن المدن اليوم يحملون عن قناعة مسئولية ثقافية ووجدانية تجاه المدن القديمة ، أو المراكز التاريخية كما اطلق عليها المختصون فى أوروبا ، لا لأنها تراث قومى فحسب ، بل تراث يهم الانسانية جمعاء .

وسأتناول فى هذا البحث المختصر الحديث عن أهمية تراث المدن العربية أولا ثم عن طرق ومبادىء صيانته ، وأخيرا عن خطة عملية لانقاذ المراكز التاريخية وتطويرها ، تتضمن اسلوبا اداريا ومسلكيا ، وحلولا فنية وتنفيذية .

تقويم وضع تراث المدن العربية

النواحى الايجابية :

مما لاشك فيه أن المراكز التاريخية فى كل مدينة عربية غنية بالكثير من عناصر التراث المعمارى والعمرانى العريق ، الذى يظهر الوجه الاصيل للحياة العربية ، والمجتمع الاسلامى ، ومراحل تطوره عبر العصور . ويتجسد هذا فى الخطط والازقة والسكك ، وفى الأسواق والخانات ، وفى الاسوار والبوابات ، وفى العمائر والمنشآت ، الدينية والمدنية ، من مساجد ومدارس وبيمارستانات ، ومن حمامات وأفنية وسقايات . وما فى هذه العمائر من فنون متنوعة ، وبصمات من كل عصر وآوان .

انها سجل تاريخى عامر بألوان الثقافات والتقاليد والمؤسسات الروحية والمادية ، نحس ونحن نتجول فى انحاء هذه المراكز التاريخية برائحة التاريخ ، وذكريات الاحداث ، وماتحدثت به مراجع التاريخ والمغازى ، وماقدمته كتب الرحلات من وصف للمواقع والمعالم والآثار .

النواحى السلبية :

وهى تبدو جلية بمشاهد الفقر والاهمال وعدم النظافة وضعف الخدمات . واذا حللنا هذا الوضع الراهن نراه يرجع الى الاسباب الآتية :

- اضرار متراكمة سببتها الطبيعة والانسان كالزلازل والسيول والحروب والحرائق .
- أدى اهمال وتدنى الخدمات الى هجرة السكان الأصليين باتجاه المناطق المستحدثة ، فحلت محلهم فى مساكنهم الجميلة اسر نازحة ، أو مهاجرة من الأرياف ، وبكثافة تزيد عن الكثافة التى يتحملها المسكن فى الاصل . ومن الملاحظ أن هذه الأسر لاتخولها امكاناتها المادية وحالتها الاجتماعية بذل الجهد للعناية بالمسكن القديم ، بل زاده سوءا ما أقامته هذه الأسر من منشآت طفيلية ومن أعمال التغيير والتبديل باستعمال مواد رخيصة غريبة عن المادة الاصلية للبناء ، شوهت مظهره العام .
- أحياء أخرى تحولت مبانيها ومساكنها الى مستودعات ومصانع الحقت بها الخراب والتشويه .
- أدى الاسراف فى زيادة الفعاليات الاقتصادية من صناعة وتجارة داخل المراكز التاريخية الى تضخم حركة النقل ، وتوغل وسائل النقل الآلى فى السكك والأزقة التى لم تخلق لمثل هذه الوسائط . واثار ذلك مشكلات مستعصية ، كان حلها مع الأسف فى بعض المدن كارثة حلت بالمركز التاريخى ، فلقد اضطر المسئولون فى البلديات الى شق الطرق الواسعة على حساب نسيج المدينة التقليدية ومبانيها التاريخية ، واستتبع ذلك استمرار عملية الهدم والتجديد وبذلك تقطعت أوصال المركز التاريخى ، وزالت منه قطاعات بكاملها وحلت محلها جيوب غريبة بتخطيطها وعمرانها ، وحدث التنافر وعدم الانسجام ، وظلت المشكلة مع ذلك قائمة ، بل ازدادت تعقيدا ، فى اكثر مدننا العربية كالقاهرة ودمشق وحلب ومكة والمدينة وجدة ، ولم ينج منه سوى القليل ، امثال فاس وتونس والقيروان والقدس .

طرق الحماية والتطوير :

المبادىء العامة :

هناك مبادىء اساسية يجب الاخذ بها عند وضع خطة العمل لاصلاح وتطوير المركز التاريخى أود أن الخصها فيمايلى :

- ان يهدف المشروع الى تخليص المركز من مظاهر الاهمال والعزلة ، والى توفير الخدمات الضرورية ، ضمن حدود الحفاظ على البنية الأصلية والطابع التاريخى وما فى المنطقة من، آثار العمران والعمارة الأصلية .
- ان لايكون من أهداف المشروع تحويل المركز التاريخى الى قطاع متحفى غرضه تحقيق اغراض السياحة فحسب ، بل يجب أن يكون الهدف الأساسى احياء المنطقة التاريخية وجعلها تعيش حياة العصر ، وممارسة وظائفها التقليدية ، السكنية والاقتصادية والادارية . وان مثل هذا الدور يكفل للمنطقة التاريخية سبل البقاء ويوفر لها اسباب العناية .
- عدم زيادة النشاط الاقتصادى زيادة لم يألفها المركز التاريخى أو تفوق امكاناته ، لئلا يسبب له هذا التضخم فى النشاط التمزق والتفجر ، كما حدث لمدينة دمشق القديمة مثلا .
- الوظيفة السكنية يجب أن تكون من أهم وظائف المركز على أن تتناسب مع الحدود التقليدية ويكفى أن يحقق المشروع توفير المسكن اللائق المزود بالخدمات والمنافع ، ضمن الوحدة السكنية التى هى ايضا قد زودت بالخدمات والمنافع التى تفرضها حياة العصر ، اضافة الى ما يتوفر فى الاصل فيها من جو الحرية والراحة النفسية والهدوء .
- لابد من الافادة من المبانى العامة كالحمامات العامة والخانات والمدارس والبيمارستانات وغيرها ، باستثمارها فى وظائفها الاصلية ، أو فى خلق وظائف جديدة لها ذات اغراض سياحية وثقافية ، أو كمؤسسات حكومية وأسواق للصناعات التقليدية والمعارض الفنية وغيرها .

٨٢ خريطة دمشق القديمة

الخطة العملية :

- **التهيئة الادارية** : يجب أن تسبق تنفيذ المشروع اقامة الجهاز المناسب القادر على تولى اعمال التنفيذ ، المزود بكافة الامكانات والخبرات والصلاحيات .

كان المسئولون فى المدن العربية يعالجون قضايا المدن القديمة أو المراكز التاريخية باساليب مختلفة لم تكن فعالة بسبب الروتين الادارى الذى تسير عليه ، أو بسبب عدم الايمان بالفكرة أو بسبب قلة الاعتمادات أو لاعتبار مثل هذه المهمة عملا ثانويا يوضع على هامش المشاريع البلدية العديدة ، وخطط الاسكان والتوسع العاجلة ، فيضيع أو ينسى فى زحمة هذه الاعباء .

وقد أوحت الى التجربة والممارسة بأن الطريقةالناجحة هى فى احداث هيئة أو مؤسسة مستقلة اداريا وماليا ، أى بلدية خاصة متفرعة لشئون المركز التاريخى تضم الاجهزة الادارية والفنية ، والخبراء والمختصين ، ومزودة بموازنة مستقلة واعتمادات كافية للانفاق على المشاريع .

ومن الطبيعى أن يتم احداث هذه الهيئة بتشريع لاحق للتشريع الخاص بنظام الحماية الذى يعين حدود المركز التاريخى ويوجب حمايته والحفاظ عليه وصيانته . ولابد ان يتضمن نظام الهيئة المشار اليها منحها صلاحيات واسعة فى المركز التاريخى ، تشمل اعمال الهدم والانشاء والترميم ، والاستملاك والاستثمار ، ومراقبة وقمع المخالفات التى تسىء الى أهداف الحماية .

- **خطة العمل** : بعد احداث الهيئة المقترحة وتزويدها بالامكانات والصلاحيات التى تقدم الاشارة اليها ، تبدأ بتحقيق الخطة المؤلفة من المراحل الثلاثة : الدراسات – المشروع العمرانى الجديد – تنفيذ الأعمال .

- **مرحلة الدراسات** : يتعاون فى تهيئة الدراسات جهاز مؤلف من اخصائيين فى الشئون السكانية والعمرانية والعمارة والتاريخ والآثار والاجتماع والاقتصاد والاحصاء .. الخ .

تتناول الدراسة جمع المعلومات النظرية والميدانية، ووضع الخرائط التفصيلية والتحليلية عن أوضاع المدينة القديمة ، وتميز بين الوضع الاصيل عن الوضع الطارىء الطفيلى .

وتتناول كذلك مسحا عقاريا وسكانيا ، مستندا الى استمارات خاصة بكل عقار أو بناء ، تجمع فيها المعلومات المختلفة المتعلقة باقسامه وعناصره ، وتقويمها من الناحية الفنية والانشائية . ومعلومات عن وظيفته الاصلية واستخدامه الحالى ، وعن عدد سكانه ووضعهم الاجتماعى ، الى غير ذلك من المعلومات التى تفيد فى تكوين صورة حقيقية عن المركز التاريخى ، وتساعد فى تهيئة مخطط الاصلاح والتطوير .

- **المخطط العمرانى الجديد** : يجب أن يلحظ المخطط العمرانى الجديد النواحى التالية :

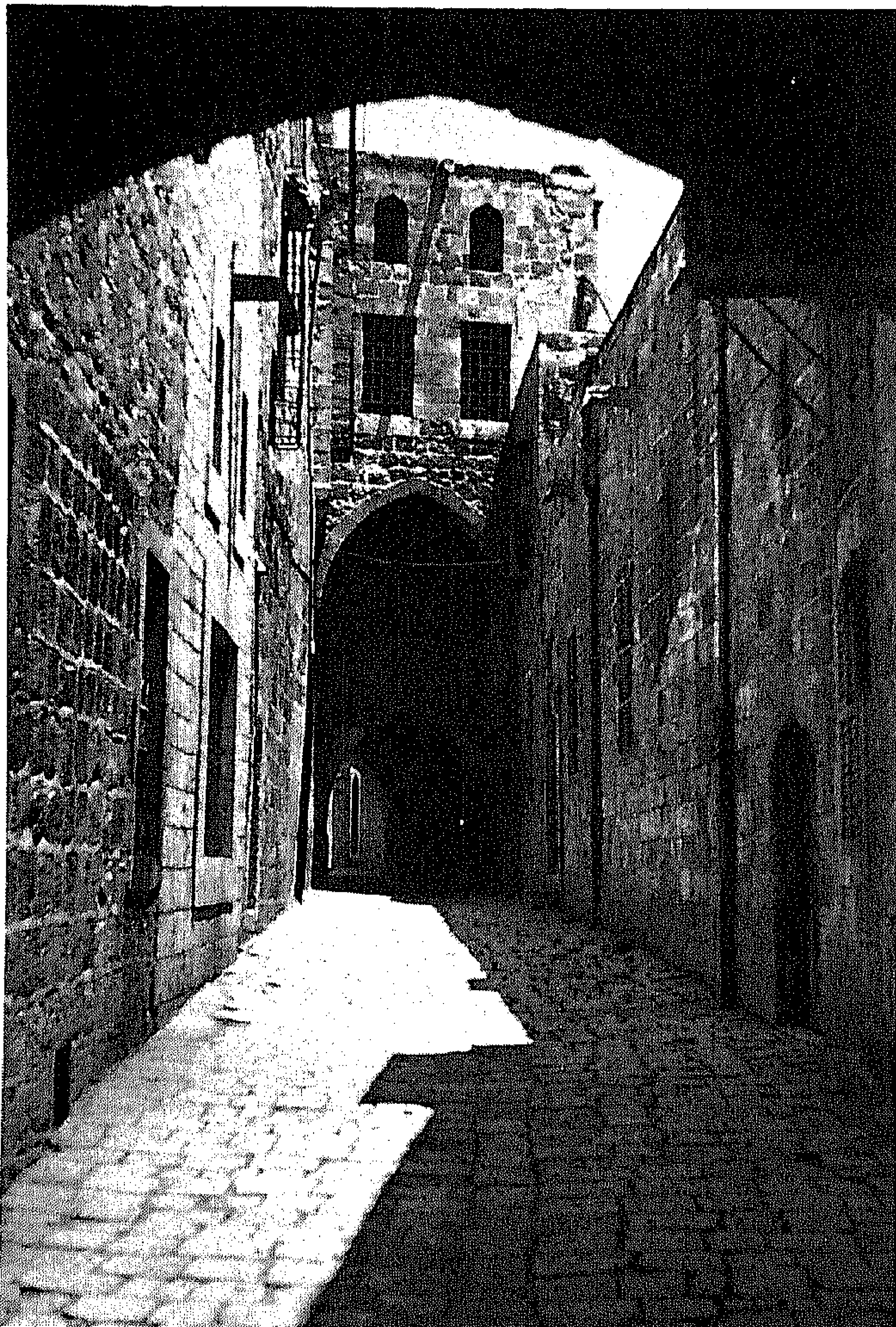
.. التنظيم الجديد للطرق والسكك ، سواء ما أمكن اعادته منها الى وضعه الاصيل أو ما أمكن تعديله على ضوء الدراسات الجديدة .

.. تعيين مايجب هدمه وازالته من المنشآت الطفيلية أو المتهدمة التى لاتتوافر فيها قيم فنية أو تاريخية أو معمارية ، والافادة منها فى افساح اماكن للحدائق والساحات العامة ، وما يحتاجه المركز التاريخى من المؤسسات والخدمات العامة ، كالمدارس والمستشفيات والادارات الحكومية الاخرى .

.. تعيين المبانى المسموح بتجديدها والشرائط المعمارية ، والوجائب المناسبة لها .

.. الكشف عن اماكن المواقع والمبانى التاريخية ، وابراز معالمها .

.. يجب ان يلحظ المخطط الاحتفاظ بالنشاط الاقتصادى المناسب والاسواق التقليدية ، على أن يبعد كل ما يمكن أن يلحق الضرر بالمركز التاريخى من الفعاليات التى تفيض عن طاقته والمصانع والمهن التى تسبب الحرائق أو الاضرار بصحة السكان .



٨٤ حلب القديمة – سوريا

.. وتأتى اخيرا مشكلة المواصلات ، وتنظيم شئون السير فى المخطط الجديد ، وهى مشكلة تحتاج الى مزيد من الدراسات الدقيقة والحلول المبنية على الخبرة والتجربة .

- **مرحلة التنفيذ** : بعد اقرار المخطط العمرانى الجديد ووضعه موضع التنفيذ ، من المستحسن اتباع الاسلوب المرحلى ، وتقديم الاهم على المهم ، فى تنفيذ اعمال الاصلاح والتطوير ، وفى ترميم القطاعات التى يتكون منها المركز التاريخى . ويمكن ان نحدد أهم اعمال هذه المرحلة وشروط تنفيذها فيمايلى :

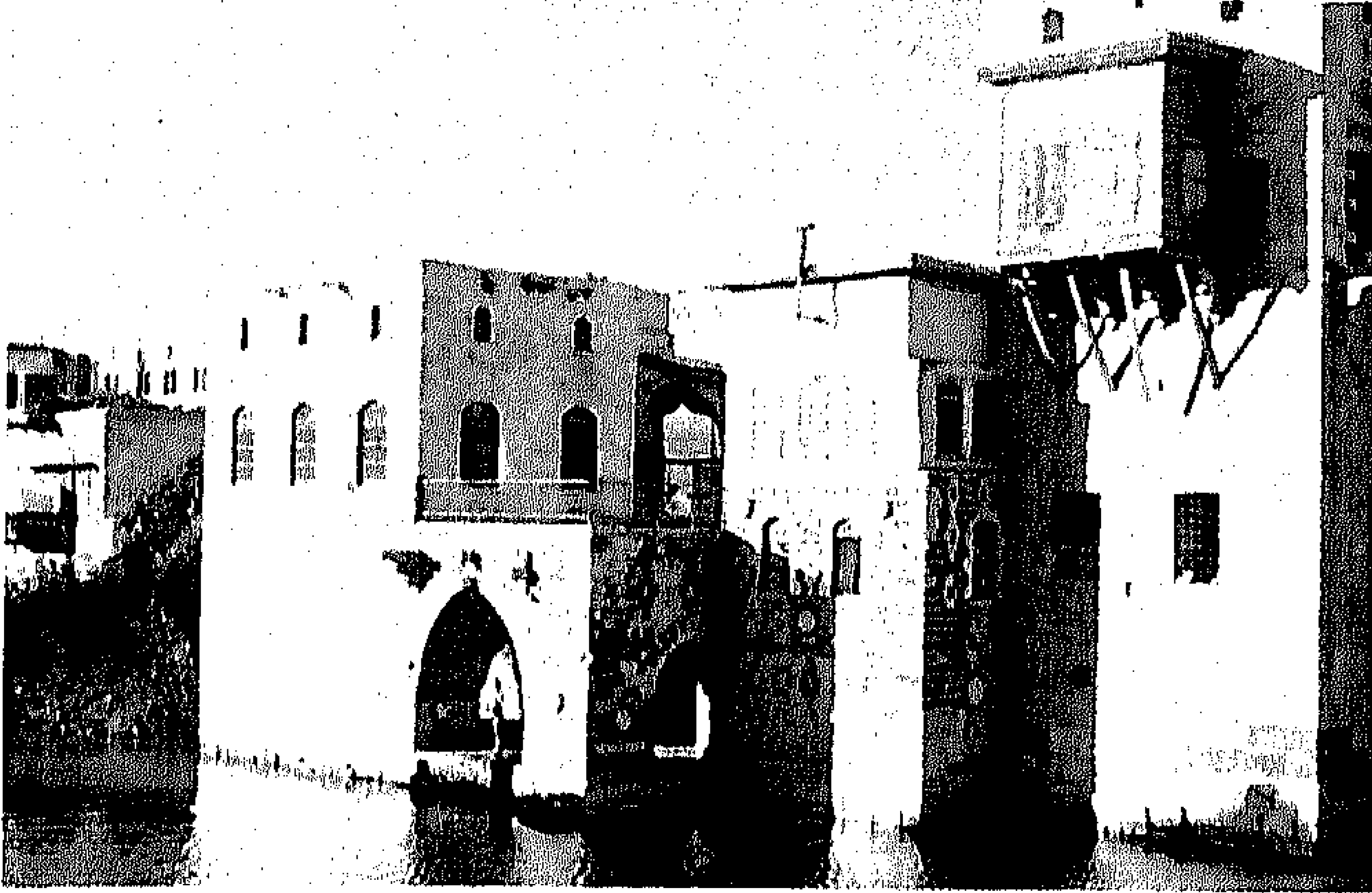
.. هدم ماتقرر هدمه وازالته من المنشآت الطفيلية والمهترئة .

.. القيام باعمال الحفريات وشق الطرق والمجارى وتمديدات خطوط الكهرباء والهاتف والمياه .

.. المباشرة بأعمال الترميم العقارى ، الجماعى والافرادى . ونقصد بالجماعى ، الترميمات التى تشمل السوق أو الحى بكامله ، من سوق وجدران وبلاط وأرصفة . أما الاصلاحات الافرادية فهى التى تخص ما يحتاجه كل مبنى على حدة من اعمال داخلية تشمل اعادة المبنى الى وضعه الاصيل بازالة العناصر الطفيلية وتقوية واصلاح العناصر الاخرى واحداث الخدمات والمنافع التى تفتقدها المساكن القديمة ، كالحمامات والمطابخ ووسائل التدفئة ، وكل ما يرفع مستوى العيش فى هذه المساكن ، دون الاساءة الى طابعها التاريخى .



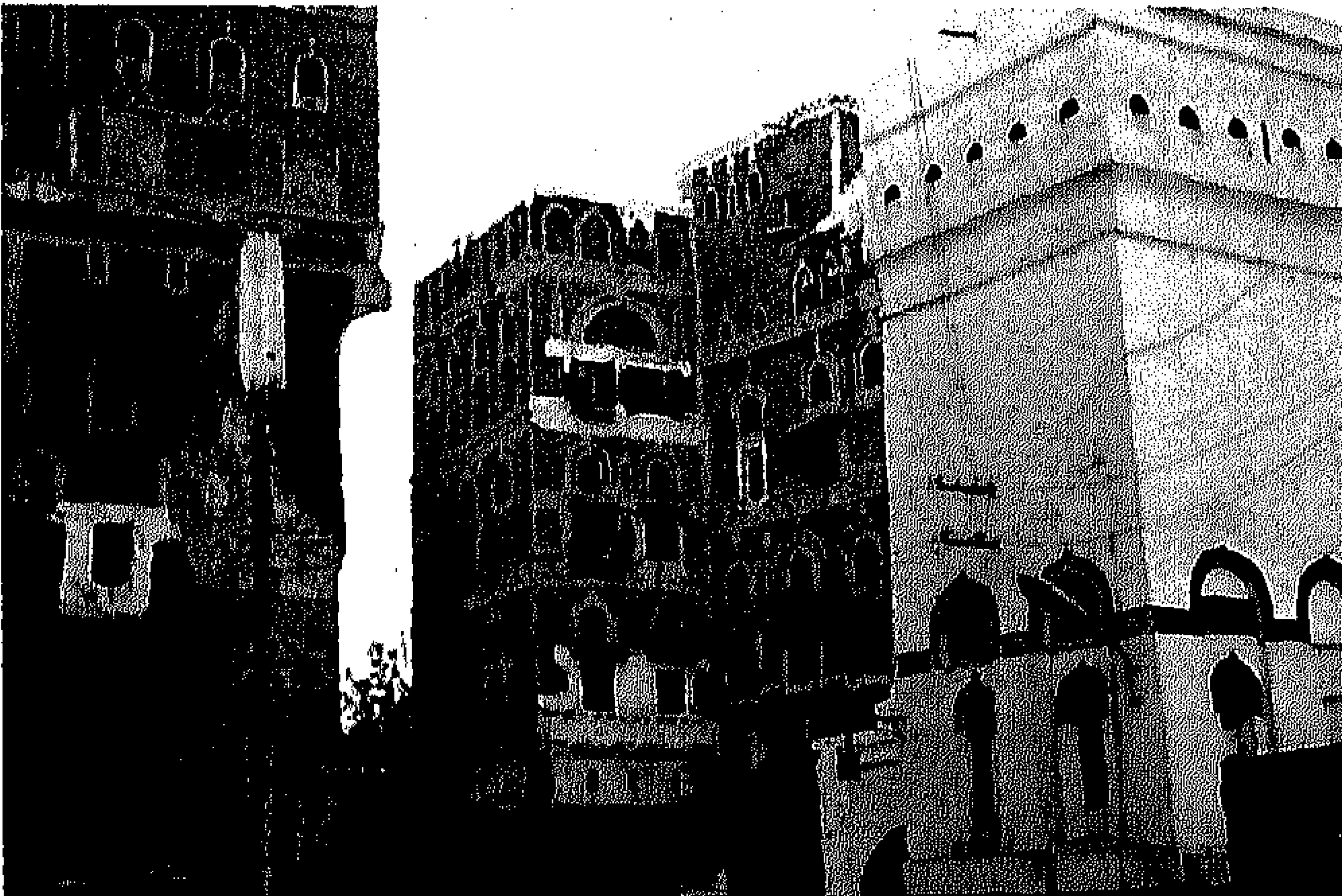
٨٥ حلب - سوريا



٨٦ حماه - سوريا



٨٧ تطوان - المغرب



٨٨ صنعاء

توصيات عامة :

واخيرا فانى اود أن اختم بحثى بتوصيات عامة أؤكد على ضرورة الاخذ بها عند تطبيق خطة حماية المراكز التاريخية وانقاذها .

أولها : السخاء فى وضع الاعتمادات ، والسرعة فى العمل . لأن هذه المراكز اصبحت كالرجل المريض ، ولم تعد تقوى على الانتظار ، وهى فى كل يوم تزداد سوءا .

ثانيها : تجنيد الأيدى الخبيرة لتتولى التقويم الفنى للتراث العمرانى والمعمارى ، وتقرير مايجب هدمه ومايجب الحفاظ عليه ، وتطبيق الاسلوب العلمى المعتمد عالميا فى ترميم المبانى التاريخية ، وكذلك من أجل وضع هندسة العمائر الجديدة ورسم عناصرها .

ثالثها : المراقبة الحازمة لمنع الافراد من القيام بما يسىء الى المركز التاريخى ويشوهه كالهدم والتجديد والتغيير والتبديل .

حول حماية التراث فى مكناس

عضيمى محمد

مقـــدمة :

نشأ فن العمارة الاسلامية فى بناء المساجد والجوامع فكانت أبنية بسيطة للصلاة والوعظ والاجتماعات العامة ليست فيها نزوع الى اتقان فن العمارة والزخرفة ، وفى مثل هذه المبانى البسيطة لم تكن هناك حاجة لمثل هذه الاساليب ، وقد ظهرت الجوامع والمساجد بالرغم من التغيرات التى طرأت على بنائها بيتا للعبادة ورمزا للوحدة الدينية والدنيوية ، انتقل العرب بعد ذلك من القناعة بالضرورى اللازم الى الطموح فى اقامة الابنية الضخمة انتقالا سريعا ، فلم يمض على وفاة النبى الكريم ﷺ عشرون عاما ، حتى أعيد بناء مسجده بالمدينة المنورة ، وبعد سنين قليلة أدخلت المقصورة فى عمارة المساجد ، ثم ظهرت المآذن والمحارب وأنواع أخرى من الاشكال الهندسية المتنوعة التى عمت أفق البلاد الاسلامية ، وهكذا نرى عمارة المساجد والجوامع تتطور فى زمن أصبحت تشمل جميع المظاهر الرئيسية العامة فى البناء ، فالطراز الاموى الذى هو اقدم الطروز الاسلامية لم يكن فى مطلع أمره بسيطا كما يخيل الينا ، لان العرب بدأوا باقتباس أساليب الفنون المعمارية المسيحية البيزنطية التى وجدوها فى سوريا والشرق الادنى ، ومن هذا الامتزاج ظهر طراز أموى بديع نقله قواده الى سائر الاقاليم الاسلامية على يد صناع كانوا يستقدمونهم من الشام ومصر ، وقد بقى هذا الطراز سائدا فى المغرب واسبانيا حتى دالت دولتهم وآلت الخلافة الى العباسيين حيث ظهر ثانية طراز جديد لا أحد ينكر تأثيره بالاساليب التقنية الموروثة عن البابليين والاشوريين .

لقد بلغ الطراز العباسى أوج عظمته فى سمراء . واستطاعوا فرض أساليب عمارتهم على الامبراطورية الاسلامية كلها وكان عصرهم عصر ثورة ملموسة لا فى العمارة فحسب بل فى مختلف الفنون الاخرى حيث مالوا الى حياة الترف وبناء القصور بالاثاث النفيس وأسباب الراحة ، كما بنوا المدارس والاضرحة وكلها كانت بفن رفيع يدل على ذوق ومهارة عالية ونفس الشىء فعله العرب عندما حلوا بالاندلس حيث الاثار العمرانية بادية للعيان ، وقد ظلت شامخة تبرهن على مقدار مابلغه الفن المعمارى العربى من رفعة وعظمة الى اليوم ، وفى المغرب كذلك لدينا من البيانات مايثبت أن البنائين فى أيام ملوك البربر كانوا من العرب وقد روى أن اميرى المرابطين والموحدين يوسف بن تاشفين ويعقوب المنصور الموحدى احضرا من الاندلس مهندسين لانشاء المبانى التى أقاموها فى مراكش والرباط وفاس .

أصالة المدينة العربية

ليست أصالة المدينة العربية دعوة طارئة ، بل هى هواية لابد ان تلازم العمل الفنى والادبى المبدع ، فاذا كتب للدول العربية أن تكون خاضعة للنفوذ السياسى والثقافى الأوروبى وأن تتبنى منجزات الغرب لاقامة نهضتها ، فإن عمليات التحرر قد فتحت الابواب على مصراعيها لمواصلة عماد البناء الحضرى . وهكذا فإن مسألة الاصالة وجدت مكانها الصحيح على الأرض العربية ليس فقط بفضل ظروف الوجود السياسى المتحرر ، بل كأساس لتحديد شخصية منفردة للثقافة الجديدة فى البلاد العربية .

والاصالة هى شرط اساسى لمشروعية العمل الفنى والادبى المرتبط بروح حضارة أمة من الامم فى المجتمعات الموحدة ، والقوميات المتعددة ، فالذين يرفعون الراية باسم التجديد والتخلى عن النهضة العربية الاسلامية ، والتى هى خليط من عدة تجارب ناجحة ، فانهم يريدون أن يجعلوا من عملهم هذا هدم ما بنته الامة العربية منذ آلاف السنين . ونحن ننتقد فكرة المعاصرة التى تتضمن حقيقتها التقليد والمحاكاة ، واستيراد الاساليب الغربية التى كانت السبب فى التخلى عن الشخصية الفنية الاصيلة للالتحاق بالشخصية الفنية العربية . أما المعاصرة بمعناها العام فهى معايشة الظروف الراهنة والتطلعات المستقبلية .

مدينة مكناس كنموذج :

مكناس مدينة أصيلة ، فضلها الله تعالى ورعاها ، يتوسط مدينة مكناس سهل فسيح تبلغ مساحته ٤٠٠٠ هكتار وتعلو فى وسطه تلة جميلة ، وتظللها مئات الآلاف من أشجار الزيتون المغروسة فيها والتى تزيدها حسنا وجمالا دون أن تخفى أسرارها ، فجاءت فائقة الحسن ، كما أنها جمعت بين الطريف والتليد والقديم والجديد وهى احدى حواضر المغرب بعد سجلماسة مركز بنى مدرار ، وفاس كرسى الادارسة ومن اقتفاهم ، ومراكش دار المرابطين ومن بعدهم ، وقد مرت عليها أيام كسبت فيها نضارة الحضارة وظللها جلال الملك والامارة أيام السلطان المنعم المولى اسماعيل نور الله ضريحة ، وكانت مأوى الوزراء والكتاب والشعراء وأرباب العلوم والصنائع والفنون ، وقد توالت عناية مختلف ملوك الدولة العلوية الشريفة بهذه المدينة .

وتوجد مدينة مكناس على علو ٥٠٠ م من سطح البحر ، وتبعد عن الرباط العاصمة الادارية للملكة بـ ١٤٠ كم ، وعن فاس العاصمة العلمية بـ ٦٠ كم ، وعن الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية بـ ٢٣٠ كم ، وعن طنجة عروس الشمال بـ ٢٩٠ كم ، وعن ايفران الساحرة بـ ٧٠ كم ، وعن مولاى ادريس زرهون مهد دولة الادارسة بـ ٢٦ كم ، وبهذا تكون مدينتنا فى موقع استراتيجى مهم يجعلها تربط بين شمال المغرب وجنوبه وشرقه وغربه .

لقد روعيت فى بناء مدينة مكناس الظروف المناخية باعتبار معظم أيام السنة مشمسة ذات شعاع ساطع ، فتم تضييق الطرق وجعل شبابيك الدور الخارجية رفيعة الفتحات ، يتقارب بعضها مع البعض الاخر ، مع جعل الدور والفسحات المكشوفة متجهة لوسط الدار ، فتوافر لذلك جو مظلل مستور قدر الامكان مراعاة للظروف الاجتماعية السائدة حينذاك ، وقسمت الدار الى أقسام خصص كل منها لموسم من مواسم السنة ، أو لاستخدام اجتماعى معين منه للضيوف وآخر للنساء ، وهكذا جعلت الدار مكونة من طابقين تسهيلا للمهمة ، وأكثر من استخدام الخشب للحد من تقلبات درجة الحرارة فى داخل الدار واستعمال الزجاج المتعدد الالوان لتلطيف الأشعة عند مرورها الى داخل الغرف .

أن الطابع الغالب على أكثر هذه المدينة هو الطابع الاندلسى ، ويرجع السبب فى هذا الى أن مدينة مكناس كانت ملجأ المهاجرين الاندلسيين ، ولهذا نرى طراز البناء فيها قد اقترب الى الفنون الاندلسية ، فأبنيتها المتلاصقة والتى لاتستعمل فيها النوافذ المطلة على الشارع الا نادرا ، الشئ الذى يعكس المظهر الخارجى عما بداخل الدار من جمال وفتنة وهى تختلف عن سائر المدن المغربية بالمتانة ، فيعد باب المنصور الفخم فيها آية فى الفن والزخرفة والاتقان ويمكن ابراز خصائص معالم الجمال بالمدينة فيمايلى :

– الزخرفة بأشكالها المختلفة النباتية والهندسية .
– الخط العربى المستخدم فى تزيين الواجهات والجدران وأعالى المداخل الرئيسية .
– الاعمدة الخشبية ذات التيجان المربعة فى الغالب تكون معززة بأشكال الزخرفة .

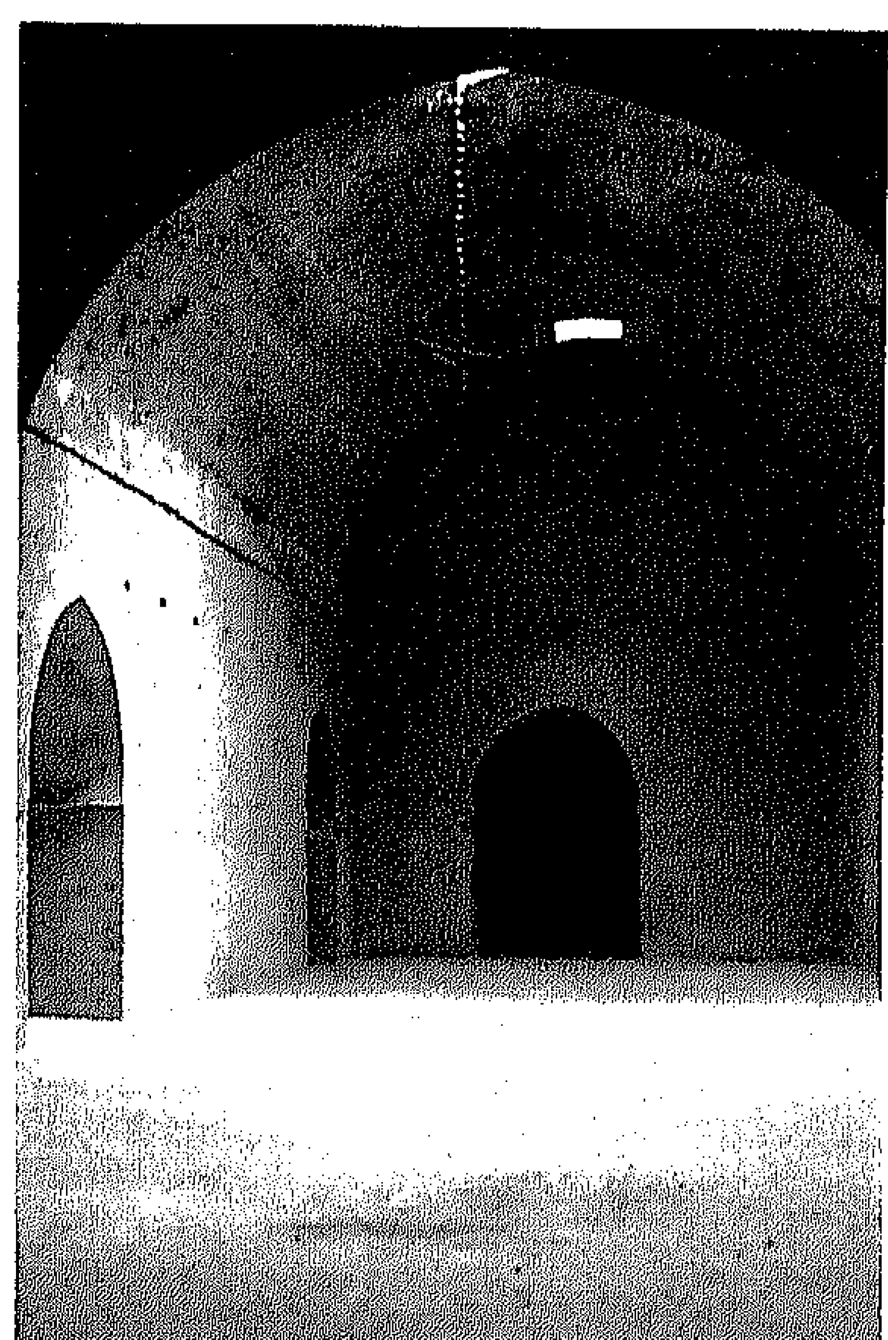
يضاف الى كل هذا مواد البناء المختلفة من الأجور والطين والخشب والجبس ، والزجاج ، والمعادن وغيرها ، وعلى ذكر مادة الطين بالرغم من دورها الثانوى بمقارنتها مع الأجور الا أن الملاحظ أن الابنية السكنية الهامة كانت تبنى من الطين ، ولا أدل على ذلك من وجود قصور وقلاع كثيرة غنية معماريا بنيت من الطين ، وهى قصر مولاى اسماعيل ، وسور المدينة الاسماعيلية العظيم ، حيث يحتوى على مساحات ، يبهر العقول بالكيفية التى شيد بها ، وهو لايزال قائما يطاوع الزمن اسوة بأخواتها حلب والقدس والقيروان وغيرها ، كل هذه المدن تشكل أمثلة حية على قدرة العطاء لهذه المدينة .



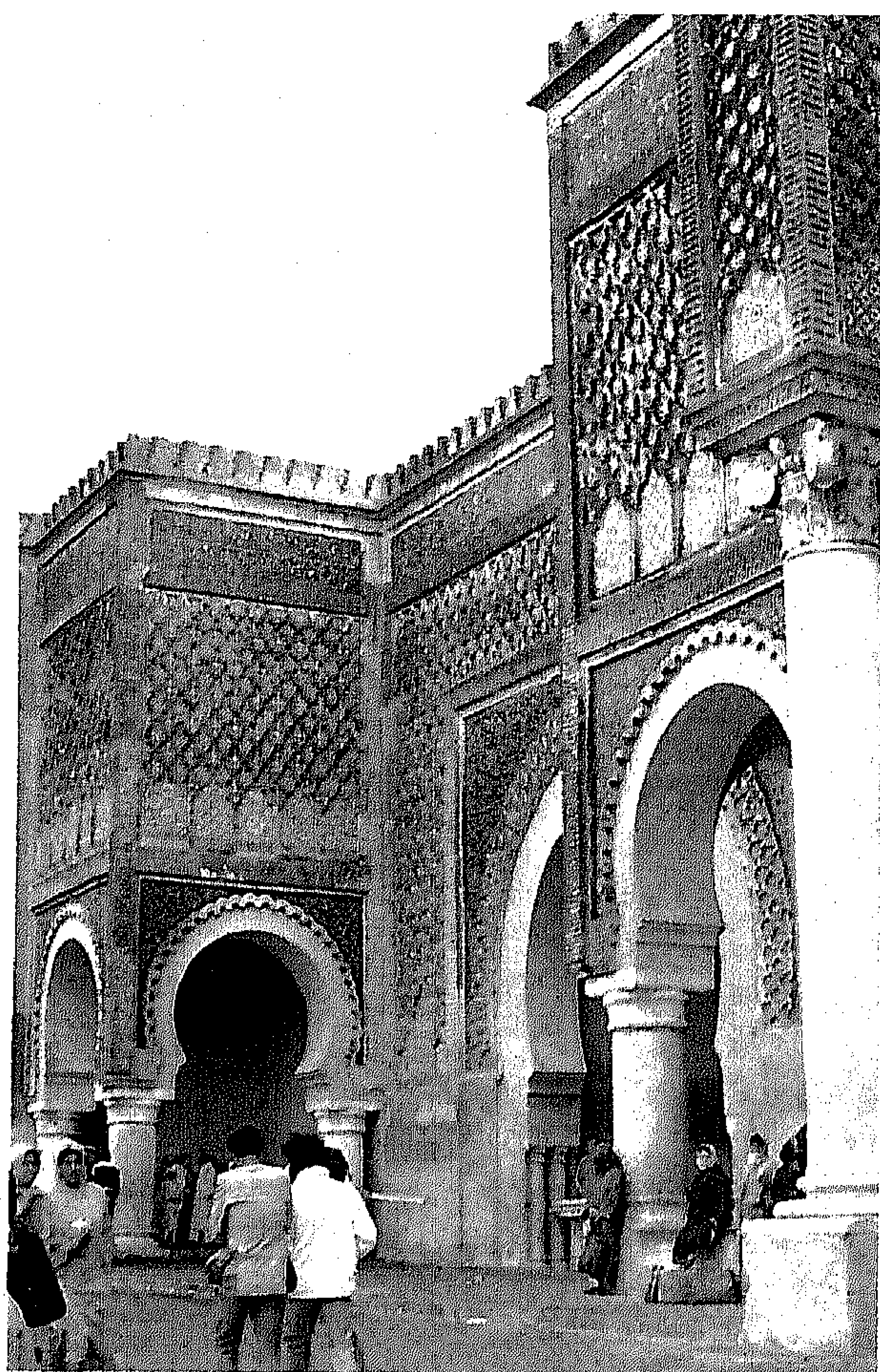
٨٩ منظر من مكناس ـ المغرب



٩٠ منظر من مكناس ـ المغرب



٩١ منظر من مكناس ـ المغرب



٩٢ منظر من مكناس ـ المغرب

ولم يكن النشاط الاقتصادى أقل أهمية من الجانب الثقافى ، حيث كانت تشكل محورا رئيسيا للمبادلات التجارية القائمة آنذاك لصناعاتها التقليدية المزدهرة ، وبمهارة حرفها . وان ذروة مدينة مكناس كانت فى المكانة التى وصلت اليها ، ويتجلى هذا فى الاستعمال الدقيق لصرف الحياة وتوزيعها على مجموع أحياء هذا المدينة ، وعلى مختلف النشاطات العمومية من استعمال منزلى ، وصناعى ، وكذا سقى الحدائق والجنان .

وفى التنظيم المعمارى للمدينة على شكل احياء مستقلة نسبيا تتوافر على مراكز ثانوية تضم جميع المرافق الضرورية كالمساجد والجوامع والافران ومن مميزات هذا النظام ، وجود مركز رئيسى بوسط المدينة لجمع باقى الوظائف الدينية والثقافية . والتجارية ، وكذا الاندماج بين الفئات الاجتماعية على مستوى الاحياء ، دون تميز بين سكنى فئة عن أخرى من حيث موقعها فى الحى وهندستها المعمارية ، ثم الابداع العمرانى الذى يتجلى فى فن الزخرفة والنقش الذى تزخر به الجوامع والفنادق والمدارس والقصور والمنازل ، وعلى سبيل المثال ، فان الجامع الكبير يمثل أحسن نموذج لفن العمارة الاسلامية الاصيلة ، وتميزها بطابع خاص ، بالاضافة الى مساهمته فى الميدان الثقافى وتكوين نخبة من المواطنين الذين ساهموا فى التحرير الوطنى ونشر الوعى فى المجتمع المغربى خلال مراحل زمنية متلاحقة .

ان التطور المعمارى الذى عرفته مدينة مكناس منذ نشأتها على يد المولى اسماعيل ، كان تطورا يواكب حاجيات السكان فى النجاح التام مع بيئة المدينة وخاصياتها الطبوغرافية والمناخية ومع محيطها الطبيعى .

لقد بقى هذا التطور مسترسلا حتى بداية القرن ٢٠ الذى عرف تغيرات وتقنيات اجتماعية واقتصادية وثقافية وديمقراطية أدت الى اختلال فى التوازنات المعمارية التى كانت تطبع المدينة ، فأصبح اطار الحياة الحضرية بفعل ضغوط شتى يعانى من عدة مشاكل نذكر منها على الخصوص :

التقهقر الذى عرفته الوحدات السكنية بالمدينة العتيقة نتيجة النمو الديموغرافى الطبيعى ، وكذا ظاهرة الهجرة من البادية الى المدينة .

لقد أدى هذا الاكتظاظ الى فقدان المدينة لكثير من مساحتها المخضرة التى كانت تساهم فى التوازن مابين المجال المعمارى والمجال الانسانى ، كما أدى الى طرح مشكل التجهيزات الاجتماعية والثقافية التى لم تعد قادرة على سد حاجيات السكان المتزايدة داخل المدينة .

ان عدد سكان المدينة العتيقة داخل الاسوار التى أقيمت على عدة هكتارات لاتتسع لتلبية كافة الحاجيات من سكن وغيرها ، وعليه فان عملية الحفاظ ستبدأ بالتخفيف من الاكتظاظ السكانى بداخل المدينة فى اطار تخطيطات التنمية الاجتماعية للسنوات القادمة والمقبلة ، وتدهور شبكة المياه بالمدينة التى لم تعد تلبى حاجيات السكان ، والتى أصبحت تشكل خطرا بالنسبة لمجموع نباتات المدينة وتهدد قاعدتها البنيوية بالانهيار ، والمشاكل التى تعترض نمو قطاع الصناعة التقليدية التى كانت تشكل القاعدة الاقتصادية للمدينة والتى أصبح دورها الانتاجى يتقلص .

ان مختلف هذه المشاكل وصل الى درجة كبيرة من الصعوبة أصبح معها كيان المدينة مهددا بالاتلاف ، وبالتالى أصبح من الضرورى الوعى بهذه الوضعية المتدهورة والعمل على انقاذها حسب خطة محكمة تراعى حاجياتها وأهميتها لتراث اسلامى عربى يشكل جزءا مهما من تراث الانسانية جمعاء .

سبل الحفاظ على طابع المدينة العربية وشخصيتها

ان سبل الحفاظ على طابع المدينة العربية وعلى تراثها يشكل حصيلة عدة عطاءات حضرية لمجتمع معين عبر المراحل التاريخية يمكن تمييزه من خلال مظهرين أساسيين :

- **المظهر المادى :** ويتضمن المناهج والقيم الفكرية والفلسفية وما أشبه ذلك ، والتى تشكل بمجملها الجوهر الروحى لهوية تجمع أو حضارة معينة ، وهو الاطار الذى يشكل المحرك الرئيسى لتقريب الصيغ المادية وذلك بالتفاعل مع الظروف التى تطرأ مرحليا .
- **المظهر المعنوى :** وهو الاطار المجسم للعطاء ، ويشمل الممتلكات المتعلقة بالتاريخ الناتجة عن الحفريات الأثرية التاريخية والفنية والمواد ذات الاهمية والقيمة التشكيلية والمخطوطات .

ومن خلال التكامل بين المظهر المادى والمظهر المعنوى للتراث يصبح مسألة احياء التراث على صعيد الحياة الاجتماعية والتكوين المعمارى والفنى أساسا علميا وعمليا رهينا .

أن هدف احياء التراث والحفاظ عليه لايقتصر على صيانة مبنى أو حى معين وجعله مرفقا سياحيا فحسب كما هو الحال فى الآثار ، بينما يتجاوز ذلك الى العناية بايجاد المستلزمات التى تساعد على استمرار النمط والطابع الانتاجى للفنون والحرف التقليدية ذات الصلة الوثيقة بالماضى ، خاصة اذا علمنا بأن المرحلة التاريخية الاخيرة للشعب هى أشد المراحل تأثيرا فيه وفى مستقبله ، وأن دراستها واستيحاء عناصر القوة والابداع فيها يساعد على المحافظة على الهوية القومية للمجتمع ضمن اطار المعاصرة .

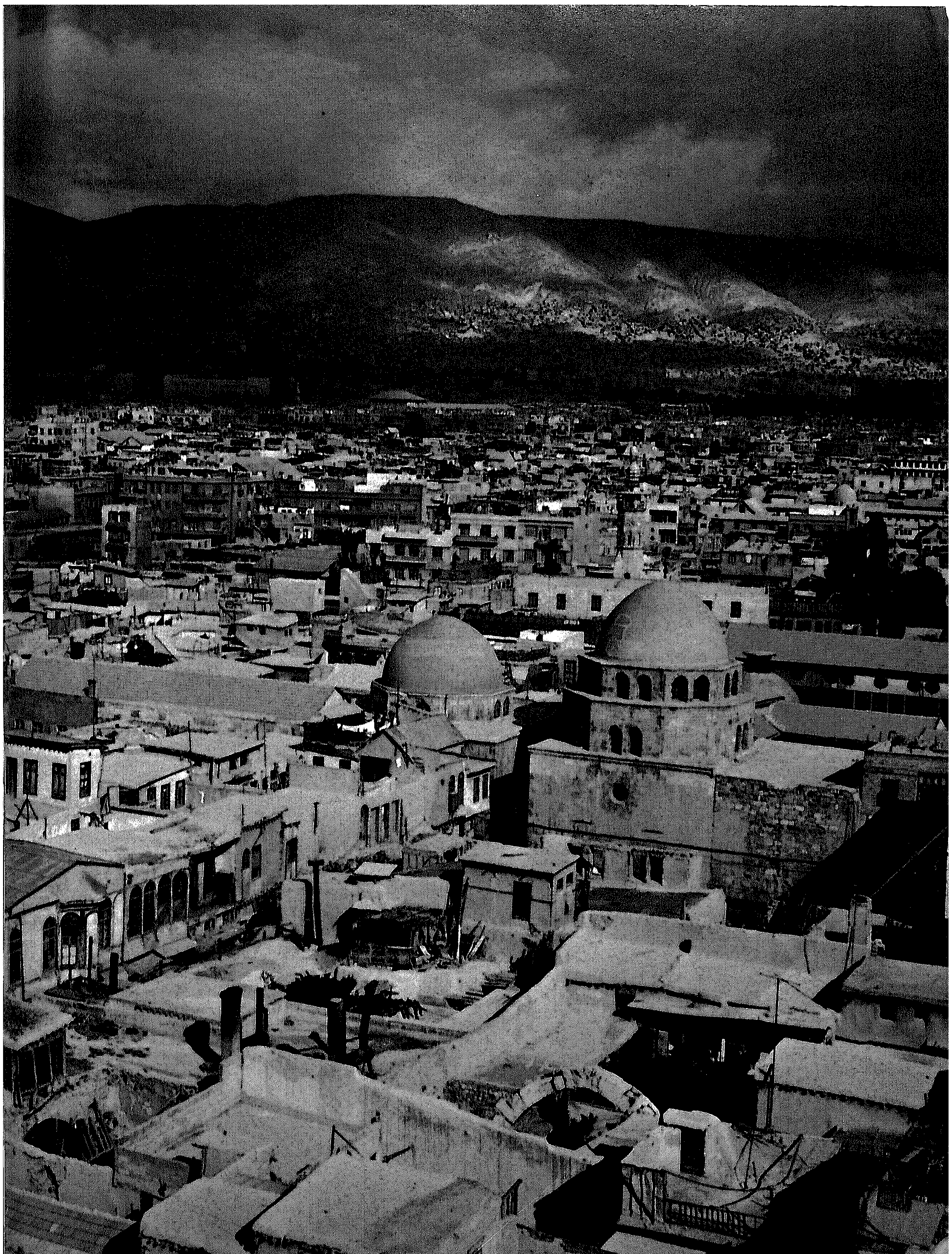
وحماية التراث ظاهرة جديدة لم يعهدها العالم العربى من قبل ، وقد بدأ التحرى الجديد منذ بضع سنوات فقط ، وقد لوحظ أن هناك فارقا بين مستوى التطلعات والقرارات والتوجيهات ، وبين مستوى تنفيذ الواقع .

وقبل أن آت على ختامى لهذا العرض أود أن أقترح للحفاظ على المدينة العربية مايلى :

- القيام بحملة واسعة اعلامية للتعريف بالمدينة العربية ودورها الطلائعى على الصعيد الوطنى والعربى والاسلامى .
- دراسة دقيقة وشاملة لكل جميع مواقف الحياة بالمدينة العربية لترابط ماضيها بحاضرها .
- اصلاح وتوسيع شبكة المياه الصالحة للشرب والكهرباء والوادى الحار والطرق وغيرها والحفاظ على المآثر التاريخية واقامة اماكن مخضرة بداخل المدينة ، بالاضافة الى الحرف اليدوية التقليدية .
- تخصيص غلاف مالى مهم تشارك فيه كل الدول الاعضاء فى المنظمة العربية للمدن .
- مطالبة المنظمة بتبنى توصيات اللجان الوطنية العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ومنظمة اليونسكو الخاصة بالحفاظ وانقاذ المدينة العربية .

◄ منظر مدينة الجزائر بعد الغروب ٩٣





الفصل الثانى

المدينة العربية المعاصرة بين الحاضر والمستقبل

اذا انتقلنا من التراث والماضى الى المدينة العربية المعاصرة وجدنا أن تشكيلها وتركيبها الحالى هو نتيجة مباشرة لتطورات أتت فى القرن الماضى والحالى . وقد تحدث سعد الدين ابراهيم* عن هذه التطورات وقسمها الى أربع « موجات » من التغيير . ترتبط الموجة الأولى بالتدخل الاستعمارى فى العالم العربى فى القرن التاسع عشر الميلادى . أما الموجة الثانية فهى نتيجة لادخال التكنولوجيا الصناعية الغربية فى الحياة الاقتصادية وما واكب ذلك من تغييرات ادارية ونظامية وتقنية مرتبطة بالتصنيع والمجتمع الصناعى المعاصر . أما الموجة الثالثة فهى تلك الهجرة الواسعة من الريف الى المدينة خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية . اما الموجة الرابعة والأخيرة فهى التى نمت من التحركات الدولية الواسعة للعمالة العربية خصوصا بعد الطفرة التنموية الكبرى فى دول النفط فى السبعينات .

ومما لاشك فيه ان النتائج الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية لهذه التغيرات فجرت التناقضات الكامنة بين قوى التأصيل المحافظ وقوى التجديد المستغرب ، خالقة بذلك أزمة حضارية للمدينة العربية الاسلامية ، لاحل لها سوى الاعتراف بأن الاصالة والتجديد هما وجهان لنفس العملة ، وان المخرج الحضارى للازمة يكمن فى مقدرة المثقفين العرب على ايجاد الصيغة العملية لتحقيق ذلك التحرك الحضارى المرموق .

وقد اضاف الى ذلك على الدين هلال دسوقى* مؤكدا على تأثير النمو العمرانى السريع بالعالم العربى أثناء العقدين الأخيرين ، بينما يؤكد فرج ستنبولى** على الازدواجية الفكرية الضالة الضارة التى نمت أثناء هذه الفترة والتى ربطت خطأ بين الدخيل والتقدم من جهة وبين التراث القديم والتخلف من جهة أخرى .

وكل من هؤلاء العلماء الثلاثة يعضد التيار الفكرى السائد الذى تمخض عن الأبحاث المقدمة فى الندوة ، وذلك الذى ينادى بأهمية تأصيل الجديد وتطوير التراث الحضارى كمدخل أساسى لمعالجة مشاكل المدينة العربية المعاصرة .

ومن ثم جاءت الأبحاث المطروحة فى هذا الفصل مكملة لما أتى فى الفصل الأول حيث تطرقت الى أربعة موضوعات ، كل فى قسم مستقل ، وهى :

أولا : المقومات الاصيلة للمدينة العربية :

ونقصد بذلك الفهم الواعى لدور الفضاءات العمرانية فى تكوين البيئة العمرانية الاسلامية ، ولدور الفناء فى المبنى ، ولدور الحديقة فى البيئة المبنية ، وكيف تتفاعل هذه المقومات مع الطرق والمبانى لتحديد مقومات الأحياء السكنية وغيرها من الأحياء التجارية التى فى مجملها ترسم صورة متميزة للبيئة العمرانية الاسلامية .

---

* راجع سعد الدين ابراهيم : « ازمةالمدينة العربية الاسلامية بين الأصالة والمعاصرة » فى ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٣) وسينشر مستقلا فيما بعد .

* راجع على الدين هلال دسوقى « النمو العمرانى السريع بالعالم العربى وتأثيره على المؤسسات والافراد » فى ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٢٦) سينشر مستقلا فيما بعد

** راجع فرج ستنبولى « مستقبل المدينة العربية فى المغرب » فى ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٢٩) وسينشر مستقلا فيما بعد .

ثانيا : أسس المنهج العلمى للتخطيط :

حيث أن العالم فى تطور مستمر ، ولاجمود مع الحياة ، وجب على التخطيط السليم أن ينطلق من هذه المقومات الأصيلة للمدينة العربية ، ويهذبها ويطورها بما يواكب المتطلبات المتغيرة للحياة المعاصرة ، مستخدما فى ذلك أحدث الوسائل مثل تكنولوجيا الكمبيوتر والتقييس لترشيد استخدام أحدث المواد الجديدة جنبا الى جنب مع أقدم الوسائل فى اطار متناسب خلاق . وليس ذلك رومانسية فى معالجة الأمور ، بل هو المنهج العلمى السليم ، الذى منه تنبثق القواعد التنظيمية لتخطيط المدن العربية المعاصرة .

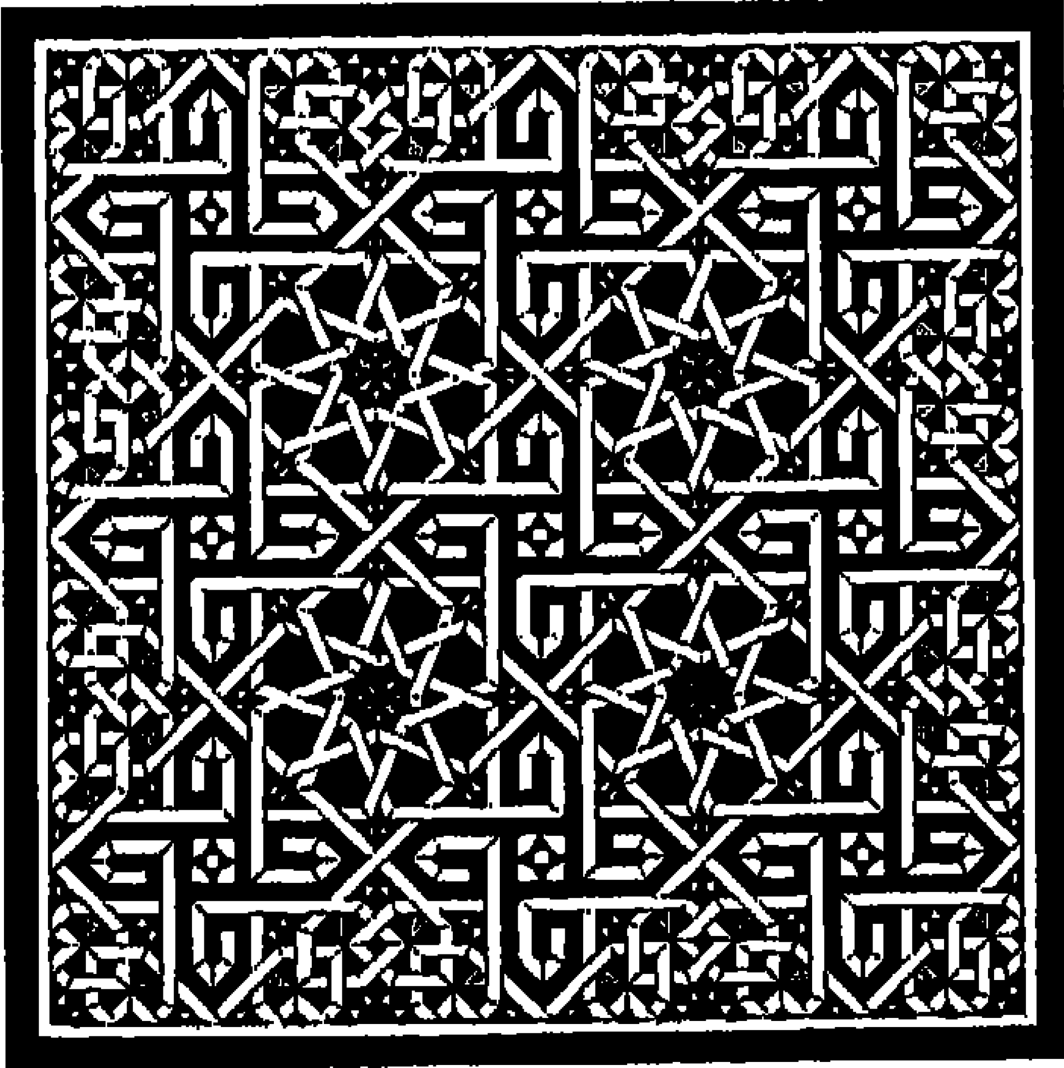
ثالثا : التجارب والمدن الجديدة :

كيف تطبق هذه النظريات فى المشروعات الحالية والتى تحت الدراسة بمدننا العربية اليوم ؟ ولانقصد هنا دراسات حالات معينة لقضايا التراث والتجديد فى المدن العربية الأصيلة مثل المدينة المنورة أو القاهرة أو فاس أو دمشق ولكننا نقصد المشروعات والمخصصات الحديثة التى نفذ بعضها ومازال البعض الآخر فى طور التصميم ، لنلمس الى أى حد التقت المقومات الأصيلة للعمران العربى الاسلامى بالأسس العلمية للتخطيط الحديث ، لتنتج البيئة العمرانية المعاصرة المتميزة التى يستهدفها المجتمعون بالندوة من خلال دراساتهم وتوصياتهم .

رابعا : أساس التحرك مستقبلا :

لايمكن الربط بين الماضى والحاضر والمستقبل بدون التطرق الى كيفية تأسيس المناخ الفكرى المناسب وكيفية اعداد الأجيال القادمة من المسئولين الذى سيتحملون عبء معالجة مشكلات المدن العربية خلال القرن الخامس عشر الهجرى .

وفى هذه الموضوعات المتضافرة العديد من الخيوط التى تربط الماضى بالحاضر والحاضر بالمستقبل ، ولكنها أيضا تفتح العديد من النوافذ على العالم غير العربى عامة ، ومكذبة بذلك القائلين بأن هذا الاهتمام بالتراث والتأصيل يؤدى بالضرورة الى الانغلاق ، مبينة أن العكس ، هو الأساس العلمى الوحيد الكفيل بالتحرك والتقدم والحياة مع الحفاظ على الذاتية وتلافى التخبط والضياع .



٩٥ رسم هندسي من الفن العربي

٩٦ منظر جوي لمدينة صنعاء ◄



القسم الأول

المقومات الأصيلة للمدينة العربية

يتصدر أبحاث هذا القسم ملخص لأراء أعرب عنها حسن فتحى عن **العمارة الاسلامية والتعبير الحضارى الأصيل فى المدينة العربية المعاصرة** ، يؤكد فيها على حقيقتين : أولا : أنه لايجوز النقل الأعمى من حضارة الى أخرى ولايجوز الخلط بين النقل والاستفادة التى بلا شك فيها اثراء وتنمية ، وثانيا : أن أدوات العلم الحديث تصلح أن تكون هى الفيصل لتقويم صلاحية الحلول المعمارية التقليدية والمستحدثة وملاءمتها للبيئة والمجتمع .

وتأتى باقى الأبحاث فى هذا القسم مكملة لهذه الرؤية ، مدعمة لهذه الأراء وتكون فى مجموعها صورة واضحة لبعض المقومات الأساسية للمدينة العربية ، وهى :

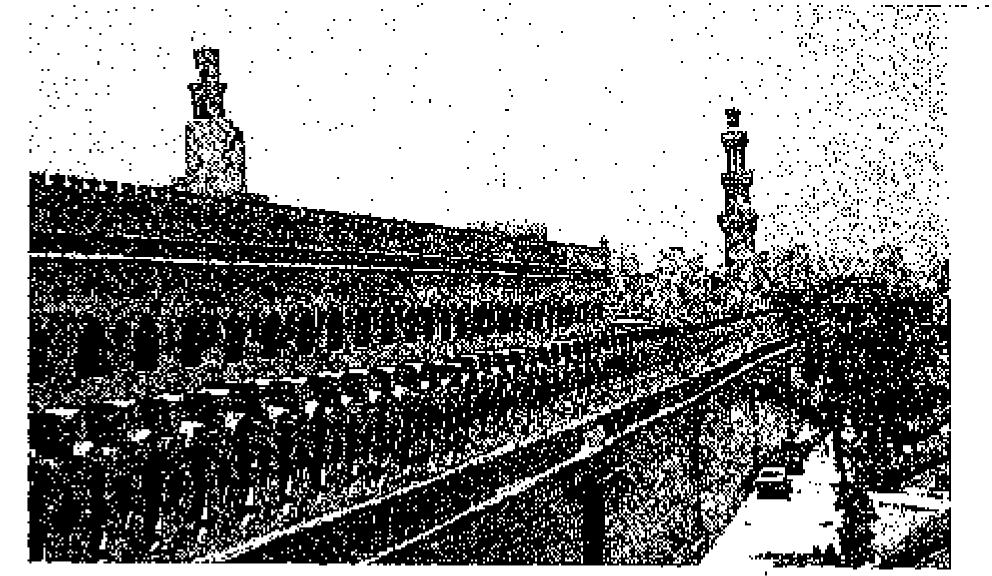
أولا : دريد الياور الذى يبحث فى **دور الفضاءات العمرانية فى المدينة الاسلامية** ، وينفتح على تطورها وآفاقها المستقبلية مع اشارة خاصة الى الكويت .

ثانيا : أسمهان صوفان التى تناقش **الحى السكنى فى المدينة العربية المعاصرة** باعتباره أساس التكوين العمرانى لأى مدينة .

ثالثا : صفى الدين حامد الذى يتطرق لموضوع **الحديقة الاسلامية** ودور مصمم المواقع فى تطوير المدينة العربية .

رابعا : على بسيونى الذى يذكر باختصار **الفناء كعنصر هام فى المدينة العربية** مستندا الى رأى المعمارى الكبير لوكوربوزييه ذاته فى هذا الموضوع .

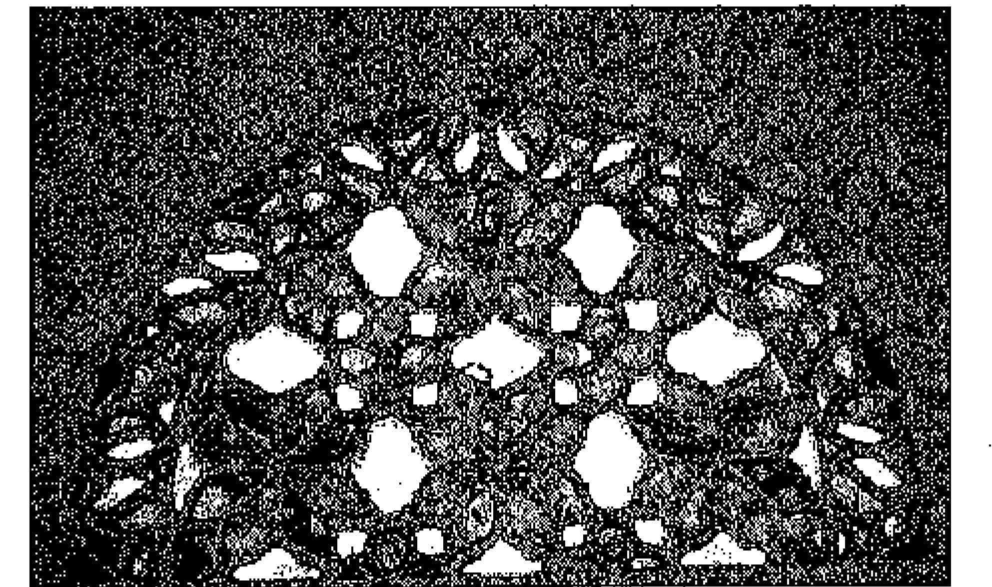
خامسا : فرحات خورشيد طاشكندى الذى يرسم معالم الطريق **نحو بيئة عمرانية اسلامية متميزة** (وهو موضوع بحث مطول سوف ينشر مستقلا فيما بعد) .



٩٧ جامع ابن طولون — القاهرة



٩٨ الساحل بالقرب من تونس



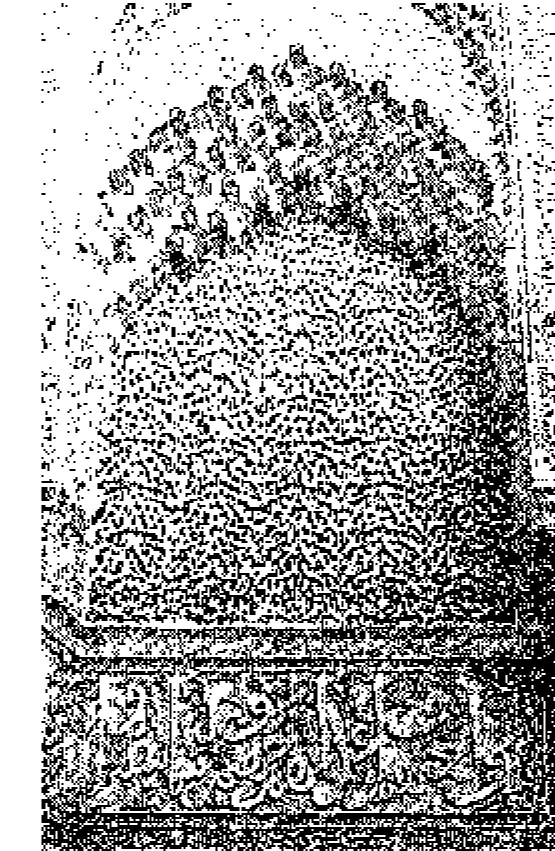
٩٩ الزجاج الملون — صنعاء



١٠٠ مكة المكرمة من الجو



١٠١ صعدة — اليمن



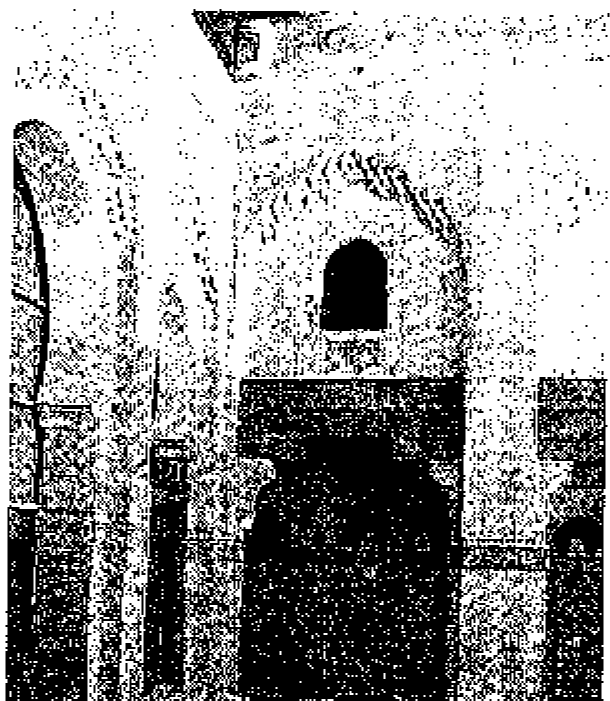
١٠٢ تفاصيل معمارية — فاس



١٠٣ شارع السوق — فاس



١٠٤ سيدي بو سعيد — تونس



١٠٥ فاس

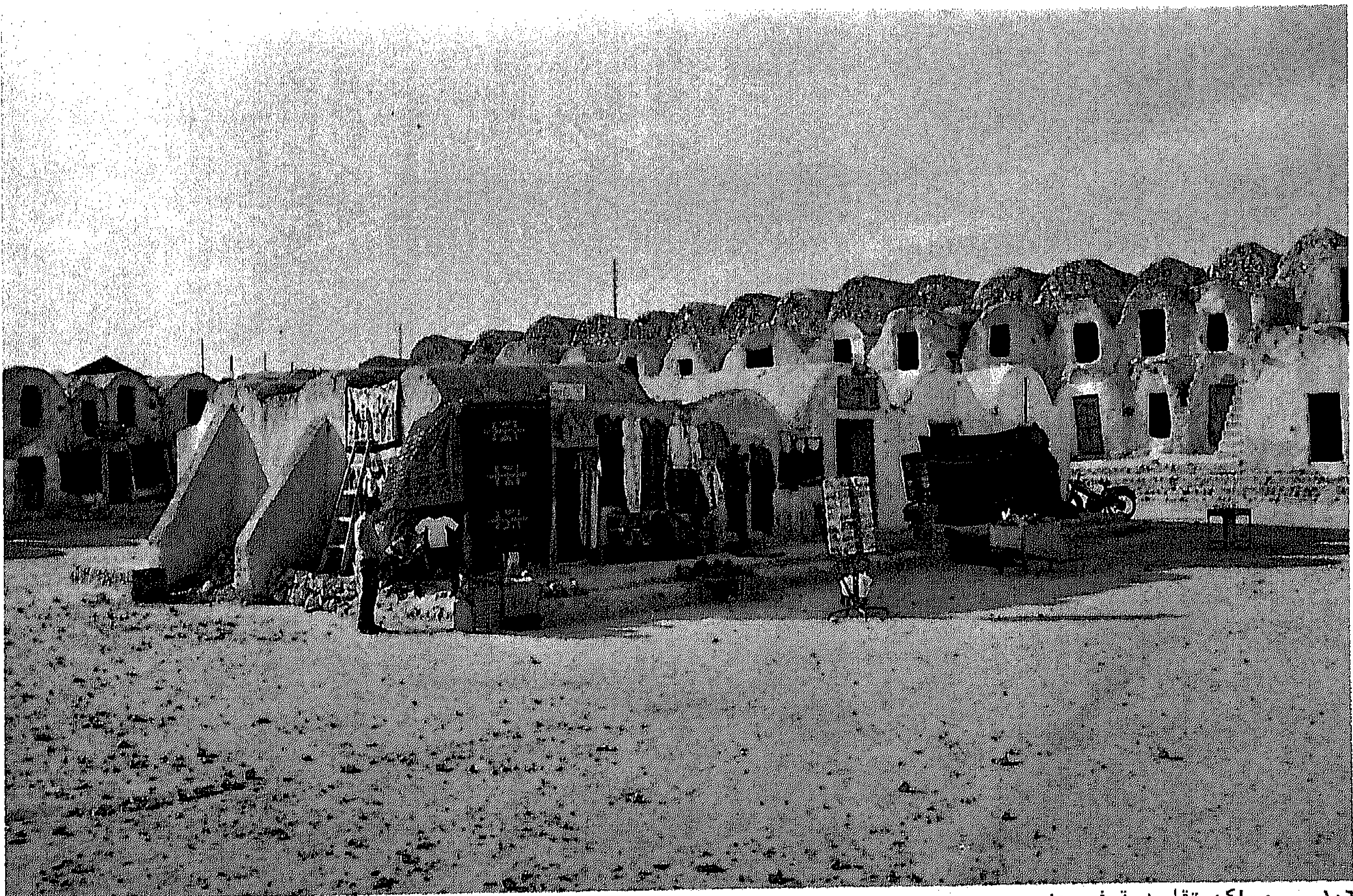
العمارة الاسلامية والتعبير الحضارى الاصيل فى المدينة العربية المعاصرة

حسن فتحى

يتكون التراث المعمارى والعمرانى لأى مجتمع من المجتمعات من اعداد كبيرةمن الاعمال الفردية والجماعية ، يخلف كل منها جزءا من ذلك الصرح الجماعى الذى يخلفه الأولون للتابعين فى صورة البيئة العمرانية والتى تشمل فى تعبيراتها الحضارية والجمالية المكونات الجزئية من الزخارف وأعمال الحرفيين الى المبانى والمكونات الجماعية من ميادين وشوارع وما جرى العرف على تسميته النسيج العمرانى . ذلك كله فى علاقات متناسقة تنم عن تعبير حضارى صادق . وفى عالمنا العربى كان ولا ريب النصيب الأوفر من تراثنا العمرانى الاصيل هو من افرازات والهام الحضارة الاسلامية عامة والعمارة الاسلامية بصفة خاصة .

الا ان المدن العربية تعرضت فى الآونة الاخيرة من عمرها الى هجوم حضارى شارك فيه ابناؤها مع الوافدين عليها من الحضارات الاخرى . وأصبح من الضرورى تأجيل التجديد . ومن ثم وجب علينا وضع معايير موضوعية محددة لتقويم الجديد ، حتى يتسنى لنا قبول المناسب منه ورفض الدخيل ، فليس كل جديد بمفيد وليس كل قديم ببال . وهنا لنا ملاحظتان : الأولى أن الحضارات والثقافات غير قابلة للتبديل ، ولايجوز النقل الاعمى من واحدة الى اخرى ولايجوز الخلط بين النقل وبين الاستفادة من الحضارات والتجارب الاخرى ، فهذا فيه اثراء وتنمية .

اما الملاحظة الثانية ، فهى أن أدوات العلم الحديث تصلح أن تكون هى الفيصل لتقويم صلاحية الحلول المعمارية وملاءمتها للبيئة وللمجتمع ، فلنا أن نقيس الحرارة والرطوبة والصلابة وقوة العزل وملاءمة كل مادة أو عنصر لاحتياجات المحيط بها . واننا اذا طبقنا ذلك ، لوجدنا ان الكثير من الموروث ذو قيمة عظيمة فما ارتضته الاجيال المتتالية من المسلمين فى بلادنا العربية جدير بالدراسة والتطبيق اليوم ، فليست الاصالة شىء يشترى باضافة الزخرف على الدخيل ، وليس التجديد موقوفا على النقل من الغرب .



١٠٦ مساكن تقليدية في جنـــوب تونس

الفضاءات العمرانية فى المدينة الاسلامية

دريد الياور

مقـــدمـة :

فى مختلف انحاء العالم الاسلامى ، تقف الهندسة العمرانية عند مفترق الطرق . لقد انطمس الكثير من شكل العمران التقليدى ، ورغم ان عددا هائلا من مراكز المدن ظل مصونا لم يمسّ ، الّا ان الكثير منها مهدّد الآن .

من هذا المنطلق ، فاننا استهدفنا بهذا البحث دراسة عناصر الفضاءات العمرانية فى المدينة الاسلامية التقليدية لتقصّى كيفية تطورها ، وايضاح الاساليب التى يمكن أن تستخدم فيها الاشكال التقليدية لاضفاء الطابع الخاص والشخصية الذاتية على المدينة الحديثة .

تشريح المدينة الاسلامية :

من المعروف أن نمو المساحات العمرانية فى البيئة الاسلامية جاء استجابة مباشرة لاحتياجات امكانات وتطلعات سكانها ، كانت احتياجاتهم أساسية ، وامكاناتهم محدودة وتطلعاتهم محافظة . أما الحركة فكانت مقيدة بمقدرة حيوانات الجر على الأداء ، والشكل المعمارى مقيّد بتقنيتهم البسيطة ومواد البناء المتوافرة . كان هناك بالتالى تكافل بين الانسان وما يحيط به ، نبتت منه بيئة عمرانية هى بكل المقاييس انسانية أساسا .

الشكل المعمارى الاسلامى التقليدى عبارة عن مصفوفات خلوية ضيقة ، تضمها الحوائط والاسوار ، تقام فى بيئة اقليمية قاحلة . فيما وراء الاسوار تقع مناطق الزراعة ومراعى الحيوانات . ويكون الدخول الى المدينة عن طريق نظام من البوابات القوية ، تنصب من حولها خيام تجار القوافل القادمين من الصحراء والرعاة مع قطعانهم انتظارا لعبور البوابات الى المدينة . داخل الاسوار يوجد نظام معقد من المساحات يبدأ بفناء داخلى يعتبر ملاذا للراحة والسكون بالمنزل ، الى شبكة من الأزقة والشوارع والأسواق الى الساحة الرئيسية التى تعتبر منطقة للحياة العامة بما تحويه من مبان هامة كالمسجد الجامع وقصر الحكم .

ان الناس الذين استقروا فيما يعرف حاليا بالكويت هم خليط من أبناء الصحراء والبحارة والغواصين فى البحار العميقة والتجار . هذه المجموعة من الانماط المعيشية كانت فى ذات الوقت تميّز ما بين الأفراد وتتكامل بينهم . وقد تعيّن على هؤلاء المواطنين أن يكسبوا عيشهم فى ظروف طبيعية غاية فى القسوة ، وان يتحملوا عوامل الحرارة والبحر والعواصف الترابية وشحة المياه فصليا . وقد أدى ذلك لايجاد « روح الجماعة » بشكل محدد تغذيه المحنة المشتركة . لذا فانه خلافا لمعظم المجتمعات العربية ، تطورت الكويت كمجتمع متماسك موحد لايعرف الطبقية . فان الطبقية سواء بمعناها الاقتصادى فى الغرب أو معناها الاجتماعى فى الشرق لم توجد فى الواقع ابدا فى الكويت . وحتى يحمى الكويتيون انفسهم من الصحراء ، ويؤمّنوا مصدر مياه الآبار العذبة ، وطريقا جيدة للوصول الى البحر ، فقد بنوا مدينتهم على شبه جزيرة فى جنوب الكويت . وأقاموا من ناحية البر سورا حجريا على هيئة قوس ، تخترقها أربع بوابات للحماية من هجمات الغزاة ومن العواصف الترابية اللافحة ، كما جعلوا من ناحية البحر ميناء لمراكب اليوم ومزالق لبناء السفن . وكانت الطرق تسير فى خطوط منحنية مؤدية من البوابات الى موقع السوق الرئيسية (ساحة الصفاة) . ويتصل الميناء بساحة الصفاة بمجموعة طولية من الشوارع تحتوى (السوق) وهى المستودع والمحطة التى يلتقى عندها تجار القوافل القادمين من الصحراء العربية مع التجارة البحرية القادمة من المشرق .

لقد تطور الشكل المعمارى عضويا من مقتضيات الظروف الجوية القاسية ، وكان عليه ان يستجيب لكل من العادات الاجتماعية ، والظروف المناخية ، والتقنية المتاحة ومواد البناء المتوافرة . وكانت المبانى تقام متقاربة جدا لتحمى بعضها البعض من أشعة الشمس والعواصف الترابية . وكانت تبنى عموما من حول فناء فسيح بحيث أصبحت كيانا تدور حوله الحياة الاجتماعية للعائلة الكويتية ، وكانت تتميز ببساطتها وسمك حوائطها واستخدام الجذوع الخشبية للسقوف ، وصغر مساحة فتحات النوافذ ، وقلة الزخارف فى الأبواب والنوافذ .

ومع نموّ المدينة وازدياد قوتها ، أصبحت تعبيرا واضحا للميراث الثقافى لمجتمع قديم يتفاعل فيه القادمون من الصحراء مع رجال البحر ، وتحكمه القوة الدافقة للاسلام .

أثر التقنية الحديثة والقيم الغربية :

منذ الخمسينات ، حدث التحول فى الهيكل العمرانى للكويت نتيجة لعاملين : التقنية الحديثة ، وتدفق الوافدين من مختلف الثقافات كتطور مباشر للزيادة الكبيرة فى عائدات النفط التى تحصل عليها دولة الكويت .

هناك مظهران هامان من مظاهر التقنية الحديثة أسهما فى تحويل الشكل العمرانى للكويت وهما : السيارة .. وتكييف الهواء ، اذ أدى هذان الاختراعان التقنيان الى تخليص المواطن مباشرة من قيود الحركة والمناخ ، وهذه هى القيود الرئيسية التى تحدد شكل المدينة التقليدية . ومن الآثار



١٠٧ مدينة الكويت وأسوارها

الحاسمة التى تمخضت عن هذين العاملين :

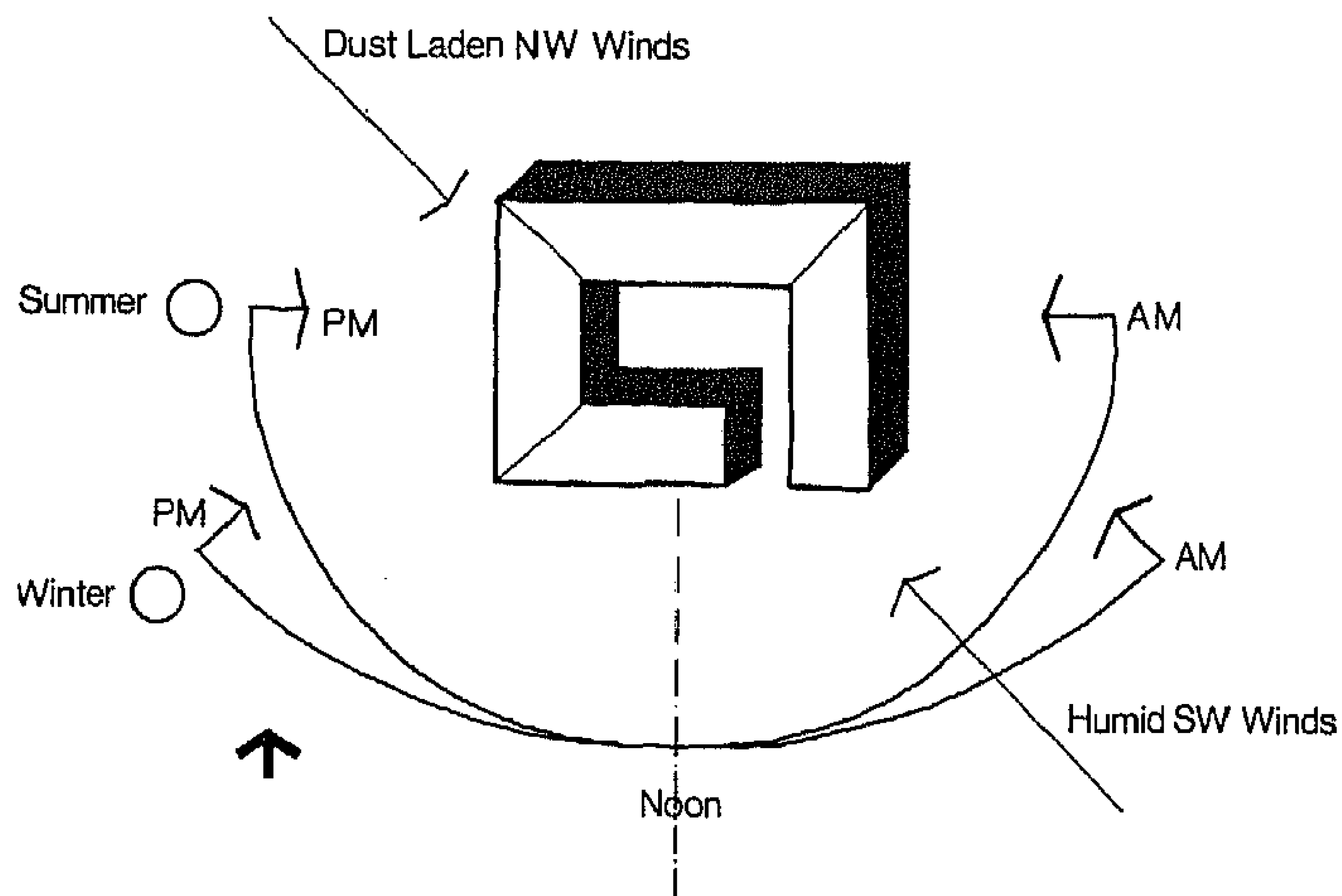
– خشونة التركيب العمرانى مع ادخال مسارات ثنائية للمركبات وتقاطعات كبيرة للطرق ومساحات واسعة للمواقف السطحية للسيارات

– زيادة ارتفاع وكتلة الشكل المبنى من جراء استخدام تكييف الهواء المركزى والمواد الرقيقة السطحية العازلة من الأشعة الشمسية .

وبعد هدم السور القديم ، اتسعت المدينة باستخدام شبكة مكونة من ستة طرق دائرية تتصل ببعضها بطرق نصف قطرية . وتفصل طرق الاتصال التى تشغل فى الغالب مسارات بعرض ٨٠ مترا ما بين الاحياء السكنية التى جرى تصميمها على مبدأ المجاورة . ونظرا لبعد المسافات والقيود التى تفرضها الظروف المناخية ، فقد بدأ الأهالى يعتمدون فى انتقالاتهم على السيارات الخاصة بشكل كلى تقريبا . وتدل الاحصاءات على أن معدل امتلاك السيارات قد زاد خمسة أضعافه من ١٩٦٤ – ١٩٧٦ . وفى داخل المدينة ، تم توسيع وزيادة استقامة الشوارع لخدمة الحركة المتزايدة عليها ، كما بدأ استغلال جميع المساحات المتاحة لاقامة مواقف للسيارات .

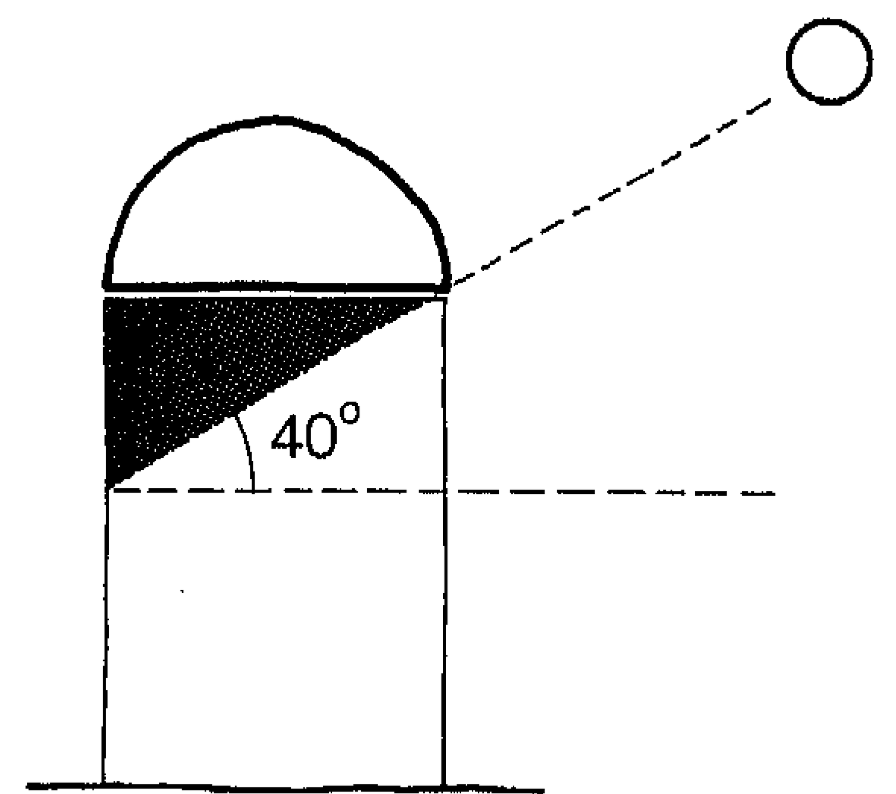
لقد فتح استغلال أراضى البناء بصورتها الجديدة فى مدينة الكويت أمام الاستخدامات التجارية والمدنية حيث هدمت مناطق كبيرة من المدينة ، وخاصة بمنطقة الشرق ، لتقام عليها المبانى التجارية والمشاريع الحكومية الكبرى . أن عدد السكان القاطنين بمدينة الكويت انخفض من ٨٠٫٤٠٥ عام ١٩٧٠ الى ٦٠٫٣٦٥ نسمة عام ١٩٨٠ . وأدى الطلب على المساحات للأغراض المكتبية والتجارية الى زيادة نسب مساحة الأرضية المسموح بها الى ٢٫١٪ و ٦٫٧٪ فى المناطق الرئيسية ، وكذا زيادة ارتفاع المبانى الى ٢٠ طابقا . فاذا تم استغلال نسب مساحة الأرضية السائدة حاليا بالكامل ، فان مساحة الأرضية المخصصة للأغراض المكتبية والتجارية (للقطاعين الحكومى والخاص) وتبلغ حاليا ٣٫٠٩٢٫١٠٠ متر مربع ، سوف تزاد الى ٣٫٩٠٠٫١٠٠ متر مربع خلال عشر سنوات ، وتزيد العمالة من ١٥١٫٦٠٠ الى ١٨٣٫٨٠٠ . لحسن الحظ ، فان بلدية الكويت وهى تدرك تماما أن تركيز النشاط الاقتصادى فى مدينة الكويت لابد أن تترتب عليه مشاكل البيئة والازدحام الشديد فى حركة المرور ، تسعى جاهدة لاقامة مزيد من الوجود الحكومى والتجارى فى مراكز النمو التى تقام فى اجزاء اخرى من منطقة الكويت العاصمة .

تسبب تدفق الوافدين من البلاد العربية وأوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا فى تحويل الكويت من مجتمع قديم موحد البنية الى مجتمع متعدد الاصول العرقية . وحيثما كان التمييز بين المجموعات الاجتماعية الاقتصادية شديد الصعوبة من قبل ، ولنترك التمييز من الناحية المساحية جانبا ، فان الكويت تطورت الآن الى مدينة منعزلة اجتماعية . فالمواطنون الكويتيون الفقراء والايرانيون وفقراء الوافدين العرب يعيشون فى مناطق سكنية داخل سور المدينة القديمة . بينما المواطنون الكويتيون الأكثر ثراء يعيشون فى فيلات بالمناطق المجاورة التى تقع غالبا فيها بين الطريق الدائرى الأول الى الرابع . أما الأجانب الآخرون ، ومعظمهم من بيئات تعرف المعيشة فى المبانى المرتفعة ، فانهم يسكنون شققا فى بنايات تقام فى الاحياء السكنية المحيطة ، وقد تغير معدل الكثافة فى منطقة الكويت العاصمة ، اذ أن مدينة الكويت لم تعد المنطقة الأشد كثافة سكانيا كما كانت من قبل . فى سنة ١٩٧٥ بلغت الكثافة السكانية فى مدينة الكويت ١٠٫٢٧٨ فرد بالكيلومتر المربع ،



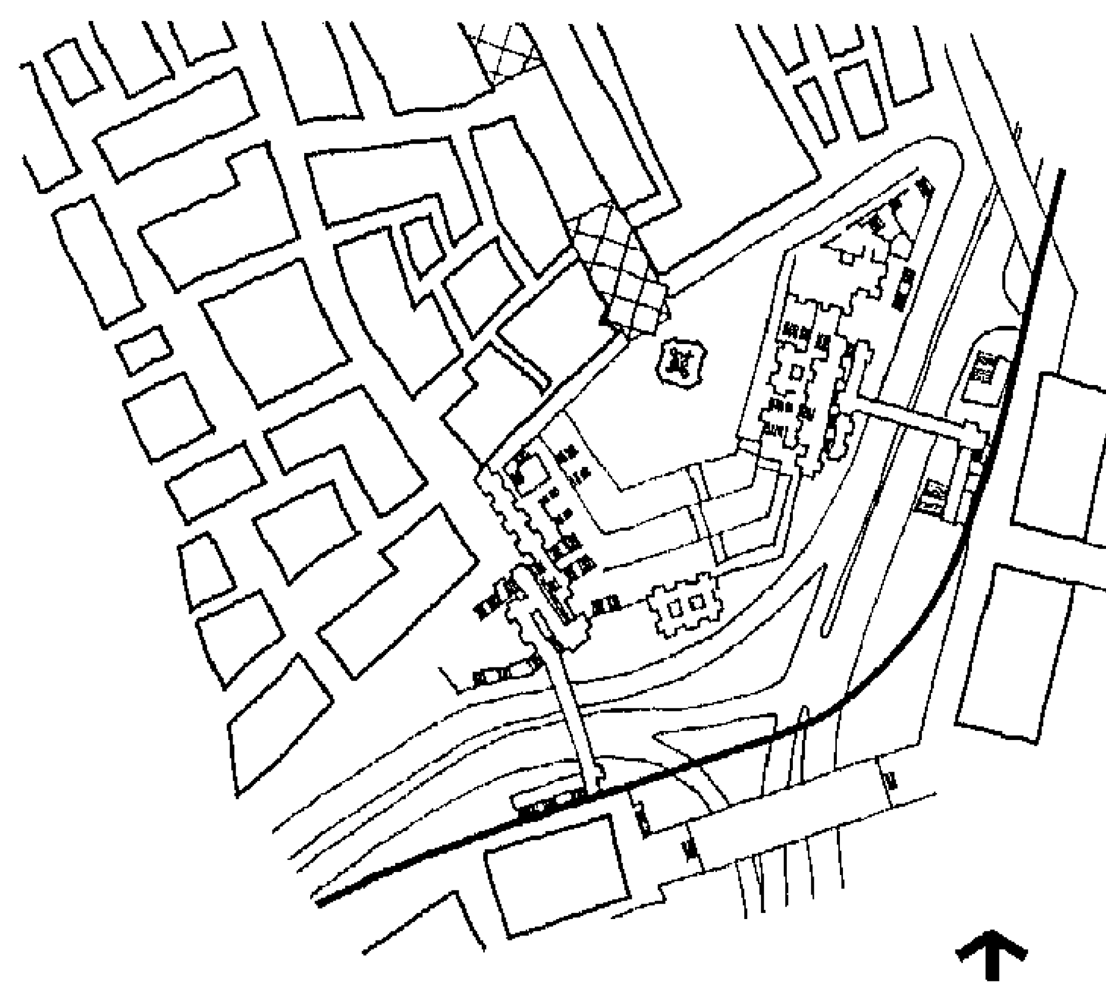
CLIMATIC FACTORS INFLUENCING KUWAIT'S URBAN FORM

١٠٩ المؤثرات المناخية على العمران الكويتي



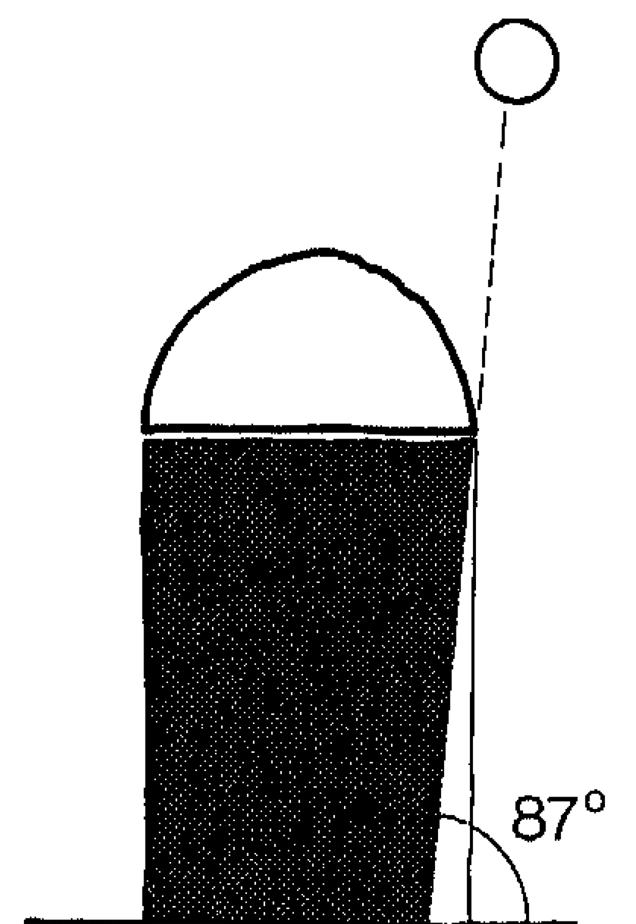
Jan

١٠٨ المؤثرات المناخية على العمران الكويتي



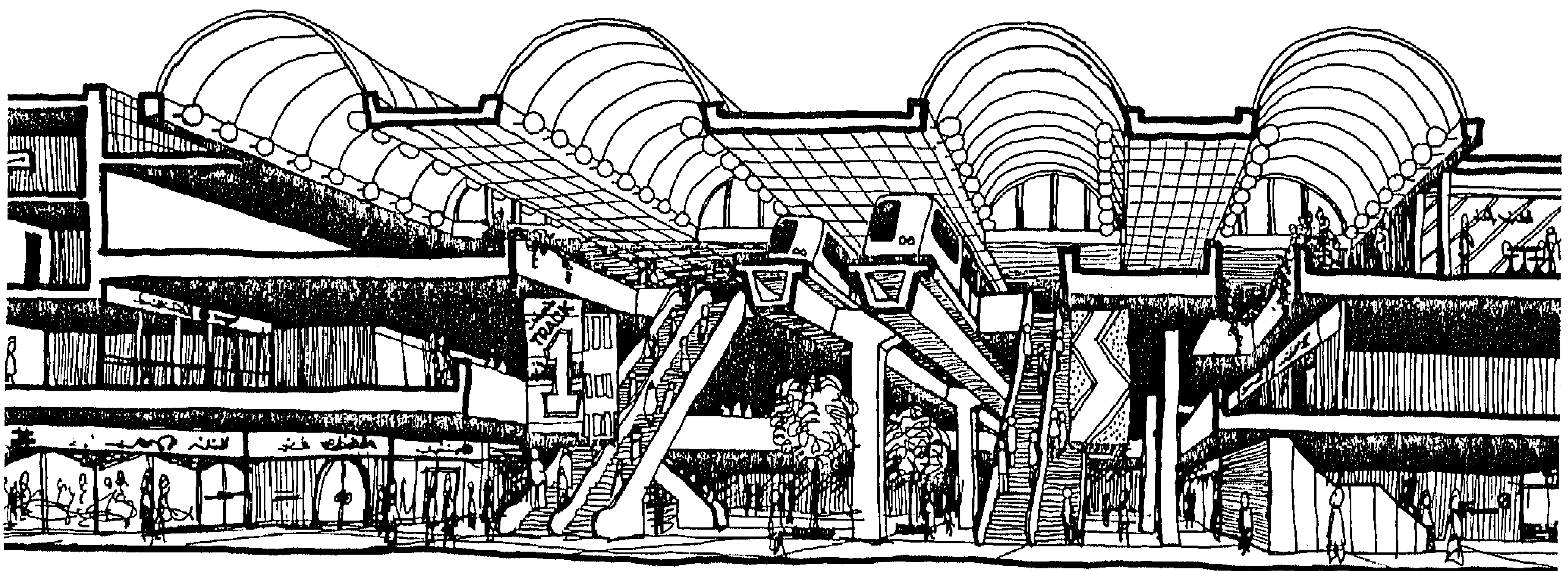
PROPOSAL FOR SAFAT SQUARE

١١١



July

١١٠ المؤثرات المناخية على العمران الكويتي



AUTOMATED TRANSIT INTEGRATED WITH THE URBAN FORM

١١٢ المواصلات الآلية وتداخلها بالنسيج العمراني

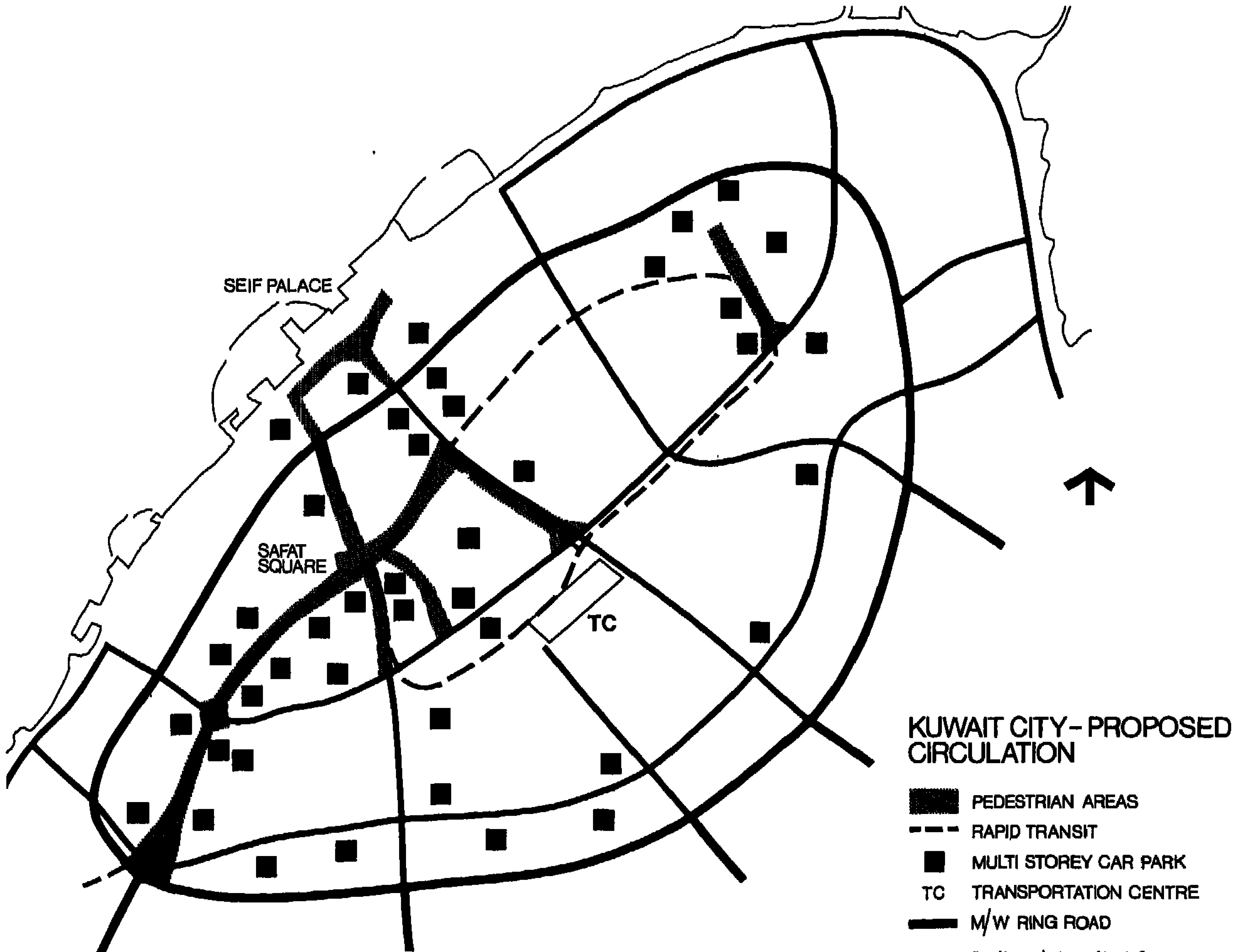
بينما بلغت فى (منطقة حولّى) الواقعة بين الطريق الدائرى الثالث والرابع والتى يسكنها الفلسطينيون أساسا ٢٠٫٤٠١ فرد للكيلومتر المربع .

بناء عليه فان تطورات التقنية والتطورات الاجتماعية احدثت تغيرا فى حجم وتوزيع وأنماط استخدام الفضاءات العمرانية . وأدت الى ايجاد مساحات واسعة مفتوحة فيما بين المبانى التجارية العالية فى الحى التجارى المركزى ، وعند تقاطعات الطرق ، وبين البنايات المرتفعة فى الاحياء السكنية . كان التفكير الغالب أن كل مساحة مفتوحة لابد أن تكون خضرا ، يزرع فيها العشب وتغرس فيها الاشجار والشجيرات . الّا أن حجم وخطى التطور فاقت بكثير عمليات التزويد بالمياه والمواد الزراعية اللازمة ، فلم يكتمل تنفيذ مشروع التخضير أبدا .

كذلك أدى التنوع الاجتماعى الاقتصادى والعرقى للسكان الى امتداد استخدام المساحة المفتوحة للتسلية فى أيام الجمعة ليشمل الأيام الأخرى من الأسبوع ، وخلق بذلك نوعا من الاستقطاب المساحى للاستخدام بواسطة المجموعات العرقية المختلفة .

مداخل للمستقبل :

أننا نعيش فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، وعلينا القبول بحقيقة أن وظيفة المدينة العربية قد تغيرت ، فالكويت قد تغيرت من مجرد مدينة لايواء التجار والحرفيين والبحارة وغواصى اللؤلؤ ، الى الدولة المدينة التى تخدم نظاما كاملا من الأنشطة التجارية والمهام المدنية التى تعرفها أية عاصمة حديثة . لذا كان لابد أن تنشأ بالمدينة المبانى والبنية العمرانية التى تستوعب المهام الجديدة . المشكلة هى كيف نحافظ فى الاشكال الجديدة على جوهر المدينة الاسلامية التقليدية ، ونعطى للمدينة بذلك شخصيتها الذاتية الدينية والاقليمية . ان الجواب لايكمن فى مجرد حفر وتركيب النقوش الاسلامية على مبان ضخمة مصممة فى الأصل للوفاء بمتطلبات العصر الحاضر . يوجد كثير من الأمثلة السيئة لذلك فى الكويت حيث انتخب المصممون عناصر فارسية أو مغربية مثلا ووضعوها على مبان كبيرة ، فبدت النقوش غريبة تماما عن الأشكال المحلية البسيطة فى



١١٣ شبكة المواصلات المقترحة ـ الكويت

الكويت . بدلا من ذلك ، يجب أن تنعكس روح المدينة الاسلامية التقليدية فى ايجاد مساحات للمشاة فى المدينة بالحجم والكثافة المعروفة فى المدن الاسلامية التقليدية بحيث تتوافق تماما مع الظروف المناخية السائدة .

من المتصور أن ذلك انما يمكن تحقيقه عن طريق تقييد دخول المركبات الى مناطق العمران الرئيسية بالاضافة الى توفير شبكة الطرق المناسبة للانتشار خارجها ، وطرق للوصول اليها ، ومواقف متعددة الأدوار للسيارات ، ووسائل متنوعة للنقل السريع .

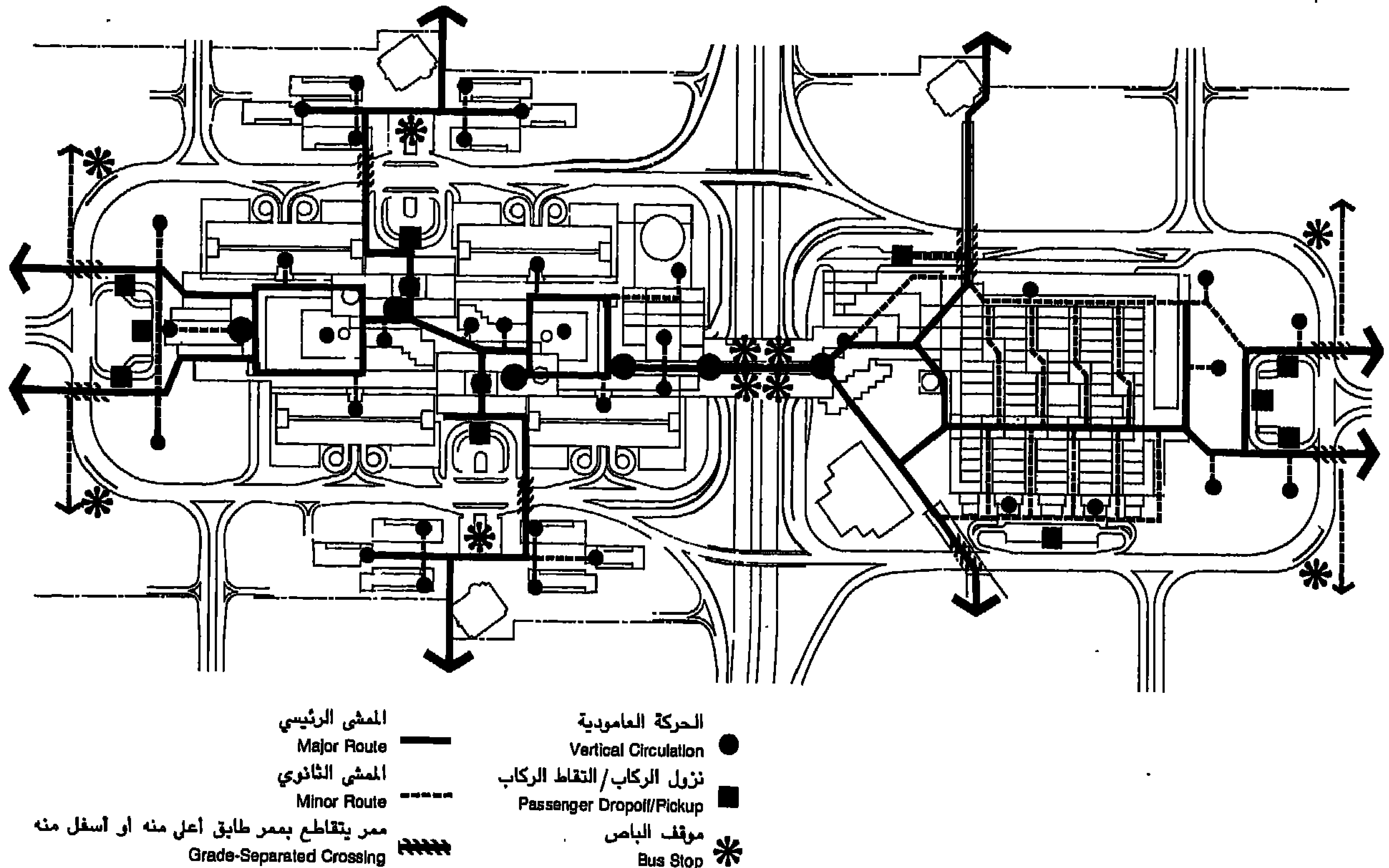
ويمكن أن نعطى مناطق المشاة التى تنشأ بهذا الشكل ابعادا وأحاسيس انسانية بالنشاط عن طريق بناء مساكن غير مرتفعة لكنها عالية الكثافة ، وايجاد مظلات وقباب واقية من الشمس ، والتشجير ، وتبليط أغلب المسطحات الأرضية ، وتوفير مجموعة جيدة التصميم من لوازم الخدمات العامة .

لقد باشرت بلدية الكويت بالفعل تصميم الطريق السريع بين الطريق الدائرى والمدينة الذى سيتم بناؤه وفقا لمواصفات طرق السيارات مع مراعاة خفضه وتغطيته فى الأماكن الأكثر حساسية . بالاضافة لذلك وضعت خطة لبناء محطة رئيسية لتبديل وسائل النقل فى منطقة المرقاب ومجموعة من ٤٣ موقفا متعددة الأدوار لوقوف السيارات . كما وضعت خطة للمساحات الرئيسية للمشاة بساحة الصفاة ، وهى من أكبر المساحات المفتوحة بالكويت ، فى المنطقة المحيطة بشارع فهد السالم بين بوابة الجهراء وشارع الهلالى ، وفى منطقة قصر السيف / مسجد الدولة . والمأمول أنه بهذه الوسيلة يمكن المحافظة على حركة المرور والخدمة المناسبة مع اعادة تكوين مناطق على مستوى المشاة فى قلب المدينة . وزيادة فى تدعيم هذه العملية توجد خطة جدية لايجاد نظام للنقل السريع فى المنطقة المركزية يصل أماكن تبديل وسائل النقل ومواقف السيارات بتجمعات ومراكز العمل الرئيسية .

مثل هذا النظام ، اذا تم تنفيذه باستخدام قطار المونوريل المرتفع عن الأرض ذى الوحدات الصغيرة مثلا ، فانه يمكن أن يوفر الحركة اللازمة للناس ، ويحفز المتعة البصرية والنشاط فى مناطق المشاة . ولايخفى ما لمثل هذه الخطط من أثر على التصميم العمرانى فى الكويت ، حيث تتحول المدينة لسوء الحظ وفقا لنمط المدينة الامريكية .

فى السنوات الخمس الاخيرة ، جرى التركيز على تصميم الاسواق الكبيرة المغطاة . وهى مزودة عادة بمواقف للسيارات تحت الأرض وفى المستويات الاعلى . هذه الاسواق (التى انجز منها تسع فى مدينة الكويت) توفر للمشاة ممرات وأماكن للنزهة مكيفة الهواء مركزيا . وقد أرسى (مجمع الصالحية) الذى انجز مؤخرا مستويات جديدة كجودة ونوعية تشطيب المسطحات ولوازم الخدمات العامة والتركيبات .

اضافة الى مناطق المشاة المغطاة ، هناك اهتمام باستغلال فرص للمشاة تحت سطح الأرض وللمرافق مع التصميمات الجديدة لساحة الصفاة ودروازة عبدالرزاق .



FINTAS CENTRE : PEDESTRIAN CIRCULATION

١١٤ مركز فنطاس – تحرك المشاه – الكويت

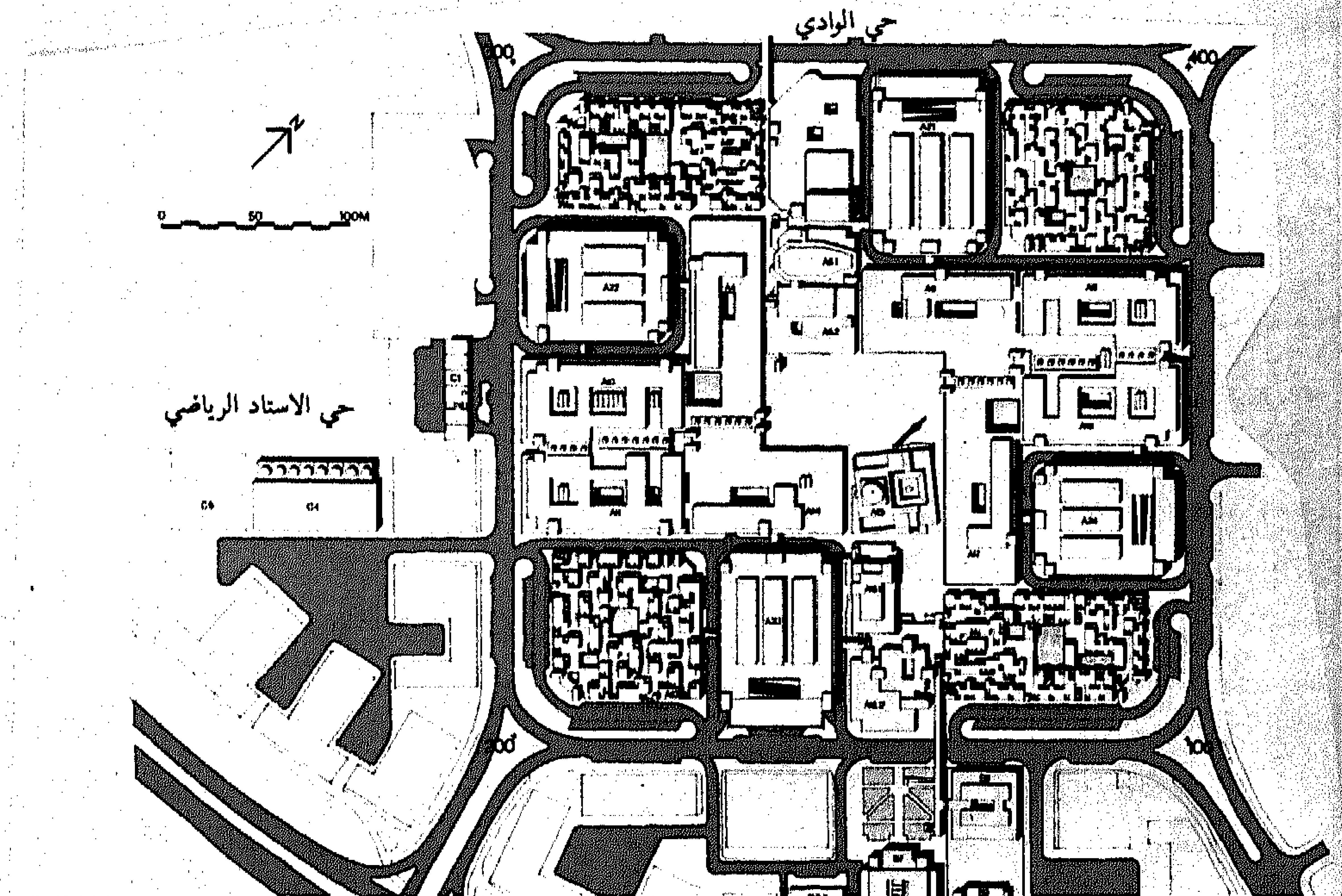
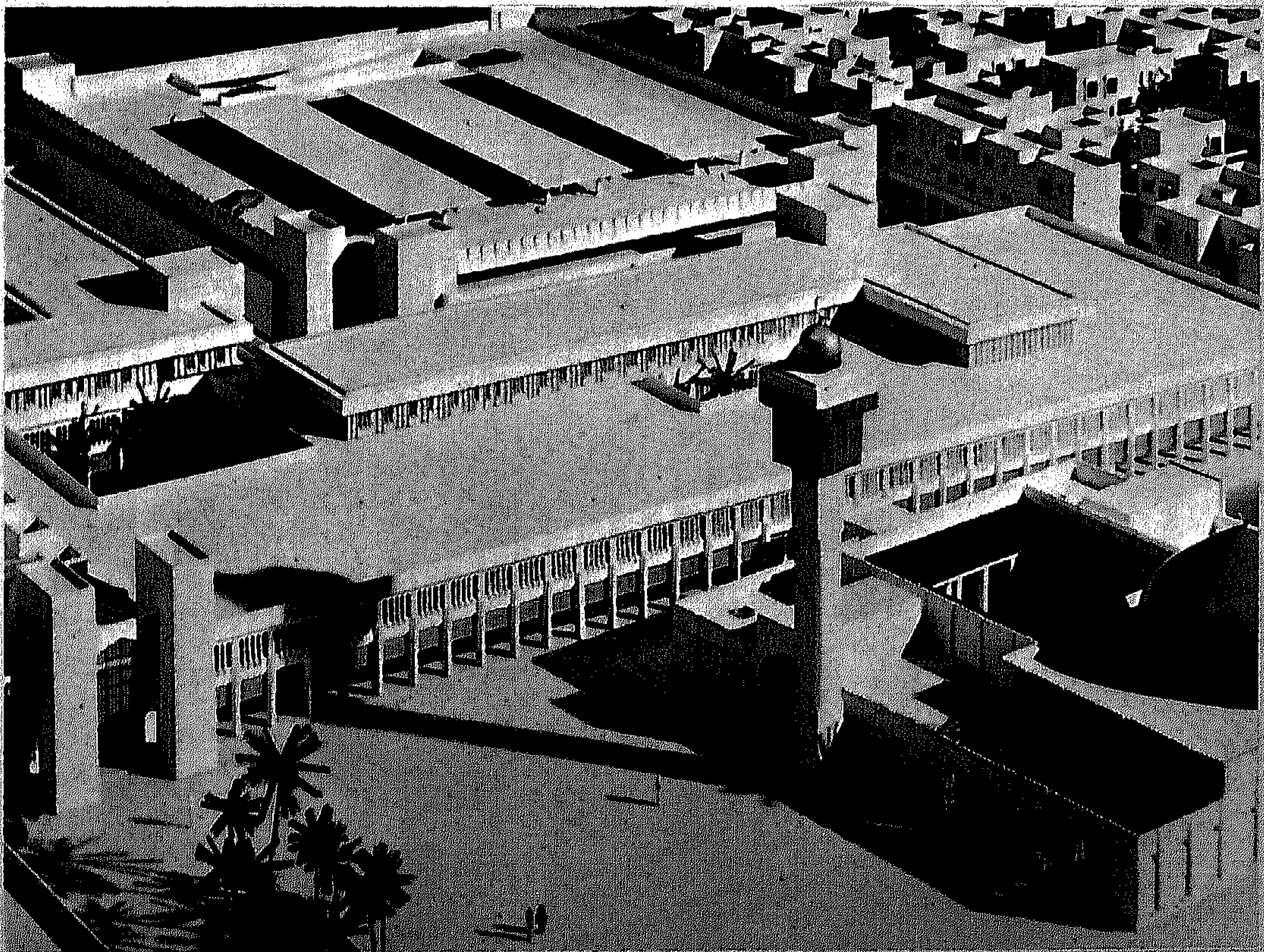


Figure 15
JAHRA DISTRICT CENTRE : STRUCTURE

Figure 16
JAHRA DISTRICT CENTRE: MAIN SQUARE





١١٧ مركز الفنطاس - الكويت

خارج مدينة الكويت ، وضعت خطة لمركزين رئيسيين ، كلاهما يضع فى حسبانه الخدمة المتاحة للسيارة ، وكلاهما مصمم للوفاء بحاجة المشاة . يضم مركز الفنطاس – وهو الذى سيصبح بمثابة المركز التجارى والادارى الثانى بالكويت – قسمين رئيسيين : مركز تجارى (غربى) عصرى الى الغرب وسوق عربية تقليدية الى الشرق . وتوجد طرق رئيسية للمشاة تنقلهم الى عدة مستويات من مواقف للسيارات ومحطات تبديل الباصات عبر سلسلة من الممرات وأماكن النزهة وحدائق النباتات ونافورات المياه الى المنطقة الرئيسية والمسجد . ويصل التصميم بصورة جيدة ما بين مجموعة المساحات المغطاة والمساحات الخارجية وموقف السيارات بالمنطقة .

أما مركز ضاحية الجهراء ، فان تخطيطه يعتبر ترجمة للمدينة الاسلامية المصغرة كما يراها المصمم الغربى . فان سلسلة من اماكن النزهة المغطاة ومساحات صغيرة مفتوحة تنتظم خلال المناطق التجارية حتى الساحة الرئيسية التى تحوى بناءين عامين هما المسجد وقاعة الاحتفالات . وتعمل المساحات والأشكال المعقدة فى المناطق السكنية بالزوايا الأربع من المركز على ابراز المبانى الضخمة لمواقف السيارات والمناطق التجارية . ويعتبر مركز الفنطاس جيدا فى تصاميم البناء الشامل مع بعض التنازلات التى يقدمها لموضوعات اسلامية تقليدية على مستوى المشاة فى التفاصيل الخاصة بنافورات المياه وتصميم الحدائق النباتية ولوازم الخدمات . بينما مركز ضاحية الجهراء ، نظرا لأنه يخدم منطقة تقليدية للبدو ، فانه يدمج الموضوعات الاسلامية فى كتلته وبنيته الكلية ، وفى نظام المساحات المغلقة والمفتوحة وحتى فى تفاصيل تعريشة وفتحات النوافذ بالمبنى كما يتصورها المعمارى البريطانى .

خاتمـــة :

نتيجة لذلك يمكننا القول بأنه مازال بأيدينا ان نحتفظ بالروح الاسلامية التقليدية التى عرفناها فى المدن الاسلامية السابقة . الّا أن ذلك يمكن فى رأينا أن يتحقق بشكل أفضل عن طريق اعادة ايجاد نطاق أكبر للمشاة فى مدننا ، لنخلق بذلك واحات خالية من المركبات نستطيع ان نركز فيها على تعزيز روح المدينة لدى الانسان . فاذا اقيمت مثل هذه النظم ، فان المهارة الحرفية الاسلامية التقليدية سيتم استغلالها الى أبعد الحدود فى تصميم النوافذ والشرفات والأكشاك وأماكن الجلوس واستخدام نقوش من البيئة ، بدلا من أن تظل قوة معطلة .

الحى السكنى فى المدينة العربية المعاصرة

أسمهان صوفان

مقدمـــــة :

كان لاستخدام التكنولوجيا الغربية الحديثة – دون وعى – فى بناء مدننا العربية الحديثة ، اكبر الاثر فى افتقادنا شخصيتها المميزة ، وفيمايلى ابين عنصرين من عناصر التكنولوجيا ومدى تأثيرهما على المدينة الحديثة ، وعرضى على سبيل المثال لا الحصر .

أولا : وسائل النقل : وتشمل السيارات الخاصة والعامة وسيارات النقل والمصاعد بأنواعها ، ولايمكننا ان نخفف من شأن ما تسببه ، اذا استعملت دون ضوابط محسوبة ، وخاصة فى تخطيط المناطق السكنية ، وما يعكسه على الانسان العربى من سلبيات بصفة عامة لقد جرت عادة مهندسينا ان يحققوا حتمية وصول المواطن الى باب منزله باحدى وسائل النقل ، وهذا مانتج عنه حتمية اتساع الشوارع .. وكان ذلك اول عامل من هدم شخصية المدينة العربية ، التى اتصفت عبر التاريخ بضيق الشوارع ، وكثرة الانحناءات نتيجة اتباع الحل المتضام للدور والمبانى ، حيث نتج عنه تظليل الممرات ، والاقلال من حركة الرياح ، والاحتفاظ بالهواء البارد لفترات طويلة خلال النهار .

والآن نجد الشوارع تنسب الى السيارات والناقلات ، ليس الى الانسان الذى يفترض أنه المالك الحقيقى لهذه الشوارع ، وبالتالى فانه يفقد قميته وشخصيته ، وكأنه كائن اخر ضئيل الحجم ، تافه الكيان ، وهذا مايذكرنا بنسبة الانسان المصرى القديم ، أو اليونانى أو الرومانى ، الى جانب ماشيد فى تلك العصور من معابد ، بينما نجد نسبة الانسان والشارع فى المدينة العربية القديمة ، وعلاقتهما علاقة انسانية ومنطقية ، تشعره بكيانه ، فهو يسيطر عليها سيطرة كاملة ، خلاف مانجده فى شوارع المدينة ، حيث تسيطر على الانسان وحركته .

وكانت نتيجة ذلك ان انعدمت حركة الانسان المعاصر ، وفقد ابسط انواع الرياضة ، وهى المشى مما نتج عنه كثرة امراض العصر من ضغط الدم ومرض السكر وامراض العمود الفقرى وخلاف ذلك .

ويجب أن لاننسى ماسببه اتساع الشوارع من زيادة كمية الاشعاعات الشمسية الواقعة على الابنية مما يزيد فى درجة حرارتها اضافة الى البلاء العظيم الناتج من استعمال مواد البناء الحديثة (والذى يحتاج الى بحث كامل) .

وبالرغم من عمليات التشجير فى الشوارع فان هذه الاشجار تعطى النظرة الجمالية والتزيينية اكثر بكثير من كونها حاجبات للشمس .

ثانيا : تكييف الهواء : لقد اجريت فى بريطانيا فى الفترة الواقعة بين الثلاثينات والاربعينيات من هذا القرن تجارب كان الغرض منها حصر كافة العوامل المختلفة التى تحدد المناخ المريح للانسان فى عامل مناخى محدد .. وبعد وضع مجموعة من الرسوم البيانية لتوضيح العلاقة مابين درجة الحرارة والرطوبة وسرعة حركة الرياح والهواء . امكن التوصل الى تعبير واحد عن كل ذلك هو درجة الحرارة الفعالة ، وهى عبارة عن عامل اجمالى يبين تأثير التقلبات المناخية التى يتحملها جسم الانسان . أما مدى درجات الحرارة الفعالة التى لايشعر الانسان فيها بحر شديد أو برد قارس فقد سميت (بمنطقة الراحة) .

ومنطقة الراحة غير ثابتة تختلف باختلاف المناطق والمواقع الجغرافية فمثلا : نجد منطقة الراحة فى بريطانيا تقع فى حدود درجتى ١٥° – ٢١° مئوية .

وفى الولايات المتحدة تقع فى حدود درجتى ١٥° – ٢٧° مئوية .

اما المناطق الحارة مابين ٢٥° – ٣٠° مئوية .

ومن المعروف ان درجات الحرارة فى كل هذه المناطق تزيد وتنقص بكثير عن هذه الدرجات فى اوقات كثيرة من السنة . وهنا يصبح المناخ عبئا على الانسان مما يتسبب عنه انخفاض فى الانتاج ، واعتلال فى الصحة بصفة عامة .

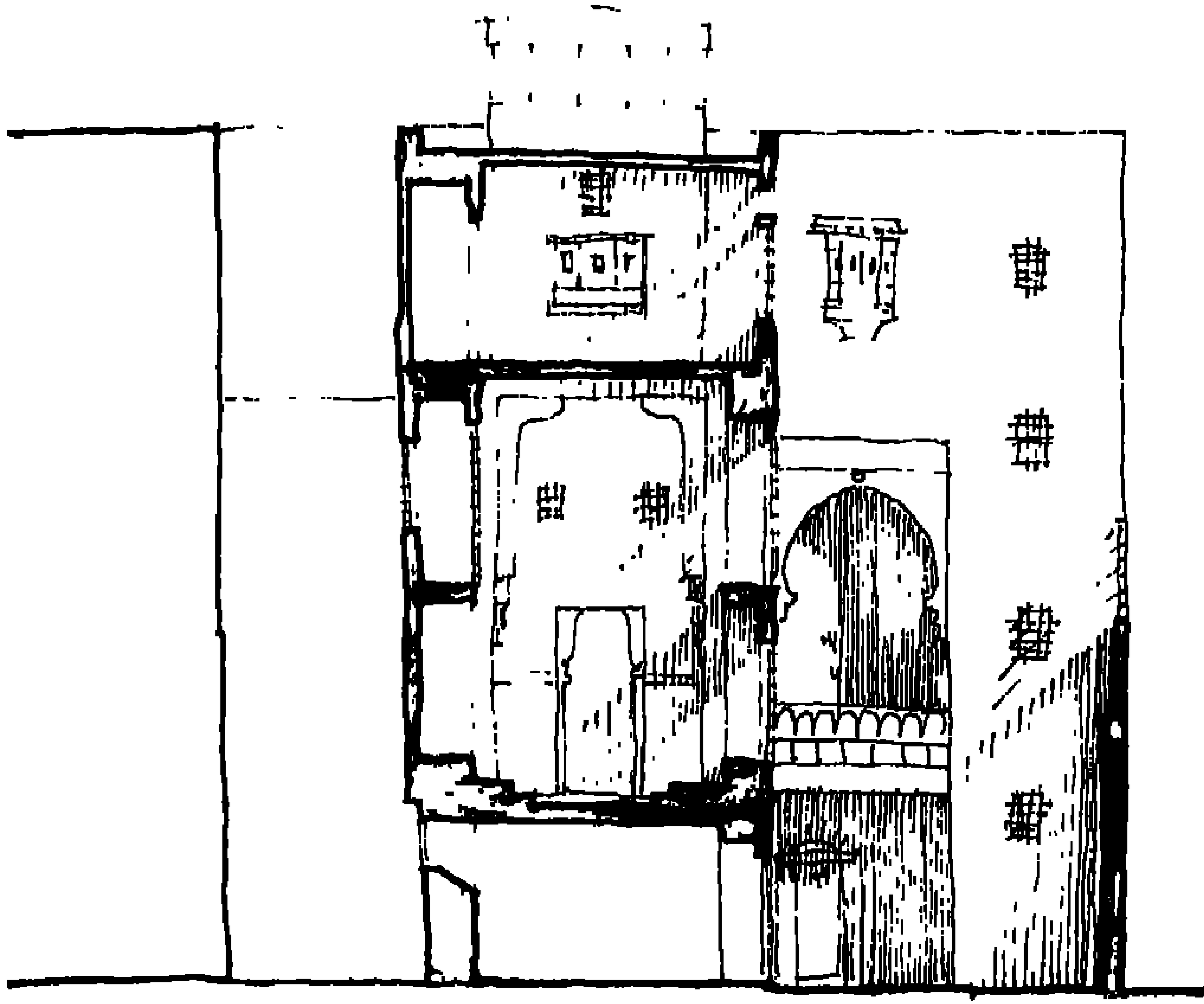
وهنا تدخل اجهزة تكييف الهواء كعنصر تكنولوجى حديث لضبط مناطق الراحة فى البلاد المختلة سواء بالتسخين أو التبريد . ولكن .. للاسف .. أسيء استعمال مكيفات الهواء واصبحت تستعمل فى الايام التى يمكن الاستغناء عنها ، رغم ان هذه الاجهزة تستهلك كميات كبيرة من الطاقة التى يجب توفيرها لعمليات الانتاج الصناعى للدولة .

فمن الحقائق ان بلدا كالكويت تستهلك ٧٠٪ من الطاقة الكهربائية المتوافرة لديها فى عمليات التكييف ، مما دعا معهد البحوث العلمى بالكويت ان يهتم بهذا الموضوع ، فيقوم مجموعة من الباحثين فيه باجراء دراسات تكنولوجية لاستنباط طرق واساليب وخامات عازلة للحرارة تستخدم فى البناء ، لتقليل امتصاص الابنية المختلفة للحرارة ، وبالتالى التقليل من استخدام المكيفات ومعنى هذا انه .. (يستعان بالتكنولوجيا الحديثة لمعالجة اخطاء التكنولوجيا الحديثة ولكن .. فى اعتقادى انه لو اتبع الاسلوب العربى فى تخطيط الاحياء السكنية بمدينة الكويت لامكن توفير استخدام المكيفات الى حد كبير) .

وقد استنبطت (لندن) كمدينة كبيرة اسلوبا تتحكم به فى تشغيل وتقليل الطاقة ، وذلك بوضع منظم للحرارة (ترموستات) خارج المبانى يتحكم فى تشغيل اجهزة التدفئة ، فلا يتم تشغيلها الا اذا انخفضت درجة الحرارة عن ١٥° وهى الحد الادنى لدرجة الحرارة الفعالة فى انكلترا .

وجدير بنا هنا ايضا ان نذكر الابحاث الاخيرة التى اكتشفت تجمع انواع مختلفة من البكتريا والفيروسات داخل مرشحات اجهزة التكييف ، فاذا مر بها الهواء لغرض تدفئته واعادته الى المكان المراد تكييفه فانه (أى الهواء) يخرج وهو محمل بتلك الفيروسات التى تؤذى صحة الانسان وهذا مادعا الى استعمال انواع من المطهرات فى تلك المرشحات ، والله اعلم مدى ما تخفيه لنا هذه المطهرات من اثار جانبية !

اذن .. لايمكن الاعتماد على اجهزة التكييف فى حل مشكلة المناخ داخل الابنية عامة وخاصة ، وانما .. يجب البحث عن طرق واساليب للبناء توفر مناخا صحيا ملائما .. لأطول فترة ممكنة من السنة .

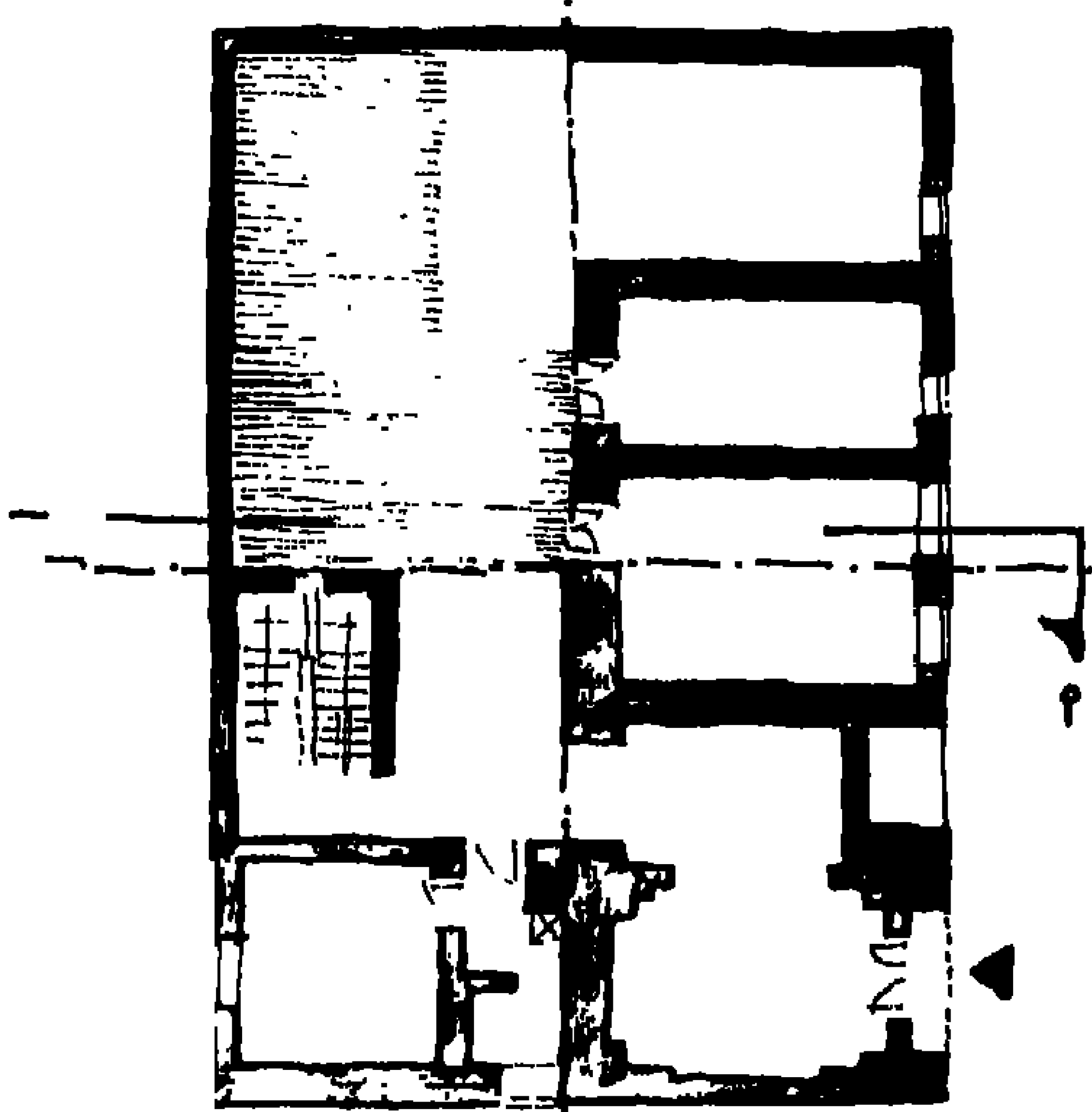


١١٨ قطاع في مسكن عربي

كيف يتم بناء السكن العربى ؟

اذا نظرنا نظرة سريعة الى نمط الابنية التى شيدها اجدادنا فسنجد ان هناك مجموعة من الخصائص يتميز بها السكن العربى القديم ، تلك الخصائص هى عبارة عن مجموعة من الحلول المعمارية والجمالية .. والتفهم لمشاكل البنية والمناخ . وفيمايلى اهم هذه الخصائص :

- **الفناء الداخلى** : يعتبر منظما حراريا حيث يجتمع فيه الهواء البارد اثناء الليل ، واذا جاء النهار تتوزع هذه البرودة فى اجزاء المسكن المختلفة بالرغم من مرور تيار الهواء الساخن الذى يمر فوق الفناء متجها بمساره الخفى دون الهبوط الى اعماق الفناء .



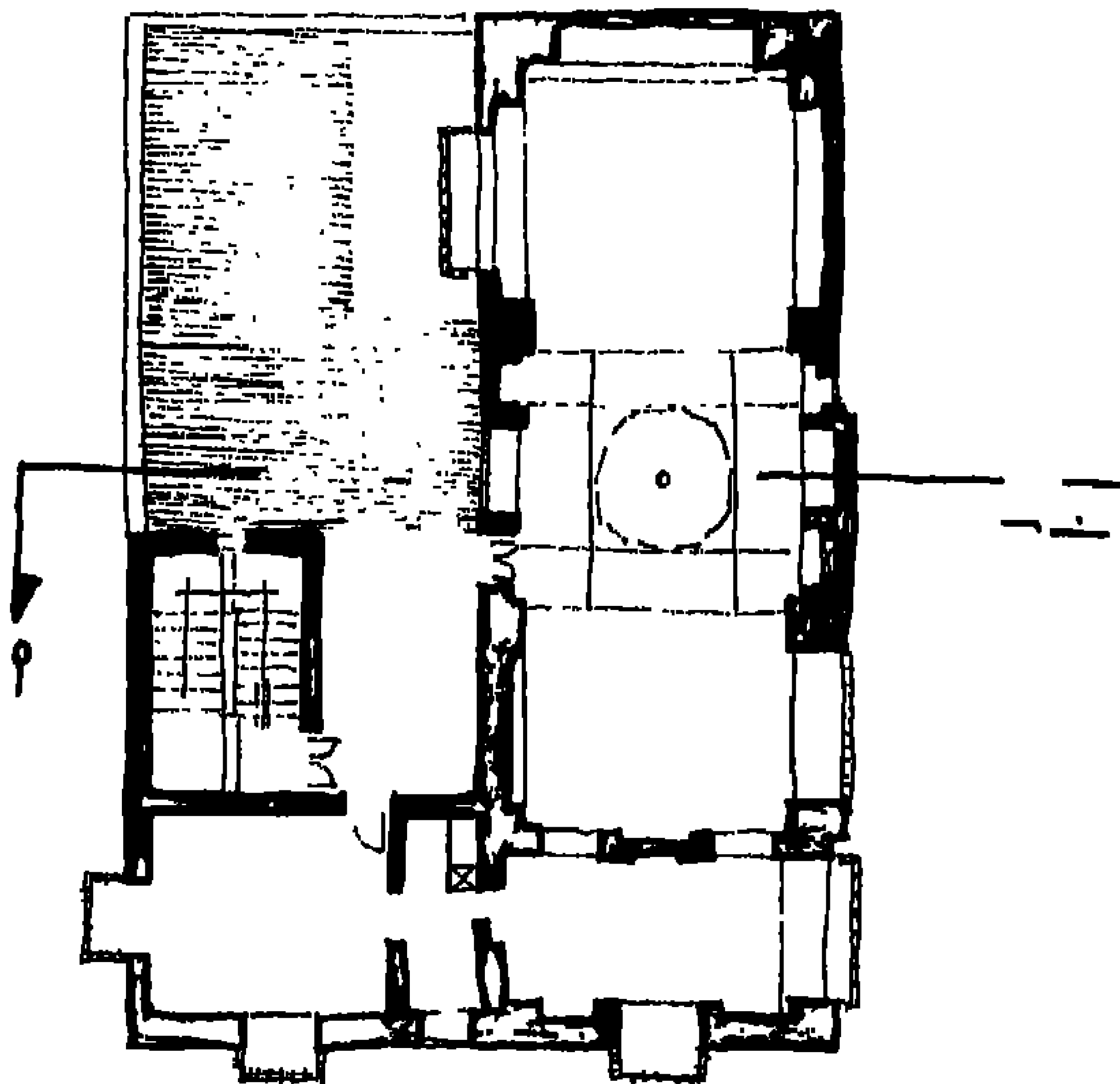
١١٩ مسقط مسكن عربي

ويهمنا ان نذكر ان كثيرا من المعماريين المعاصرين ، استخدموا الفناء الداخلى فى تصاميمهم لمساكن معاصرة .. كنوع من (الموضة) دون فهم دقيق لوظيفته وفائدته .. بينما اتبع فى بناء المساكن قديما الانفتاح بجميع عناصره على الداخل – حول الفناء الداخلى بوجود المقعد والايوان لقضاء الامسيات الجميلة والاستمتاع بالاشجار والورود ونافورات المياه .

ولايمكن للمرء أن ينسى ما لوجود الفناء فى المسكن القديم من علاقة جمالية ووظيفته ، بين التصميم الداخلى للغرف والتصميم الخارجى للمسكن ، وما يتبعها من ذوق الفرد المعايش لتلك البيئة .

- **القبــاب** : كان لاستخدام القباب فى الكثير من المبانى العربية القديمة ، الفضل الكبير فى الاقلال من اشعة الشمس المتجهة نحوها ، حيث تختلف زاوية سقوط الاشعاع الواقع على القبة ، من مركزها الى محيطها ، فمن المعروف انه كلما انخفضت زاوية الاشعة على سطح ما ، قلت معها كمية الحرارة الواقعة على السطح .

- **المشربيات** : وهى من اهم العناصر المعمارية ، التى تميز المبانى العربية القديمة ، وتعمل على انتشار كثير من الاشعاعات الشمسية الداخلة الى المبانى .



١٢٠ مسقط مسكن عربي

وذلك لان اغلب المشربيات ، تكون على شكل كروى ، تساعد اشعة الشمس على السقوط بزاويا مختلفة ، مثلها فى تلك ، مثل القباب السابقة الذكر وقد حاول بعض معمارى الغرب استخدام مايدعى « الكوليسترا » ذات الاسطح المستوية ، التى تجعل زاوية سقوط الشمس زاوية حادة ...

– **ملاقف الهواء** : من المعروف انه عند اصطدام الرياح بحاجز ما ، تنشأ امامه منطقة ضغط جوى مرتفع ، أى منطقة باردة ، وقد استفاد العرب من هذه القاعدة لادخال الهواء البارد الى مساكنهم ، وذلك بعمل ملاقف للهواء .

فالهواء يصطدم بالحائط الداخلى للملقف ، مكونا منطقة ضغط مرتفع ، يبرد فيها الهواء ، وحيث ان الهواء البارد ، ذو كثافة عالية ، فانه يهبط الى الصالة . حتى اذا سخن فيخرج من الفتحات العليا .

ومن الملاحظ انه استعمل فى دول الخليج نوع من الملاقف تدعى (البادكير) اذ ينقسم الملقف فى الاتجاه الرأسى بحائط متصالب ، وذلك لامكانية التحكم بمرور الهواء باتجاهات مختلفة ، بواسطة أبواب سفلية ، تستطيع رفع الرياح غير المستحبة ، كالرياح الرملية ، وادخال الرياح المرغوب فيها .

اضافة الى ذلك ، هناك انواع اخرى من الملاقف الموجودة فى جنوب مصر ، وهى عبارة عن فراغ رأسى بالحائط الخارجى ، يرتفع فوق مستوى السقف العلوى للمبنى ، وتكون فتحته العلوية فى اتجاه مضاد لاتجاه الريح ، وذلك لجذب موجات الهواء ، ونقلها الى داخل السرداب .

ومن المعروف ايضا ان فتحات المسكن ، تطل غالبا على الفناء الداخلى ، وهذا لا ينفى وجود فتحات ثانوية الى الأزقة والممرات الضيقة ، اذ كانت احيانا ، تغطى فى بعض اجزائها بواسطة التحام بيتين متقابلين فى الادوار العليا .

اتجاهان متباينان للتخطيط السكنى :

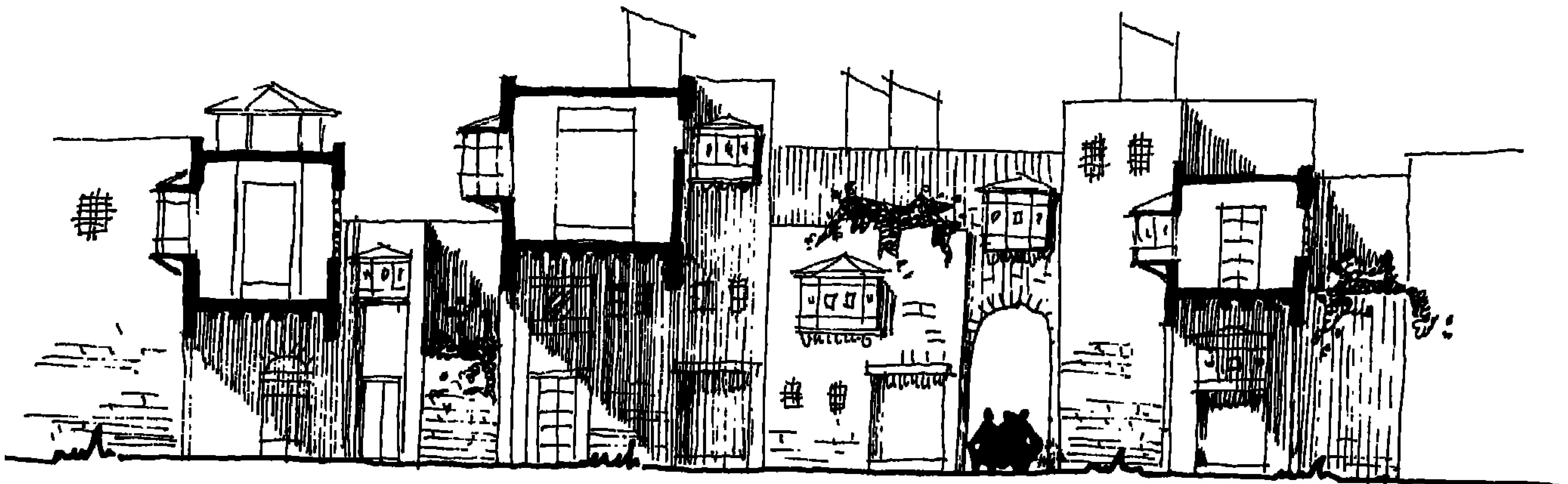
لاشك فى انه لايمكن التوصل الى تخطيط حضارى للمناطق السكنية ، الا اذا كانت الخلية الاساسية الأولى فى هذا التخطيط واضحة الرؤية ، ولاشك فى انه لابد من اتباع الاسس التى قام عليها بناء المساكن العربية القديمة ، مع الاخذ بعين الاعتبار امكانية الاستفادة من مواد البناء الحديثة العازلة للحرارة والبرودة أو فى امكانية وتطوير ودراسة مواد البناء المحلية لتتماشى وتكنولوجيا العصر ، ان تحديد المناطق السكنية يحدده اتجاهان متعارضان هما :

– **الاتجاه الأول** : ذو الكتل المعمارية المنفصلة بعضها عن بعض بواسطة مايحتمه التخطيط ، من ترك الفراغات حول الابنية ، فاذا اتصلت هذه الفراغات بفراغات الشوارع ، تكونت مساحات كبيرة من الفراغات التى توفر كمية كبيرة من الضوء ، والحرارة لكل من فى المنطقة .

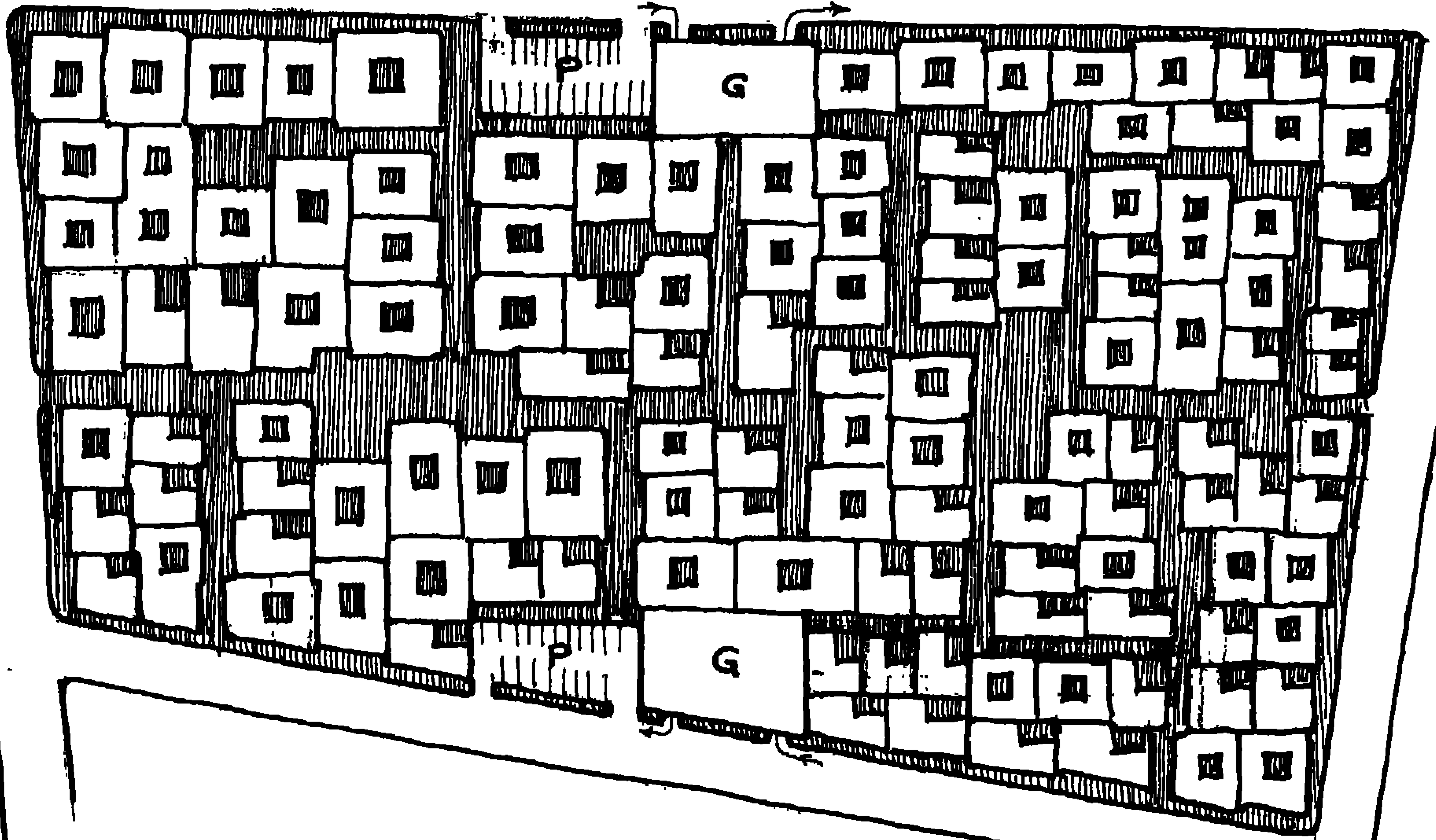
وهذا الاتجاه يكاد يكون سائدا فى معظم التجمعات السكنية ، فى انحاء العالم وخصوصا فى الدول الغربية التى كانت سباقة فى اتباع هذا الاتجاه ، وتبعها باقى دول العالم ، ومن بينها الدول العربية ، التى لم تحاول مناقشة صلاحية هذا الاتجاه لطبيعة بلادها .

وبالاضافة الى ان هذا الاتجاه ، يوجه حياة اهل المدينة الى خارج مساكنهم ، فى حين ان الانسان المعاصر احوج مايكون ، بعد ان يقضى وقتا طويلا خارج المسكن سعيا وراء الرزق منعزلا بالكامل عن العالم الخارجى ليعش بعالمه الخاص ، ويرمى وراء ظهره كل المنغصات الخارجية .

– **الاتجاه الثانى** : ويمكن تسميته بالاتجاه الأصيل فى التخطيط حيث يعتمد على ارتباط الكتل المعمارية بعضها ببعض ، دون فراغات تفصل بينها وانما الفراغات الوحيدة بالاضافة الى فراغات الشوارع هى الافنية الداخلية لهذه المساكن ، كالمسافات الصغيرة (نافورات) المتبعة فى المدن العربية القديمة .



١٢١ قطاع في حي سكني



١٢٢ مسقط أفقي لحي سكني

كما انه استعمل حديثا على نطاق محدود فى بعض مدن المناطق الحارة كهافانا والهند هذا النوع من التخطيط ، نجده اكثر اقتصادا فى استغلال الأرض فهو يعطى اكثر سطح مبنى ، مع توفير اكبر كمية من الظلال ، ويقلل الى حد كبير الضوء والحرارة . علما ان هذا الاتجاه ، يوجه حياة السكان الى داخل مساكنهم ، فتعيش كل اسرة وعائلة حياة مستقلة ، كما لو كانت وحدة قائمة بذاتها ، متمتعة باسلوب معيشى سليم من الناحية الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية .

وبهذا يحقق هذا الاتجاه عدة اغراض وظيفية وجمالية لساكنيه ، فمثلا عندما يمر الانسان بالشوارع الضيقة ، ليصل الى مسكنه الواسع الرحب يشعر بعالمه الخاص الشعور يختلف ، عندما يمر الانسان فى المدينة الحديثة ذات الشوارع العريضة ، ثم يدخل الى حيز ضيق ، لايتعدى (٨٠ م مربع) ليشعر بضيق تنفس .

مميزات الاتجاه الأصيل فى التخطيط :

– **حرية المسقط الأفقى :** فالمخطط هنا له الحرية الكاملة فى عملية الابداع الفنى ، من ناحية أطر الشوارع وعرضها ، والساحات الصغيرة المتفرعة منها واليها ، وبالتشكيل الجمالى ، الذى لايحكمه الا الحس الفنى الخلاق . كما يحقق له حرية تحديد مساحات الأرض المخصصة للبناء حسب المتطلبات المختلفة للناس .

اما وسائل النقل ، كالعربيات العامة والخاصة فقد حددت لها مواقف خاصة تقع فى اطراف الاحياء السكنية ، وهذا مايوفر الحد الادنى للسكان من مزاولة رياضة المشى .

اما وسائل النقل الاضطرارية كالاسعاف والاطفاء وبعض عربات الخدمات فباستطاعتها الوصول الى – افضل المواقع ، لتحقيق مهمتها بعد دراسة مستفيضة من المخطط .

– **عدم الرقابة :** ان حرية المسقط الافقى ، تعكس بدورها ، عدم الرقابة فيه ، وفى المساقط الرأسية للشوارع ، فالسائر بين الشوارع ، لا يشعر بالملل ، لانه باستمرار يشعر بالتغير فى الشارع والساحة فتارة يسير بممرات ضيقة، تتسع رويدا رويدا ، لتضيق ، ثم تنفتح على ساحة جميلة ، أو نافورات تجدد النشاط الى جانب رؤية السماء بين الحين والآخر .. ثم ان تلاحم بعض الابنية ، يخلق الكثير من التشكيلات الجميلة الرائعة .

– **عدم المبالغة فى الرؤية المنظورية :** نظرا لعدم حتمية امتداد الشوارع الى مسافات طويلة ، من اجل تسهيل حركة المرور فانه يتيسر للمخطط انهاء الشوارع أو انعطافها ، وبذلك فان الانسان يحدد رؤيته المنظورية داخل اطار انسانى معقول وجميل . وهذا بخلاف الرؤية المنظورة اللانهائية فى المدن الحديثة .

– **الامـــان :** لاشك بأن تصميم هذه الشوارع باشكالها المختلفة يوفر الامان للاطفال ولكبار السن والمقعدين ، ويؤمن لهم حرية الحركة ، بينما هم فى المدينة الحديثة المفتوحة نحو الخارج ، سجناء فى مساكنهم ، لايستطيعون التجول ، خوفا من حوادث قد تقع نتيجة لجنون حركة المرور .

حرية اختيار خامات الشوارع والساحات : ان عدم وجود حركة مرور آلى بين الشوارع السكنية ، تعطى حرية كاملة فى اختيار الخامات والمواد الأولية ، التى تغطى بها الشوارع والساحات ، بما يتلاءم مع الخامات المستعملة فى واجهات المساكن ، ويجعل الكتل المعمارية مع الشوارع تشكل وحدة جمالية متناسقة بعيدة عن استعمال الاسفلت كمادة مفروضة .

الساحات ودورها الاجتماعى : لاشك ان الامان الذى توفره الساحات الصغيرة ، الموزعة بين الاحياء السكنية ، وخاصة اذا ما عولجت لتكون اشبه بمتنزهات صغيرة ، لها اكبر الاثر فى خلق حياة اجتماعية وثقافية بين سكان المنطقة السكنية ، وخاصة بين كبار السن ، الذين يملون الوحدة فى غرفتهم ،

ان مايوفره هذا التخطيط لهؤلاء الناس ، من حياة اجتماعية ، قد تعجز الحكومات المسئولة ، عن توفير الراحة لكبار السن ، مع الاخذ بعين الاعتبار الى عدم وجود دور للعجزة فى بلادنا .. فيصبحون ضيفا ثقيلا على اسرهم ومجتمعهم نظر لقلة حركتهم .

الانتقال المنطقى بين الشارع والمسكن : عندما يجتاز الانسان المعاصرالشارع العريض ، ليصل الى مسكنه ، الذى لايتعدى (٨٠ مترا مربعا) يشعر بضيق فى النفس لعالمه الصغير بينما لو سار الانسان فى المدينة القديمة ، وشوارعها الضيقة ، ليصل الى مسكنه الرحب الواسع فكأنه يملك العالم بأسره .

وبهذا ، نجد انه لو عولج تخطيط الأحياء ، والمناطق السكنية فى المدينة العربية الحديثة باسلوب مدروس : على اساس انفتاحها نحو الداخل ، امر لا تكتنفه أى مصاعب أو عوائق ، اللهم اقتناع المسئولين عن التخطيط بهذا الاتجاه ، وتنفيذه فى المناطق الحديثة والمدن العربية ، التى تزداد اتساعا مذهلا ، نظرا لازدياد هجرة السكان ، وما يتبعها من تجمع سكانى كبير فى المدن المكتظة .

وكم كنت اتمنى ان ارى مثلا اثناء توسع مدينة الكويت ، وبنائها المناطق السكنية (ذوو الدخل المحدود) ان تتجه فى هذا الاتجاه ، وتوفر الكثير من الراحة النفسية لابنائها .

خاتمـــــة :

واذا كان لى كلمة اخيرة فى هذا البحث ، فهى ان تتخذ منظمة المدن العربية توصية واضحة بان يتم تخطيط المناطق السكنية الحديثة فى المدن العربية بحيث تنفتح نحو الداخل ، وان تسعى البلديات باتخاذ الجديد من الانظمة والقوانين ، المتمشية مع هذا الاتجاه .

ولكن المشكلة الحقيقة تقع فى محاولة اصلاح ما تم تخطيطه وتنفيذه ، من أحياء سكنية تنفتح نحو الخارج ، الى الاتجاه الآخر .. ولو ان نجاح هذه المحاولة سيكون بنسب مختلفة من منطقة الى اخرى إلا أنه لا بديل للمحاولة الجادة الهامة لتطوير مدننا وأحيائنا السكنية لاستعادة جذور التصميم المعمارى وتخطيط المدن من وحى تراثنا الحضارى الأصيل .

الحديقة الاسلامية ، ودور مصمم المواقع فى تطوير المدينة العربية

صفى الدين حامد

مقــــدمـة :

.. نشأت فكرة هذا البحث من اقتناع قوى لدى بثلاث نقاط أساسية :

اولا : ان الفهم المتعاطف لتاريخ تصميم المواقع عامة ودراسة الحديقة الاسلامية خاصة سوف يعودان على الانسان العربى المعاصر ومدينته بثراء فكرى ورؤية واضحة ، لتراثه الروحى وفى تقديرى وتقدير الكثيرين أن هذا التراث الروحى الذى نبحث اليوم فى ماهيته وكيفية احيائه هو ضرورة أساسية وعطاء جوهرى فى سبيل بناء الشخصية السوية المتكاملة للانسان العربى المعاصر . ولاتخطىء النظرة العابرة ملاحظة ظاهرة عامة بشأن أغلب المدن العربية المعاصرة فى شتى أنحاء الوطن العربى وفحواها افتقاد الطابع القومى الذى كان فيما مضى يميز القصور والمبانى والبيوت والمدارس والاسواق والطرقات والميادين والحدائق . ونحن نرى أثر ماكان فيما مضى من وحدة اللغة والفكر والثقافة والعقيدة فى الوطن العربى وانعكاس هذا على وحدة فنية شملت شتى عناصر المدينة وتمثلت فى الطراز العربى الاسلامى بأساليبه المتعددة . ويتفق الدارسون لهذا الموضوع على أن المدينة العربية بدأت تفقد جوهر شخصيتها الفنية منذ استسلمت – وبغير مراجعة – امام زحف الطرز والاساليب المستوردة من الغرب وبخاصة خلال عهود الاستعمار .

ثانيا : ان العالم بأسره الآن يسير نحو نهضة فكرية جديدة ومن خلالها يتكشف له تدريجيا أن تصميم وتخطيط المواقع (Landscape Architecture) قد يكون فعلا أكثر الفنون شمولا فى تاريخ البشرية . وقد تبلورت هذه النهضة فى قرارات المؤتمر الدولى للأمم المتحدة الذى عقد فى استكهولم عاصمة السويد فى صيف عام ١٩٧٢ ، وقد سمى حينذاك بمؤتمر البيئة البشرية حيث تدارس ممثلو مائة دولة مشاكل البيئات الانسانية سواء كانت عمرانية أو ريفية أو صحراوية . وقد كان هذا المؤتمر بداية لسلسلة من اللقاءات الدولية التى عالجت بجدية وعمق مشاكل التجمعات البشرية والاسكان والزحف العمرانى وموارد مياه الشرب وزحف الصحراء والتلوث البيئى وغيرها . ومن الاقوال المأثورة الآن فى العالم الغربى : « ان الأرض هى السلعة الوحيدة التى لاتنتج الآن » ، والقول واضح فى مفهومه اننا اذا لم نستخدم هذه الأرض أحسن استخدام وبأكفأ انتفاع فيما يقام عليها ومايستخرج منها ومن باطنها نكون قد أجرمنا جرما بشعا فى حق أنفسنا وحق الاجيال المقبلة .

ولعلنا لاحظنا حاليا فى أوروبا وأمريكا وكافة بلاد العالم المتقدمة ان مصمم المواقع (Landscape Architect) يقف فى موقف الصدارة ومواقع القيادة للحفاظ على البيئة الطبيعية والدفاع عنها أمام القرارات العفوية التى دمرت فى الماضى القريب الاتزان الموجود فى الخلق الالهى . ومما يدعو حقا للدهشة ان هذا التدمير للبيئة مازال يتم – وحتى الآن – فى البلاد النامية تحت ستار شعارات براقة كالتقدم التكنولوجى أو التنمية العمرانية حتى تلوثت أنهارنا وبحارنا وتعرضت شواطىء سواحلنا للتآكل وأوديتنا للسيول وأراضينا الخصبة للانقراض .



١٢٣ منظر من مدينة فاس

ثالثا : ان معظم البلاد العربية تتميز بمناخ حار جاف صيفا ، ومعتدل ممطر شتاء ، ولهذا فان طبيعة الحياة اليومية للانسان العربى ترتبط ارتباطا وثيقا بالاستعمالات الخارجية وعناصرها المختلفة مثل الشرفة ، والصحن والفناء ، والسطح ، والحديقة ، والسوق ، والشارع ، والميدان العام ، وخلافه . وبناء عليه فان عناصر الفراغات الخارجية : نوعيتها ، مساحتها ، مواقعها ، براجها ، تصميمها ، وتطويرها أصبح ضرورة هامة فى تنمية المدينة العربية . ونحن نرى الآن أن تصميم وتخطيط هذه العناصر يتولاه فى غالب الامر اما المكاتب الاستشارية الاجنبية أو غير الاخصائيين من العرب ولايدعو ذلك للدهشة حيث أن عنصر الخبراء المتخصصين غير متوفر حاليا بين أبناء هذه الامة ولكنه مما يدعو للدهشة فعلا أن تفتقر جامعاتنا العربية – من المحيط الى الخليج – الى قسم خاص لتعليم واعداد مصمم المواقع الخبير (ذلك باستثناء واحد وهو جامعة الملك عبدالعزيز حيث أفتتح قسم خاص لدراسة (Landscape Architecture فى عام ١٩٧٧) . ومما هو جدير بالذكر أن انكارنا لقيمة حقل تصميم المواقع قد أدى الى عجز الكثير من الفراغات الخارجية فى المدينة العربية المعاصرة عن الاتساق مع اعتبارات المناخ صيفا وشتاء ، وعجزها كذلك عن أن تكون ملائمة لاحتياجات وقيم وفضائل حياتنا بالرغم من أن التراث العربى الاسلامى قد قدم دروسا للبشرية فى وحدة العقيدة وعشق البيئة الطبيعية والتمكن والبراعة فى مزج الاشجار والماء وتضاريس الأرض مع المبانى والطرقات والمنشآت .

ماهية الحديقة الاسلامية :

ولعل من الهام – بادىء ذى بدىء – أن نؤكد على أنه من الحكمة بل ومن الضرورة أن نعالج موضوع الحديقة الاسلامية على مستوى شمولى للعالم الاسلامى كله وليس على نطاق ضيق لمنطقة جغرافية محدودة أو حضارة قومية بذاتها . واذا اتبعنا هذا القول سنجد أن مهمتنا فى تعريف الحديقة الاسلامية أصبحت مهمة ضخمة فى حجمها لأنها ستمتد لثلاث قارات وهى آسيا وأفريقيا وأوروبا . واذا نحن ألقينا النظر على الامثلة الباقية حتى يومنا هذا من الحدائق الاسلامية التاريخية فسنجد أنها تشمل حقبة زمنية واسعة جدا .

وقد ساد الاعتقاد فى الاوساط العلمية دائما ان الحديقة الإسلامية التقليدية تشمل فقط حدائق الدولة الاموية فى أسبانيا والمسماه خطأً بالـMoorish) (Empire وحدائق مدن فارس أمثال اصفهان وشيراز واشرف ، وحدائق دول المغول الاسلامية (Mughul Empire) فى القارة الهندية . وقد حان الوقت لتصحيح هذا التصور الناقص عن طريق القيام بدراسات متكاملة فى شتى انحاء العالم الاسلامى لبيان الامثلة العديدة فى الجزائر والمغرب وتونس ومصر وتركيا وصقلية والعراق والجزيرة العربية وأفغانستان والقارة الهندية وبلاد الصين وسمرقند . وقد يتساءل البعض فى دهشة : كيف تميزت هذه الحدائق الاسلامية فى تصميمها بطابع وشخصية فريدة رغم تباعد المسافات بينها وبين بعضها ورغم اختلاف قوميات مصمميها ومنشئيها ، بل وأيضا تفاوت أوقات انشائها والرد على هذا يمكن تفسيره من خلال اعتبارات ثلاثة هى الدين الاسلامى والحضارات القديمة والبيئة الطبيعية .



١٢٤ البيئة الطبيعية والبيئة العمرانية

تأثير الدين الاسلامى :

.. يذكر القرآن الكريم فى أكثر من سورة تصويرا رائعا للحدائق المثالية فهى من وجهة نظر الاسلام هى العطاء والمأوى ونهاية المطاف للمؤمنين فى الحياة الآخرة ورغم أن تصويرات القرآن تعطى فقط لمحات وومضات عن مشاهد هذه الجنة الموعودة الا أنها كانت فى الماضى مصدرا أساسيا للالهام الفنى لغالبية مصممى الحدائق الاسلامية فى عصور الازدهار .

فالقرآن الكريم واحاديث الرسول ﷺ المصادر الاساسية لتصور جنات اليوم الآخر ، ومن هذا التراث ايضا نبعت أكثر أفكار تصميم الحديقة الاسلامية للحياة الدنيا .

تأثير الحضارات القديمة بالمنطقة :

كان الشرق دائما مهدا للحضارات الأولى والامبراطوريات القديمة . وبعد أن دخلت الجيوش الاسلامية شتى بلاد الشرق العربى وفارس وشمال أفريقيا تأثر الاهالى بطبيعة الدين الاسلامى السمحاء ودخل الكثيرون من أبناء وقواد هذه البلاد فى الدين الجديد . واحتوت الدولة الاسلامية تحت لوائها كل هذه الحضارات . ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد أن بعض هذه الاقاليم كان ذاباع فى حقل الحدائق مثل دولة بابل وفارس ، أوله علم ودراية بشئون الرى وزراعة الأرض مثل حضارات مصر والعراق ، أوله خبرة طويلة فى تطوير الواحات الخضراء فى قلب البيئة الصحراوية كما هو الحال فى اقليم شمال أفريقيا وحضارة قبائل البربر . وبمرور الوقت انصهرت تدريجيا كل هذه الخبرات الفنية والهندسية لتقدم للانسانية جمعاء حضارة متكاملة رفيعة ذات شخصية متميزة قائمة على أصالة تاريخية وفكر عميق ملتزم بروحانيات وأخلاق الاسلام الحنيف .

تأثير البيئة الطبيعية :

على عكس دول أوروبا وأمريكا نجد أن العالم العربى الاسلامى امتد غالبا فى بلاد يقع معظمها فى بيئة صحراوية أو شبه صحراوية . وقد كان الرد المنطقى لتهذيب ومعالجة هذه البيئة الرتيبة الخشنة هو محاولة تقليد الطبيعة التى أعطت الواحات الخضراء فى وسط القفار الصحراوية الممتدة . وهكذا بدأ مصمم الحدائق الاسلامية فى انشاء أمثلة مصغرة لهذه الواحات الخضراء فى شكل حدائق خاصة ملحقة بالبيوت أو رياض ملحقة بالقصور وحدائق عامة تابعة للمساجد والمدارس والمبانى العامة والميادين الشعبية الموجودة فى كل مدينة عربية .

العناصر التقليدية للحديقة الاسلامية :

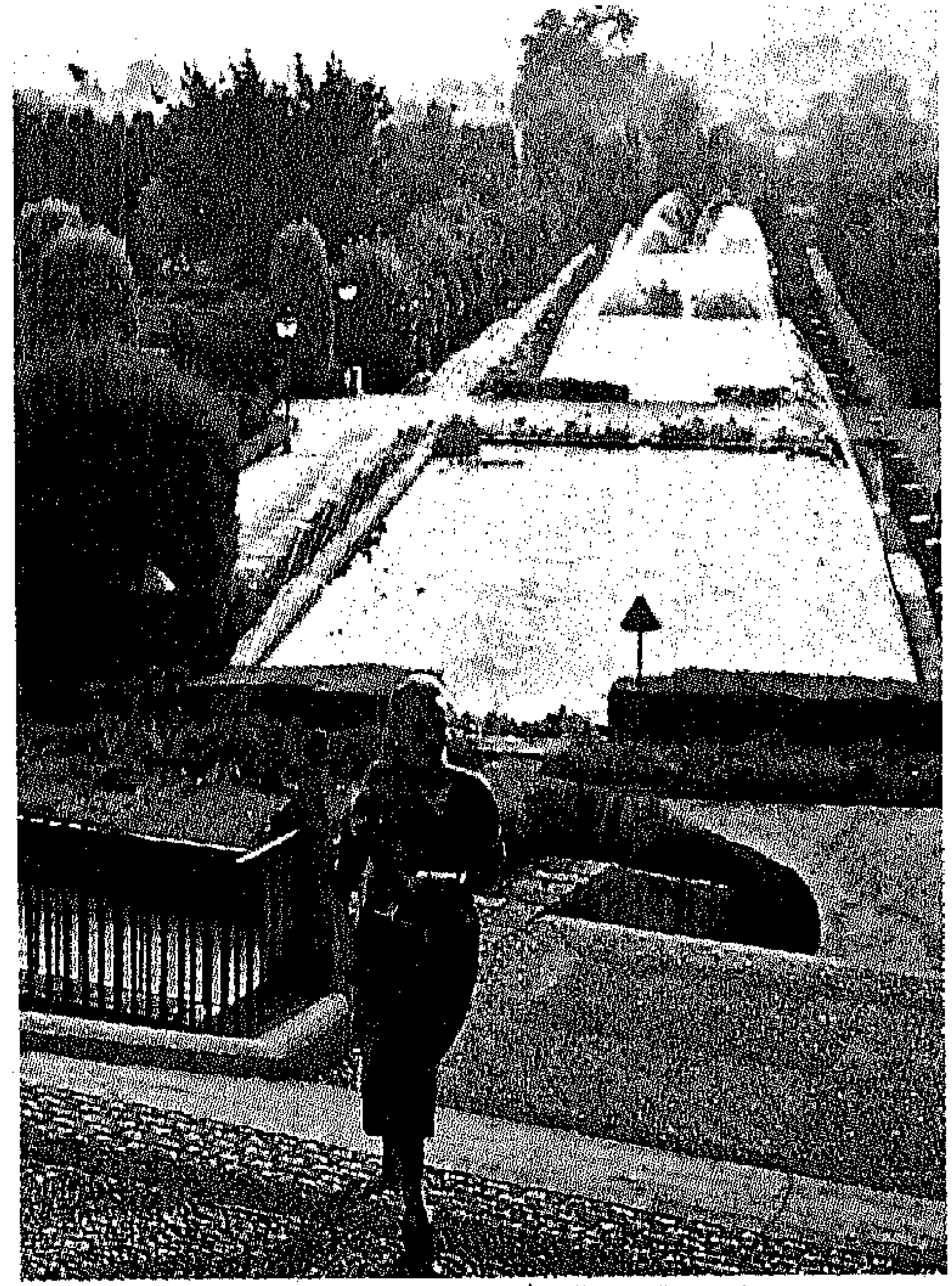
لم تكن بيئة الصحراء عقبة أمام الاستخدام المثالى للفراغات المفتوحة أو عقبة فى تحقيق تنمية زراعية واسعة سواء كمصدر للغذاء أو لتوفير أماكن الترويح والاستجمام والتريض . ولعل استخدام المياه كعنصر أساسى فى تصميم الحدائق هو أحد مميزات الحديقة الاسلامية فى الفترة المزدهرة من تاريخ المدينة العربية فعلى سبيل المثال :

- كان استخدام الماء فى نافورات بصحن الدار وسيلة لترطيب الجو وتجميل المكان فى نفس الوقت .
- وكان استخدامه فى الميادين العامة والمساجد لاغراض انتفاعية كالشرب والوضوء ورى الاشجار .
- وفى بعض الأمثلة أستخدمت المياه لاغراض جمالية تتعلق بتصميم الموقع مثل تأكيد بعض المبانى الرئيسية وضخامتها بانعكاس واجهتها على سطح الماء .
- أما استعمال المياه خلال نافورات فقد كان أيضا مفيدا لعدة أغراض منها اضافة حركة مشوقة فى وسط فراغات قد يسودها الصمت والكآبة اذا تركت خاوية بدون معالجة ذكية وجذابة كالذى نراه فى قصور الحمراء بغرناطة مثلا .
- أما الشلالات الصغيرة والماء المتدفق من مستويات مختلفة فقد أستعمل صوت خريره كقناع للضوضاء الصادرة من الطرق العامة المحيطة .

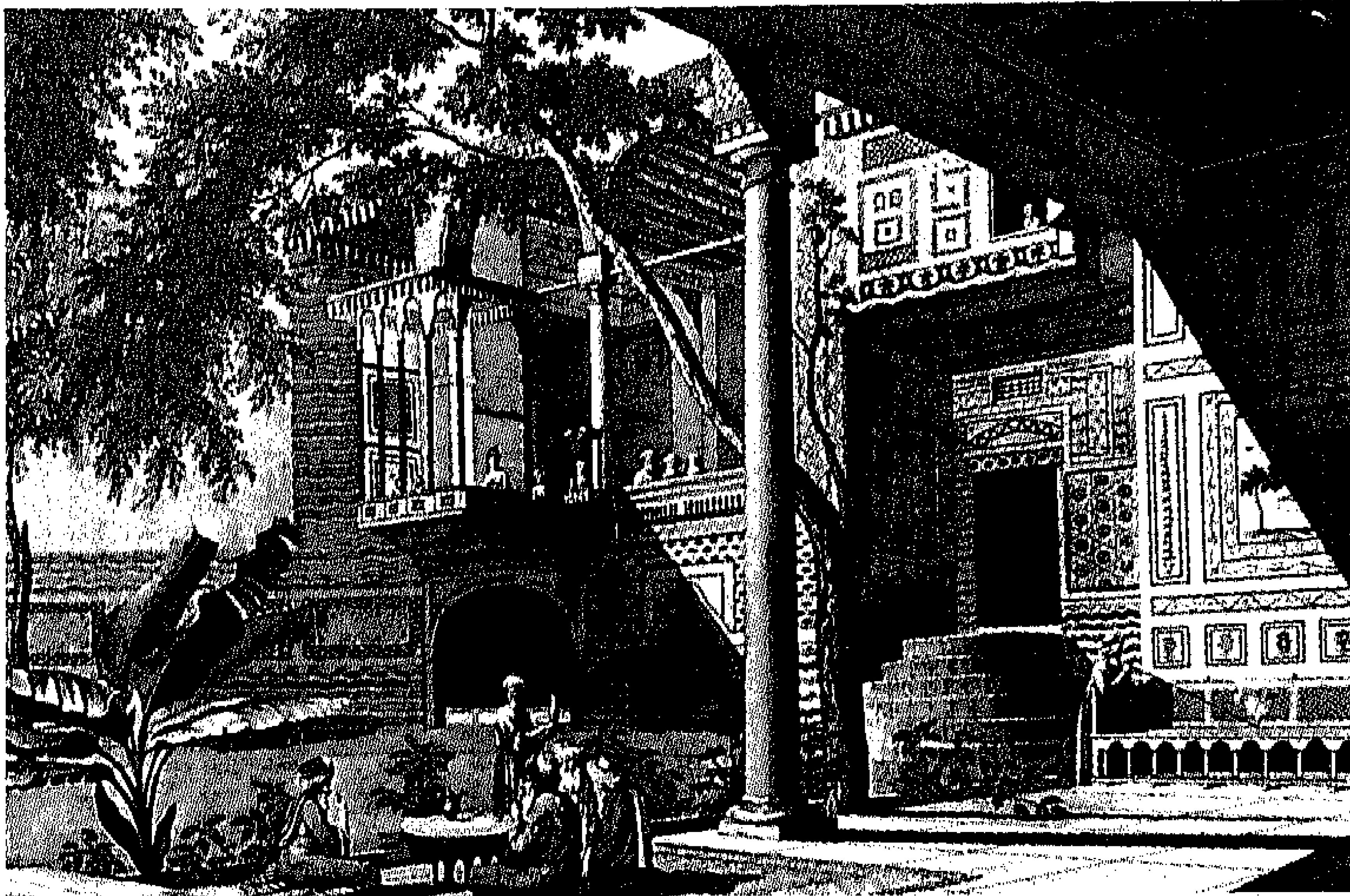
.. ومن جهة اخرى يعتقد الكثير من الباحثين أن أهم خصائص المدينة العربية فى عصور الإسلام المزدهرة هى انشاء شبكة من الحدائق تخللت انحاءها ، وعن هذا المجال ، مجال ادخال المناطق الخضراء فى النسيج العمرانى للمدينة العربية كتب (Garrett Eckbo) المؤلف المشهور ، وأستاذ علم تصميم المواقع بجامعة كاليفورنيا فى أحد كتبه :

« نستطيع مشاهدة أمثلة ممتازة من الحدائق فى أواسط آسيا وشمال الهند حتى ايران وجزيرة العرب وشمال افريقيا وأسبانيا وكل هذه الحدائق كانت حدائق مغلقة محاطة ومعزولة بأسوار أو مبان ضد رمال الصحراء وخشونة الجو ، ويعتبر خلط الطبيعة بالبيئة العمرانية هو أحد مميزات المدينة العربية القديمة وشمل عناصر مختلفة مثل الجبال والأنهار والغابات والتلال .

.. ولعله من النادر فعلا أن نجد وعيا متكاملا بالفوائد الانتفاعية للنباتات المستعملة فى تصميم الحدائق كما وجدناه فى تصميم الحديقة الاسلامية القديمة . فأما من ناحية معالجة المناخ المحلى فقد أستعمل مصمم الموقع صفاً من اشجار السرو (Cypress tree) حول حدود الحديقة كدرع واق ضد العواصف الرملية طوال العام ونظرا لجفاف الهواء المتسرب من خلال هذا الصف الأول من النباتات أضاف المصمم صفا آخرا من أشجار الحور الأبيض (poplar tree) لترطيب الموقع وبواسطة هذين الصفين المحيطين بالحديقة واللذين يبلغان حوالى ٣٠ قدما فى الارتفاع تمتع الموقع فى أغلب ساعات النهار بظل وحماية من أشعة الشمس الحارقة والتى تسبب مشاكل جمة للانسان والنباتات على السواء .



١٢٥ حدائق قصر قرطبه



١٢٦ الحديقة والحياة اليومية للعربي

ويستطيع الباحث المدقق أن يجد كثيرا من المعلومات عن النباتات المستعملة فى زمان انشاء الحدائق الاسلامية الشهيرة من خلال تراجم معاصريها . فمثلا نجد فى مذكرات بابور (Babur) أول أباطرة الدولة المغولية الاسلامية فى بداية القرن السادس عشر ، ذكراً مفصلا عن الحدائق التى أنشأها فى عهده بكشمير وأجرا وفى مذكراته أيضا نجد رسوما توضيحية لانواع الاشجار والزهور والاعشاب المستعملة . ويبدو واضحا انه اعتنى عناية خاصة بأشجار الفواكه كالبرتقال وكروم العنب لفوائدها الغذائية ولانها تضيف روائح عطرة للهواء المحيط بالدور والقصور والضياع الملحقة بها هذا الى جانب أنها تجلب وتجتذب أنواعا معينة من الطيور التى تضيف بأصواتها أنغاما يسعد بها أهل الدار وجيرانهم والعابرون على السواء .

مستقبل الحديقة الاسلامية

.. لم يتبق فى المدن العربية اليوم حدائق تحمل الطابع الاسلامى الاصيل سوى بقايا البيوت والقصور الاثرية .. ولولا أننا مازلنا نحرص – فى الاغلب – على الطابع الفنى الاسلامى للمساجد وتخطيطها لاندثر تماما أى اثر يدل على شخصيتنا الفنية فى تصميم المواقع .

ولقد يقال أن العصر وأبتكاراته فرض هذا الاتجاه وانه يمثل تيارا جارفا لايمكن الوقوف فى وجهه . ولقد يقال كذلك أن خامات العصر الحالى ومواد البناء الجديدة تفرض علينا أساليب مستحدثة وتؤثر على كيفية تصميم المواقع . وبالطبع فان هذه الاقوال التبريرية وغيرها لايمكن قبولها كذريعة لاهمال الطابع الفنى القومى .

ونحن اليوم اذ ندعو الى أحياء التراث الفنى والى التمسك بالشخصية العربية فى تصميم الحدائق وتخطيط المواقع ، فليس القصد أن نتمسك بحرفية الطراز الاسلامى التاريخى وتفصيلاته ، وبالتالى نطلب ايقاف حركة الابداع والتجديد . ليس هذا هو القصد بأى حال من الأحوال ، ذلك أن أحياء التراث الحضارى الاسلامى يعنى ببساطة التجديد الواعى والحكيم على أساس أستيعاب مميزات الاصالة القومية وأبتكارات العصر ، كما يعنى أن يصبح تصميم مواقع الحدائق والشوارع والميادين والمساجد والمبانى العامة فى المدينة العربية – ذا شخصية واضحة – وليست تقليدا حرفيا للاخرين – وفى نفس الوقت ملائما لظروفنا المعاصرة وتراثنا الروحى ومناخ بيئتنا الصحراوية .

ومن ناحية اخرى فان تكن المدينة العربية قد فقدت هذا العنصر الحيوى الذى ميزها عبر التاريخ .. عنصر العلاقة المتناسقة بين البيئة العمرانية بمبانيها ومنشآتها وبين بيئتها الطبيعية بعناصرها المختلفة ، فلاتزال أمامنا فرصة لاعادة تغليب هذا التراث الحضارى الاسلامى (بعد تطويره بما يتلاءم مع العصر) وتطبيقه فى المدن العربية الجديدة والاحياء السكنية التى تتجه النوايا الى تطويرها وتجديدها فى شتى أنحاء العالم العربى .

دور مصمم المواقع فى تطوير المدينة العربية :

رغم أن مهنة تصميم المواقع (Landscape Architecture) بتعريفها وأبعادها الحالية لايزيد عمرها على قرن من الزمان إلا انها كفن شعبى قديمة قدم التاريخ نفسه . والمصطلح المستعمل حاليا لهذا الحقل فى اللغة الانجليزية هو



١٢٧ قصر الجماعي – فاس

(Landscape architecture) أو كما اخترنا أن نترجمه بالعربية بتصميم المواقع . ولقد أتفقت الأوساط العلمية مؤخرا على التعريف الاتى : « هو فن تصميم وتخطيط أو ادارة الأراضى وتنسيق عناصر البيئة العمرانية مع عناصر البيئة الطبيعية على أن يتم ذلك بواسطة تطبيق المعرفة العلمية والتراث الحضارى بهدف الحفاظ على المصادر والطاقات ولاجل توفير بيئة نافعة وسعيدة » .

للأسف مازالت الفكرة العالقة فى أذهان الغالبية العظمى من الناس أن تصميم المواقع لايزيد على مجرد تنسيق لاشجار الزينة وتجميل الحدائق بالزهور والحشائش . ومن أجل تفنيد هذا التصور الخاطىء يجب الاشارة الى عدة نقاط هامة :

أولا : طبقا للنظرة الشمولية فى تعريف حقل تصميم المواقع فان مجالها حاليا يتناول تصميم البيئة الانسانية الكلية ، ولاشك فى أن النباتات هى أحد عناصر هذه البيئة وتعتبر أحدى مكوناتها الهامة ، ولهذا فانه يبدو منطقيا بل يتحتم على مصمم المواقع أن يكون خبيرا بالنباتات ليس فقط من وجهة نظر خواصها الايكولوجية ولكن أيضا كعنصر من عناصر التصميم له خواص فنية وهندسية ومناخية . وليس هذا فحسب ، بل يجب التأكيد على أن أبرز دور تلعبه النباتات فى عملية تصميم الموقع هو تكوين الفراغات والتحكم فى أشكالها ونوعياتها ذلك لأن الهدف الامثل والرئيسى لكل حقول تصميم البيئة هو خلق الفراغات النافعة لاستعمالات الانسان .

ثانيا : ان مهنة تصميم المواقع قد اصبح لها حاليا بعدان رئيسيان يختلف الواحد عن الاخر فى حجم واهداف المشروعات التى قد يتناولها ، وهى تخطيط المواقع (Landscape Planning) وتصميم المواقع (Landscape Design) واولهما لم يكن معروفاً على الاطلاق فى العصور القديمة وقد تطور تطورا مذهلا فى السنوات العشر الاخيرة نظرا لفيضان المعلومات الناتج عن استعمال الاقمار الصناعية فى المسح الجغرافى للموارد الطبيعية للكرة الارضية بعد النجاح الذى حققته محاولات غزو الفضاء وهذا الحقل الجديد .. حقل تخطيط المواقع يهدف اساسا الى تقويم كفاءة الأرض (land capability assessment) وحساب قدرتها على استيعاب استعمال معين بدون التضحية بنوعية البيئة المحيطة بها ، ذلك الحساب الذى يجب أن يكون عنصرا اساسيا فى صنع قرارات التنمية العمرانية والاقتصادية الحكيمة والناجحة .

ثالثا : أن دور التعليم الجامعى فى مجال اعداد الطاقات البشرية هو دور هام وأساسى ، ذلك لان احتياج المدينة العربية سوف يتعدى فى المستقبل مجرد مصمم المواقع العادى ، فالمجتمع المتقدم يحتاج الى جانب ذلك الى المنفذ والمشرف على الانشاء والصيانة ومصمم المواقع الذى سيقوم بالتدريس فى الجامعات وكتابة المؤلفات الجديدة ومصمم المواقع يساهم بنقد المشروعات ونشرها فى المجلات العلمية والتحكيم فى المسابقات المحلية والدولية .

رابعا : مامن شك فى أن مسئولية حقل تصميم المواقع أصبحت اكثر حساسية من الماضى لأنه تطور وأصبح فنا اجتماعيا ملتزما ومرتبطا باحتياجات المجتمع كوحدة ولانه يواجه التحدى الصعب فى خلق الانسجام بين البيئة العمرانية المتزايدة يوما بعد يوم والبيئة الطبيعية التى تتلاشى تدريجيا اذا لم يحسن التخطيط لها .

خامسا : يعتقد الكثيرون فى أنه قد يكون من الصعب الاعتماد على الجامعات وحدها ، لاعداد بعض الشباب العربى لمزاولة مهنة تصميم المواقع بدون تمهيد أو خلفية سابقة . والمفروض أن يبدأ تلقين مبادىء احترام الطبيعة وفهم ظواهر البيئة الطبيعية وأساسيات تصميم المواقع فى المراحل السابقة للتعليم الجامعى (الابتدائية - الاعدادية - الثانوية) فهذا الحقل من المعرفة ماهو الا فن بشرى يعتمد على البديهيات وعلى تراث حضارى مرتبط بالوطن العربى ولاشك أنه من الممكن تبسيط قواعد هذا العلم مثلما حدث الآن مع علوم الرياضة والفضاء والذرة بحيث يكتسب أطفالنا وشبابنا تدريجيا ملكات التفكير المتأنى . وثمار النظرة الموضوعية الشاملة وبذلك ترتفع ثقافتهم العامة وسلوكهم الاجتماعى الملتزم نحو البيئة الطبيعية المحيطة بهم .

الفناء كعنصر هام فى المدينة العربية

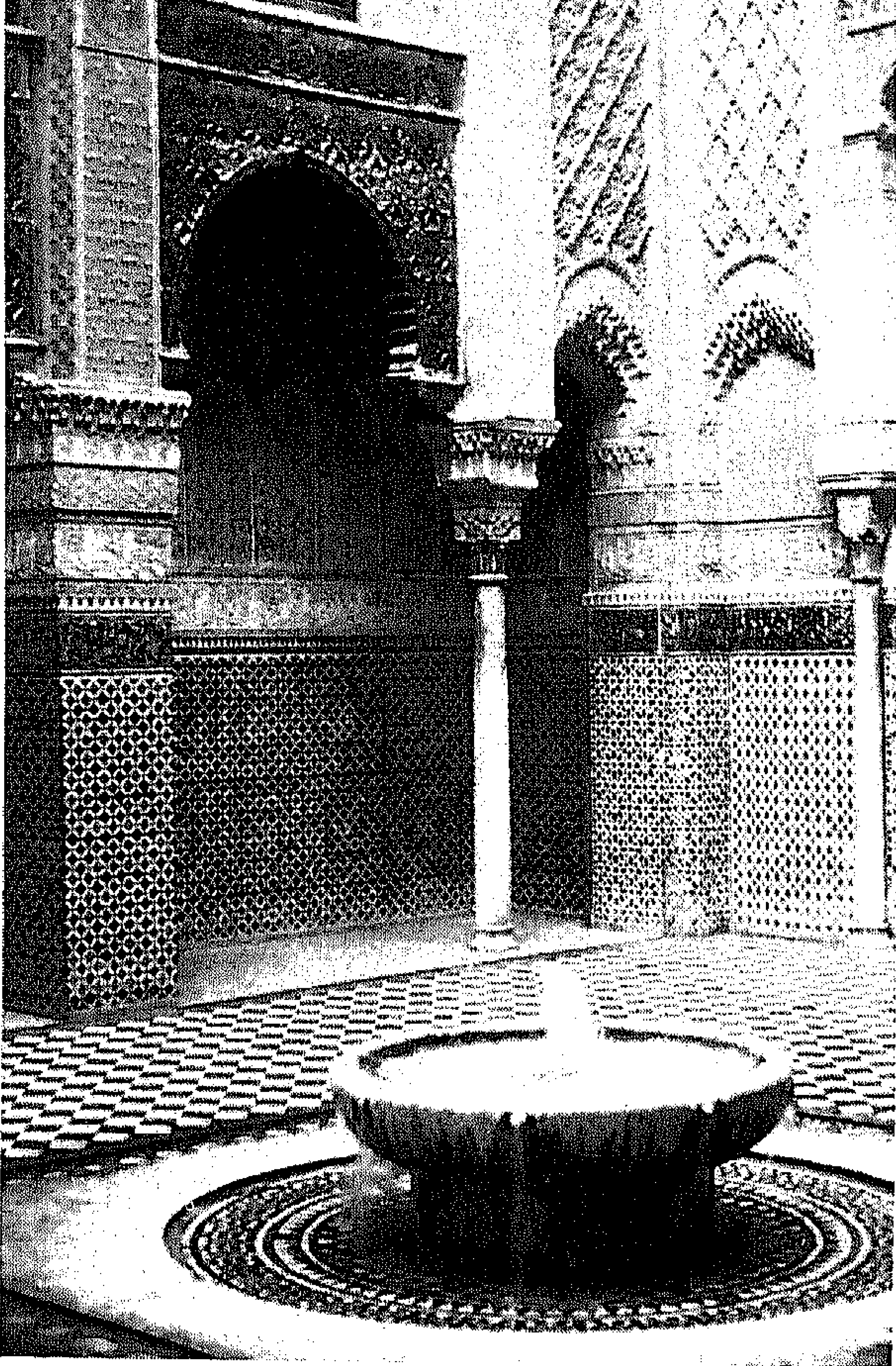
علي بسيونى

مقـــــدمــة :

تعتبر اسبانيا وشمال افريقيا من اهم البلاد التى يمكن مشاهدة الآثار الاسلامية التى تركها العرب ايام حكمهم هناك والمشاهد لهذه الاثار يسعده ان يرى معظم هذه الاثار فى حالة جيدة نتيجة المحافظة المستمرة عليها .

والمدهش حقا انه يمكن مشاهدة احياء كاملة فى مدينة قرطبة تبين ماكانت عليه الحضارة العربية فى هذه العصور من تقدم كما توضح الاسس التى خططت عليها هذه المدن وقد اشاد المهندس العالمى لكوربوزنييه فى كتابه (طريقة التفكير فى التخطيط) بالتخطيط العربى وقارنه بالتخطيط المعاصر للمدن فى الغرب وانتهى الى أن الأول ممتاز والثانى سيىء .

ويعتمد التخطيط العربى اساسا على الفناء الداخلى الذى يمثل محور النشاط الرئيسى فى المساكن والمبانى العربية اما الشارع فقد اقتصر دوره على أنه وسيلة للاتصال فقط . وبالطبع مثل هذا التخطيط يمثل اتجاها مخالفا تماما للمدن المعاصرة التى يكون الشارع فيها هو المصدر الرئيسى للانارة والتهوية كما انه فى نفس الوقت اصبح العامل الأول فى وصول الضوضاء والتلوث اهم اعداء الانسان فى الوقت الحاضر . والفناء فى المبنى العربى كما هو واضح من التخطيط للمدن القديمة يضمن ميزات عديدة منها خلق مناخ موضعى (Micro Climate) يحقق : انخفاضا فى درجة الحرارة وتهوية جيدة بدون تلوث كما أنه يضمن الانارة السليمة والهدوء والخصوصية والعلاقة الجيدة بين الداخل والخارج عن طريق الفناء ومايمكن ادخاله من مزروعات ومياه (نافورات) ونحت ودراسة بالالوان للأرضيات .



١٢٨ فناء داخلي ـ فاس

المناخ الموضعى

للحصول على خفض فى درجة الحرارة داخل الفناء فان ذلك يتأتى نتيجة الظلال الناتجة عن تقابل اضلاع الفناء ووجود المسطحات المائية التى ينتج عنها تبخير يقابله خفض فى الحرارة وانعكاس جزء من الاشعة مما يقلل الامتصاص للاشعة الحرارية وكذلك وجود المزروعات وهى عامل رئيسى فى تلطيف الجو .

وقد وجد بالتجربة ان درجة الحرارة داخل الفناء بها انخفاض يصل الى درجتين عن درجة الحرارة السائدة فى المنطقة .

ولاحداث تهوية جيدة بدون تلوث نجد ان الفناء بدرجة حرارته المنخفضة سوف يكون منطقة ضغط وان الخارج (الشارع) سيكون منطقة تفريغ (ضغط منخفضة) وتبعا لذلك سيكون هناك تيار هواء مستمر من الفناء الى الشارع وبالطبع ستكون التهوية بدون أى تلوث علاوة على تلطيفها للجو الداخلى وذلك يكون بعد عمل الفتحات المناسبة التى تضمن التهوية السليمة لاجزاء المبنى .

الانارة السليمة :

تعتمد الانارة الداخلية لاى جزء من المبنى على اتجاه الفتحات وسطحها والاشعة المباشرة والاشعة المنعكسة من الاسطح القريبة . والانارة السليمة فى مكان ما هى ان تكون درجة الانارة مناسبة وموزعة توزيعا عادلا على مسطح المكان بدون وجود مناطق مظلمة فى الاركان البعيدة . ويتضح أنه يمكن التحكم فى الانارة فى حالة الفناء الداخلى بحيث يمكن الاستفادة من الاشعة المنعكسة حتى نحصل على التوزيع المناسب للغرض المطلوب .

الهـــدوء :

لاشك ان معدل الضوضاء فى المدن الحالية اصبح يهدد الصحة النفسية للسكان – والمصدر الرئيسى للضوضاء هو الشارع لكثرة مرور السيارات والعربات باختلاف انواعها واستعمال آلات التنبيه المزعجة . وحتى فى البلاد التى امكن منع استعمال آلات التنبيه بها فان عددا كبيرا من المحركات وخصوصا الذى يعتمد فى تبريده على الهواء اصبح وحده مسئولا عن الازعاج فى كثير من الاحيان . وفى بعض الاحيان يكون وجود بعض الحرفيين سببا فى زيادة الازعاج – وتنتقل ٧٠٪ من الضوضاء الى داخل المبانى عن طريق الفتحات المباشرة على الشارع وبالطبع فى حالة المبانى ذات الفناء ستكون الفتحات اقل مايمكن على الشارع وبالتالى فإن انتقال الضوضاء سوف يكون بشكل محدود لايقارن بأى حال بالمبانى المطلة على الشارع والتى تعتمد عليها فى الانارة والتهوية .

الخصوصيــة :

من اهم الامور التى تميز السكن هى تمتعه بالخصوصية وهى من التقاليد العربية الاصيلة التى يجب المحافظة عليها .

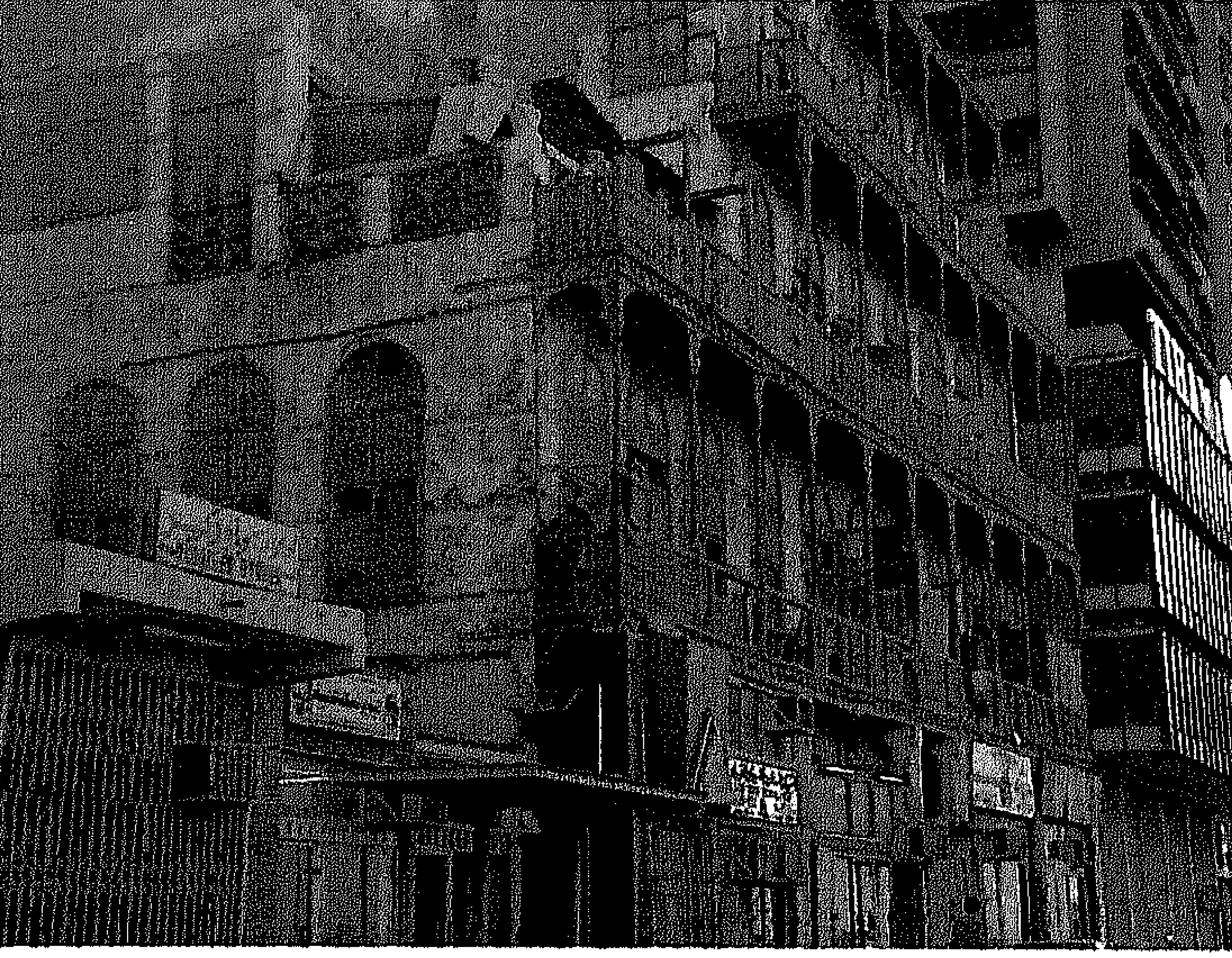
ولاشك انها كانت من العوامل الرئيسية الموجهة فى اختيار الفناء كأساس للتخطيط للمدينة العربية القديمة . والمتعمق فى دراسة النواحى الاجتماعية المترتبة على هذا التخطيط يجد ان الفناء يلعب دورا هاما كمركز للنشاط الاجتماعى للعائلة (أو للعائلات فى حالة وجود اكثر من عائلة حول فناء واحد) فهو يربط بين أفراد الاسرة ويكون المكان المناسب للانشطة الاجتماعية المختلفة مع الاحتفاظ بالخصوصية كاملة فى جميع الاحوال .

العلاقة الجيدة بين الخارج والداخل :

فى التخطيط الغربى للمدينة المعاصرة نجد أن تكدس المبانى على جانبى الشارع جعل اغلب الفتحات بدون الفائدة التى صممت من اجلها فالفتحة علاوة على كونها مصدرا للإنارة والتهوية للفراغ الا انه من اهم فوائدها هى ان تربط الداخل بالخارج . وهذه العلاقة هامة جدا من الناحية النفسية للانسان اذ انها هى التى تربطه بالطبيعة وقد أدى انفصال الانسان عن الطبيعة خصوصا فى الفترة الاخيرة التى طغت فيها غابات الخرسانة المسلحة على جميع المناطق المحيطة به الى اصابته بكثير من الامراض النفسية اهمها الاكتئاب . وفى التخطيط العربى القديم نجد ان الفناء كان يمتاز بكثرة الخضرة والزهور والمياه الهادئة التى تمر فى قنوات صغيرة تكون كلها صورة جميلة مصغرة للطبيعة . وقد ادى ذلك الى زيادة مسطح الفتحات المختلفة للفراغات المحيطة بالفناء مما ادى الى تداخل الخارج بالداخل .

نحو بيئة عمرانية اسلامية متميزة

فرحات خورشيد طاشكندى



١٢٩ جـدة



١٣٠ جـدة



١٣١ مشروع الاسكان العاجـل بالسعودية

يهدف هذا البحث الى الخوض فى أهم خصائص المدن العربية الاسلامية ومناقشة مميزاتها واسباب وجودها وذلك من خلال استعراض حالة دراسية من الوضع الراهن لاحد احياء الرياض القديمة ، ثم بعد تطبيق هذه الخصائص على الوضع الراهن للاحياء الجديدة فى المدن العربية وخاصة بالمملكة العربية السعودية لنرى مدى انعكاس الشخصية المتميزة للمدن العربية الاسلامية فى الاحياء الجديدة فى مدن المملكة واسباب اختفاء هذه المعالم المتميزة باستعراض أمثلة من عدة مدن مختلفة بالمملكة العربية السعودية : الرياض ، جدة ، مكة ، الطائف ، أبها ، خميس مشيط ، الدمام ، الخبر ، عنيزة ، بريدة ، جيزان ، نجران ، البيشة ، الغاط .

يقارن البحث ايضا بين نوعية البيئة التى كانت موجودة فى المدينة القديمة وبين الاحياء الجديدة (المدن الجديدة) من تأثير القيم الاجتماعية على الشكل العام للمدينة وتوافر المتطلبات الخاصة بالعادات والتقاليد الاسلامية فى كلتا الحالتين وكذلك وضع النساء والاطفال بصفة خاصة وملاءمة البيئة للنواحى الاجتماعية والاقتصادية والبيئية ، وذلك عن طريق أربع حالات دراسية لأربع مستوطنات مختلفة هى كالتالى : (١) المنطقة القديمة (الرياض) . (٢) منطقة مخططة ، حديثة وتشمل : (أ) قطع أراضى بخدمات (السليمانية – الرياض) . (ب) وحدات سكنية فى عمائر (الاسكان العاجل) . (٣) منطقة غير مخططة ، محتلة بوضع اليد (الارغل – خميس مشيط) وأخيرا (٤) منطقة مخططة روعى فى تصميمها أحياء خصائص المدن العربية الاسلامية (اسكان الحى الدبلوماسى – الرياض) .

بعد ذلك يذكر البحث موجزا عن اهم الاسباب التى ساعدت على فقدان الخصائص المميزة لهذه المدن . بالاضافة الى التطرق ضمن البحث الى الاحتياجات الجديدة التى لم تكن موجودة فى السابق ولها تأثير قوى فى تغيير شكل البيئة وهى المركبات والبنى التحتية / التجهيزات الاساسية .

ولايجاد وعى معمارى وتخطيطى بما تعانيه مدننا فقد دعم البحث بالخرائط والرسومات والصور اللازمة من اجل الوصول الى بيئة سكنية متميزة المعالم مستقلة الشخصية توفر احتياجات المجتمع الاسلامى لتعكس بقوة صورة هذا المجتمع عن طريق القالب العمرانى لهذه المدن .

القسم الثاني

أسس المنهج العلمي للتخطيط

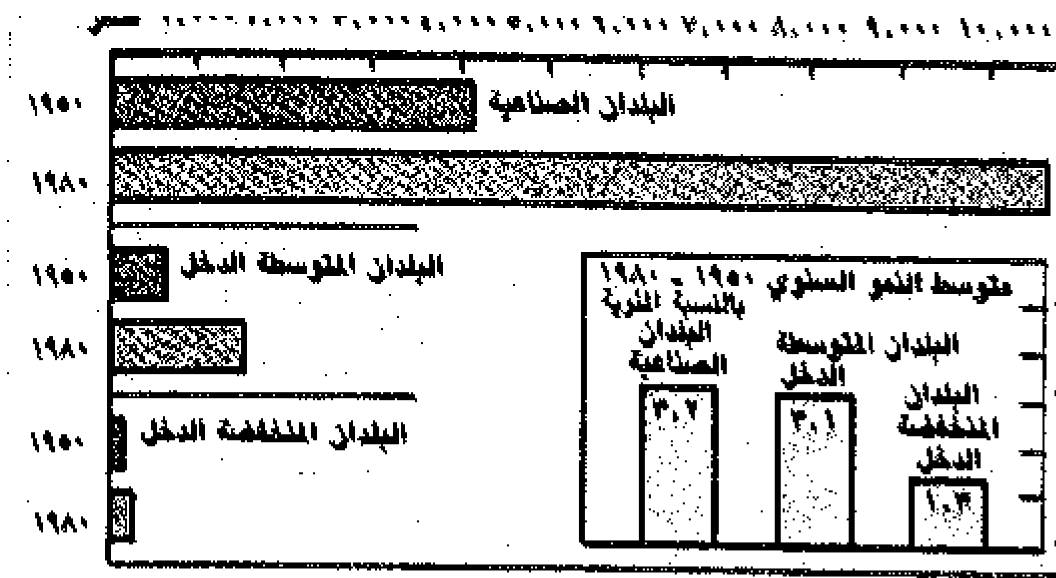
كما ذكر حسن فتحي فى مطلع هذا الفصل ، فإن أدوات العلم الحديث تصلح لتكون الفيصل بين الحلول المعمارية والعمرانية المختلفة ، ولذلك تتصدى البحوث المقدمة فى هذا القسم الى أمرين : **أولا** : وضع الاطار الفكرى لمعالجة أمور المدينة العربية المعاصرة ، **ثانيا** : وصف بعض الوسائل والطرق العلمية الحديثة التى يمكن استخدامها فى تخطيط علمى سليم . ويشتمل القسم على أربعة أبحاث :

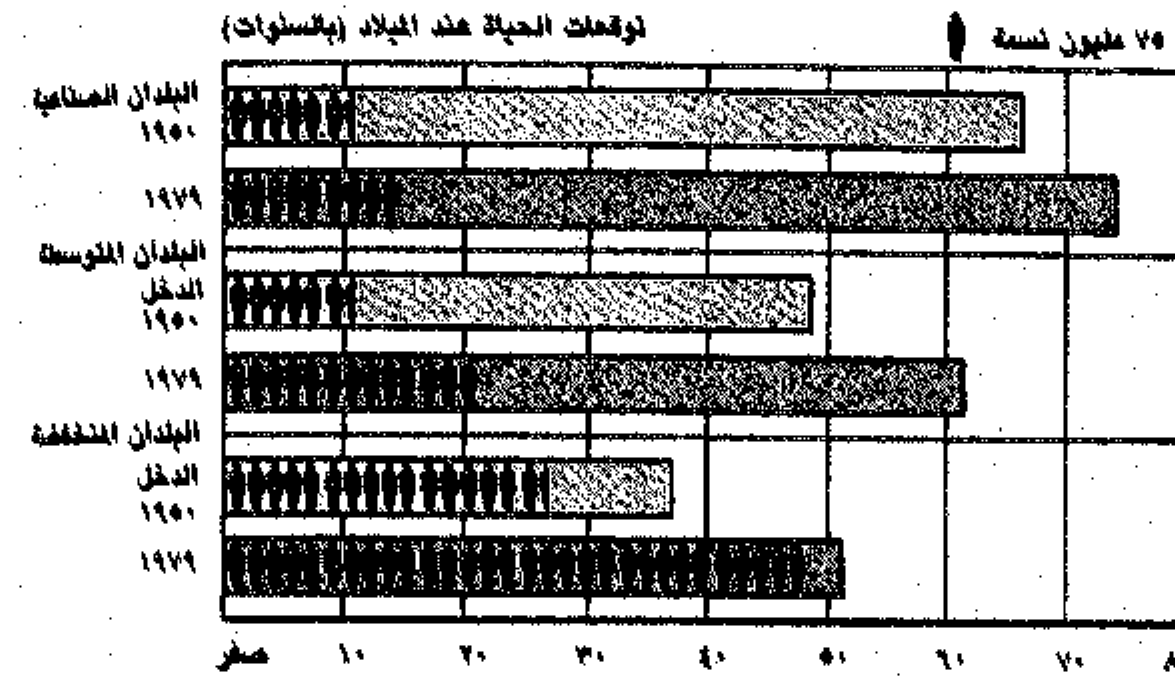
أولا : عبد الباقى ابراهيم يتحدث عن **القواعد التنظيمية فى تخطيط المدن** حيث قسمها الى خمس مجموعات لمعالجة مشكلات المناطق العمرانية المختلفة من حيث قيمتها الأثرية ومدى بنائها أو تخطيطها وتقسيمها .

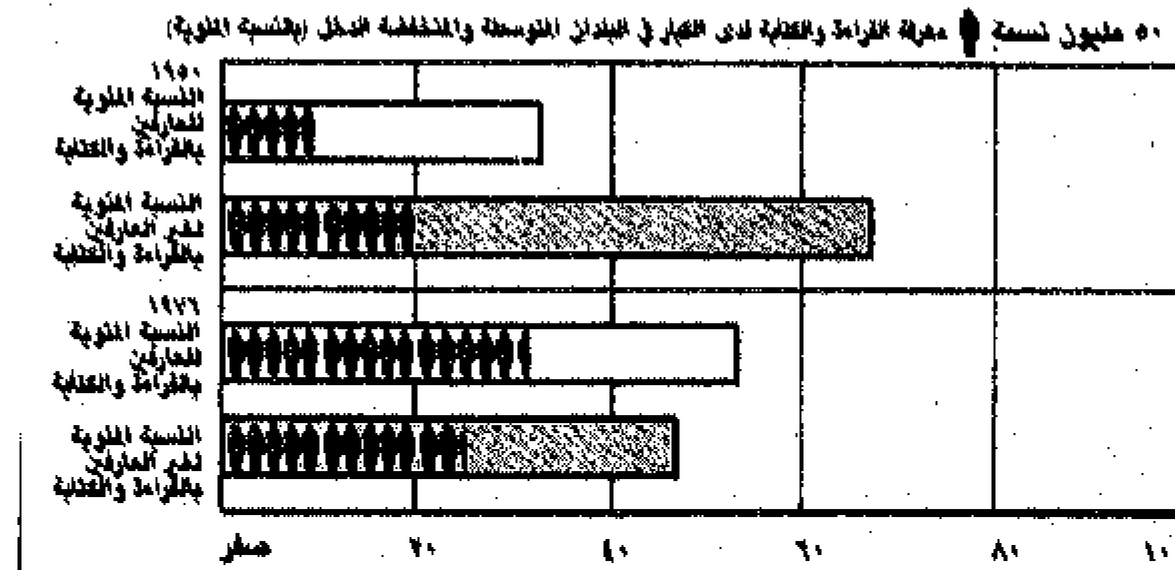
ثانيا : عمر شوقى كتخدا الذى يستنبط **أسس المعالجة العمرانية للمدن العربية من واقع المشاكل القائمة** .

ثالثا : مختار محمد الشيبانى الذى يتطرق الى موضوع **التقييس وأهميته فى الحفاظ على طابع وشخصية العمران ومواد البناء فى المدينة العربية** .

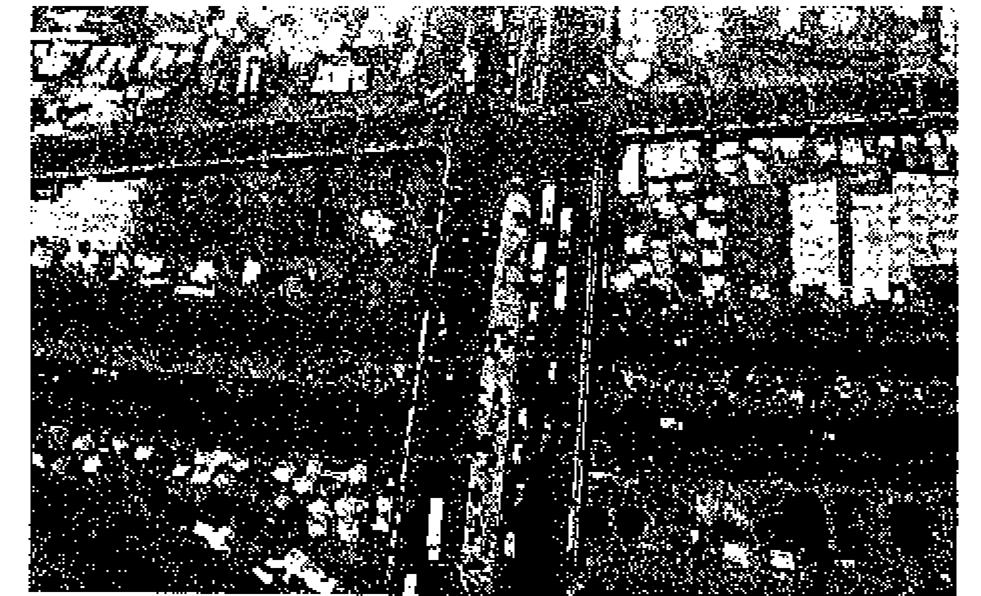
رابعا : سعيد يوسف أمين الذى يعالج **دور تكنولوجيا الكمبيوتر فى تخطيط المدن** .







١٣٦ رسوم بيانية



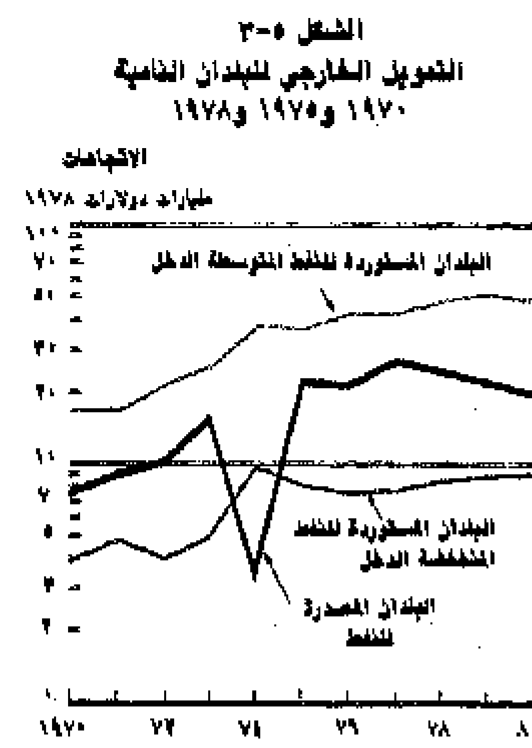
١٣٢ تقاطع الطرق – منى – السعودية

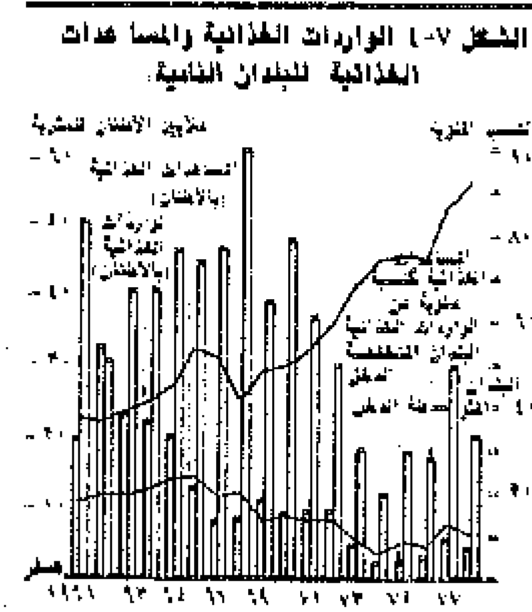


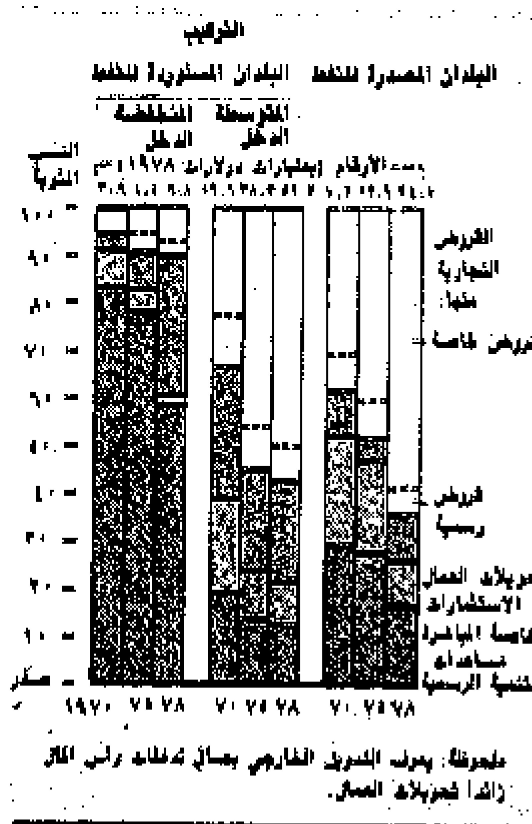
١٣٣ خريطة للقاهرة الأثرية



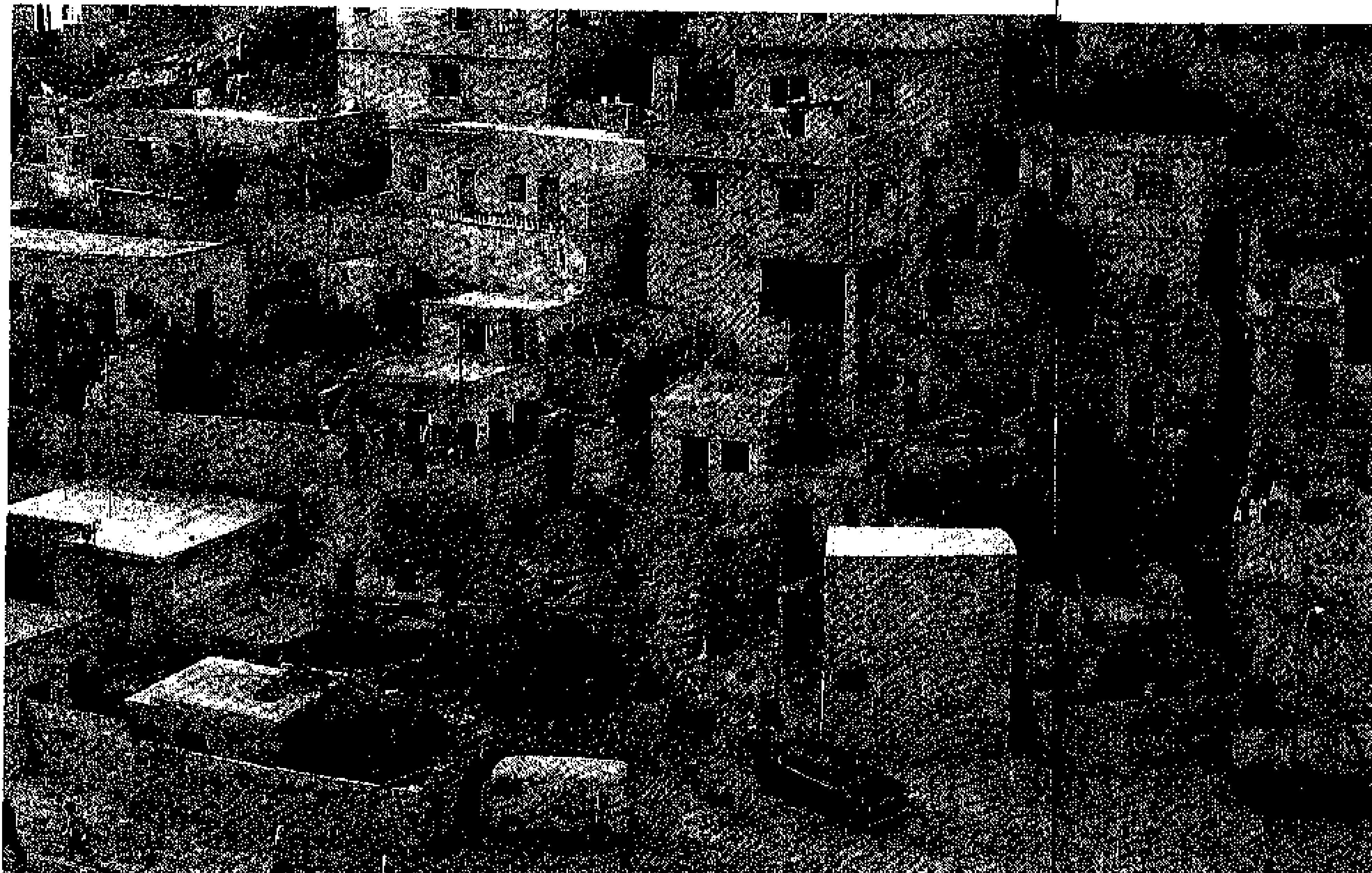
١٣٤ اطفال في مدرسة – اليمن







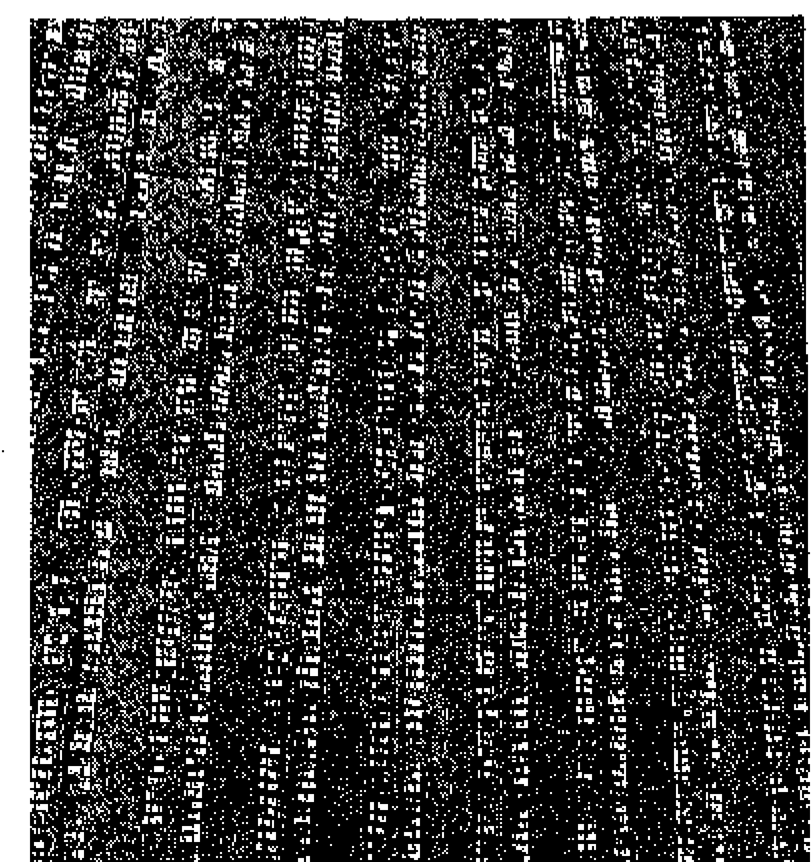
١٣٩ رسوم بيانية



١٣٨ عمان



١٣٧ مظلات للمشاة – مكة



١٣٥ حجز السيارات بالحج

القواعد التنظيمية فى تخطيط المدن الاسلامية

عبد الباقى ابراهيم

مقـــدمـــة :

فى مستهل القرن الهجرى الخامس عشر تتطلع الأمة الاسلامية للعودة الى تراثها ولاسترداد شخصيتها واعادة بناء مقوماتها الحضارية فى كل المجالات الثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية مستلهمة فى كل ذلك تعاليم الدين الاسلامى الحنيف الذى يحدد اسلوب الحياة للفرد والجماعة فى مقر عمله أو فى محل سكنه .. فى طريق تحركه أو فى ساحة اجتماعية فى هيكل العمران الذى يعيش فيه .. فى المدينة الاسلامية .. واذا قلنا أن المدينة الفاضلة هى المدينة التى يحيا سكانها الحياة الاسلامية الصحيحة .. فان البناء العمرانى لهذه المدينة سوف يعكس تلقائيا صفات المدينة الفاضلة فى العمارة والتخطيط . فقد كانت المدن على مر العصور هى المرآة التى تنعكس على وجهها المعمارى كل الخصائص الثقافية والاجتماعية والاقتصادية أو المقومات الحضارية لسكانها .. ويعنى ذلك ان ماتعانيه المدينة الاسلامية المعاصرة من تخلف حضارى هو نتيجة طبيعية لما يعانيه سكانها من تخلف عن الركب الاسلامى الصحيح .. فبناء المدن ليس فقط بالاحجار والاخشاب والطرق وشبكات المرافق بقدر ما هو بالقيم والمبادىء .. من هنا فان بناء المدينة الاسلامية هو فى الواقع بناء حضارى وعمرانى متكامل ولا يمكن فصل هذين الشقين فى أى بناء تخطيطى أو عمرانى .. فبناء الهياكل الخرسانية والحديدية لابد وان يوازيه بناء الفرد والمجتمع . حتى يظهر التشكيل العام للمدينة الاسلامية تعبيرا عن روح العصر . وقيم الدين الحنيف .

واذا كانت الدعوة اليوم لاظهار القيم المعمارية والتخطيط فى المدينة الاسلامية المعاصرة هى جانب من الدعوة الاسلامية الشاملة فانه يجب التأكد كذلك على الجوانب الاخرى حتى تتكامل مع الجوانب العمرانية للدعوة . فقد فقدت المدينة الاسلامية طابعها عندما فقد سكانها القيم الاسلامية وتدخلت القيم الاجنبية تحاول ان تفرض نظرياتها المعمارية والتخطيطية على المدينة الاسلامية ففشلت .. واعترف بهذا اصحاب هذه النظريات انفسهم وبدأوا لايبحثون عن نظريات اخرى تلائم الشخصية الاسلامية للمدينة المعاصرة . فكونوا الجمعيات واقاموا الندوات وحضروا المؤتمرات بحثا عن مداخل لهم فى بناء المدينة الاسلامية المعاصرة فى الوقت الذى يقف فيه المخطط المعمارى المسلم مقيدا فكريا ببعض النظريات القديمة لايستطيع أن يتطور بها فى الاتجاه الاسلامى الصحيح . تاركا ذلك لغير المسلم . لقد ثبت من المحاولات التى يقوم بها المعماريون غير المسلمين انهم يأخذون الامور بظواهرها دون الوصول الى اعماقها الثقافية والاجتماعية والحضارية التى لايدركها غير المسلم . ولنذكر هنا على سبيل المثال الدراسة التى قدمها خبراء اليونسكو من غير المسلمين لانقاذ القاهرة الاسلامية والدراسة التى قدمها الخبراء المسلمون لنفس الموضوع وكان الفارق جليا حيث ثبت ان الفريق المسلم قد فاق غير المسلمين فى عمق الدراسة وواقعية التصور . وهنا لابد وان يقوم فريق من المسلمين بوضع النظريات التخطيطية والمعمارية النابعة من الواقع الاسلامى ليكون اكثر واقعية وارتباطا بالمجتمع وهذا الأمر مرهون لادراك المؤسسات والمنظمات العلمية لرعاية هذا البحث وتعميمه ليكون معدا للتطبيق على المجتمعات الاسلامية المختلفة فى البيئات الجغرافية فى العالم . وهذا هو بداية الطريق .

لقد تكررت الندوات والعقدات المؤتمرات وصدرت التوصيات النظرية والعملية ومع ذلك توقفت حركة العمل والمتابعة عن الاستمرار لتبدأ ندوات اخرى فى اماكن اخرى ليصدر عنها توصيات اخرى لتدور الحركة فى دائرة مفرغة فى الوقت الذى يمتد فيه العمران فى المدن الاسلامية بسرعة فائقة لاتتوقف أو تنتظر مزيدا من التوصيات . والعمران فى حركته السريعة يجرف كل القيم الاسلامية فى العمارة والتخطيط ويزرع فى المدينة الاسلامية عناصر غريبة عنها يصعب اقتلاعها . وتتفاقم المشكلة وتتحرك بسرعة أكبر عما يتحرك بها المخططون والمعماريون واصحاب القرارات التنفيذية أو المنفذون . وتهدف هذه الورقة الى وضع الاسلوب العملى لتنسيق العمل بين الجهات المعنية فى سبيل هدف واحد هو تأكيد التراث الاسلامى للمدينة المعاصرة وإسترجاع شخصيتها واسترداد مقوماتها .. ولتبدأ من حيث انتهت المقومات والنظريات والفلسفات ومن حيث انتهت التوصيات والقرارات .. لتدخل فى مرحلة العمل التطبيقى فى كافة المجالات وعلى مختلف المستويات .

وينقسم العمل التطبيقى هنا الى ثلاثة مستويات الأول مستوى التخطيط العام للمناطق الجديدة أو القديمة ثم مستوى مناطق العمل المختارة ذات الأهمية الحضارية ثم مستوى المبانى الاثرية التى تعتبر اشعاعا معماريا يمتد ضوؤه من الماضى الى الحاضر والمستقبل مع كل المتغيرات العلمية والتكنولوجية وكل الثوابت الحضارية والثقافية .. وحيث تتفاعل المتغيرات والثوابت باستمرارية متحركة توضح معالم المعاصرة فى التخطيط والعمارة الاسلامية ومن هذا المنطلق تنبعث كل النظريات التخطيطية والمعمارية الاسلامية المعاصرة ، وفيمايلى القواعد التطبيقية لنقل هذه الأفكار إلى حيز الوجود .

القواعد التنظيمية لتخطيط الاحياء السكنية :

تنقسم هذه القواعد الى خمس مجموعات بيانها كالتالى :-

١ - القواعد التنظيمية للتنمية العمرانية للمناطق التى لها قيمة تاريخية .

٢ - القواعد التنظيمية للتنمية العمرانية للمناطق القائمة ولم يتم تخطيطها .

٣ - القواعد التنظيمية للتنمية العمرانية للاحياء السكنة التى تم تخطيطها وتقسيمها وبدأ العمل فيها .

٤ - القواعد التنظيمية لتخطيط الاحياء السكنية فى المناطق التى تم تخطيطها أو تقسيمها ولم يتم العمل فيها .

٥ - القواعد التنظيمية لتخطيط الاحياء السكنية فى المناطق التى لم يتم تخطيطها أو تقسيمها .

ويلاحظ هنا الفرق بين الأجراءات سواء بالنسبة للتخطيط أو بالنسبة للتنمية العمرانية باعتبار ان التخطيط عملية متكاملة من كافة الجوانب يتم تنفيذها على مراحل متتالية بينا التنمية العمرانية عملية لمعالجة الاوضاع القائمة التى تتعارض مع القيم التخطيطية والمعمارية وهى فى اجراءاتها التنفيذية تحتاج الى اسلوب خاص فى التعامل مع المجتمع . وتظهر اهمية المجموعات السابقة بالترتيب الذى وضعت به .

القواعد التنظيمية للمنطقة الأولى :

ويمكن اجمال القواعد التنظيمية العمرانية للمناطق الاثرية ذات القيمة التاريخية أو الحضارية على الوجه التالى :-

- تحدد المنطقة الحضرية التى تحتوى على بعض المبانى الاثرية أو ذات القيمة التاريخية الاطار العمرانى الذى تظهر فيه هذه المبانى أو اجزاء منها . ويمكن تحديد المنطقة بحدود التأثير البصرى لمبانيها الاثرية .
- تصنيف المبانى الاثرية وغير الاثرية الواقعة فى حدود التأثير البصرى للاثار وذلك تبعا لتاريخها وحالتها وارتفاعاتها واستعمالاتها والوانها ثم ترفع واجهاتها متجمعة فى حدود النطاق البصرى لتكون اساسا للتقويم والتطوير واتخاذ الاجراءات التنظيمية والخطوات التنفيذية لوضعها فى الاطار البصرى المطلوب حيث تتجانس الالوان والارتفاعات والعناصر المعمارية .
- ازالة الشوائب البيئية فى النطاق البصرى ويشمل ذلك الشوائب المعمارية والاضافات القبيحة من معلقات أو ملصقات بجانب الشوائب الاجتماعية التى تظهر فى استعمال المكان واستغلاله .. ويتضمن هذا البرنامج مشاركة متكاملة من المجتمع ممثلا فى الاجهزة المعنية من جانب واصحاب العقارات وشاغليها من جانب آخر سواء بالمساهمة المالية أو المادية مع الحوافز اللازمة أو مقابل الاعفاء من بعض الاعباء المالية .
- وضع خط البناء الافقى والرأسى وقواعد الملامح المعمارية التى تحكم بناء المواقع غير المبنية فى النطاق البصرى للمنطقة الأثرية .
- توجيه وسائل النقل السريع خارج النطاق البصرى للمنطقة الاثرية وتخصيص اكبر مسطح من المسطح الافقى لهذا النطاق للمشاة وذلك باستعمال مواد مناسبة للرصف وعناصر مميزة لتنسيق المكان سواء فى احواض الزهور والنباتات المناسبة للمناخ أو فى المقاعد والمظلات المناسبة مع البيئة المعمارية السائدة أو فى طريقة الاضاءة المناسبة أو المستمدة اشكالها من الوسائل والاشكال التقليدية .
- تنظيم النشاط الاقتصادى والاجتماعى السائد فى الاطار البنائى للمنطقة الاثرية وذلك لدراساتها وتوجيهها وتطويرها واعانتها لتؤدى اغراضها حتى تستمر الحياة المناسبة للمنطقة الاثرية واخراج الانشطة الضارة بالبيئة الحضارية للمنطقة . وهنا يدخل عامل الاعانات فى الحالة الأولى أو التعويضات فى الحالة الثانية وذلك على اساس قواعد للتقديرات المالية والتعاقدات القانونية .
- وضع أسس ونظم إدارة وصيانة المنطقة ، وذلك بتنظيم اوقات النظافة ووسائل جمع الفضلات بما لايتنافى مع البيئة الحضارية للمنطقة ... ومتابعة الصيانة بالمرور والتفتيش . مع محاولة ربط القاطنين فى المنطقة بالمكان وتنظيم السلوك الاسلامى للفرد والجماعة فى المكان . وربط نشاطهم باوقات الصلاة وتعاليم الاسلام .

القواعد التنظيمية للمنطقة الثانية :

ويمكن اجمال القواعد التنظيمية للتنمية العمرانية للمناطق المبنية القائمة ولم يتم تخطيطها على الوجه التالى :-

- تصنيف الشوارع التى تضم انشطة تجارية وادارية والشوارع المحلية التى تخدم المساكن وتحديد مواقع المساجد المحلية ومبانى الخدمات العامة .
- رفع المبانى بواجهاتها والوانها بالشوارع التجارية الادارية التى تمثل المحاور الرئيسية التى توصل الى المساجد الرئيسية فى كل حى وتحديد اسلوب تهذيب المبانى المتنافرة وازالة الشوائب المعمارية على الواجهات والشوائب البيئية حول المبانى .
- وضع برنامج تنفيذى لازالة الشوائب المعمارية والبيئية وتحديد دور الاجهزة الرسمية ودور اصحاب المبانى وشاغليها فى تنفيذ الأعمال سواء بالازالة أو بالاضافة أو الترميم ، مع توفير الحوافز المالية والادبية التى تساعد على تنفيذ هذا البرنامج .
- وضع خطط البناء الافقى والرأسى وقواعد الملامح المعمارية التى تحكم بناء المواقع غير المبنية فى الشوارع الرئيسية كل على حده دون التقيد بالنظم التقليدية العامة .
- توجيه وسائل النقل السريع أو الخاص خارج الشوارع الرئيسية التى تتجه الى المساجد الكبيرة فى كل حى مع توسيع ارصفتها وتنسيقها بما يتناسب مع البيئة المحلية .
- وضع نظام للافتات الثابتة والمتحركة يضمن تحديد اماكنها على ارتفاعات مناسبة لاتخل بالمظهر العمرانى ووضع اللوائح لذلك .
- وضع نظام للاضاءة الخارجية للمحلات والمكاتب التجارية بحيث تنعكس على المحلات ولاتتعارض مع الاضاءة العامة للشوارع . مع زيادة قوة الاضاءة . عند مساحات المساجد .
- وضع تخطيط تنفيذى للحيز المحيط بالجامع الرئيسى فى كل حى بحيث يصبح الجامع مركزا لتجميع الانشطة العامة للحى . ولو استدعى الامر نزع بعض الملكيات للانفساح لساحة عامة امام المسجد . يتم تنسيقها بما يتلاءم مع البيئة المحلية .

القواعد التنظيمية للمنطقة الثالثة :

كما يمكن اجمال القواعد التنظيمية للتنمية العمرانية للاحياء السكنية للاحياء السكنية التى يتم تخطيطها وتقسيمها وبدأ العمل على الوجه التالى :-

- حصر المبانى التى تم تنفيذها ووضع بعض الاقتراحات الممكن تنفيذها لاضفاء جانب من ملامح العمارة الاسلامية المعاصرة ، وتحديد دور ومساهمة الاجهزة البلدية واصحاب المبانى فى هذه العملية وتحديد اسلوب تنفيذها . سواء اكان ذلك بالنسبة للاضافات أو تعديل الالوان . أو تطوير فى الاسوار .
- حصر المبانى التى تحت التنفيذ ومراجعة تصميماتها وادخال التعديلات السريعة على واجهاتها يمكن تنفيذها لتضفى جانبا من الملامح المعمارية الاسلامية المعاصرة . وتحديد الالوان المناسبة للموقع .. وتطوير الاسوار وذلك دون المساس بالفكرة التصميمية للمبانى .
- حصر القطع والمواقع التى لم يتم التنفيذ فيها ووضع خط البناء الافقى والرأسى وقواعد الملامح المعمارية التى تحكم بناءها . وذلك فى حدود الكثافة البنائية المطبقة فى المنطقة واحترام القواعد التنظيمية السائدة بالنسبة للجار الذى تم بناؤه أو فى مرحلة التنفيذ . وذلك بترك الفراغات بينهم . اما بالنسبة للجار الذى لم يتم التنفيذ فى موقعه فتراجع تصميماته حسب القواعد الجديدة والتى تسمح بتوجيه الفراغات الى الداخل بدلا من الخارج سواء الداخل المغلق أو المفتوح جزئيا الى الخارج .
- وضع مجموعة من العناصر المعمارية الخارجية يمكن الاختيار بينها أو الاقتباس منها فى اعداد التصميمات المعمارية وخاصة بالنسبة للواجهات الرئيسية . والزام توضيح ذلك فى الرسومات المقدمة لتراخيص البناء .
- تطوير المناطق المحيطة بالجوامع الرئيسية فى التخطيط بحيث يرتبط الجامع تخطيطيا وعمرانيا مع الانشطة الثقافية والاجتماعية والتجارية فى قلب الحى أو على طول الشرايين المحلية الموصلة اليه .
- تحديد الشوارع الرئيسية الموصلة الى المسجد كملتقى لانشطة الحى وتحويل المرور الخاص والسريع عنها أو توسيع ارصفتها وتنسيقها لتحويلها الى شرايين للحياة ، تصل منطقة المسجد بأطراف الحى .
- ازالة الشوائب البيئية ان وجدت من المبانى المقامة أو فى الشوارع والطرقات بما فى ذلك الشوائب المعمارية أو الاجتماعية التى تظهر فى استعمال المكان واستغلاله .

القواعد التنظيمية للمنطقة الرابعة :

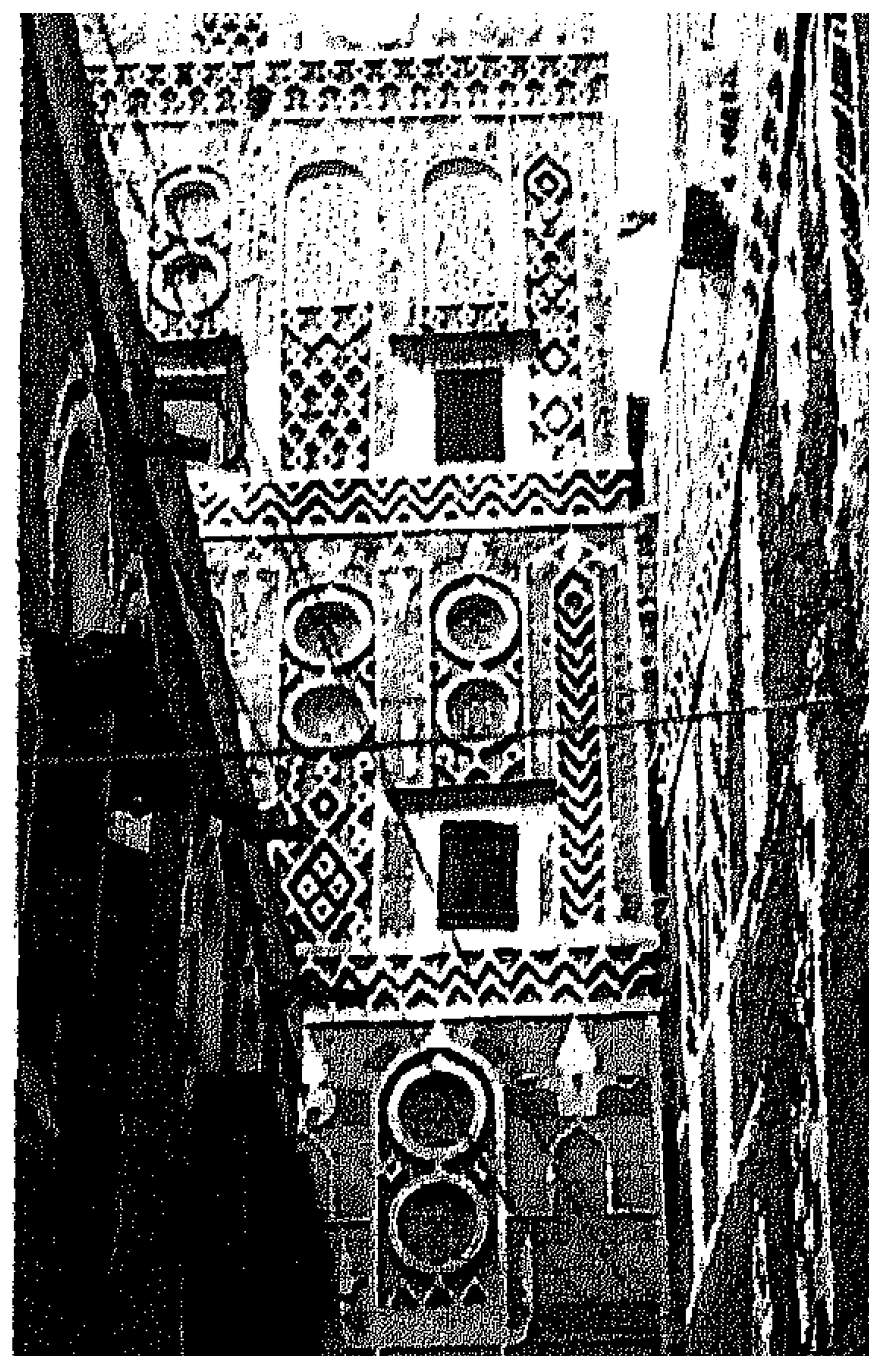
ويمكن اجمال القواعد التنظيمة لتخطيط الاحياء السكنية فى المناطق التى تم تخطيطها أو تقسيمها ولم يتم العمل فيها على الوجه التالى :-

- يتم الاعلان عن توقف العمل لشروط البناء فى المنطقة انتظارا لوضع شروط البناء الجديدة واعطاء اصحاب الاراضى أو القسائم المهلة المناسبة للسحب للشروط الجديدة .
- توضع شروط البناء الجديدة على اساس الحجم البنائى الذى يطابق الحجم البنائى الذى توفره شروط البناء السابقة حفاظا على الكثافة البنائية فى المنطقة ويترك الحرية فى التصميم فى توجيه الفراغات بين المبانى الى الداخل سواء على افنية مغلقة الجوانب أو مفتوحة من جانب واحد أو اكثر ويتم البناء فى هذه الحالة على أى جزء من اجزاء الأرض مادام هناك التزام بنسبة مساحة البناء وحجمه .
- وضع مجموعات العناصر المعمارية الخارجية وتوزيعها على المعماريين والمصممين للأخذ منها أو الاقتباس فى حدودها مع اعطاء ارشادات بخصوص استعمال المواد الخارجية بالواجهات والوانها .
- تقدم التصميمات المعمارية الخاصة بتراخيص البناء فى احجام موحدة بحيث يمكن متابعة الرسومات من خلال الملفات بالتتابع دون الرجوع الى احجام مختلفة من الرسومات ، كما تقدم فى نظام موحد لمواقع الرسومات فى اللوح المقدمة ومواقع الاسماء وارقام اللوحات وكذلك تتابع الرسومات المعمارية والانشائية والكهربائية والصحية والتقرير الفنى ، على ان تقدم الواجهات بالالوان المناسبة لاعتمادها .
- يتم تنظيم منطقة المسجد الرئيسى بالمخطط بحيث يكون مركزا تلقى عنده الانشطة الثقافية والاجتماعية والتجارية . مع تكثيف هذه الاستعمالات حوله أو على الطرق المؤدية اليه .
- تحديد الطرق الرئيسية الموصلة الى المسجد وتحويل المرور السريع عنها مع توسعة ارصفتها وتنسيقها لاستقطاب الانشطة على طول المحاور الرئيسية الموصلة الى المسجد .
- الاعلان عن نظام البناء الجديد على المكاتب المعمارية وذلك للاطلاع ومراجعة الاجهزة البلدية فى كل هذه التفاصيل .

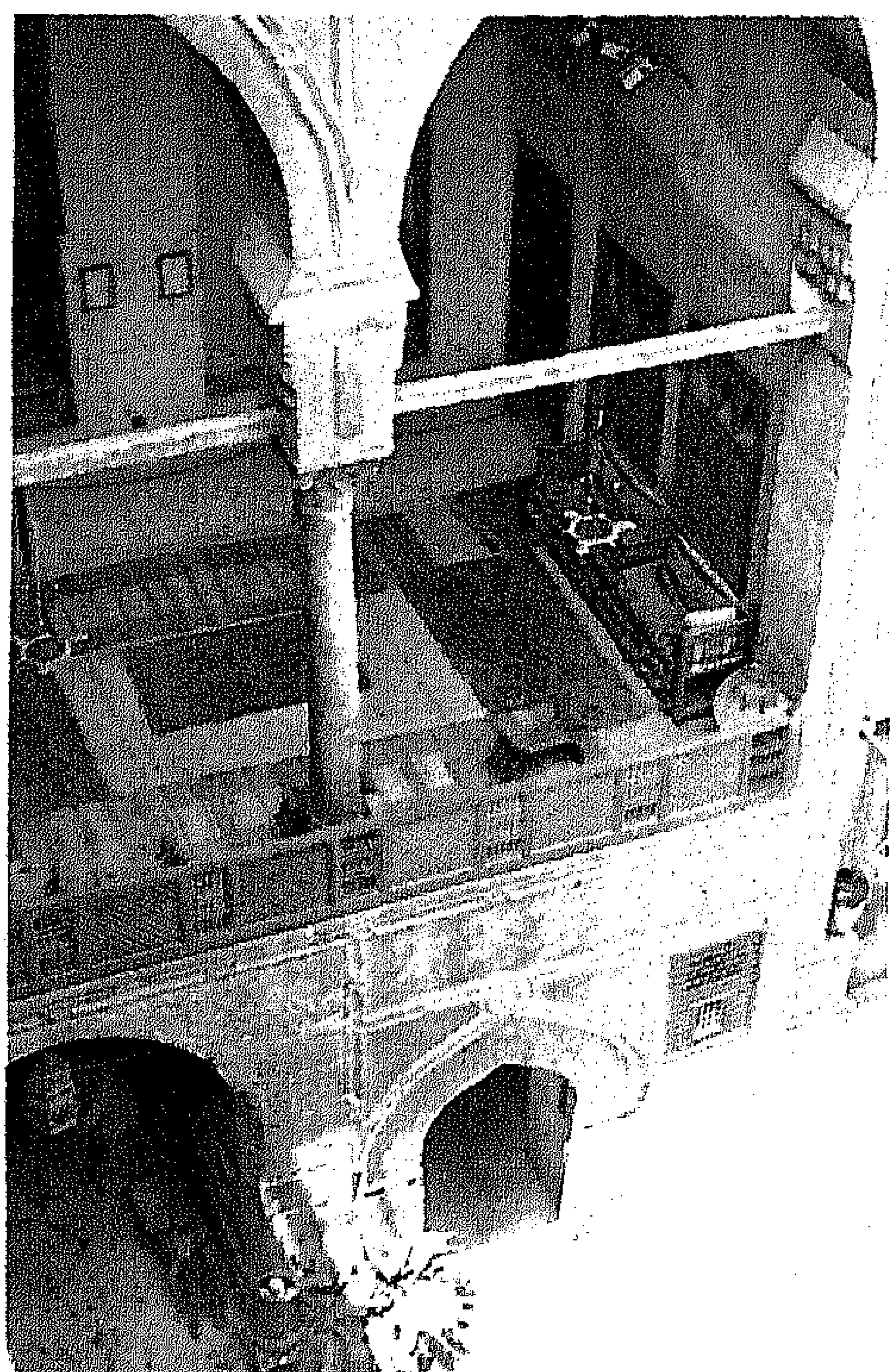
القواعد التنظيمية للمنطقة الخامسة

ويمكن اجمال القواعد التنظيمية لتخطيط الاحياء السكنية فى المناطق التى لم يتم تخطيطها أو تقسيمها . وذلك على الوجه التالى :-

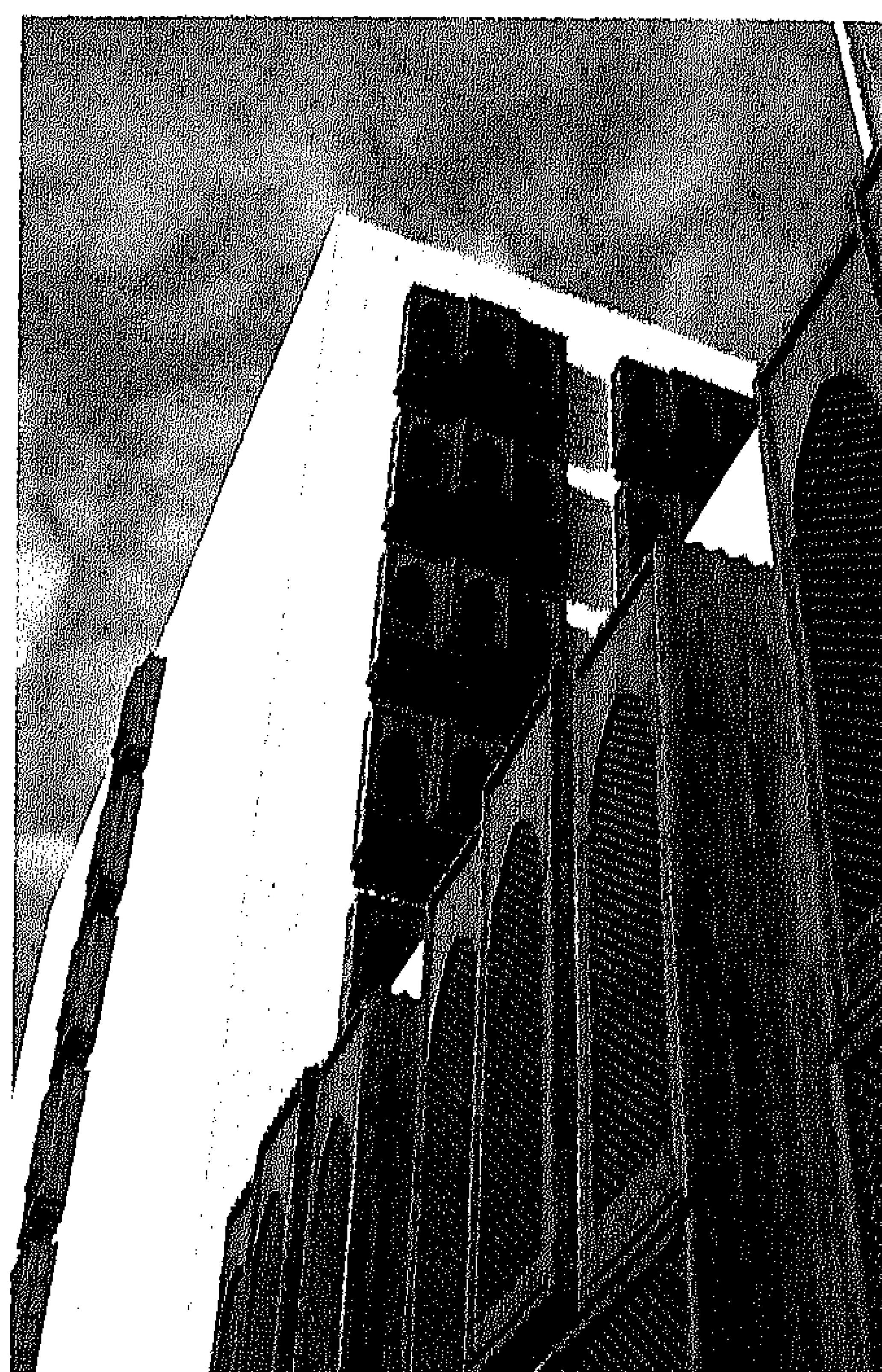
- تحديد قصبة الحى حيث يتركز على طوله النشاط التجارى والادارى وعند منطقة ساحة المسجد ومايرتبط بالمسجد من أنشطة ثقافية واجتماعية بحيث يخضع بناء القصبة الى تشكيل معمارى وحجم بنائى محدد ملزم لاصحاب الأراضى على جانبيه . أو قد تقوم به الهيئات العامة بحيث تكون نسبة الحجم البنائى على جانبى القصبة أعلى نسبة فى الحى .
- تحدد على جانبى القصبة مجموعات سكنية كبيرة على افنية عامة بينهما يتحدد فيها حجمها البنائى وملامحها المعمارية يلتزم بها أصحاب الأراضى لهذه المجموعات .
- تقسيم المناطق على جانبى المجموعات السكنية الكبيرة الى قطع تزيد مساحتها وتقل نسبة حجمها البنائى كلما اتجهت الى خارج المنطقة السكنية وتخضع الى نفس القواعد التنظيمية التى تهدف الى تجميع الفراغات الى الداخل وليس الى الخارج كفواصل فضاء من المبانى . وتترك الحرية لاصحاب هذه القطع لاختيار مايناسب مستواهم الحضارى والثقافى من قيم معمارية مع تقديم الاسس الفنية للوصول بعمارة هذه القطع الى الحد المقبول سواء من ناحية التصميم أو اللون أو الارتفاع .
- وضع أسس تنسيق طريق المشاة على طول قصبة الحى أو على طول شرايين المشاة التى تصب فيه وتربط الاجزاء المختلفة من الحى .



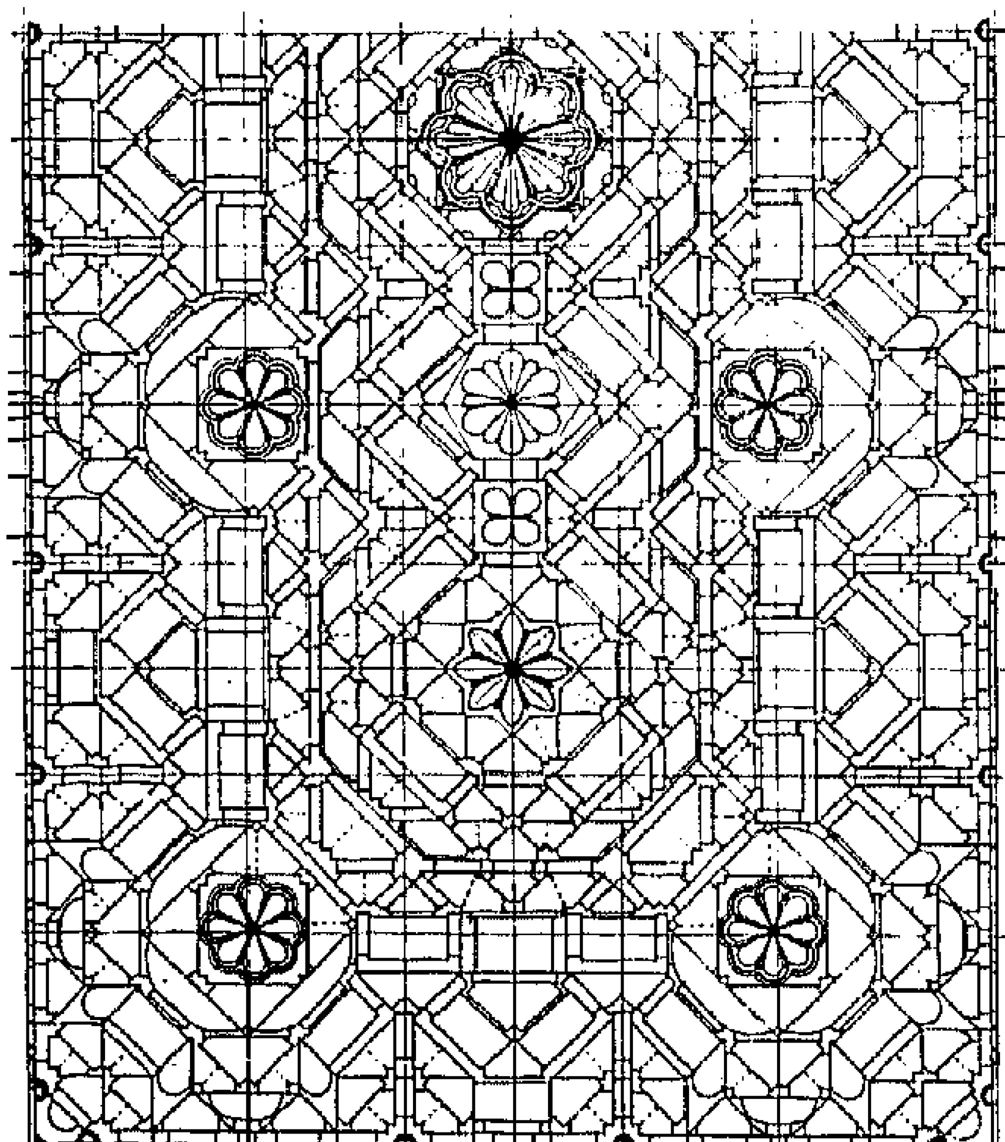
١٤٠ صنعـــاء

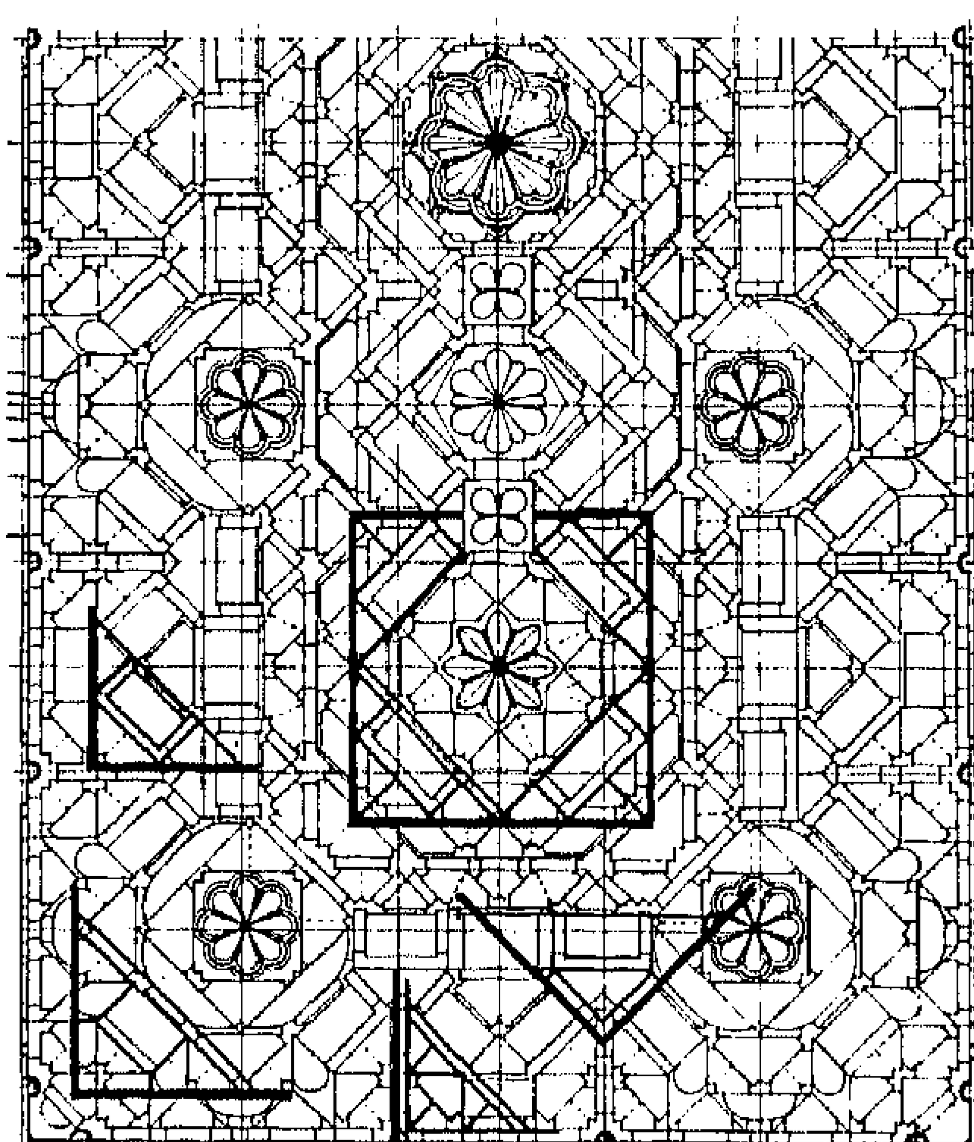


١٤٣ الفناء ـ بيت الكرتيلية ـ القاهرة

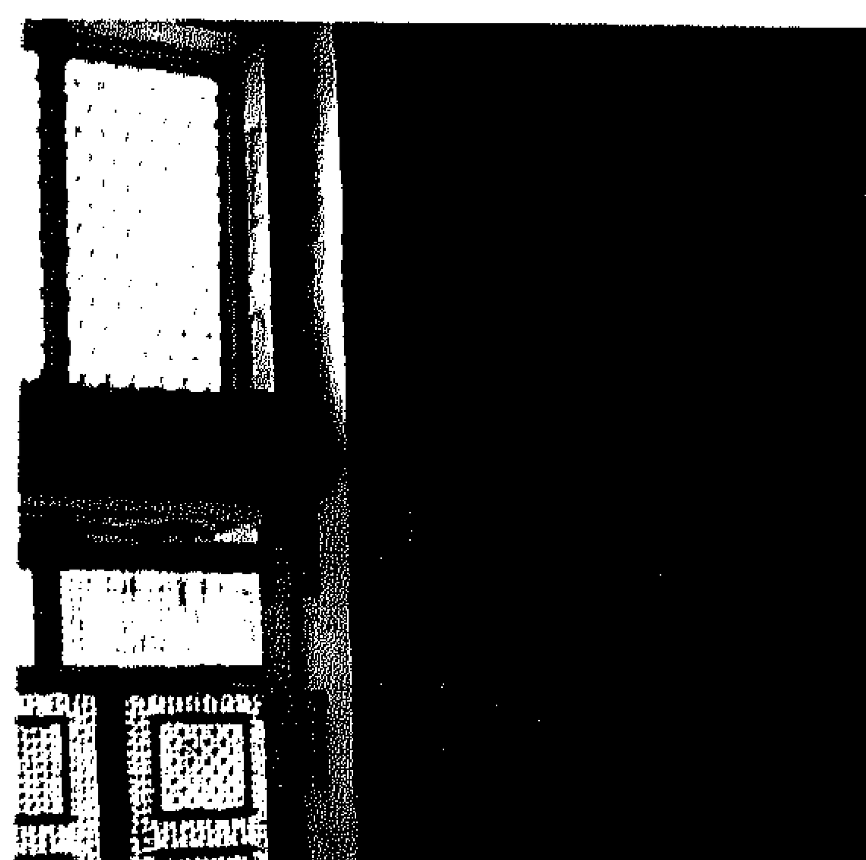


١٤١ رواشين حديثة ـ جدة





١٤٤ زخارف هندسية من القرويين



١٤٢ مشربية ـ بيت الكرتيلية
القاهرة

- تركيز النشاط التجارى والادارى والثقافى والاجتماعى على طول قصبة الحى مع زيادة الكثافات السكنية على طول القصبة وتقل فى المجموعات السكنية ثم فى القسائم بعد ذلك .
- توجيه حركة المرور حول الحى مع خدمة اجزائه المختلفة عن طريق الشوارع الفرعية الرادة أو المقفلة النهاية مع توفير أماكن انتظار السيارات على الجانبين الخارجيين لقصبة الحى .
- توزيع المناطق المفتوحة على طول المحور المتعامد على القصبة والذى يضم المدارس بانواعها مع المراكز المحلية الفرعية التى تخدم الاقسام الرئيسية للحى . وذلك بالاضافة الى الحزام الاخضر الذى يفصل الطريق الدائرى للحى عن المناطق السكنية داخله .
- تحديد الملامح المعمارية للقصبة أو للمجموعات السكنية الكبيرة والقواعد التصميمة للقسائم بما يتناسب مع طبيعة الحى والمنطقة مناخيا وثقافيا واجتماعيا وذلك حتى يتلاءم التكوين المعمارى للحى مع البيئة المحلية التى تميزه .

وسائل التنظيم والتطبيق :

مع وضع اسس القواعد التنظيمية للمناطق المختلفة من المدينة . يمكن تطويرها تفصيلا بما يتناسب مع كل مدينة بحيث توضع هذه القواعد فى صيغة ملزمة يمكن تطبيقها بحيث تسندها القرارات التنفيذية من الجهات الرسمية . تتحدد فيها البنود المختلفة التى توضح بالتفصيل القواعد التنظيمية لكل منطقة . وفى هذا اعادة كاملة لصياغة اللوائح التنظيمية السائدة . الامر الذى يحتاج الى خبرات كبيرة متمرسة على هذا العمل وفى نفس الوقت ملتزمة بالقيم الاسلامية فى التخطيط والعمارة والى ان تتم هذه المراجعة الكاملة يمكن ان تصدر القرارات الانتقالية التى تحد من تأثير اللوائح السائدة وتمهد لتطبيق اللوائح الجديدة بعد اعادة صياغتها وتقويمها عمليا .

ولاتقتصر هذه الوسائل التنظيمية على اصدار القرارات الانتقالية أو القرارات التنظيمية الجديدة . ولكن لابد من العمل على اصدار الكتيبات الارشادية الموضحة بالكلمة والرسم والصورة وبأسلوب سهل واضح للطرق العلمية والتطبيقية الجديدة بحيث يكون لكل منطقة كتيبها الارشادى الخاص . وهذا العمل العلمى ضرورى لتوجيه العاملين فى مجال التنمية العمرانية فى المدن العربية سواء من ابناء هذه المدن أو من خارجها بالاضافة الى ماتتضمنه هذه الكتيبات من شروح توضيحية مبسطة للخصائص التخطيطية والمعمارية والبيئية السائدة فى كل مدينة بحيث تكون مرجعا للدراسات أو منبعا للتطوير والتأصيل وهنا تدخل الخصائص المميزة لكل مدينة عاملا هاما لتأكيد الشخصية الحضارية المميزة لها .

وهذا جانب من جوانب العمل الموازى لتحقيق فعالية القرارات التنظيمية والتطبيقية الجديدة .

دور الأجهزة والهيئات فى وضع التنظيمات التخطيطية والمعمارية :

من مقدمة هذا البحث يمكن تحديد الجهات المسئولة عن القيام بوضع التنظيمات التخطيطية والمعمارية للمدن العربية حتى تسترد شخصيتها الحضارية التى كادت تفقدها واذا كان العمل فى هذا المجال يحتاج الى التخصصات العالية المتمرسة فان التنسيق بين الجهات المعنية أمر لابد من أن تطلع به جهة محددة . وقد تكون المعهد العربى لانماء المدن - بالتعاون مع مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية الذى يصدر المجلة المتخصصة (عالم البناء) والملحق بها النشرة العلمية للمركز تحت اسم (المؤئل) فمجال النشر والتوعية امر بالغ الاهمية حتى تصل الرسالةالحضارية الى كل الجهات وكل المسئولين وكل المهتمين وكل المتخصصين فى هذا المجال . وهذا مايفتقده العمل المنظم فى مجال انماء المدن العربية والاسلامية على حد سواء .

وللجامعات وكليات التخطيط والعمارة دورها الطليعى فى هذا العمل المنظم الامر الذى يستدعى التنسيق معها عن طريق جهة محددة ولتكن معهد انماء المدن العربية حيث يمكن ان تصب فيه كل المنجزات العلمية للجامعات والكليات والمعاهد العلمية تبعا للبرنامج العلمى الذى يقره المعهد بالاتفاق معها .

الخلاصـــة :

اننا نحاول من هذه الرسالة أن نوجه العمل المنظم بحيث يحقق القرارات والتوصيات المتلاحقة التى صدرت عن الندوات والمؤتمرات السابقة .

اننا نحاول هنا أن ننقل الاقتراحات والاراء الى خطط للتنفيذ تتحدد فيه الاهداف والوسائل والاجهزة التى يمكن أن تتولى التنفيذ .

اننا نحاول أن ننقل النظرية الى الواقع .... والله ولى التوفيق .

أسس المعالجة العمرانية للمدن العربية من واقع المشاكل القائمة

عمر شوقى كتخدا

مقــــدمـة :

تعيش مدننا العربية حاليا مشاكل نمو عمرانى متعددة تكمن اسبابها بصورة رئيسية فى الهجرة من الارياف الى المدن والتزايد السكانى فمثلا كان التعداد السكانى(1) فى مدينة الكويت ٦٠٪ من جملة سكان الكويت عام ١٩٥٠م ثم ارتفعت النسبة الى ٨٨٫٦٪ فى عام ١٩٧٥م ومن المتوقع أن تصل الى ٩٥٫٧٪ فى عام ٢٠٠٠ . ومن الاسباب المهمة الاخرى هو ظهور الثروات المفاجئة أو ازدياد الفعاليات الاقتصادية مثلما حدث فى السعودية عندما قفزت عائدات البترول عام ١٩٤٩م وتم انشاء كثير من المشروعات الصناعية كمعامل تكرير البترول ومحطات الضخ وغيرها بالاضافة الى ظهور العديد من المشاريع العمرانية التى شملت انشاء المستوطنات السكنية ومشروعات الخدمات الاساسية وشبكات الطرق والمرافق والمطارات . ثم تلا ذلك الهجرة بصورة مكثفة وسريعة الى هذه المنطقة سواء من داخل المملكة أو من خارجها وذلك بسبب توافر فرص العمل المتنوعة فى شتى المجالات مما دفع بقرية الدمام سابقا الى تحولها لمدينة الدمام حاليا حيث اصبح عدد سكانها ١٢٧٫٨٠٠ نسمة فى عام ١٩٧٤م بعد أن كان ٤٠٠٠ نسمة .

لقد حدثت تلك التغييرات بشكل مفاجىء ودون ان يكون لها ترتيبات مسبقة من النواحى التخطيطية على الاصعدة العمرانية والاقتصادية والاجتماعية وقد أدى هذا الى ارتفاع كبير فى الكثافة السكانية تجاوز مقدرة معظم المدن العربية والاسلامية على استيعابها ، وخلق خللا فى التوازن بين التنمية والتطوير الاجتماعى للمدن العربية بالسرعة نفسها والدرجة ذاتها التى تم فيها نمو المدن العربية والاسلامية ، وانعكست نتائج اختلال التوازن وعدم التوافق على النواحى العمرانية على هيئة مشاكل اجتماعية واقتصادية وعمرانية ساهم فى استفحالها عدم تمكن شبكات المرافق العامة من أن تفى بحاجات الزيادة السكنية وتبعها مشكلات المياه وشبكات المجارى والهاتف علاوة على عدم قدرة وسائل النقل والمواصلات على مقابلة الزيادة السكانية .

والآن لنقف وقفة استدراك وتأمل لنحدد فيها كيف كانت مدننا القديمة وماهى مقوماتها ، واين نحن الآن من جميع تلك المقومات للمدينة الاسلامية وكيف اختفت تلك الروح العذبة وتلاشت فى خضم العصر الحديث الذى تكاثرت فيه المشاكل العمرانية . لابد لنا من أن نبادر الى حل تلك المشكلات ولابد لنا ايضا بل انه من الضرورة بمكان ان ننظر للموضوع نظرة شمولية ونحاول تحديد الاسس والسبل لحل تلك المشاكل ضمن مفهوم الاحياء والحضارة العربية الاسلامية فى جميع المراحل وان نتبع جميع الاسس والوسائل الكفيلة بذلك .

أسس تطوير النمو العمرانى :

وفيما يلى أهم الأسس والوسائل لمعالجة وتطوير النمو العمرانى فى المدن العربية والتى تتلخص فى مجموعة خطوات عملية على المدى القريب لمعالجة المشاكل العاجلة كما تتضمن رؤية فكرية لما يتحتم علينا عمله على المدى البعيد .

التحليل وهو الاخذ بعين الاعتبار ظروف كل مشكلة وتحليل عناصرها وتحديد العوائق وازاحتها مع تركيز الاهتمام على الدراسة الاجتماعية والاقتصادية خلال استنباط الدراسة العمرانية والاخذ بعين الاعتبار ظروف وملابسات كل مشكلة على حده . ومن ثم تنفيذ الحلول بالسرعة القصوى .

مسح المناطق ورصد اشكال النمو العمرانى عن طريق التصوير الجوى : حيث انه يكون مفيدا جدا ان نسجل اشكال النمو الفعلى عن طريق التصوير الجوى لاحصاء كيفية وشكل هذا النمو العمرانى ومقارنته مع الأرقام المتوقعة اضافة الى اعتماده كمرجع يستدعى عند اللزوم للاستفادة منه فى حل ظواهر النمو المتعددة فى المستقبل . كما ان الخرائط المساحية التفصيلية لابد منها ايضا لاعداد المخططات العمرانية للمناطق الحضرية والقروية العامة والتفصيلية للمدن .

التنسيق العمرانى والاقتصادى والاجتماعى : ويتحقق التنسيق بارتباط الخطط العمرانية بالخطط الاقتصادية والاجتماعية على مستوى القطر والامة بحيث تتكامل احتياجات ومنتجات الدول العربية مع بعضها ضمن اطار التنسيق التخطيطى الذى يخدم مصالح العرب والمسلمين ويكون ذلك ممكنا عن طريق :

- القيام باحصاء عام ومسح شامل لكل المعطيات والمكونات الرئيسية لعملية تخطيط المدن والتى تعتمد على جمع وتنسيق وتبويب الحقائق الاساسية المتعلقة بالعوامل البشرية والاقتصادية والمناخية وتكوين النواة الرئيسية التى تجمع هذه المعلومات أو التى يكون لها دور كبير فى القيام بالتخطيط الشامل للمنطقة العربية .

(1) تقرير مجلس الوحدة الاقتصادية – الامانة العامة عن بعض مشكلات المستوطنات العربية والعالمية ومتابعة توصيات مؤتمر الامم المتحدة للمستوطنات البشرية .

– مشاركة الكفاءات العربية والتى تتم عن طريق الاحتكاك بالخبرات العملية واكتساب المهارات الاجنبية اثناء قيام تلك الخبرات الاجنبية بعمل المشروعات التخطيطية والتصميمية والتنفذية .

اعداد المخططات الرئيسية التنفيذية : وذلك بدمج اهداف ومرامى المخططات العمرانية للمناطق المتفرقة تحت برنامج تطوير شامل وضمن اطار الخطط الاقتصادية والاجتماعية للمدينة عن طريق تحويل المخطط الرئيسى الى مخطط رئيسى تنفيذى يتم التحديد والتفصيل بدقة اكثر وتوضيح اكبر للاماكن التى ستطبق عليها مشروعات الخطط المعتمدة على ان يراعى فيه التكيف مع الظروف المتغيرة واكسابه القدرة على امتصاص التغيير الطارىء وذلك ضمن حدود الكفاءة الشاملة للمخطط الرئيسى . وهذا يسهل ايضا عملية التنسيق واعداد المتطلبات العمرانية للمناطق والقرى فى خطط التنمية القادمة بشكل مسبق ليمكن الاجهزة الاقتصادية والاجتماعية من مناقشتها وادماجها فى برامجها .

استعمال التقنية المعاصرة : مما لاشك فيه ان استعمال التقنية لابد منه لكل عمل ناجح فى عصرنا الحالى ولكن مايجب علينا الانتباه اليه عند استعمال التقنية هو عدم استعمال التقنية بالشكل الذى يخالف مفاهيمنا وافكارنا واحساسنا الخاص بمكونات وعناصر المدينة ، والمحافظة على الاساليب والطرز المتلائمة مع بيئتنا وتطوير أو تطويع التقنية لتخدم مصالحنا ومبادئنا .

التقبل الاجتماعى : ان عدم الرجوع للناس المعنيين بالمشكلة وتلمس مدى تقبلهم اجتماعيا للحلول العمرانية المقترحة يخلق كثيرا من المشاكل والمضاعفات التى تكمن فى هدر الوقت والجهد والمال دون الاستفادة من تطبيق الحلول ودون ان تكون لهذه الحلول القدرة على حل المشاكل بالمستوى المطلوب .

تدعيم التخطيط الريفى : بما ان الهجرة من القرى والارياف الى المناطق الحضرية والمدن هى من أولى المشاكل الهامة التى تعانيها مدننا الحالية . لابد من القيام بالتخطيط الريفى ودمجه مع المخططات العمرانية والاقتصادية من اجل تحسين البيئة الزراعية وذلك لايكون الا بجعل مناخ الحياة الريفية ملائما للانتاج فى القرى والارياف والذى يضمن لنا ان يبقى ابن القرية فى مكانه دائبا على التحصيل والانتاج .

عدم حصر المشروعات العمرانية والسلطات على العواصم والمدن الكبرى : ويتم ذلك عن طريق توزيع السلطات والصلاحيات على الوحدات الادارية المحلية المنبعثة عن الحكومة المركزية وتطبيق مبدأ تحقيق اللامركزية لما له من ميزات من تسهيل ملاحقة ومعالجة الامور واستدراكها اولا باول وما يتمتع به هذا الاسلوب من فرض التعايش مع واقع المشاريع ورصد تطوراتها على حيز الوجود وعلى صعيد الواقع .

استعمالات الأراضى : الاهتمام بتحديد استعمالات الأراضى فى المدن واعادة التنسيق بينها لتجيب على المتطلبات العصرية مع المحافظة وتأكيد الشخصية للمدينة العربية الاسلامية عن طريق اكتساب مقوماتها الرئيسية الاهمية اللازمة وخلق البيئة المناسبة اذا لايعقل ان نسمح بقيام أبنية عالية الارتفاع مثلا امام أى مبنى تاريخى أو امام أى اثر يحمل معنى من معانى التراث بل على العكس يجب ان نفتش عن هذه المكونات الموجودة فى المدينة الحالية وان ندعمها ونعطيها حقها مع الاحترام .

الاخذ بمبادىء فصل الحركة : كالفصل بين حركة المشاة وحركة السيارات وذلك كمحاولة للحد وتخفيف الاثار السلبية التى يولدها استعمال الآلة على خصائص وميزات المدينة العربية ولنا فى المدن القديمة افضل مثال فلقد فقدنا فى الوقت الحاضر شعور الخصوصية فى السكن والتى كانت تتمتع بها المدن الاسلامية ، وتحولت الشوارع التى تتدرج فى الاتساع ومساحات الظل والنور وتعطى الانسان حقه من الهدوء والامان الى شوارع عريضة فسيحة تكتظ بالسيارات رغم كبرها وتعانى مشاكل المرور للمركبات والبشر بآن واحد . ان حل مثل هذه المشاكل لايتم الا عن طريق فصل حركة المشاة عن حركة السيارات ما امكن .

التعاون بين مختلف القطاعات الحكومية والتنسيق فيما بينها : ويظهر ذلك ضروريا جدا من اجل اعطاء الاولويات للمشاريع ومن ثم التنسيق والربط بين جهود الهيئات الحكومية المشاركة فى المواضيع التخطيطية وذلك من اجل ضمان فعالية التخطيط وانتاجيته ولتخفيف العبء الكبير الملقى على عاتق الاجهزة المحلية فى البلديات وعلى المواطنين على السواء . كما يساعد وجود مثل هذا التعاون والتنسيق على التحضير المسبق للمشروعات التى هى فى حيز الدراسة ويقوم بالتنسيق فى اهمال المشاريع القائمة وخاصة العاجلة منها .

التغلب على العوائق المادية : وضع البرامج الاقتصادية للتغلب على العجز المادى الذى كثيرا ما يقف عقبة فى سبيل تنفيذ المخططات العمرانية أو حتى احياناامام استحداث مثل تلك المخططات . ولايتم التغلب على ذلك الا بخلق المشروعات المنتجة والتى تتيح فرصة العمل وتحسن من مستوى الدخل القومى ، وقد يكون من المفيد جدا اشراك السكان فى العمل ومساهمتهم فى حل المشاكل بواسطة جهودهم الشخصية وتبرعاتهم فهذا يخفف قليلا من العبء المادى على كاهل بعض الحكومات غير القادرة على سد جميع حاجات ومتطلبات النمو للمدينة ، كما انه لايمكن ان ننسى مدى تأثير تعاون الحكومات العربية ودوره فى خلق التكامل العربى والاسلامى .

تشجيع انتاج وتصنيع المعدات الحديثة المتطورة : وهذا هو أهم مانحتاج اليه فى مدننا العربية اذ أننا نحتاج الى منتجات نقوم نحن بتصنيعها بعد بلوغنا مرحلة القدرة على الانتاج الصناعى وان وجود مثل هذه الانواع من التصنيع يجعلنا فى موقع استقلال صناعى ويحررنا من الاستغلال الناشىء عن حاجتنا الى استيراد تلك المواد من الدول المصنعة ناهيك عن الهدر الاقتصادى وعدم ملاءمة كثير من الالات والمعدات لشروط وبيئة بلادنا وماتحدثه من مضاعفات غير مرغوب فيها على مستوى البلاد العربية .

التطوير التعليمى : الاهتمام بتطوير وتحسين الجامعات والمعاهد التى تعد المهندسين والمخططين العرب المتخصصين فى الدراسات المعمارية والتخطيطية ، واحداث المعاهد الجديدة والمراكز التدريبية وتهيئة جميع وسائل العصر الحديثة من اجل تطويرهم وتحسين مستوى تفكيرهم ورفع مقدراتهم المهنية وكذلك الاعتناء بوسائل تحسين البيئة عن طريق دراسة المساكن القديمة واعادة ترميمها ورغم ان بعض البلاد العربية مثل السعودية مثلا قد استحدثت بعض هذه المعاهد الا انه لاتزال الحاجة موجودة فى كل البلاد العربية لتحسين هذه المعاهد أو احداثها فى بعض الدول الاخرى . وانه لمن الضرورة بمكان ان يدرس الطلاب مواد هندسية

وتخطيطية لها علاقة بالتراث تشرح فيها نظريات العمارة الاسلامية والمدن العربية الى جانب النظريات الاخرى لتخطيط المدن والعمارة .

استعمال المواد المحلية وتطويرها : وهذه نقطة مهمة فى جانبين رئيسيين اولهما توفير القطع الاجنبى المعروف من اجل استيراد المواد غير المحلية وثانيهما ان فى كثير من الاحيان تكون هذه المواد لها قدرات على معالجة البيئة اكثر من المواد المستوردة وعلى الاقل فان الناس يفهمونها ويحسنون استعمالها ، وانه اذا ما جرى مسح ودراسة لهذه المواد المحلية واعيد النظر فى تركيباتها وتحسين نوعيتها فانه بلاشك ستكون لهذه المواد قدرة فائقة على حل مشكلات البيئة والمناخ مع المحافظة على روح التراث .

حصر الآثاره والمعالم التاريخية: القيام بعملية تحديد وحصر للاثار والمعالم التاريخية الموجودة فى مدننا العربية واصلاح مايلزمه منها من اصلاح وترميم ، والبحث عن الاثار والتراث الذى خلفه الاولون ودراسته وتحليله وهذا يستدعى بالطبع تشكيل جهاز فنى قادر على حمل المسئولية والقيام بواجباته من خلال فهمه وادراكه وتجهيزه بالمستوى اللائق لاداء هذا العمل .

تقويم المعايير التخطيطية والانظمة العمرانية : يجب ان تنسجم المعايير والانظمة فى مجموعة قواعد وقوانين وتنظيمات تقوم على مبادىء رئيسية اساسية نابعة من الواقع والبيئة ومتمشية مع العصر وان تكون لها القدرة على التعديل والتطوير فتتلاءم مع الاحتياجات وطبيعة النمو العمرانى والتطور . فليس من المعقول منطقيا ان نقبل استمرار العمل بنظام عمرانى تم وضعه منذ عدة سنوات حيث كانت المعطيات مختلفة بدون تعديله واجراء بعض التغييرات عليه أو تغييره نهائيا . ان ايجاد الانظمة العمرانية والمعايير التخطيطية هو حجر الاساس الذى لابد منه .

تشييد المدن الجديدة :

ان تشييد المدن الجديدة هو الحل الذى يمكن تطبيق اقصى مبادىء المثالية للمدينة الاسلامية العربية التى تستمد روحها من تقاليدها وعاداتها وتكتسب فيها المسحة العمرانية صفة الارتباط بالأصل ومثالية الحل المبنى على الدراسة الوافية المستفيضة والتى تغطى جمع النواحى والجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية المختلفة والتى تندمج تحت مخططات التنمية والتطويرات ذات الامد البعيد والتى لها القدرة على استيعاب وامتصاص كافة الزيادات والتوسع بشكل يمكن ضبطه ومبرمج له مسبقا وحيث يتم فيه التخلص من المفاجئات والمشاكل غير المتوقعة ما أمكن ذلك اليه سبيلا والتى نعانى منها فى مدننا الحالية فى الوقت الراهن .

ولاستكمال شروط النجاح لهذه المدن يترتب ان يقوم بتخطيطها وتنفيذها العرب المسلمون ما أمكن ذلك والوضع المثالى هو ان لايكون فيها أى تدخل للخبرات الاجنبية واليد العاملة الغربية . ولكننا لانستطيع ان نصل لذلك فى الوقت الحاضر ولذلك جل مانستطيعه هو الاسراع فى اكتساب المعرفة والخبرات للحد من دور الخبرات الاجنبية على أمل الاستغناء عنها فى يوم من الايام حين نصبح قادرين على ذلك ، وان هذا القول ليس من قبيل الكراهية للشعوب الاخرى بل على العكس فهو من قبيل الاعتراف بتقدمها علينا فى هذا العصر وشعورنا بضرورة العمل للحاق بها وتخطيها وقطع الشوط الاكبر فى عملية البناء والتطور فى سباق الامم والشعوب لاحراز المكتسبات والانتصارات العلمية على الدروب الانسانية .

وان للوقت الذى ستنشأ فيه هذه المدن ومدى توغل الاجهزة والخبرات فيه والمستوى الذى نكون قد وصلنا اليه فى ذلك الوقت دور كبير فى تحديد النتيجة لشكل ومضمون هذه المدن الجديدة .

كما ان مدى انسجام هذه المدن مع مدننا الحالية قد يكون معضلة نظرا للتشويش الذى تعيش به ظروف النمو فى مدننا الحالية ، مما يشير بشكل واضح الى ضرورة ازالة العوائق وحل المشكلات الحالية القائمة فى المرتبة الأولى عن طريق تحسين المدن الحالية فى سبيل تسهيل خلق الانسجام بينها وبين المدن الجديدة كى نمزج مدننا العربية ضمن وحدة متكاملة من النسق العمرانى البديع المستكمل لجميع نواحى الحياة فى اشكال استيطانية وبشرية مدروسة .

التقييس وأهميته فى الحفاظ على طابع وشخصية العمران ومواد البناء فى المدينة العربية

مختار محمد الشيبانى

مقـــدمـة :

يرجع تاريخ معظم المدن العربية الى مابعد هجرة سيدنا محمد ﷺ وبزوغ فجر الاسلام فى القرن السادس الميلادى . وقد اكتسبت هذه المدن طابعا عاما مميزا ، ومتناغما مع البيئة فى معظم أقطار العالم العربى ، حيث تتسم فى اغلبها باعتدال جوها شتاء وميله الى الحرارة صيفا . ولقد ابدع البناء العربى خلال تاريخه الطويل فى ايجاد الحلول المتعددة للمشاكل البيئية المحيطة . ومن الممكن تميز المدينة العربية بخصائصها وطابعها عن أى مدينة أخرى ، فقد كان التناغم يسودها بدءا من المساجد والمساكن ذات الافنية الداخلية والمدارس والوكالات . وكان استخدام الملاقف فوق الأسطح لتلقى الهواء الملطف احدى الوسائل لتسخير القوانين الطبيعية فى خدمة الانسان .

ولقد ابدع البناء العربى فى استخدام خصائص المواد الطبيعية المتاحة لديه استخداما جيدا ، فاستخدام الطين والطوب المصنوع منه كوسيلة من وسائل العزل الحرارى .

وكانت الشوارع الضيقة ببواكيها المعروفة وسيلة جيدة للوقاية من الحر فى الصيف والبرد فى الشتاء .

ولقد عاش الانسان العربى طيلة فترة ازدهار الحضارة الاسلامية فى تناغم مع مدينته ومفتخرا بها ومعتزا بطابعها .

الوضع الراهن فى المدن العربية :

وظلت هذه الصورة سائدة حتى بدأ تأثير الحضارات الغربية المعاصرة ، وزاد تأثير هذه الحضارات فى الوقت الذى بدأ فيه العالم العربى يتجه الى النمو السريع .

وتم عمليات التنمية فى قطاع التشييد والبناء بواسطة مصممين متأثرين كثيرا بالحضارة المعاصرة وأنماطها التى تتناسب مع الوسائل المتاحة ، وبدأت كل مدرسة تحاول فرض اتجاهها ، وبدأت المدن العربية تنمو نموا متنافرا غير متناغم ، حيث ظهرت الاحياء الجديدة التى أخذت تفرض نفسها شيئا فشيئا على الأحياء القديمة ذات الطابع المتناغم ، وأخذت الأنماط التى وضعت اصلا لتناسب الأجواء الباردة تنتقل كما هى بحذافيرها الى المدن العربية . وبدأت الكتل الخرسانية التى لاطابع لها فى الانتشار ، وتعددت المواد المستعملة فى البناء وكثير منها غريب على المصمم العربى ، واختلط الحابل بالنابل .. وبدأنا نعانى فى مدننا من تعدد الأنماط وتنافرها .

واتفقنا جميعا على أن يكون التطور امتدادا لاهدما وان نحافظ على تراثنا الحضارى والاسلامى فى نفس الوقت الذى نتمشى فيه مع متطلبات الحضارة المعاصرة . وألا ينقل التطور بحذافيره بل يطور ليناسب بيئتنا العربية ، وظروفنا السائدة .

والتقييس أحد العناصر التى يمكن استخدامها فى توجيه الأمور هذه الوجهة وفى دفع عملية التطور وتسييرها واكساب مدننا العربية طابعا عاما يحافظ على عنصر الأصالة ، ويستجيب لمتطلبات العصر ويتمشى مع البيئة لكى تريح الانسان العربى المسلم ، وهذا هو أسمى هدف يتطلع اليه الجميع .

ماهو التقييس :

التقييس نظام مستحدث يهدف الى تحقيق أهداف متعددة ، من بينها وضع وتحديد المواصفات القياسية للمواد والمنتجات ، وتتضمن هذه المواصفات الاشتراطات الفنية والخصائص التى يجب توافرها لكى تصبح المواد والمنتجات ملائمة لغرض استخدامها .

ومن الأهداف ذات الأهمية فى مجالنا هذا أنه يسعى الى توحيد المقاسات والأبعاد والتجاوزات الفنية والى تيسير عمليات التصميم والتخطيط . كما يدخل فيه مجموعة اخرى من الأهداف سنتطرق اليها فيما بعد .

مستويات التقييس :

على المستوى الوطنى :

تقوم هيئات التقييس الوطنية بوضع المواصفات القياسية الوطنية والتى تمثل وجهة النظر الوطنية وتعكس الاحتياجات الحقيقة التى تتواءم مع المتطلبات المحلية ، وكمثال على احدى هيئات التقييس الوطنية فانه يسعدنى أن اعطى فكرة سريعة عن **الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس** ، حيث أنشئت الهيئة بالمرسوم الملكى رقم م/١٠ وتاريخ ٣/٣/١٣٩٢هـ ، والسلطة العليا فيها لمجلس الادارة برئاسة معالى وزير التجارة وعضوية اثنتى عشرة جهة حكومية . وتقوم الهيئة باصدار المواصفات القياسية فى مختلف

القطاعات ومن بينها بطبيعة الحال التشييد ومواد البناء . وتحرص الهيئة على ان تشارك جميع الجهات المعنية ذات العلاقة بقطاع التشييد فى أعمالها . وقد أنشأت الهيئة قسما خاصا للتشييد ومواد البناء وهو القسم الذى اتشرف برئاسته . وقد انكب منذ نشأته على معالجة المواضيع المتعلقة بالتشييد من عدة زوايا ، فالقسم يركز على وضع المواصفات القياسية السعودية فى مجال مواد البناء من جانب ، ويعالج مشاكل التنمية فى الصناعة الوطنية ويعمل على احكام الرقابة على السلع المستوردة من الجانب الآخر ، وفى نفس الوقت يعمل على تحديد الشروط والظروف التى يجب مراعاتها أثناء التنفيذ . وهى مهمة على جانب كبير من الأهمية خاصة بالنسبة لموضوع هذه الندوة .

على المستوى العربى :

الدول العربية هى السباقة الى التنسيق فى جميع المجالات ومنها مجال التقييس ، حيث أنشأت فى عام ١٩٦٨م المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس والتى تشارك فى عضويتها جميع الهيئات المعنية بالتقييس فى العالم العربى ومن بينها الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس .

على مستوى العالم الاسلامى :

ان تشكيل هيئة للتقييس على مستوى العالم الاسلامى من المطالب الهامة التى نرجو ان تتحقق فى القريب العاجل نظرا لما تقوم به الدول الاسلامية من تنسيق فى المجالات الاقتصادية والسياسية وغيرها .

على المستوى العالمى :

اتجهت دول العالم الى التوحيد القياسى والى التنسيق فى مجال المواصفات والمقاييس حيث أنشأت المنظمة الدولية للتقييس (ISO) والتى بدأت فى مزاولة اعمالها فى عام ١٩٤٦م . وتشارك فى اعمالها هيئات التقييس الوطنية لكل دولة . وقد شاركت فيها الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس ، وكللت مشاركتها بانتخابها عضوا فى مجلس ادارتها للفترة الحالية (١٩٧٩ – ١٩٨١م) . وللمنظمة الدولية نشاط واسع فى مجال التشييد ومواد البناء حيث شكلت اكثر من ٥٠ لجنة فنية دولية لوضع مواصفات دولية فى هذا المجال وتم اعتماد مايزيد على ٧٠٠ مواصفة .

المستويات التى يعمل فيها التقييس فى مجال البناء :

من الملاحظ ان التقييس فى قطاع التشييد يعمل على مستويات متعددة وهى :

التقييس والمصنعون أو الموردون :

يؤثر التقييس ويتأثر بظروف الصناعة الوطنية ويعمل على تحديد مستويات الانتاج وتطويرها والحفاظ عليها وعلى تشجيع الالتزام بها واستخدام الموارد المحلية ويعمل كذلك على تزويد المصانع باساليب الرقابة على جودة الانتاج وتطبيق نظم الجودة عليها مثل شهادات المطابقة وعلامات الجودة ومن أهم أهدافه فى هذا المجال توحيد المواصفات والانماط السائدة فى الانتاج بين مختلف المصانع . ويعمل كذلك فى مجال الاستيراد على ترشيد الاختيار بين المواد المعروضة ووضع الاسس والمواصفات التى تحدد مايناسب البند فيها .

التقييس والمهندسون الاستشاريون :

يقوم المهندسون الاستشاريون والمصممون باعداد التصميمات والاحتياجات والمواصفات لمختلف انواع المشروعات ومن المفترض ان تتفق هذه المواصفات وتعد على ضوء المواصفات القياسية الوطنية للمواد وعلى ضوء مايصدر من اشتراطات للتنفيذ وأسس التصميم .

التقييس والمنفذون :

يعتبر التقييس بالنسبة لهم وسيلة فعالة لترشيد التنفيذ واختيار الاساليب المناسبة . ويجنبهم الوقوع فى اخطاء تخل به وغالبا ماتكون مكلفة ، كما يقدم لهم مواصفات المواد التى تتناسب مع العينة السائدة واشتراطات التنفيذ التى تضمن سلامتة وحسن أدائه .

التقييس والعمال :

يعمل التقييس على اشتراط ظروف العمل المناسبة والتى تكفل للعامل السلامة ، كما يرشد العمال الى الطرق الصحيحة التى يجب ان يتبعوها عند التنفيذ ويرفع من مستوى وعيهم ، ويعرفهم بالاساليب المناسبة لما يقومون به من اعمال .

التقييس والمستخدمون أو المستفيدون من المبانى :

يعمل التقييس على حمايتهم من الوقوع فى شراء مواد غير مناسبة أو غير جيدة ، كما يمكنهم من ايجاد عناصر موثوق فيها تجعلهم مطمئنين على التصميمات التى تعرض عليهم ، وفوق ذلك فانه يحقق لهم السلامة ويضمن الاقتصاد سواء على المستوى الفردى أو المستوى العام .

التقييس فى قطاع التشييد ومواد البناء :

كما عرضنا سريعا ، فان للتقييس تأثيراته على كل المستويات ، بدءا من أصغر وحدة حتى مستوى العالم ، واذا ما استخدم بمهارة فانه يمكن ان يؤثر فى الاتجاه المطلوب . وفى مجالنا هذا فانه يمكن استخدام التقييس فى عدة مجالات من بينها ترشيد اختيار المواد الملائمة للبيئة العربية ، بعد أن تعددت المواد ، واصبح المستهلك على غير علم بكثير من خصائص واستعمالات الجديد منها وذلك عن طريق توجيه المواصفات القياسية الوطنية بما يخدم هذا الهدف .

ترشيد استخدام المواد ، عن طريق اصدار مواصفات واشتراطات للاستخدام والتنفيذ . وفى هذا الصدد تجدر الاشارة الى أن كثيرا من المواد الجيدة المطابقة للمواصفات القياسية تتعرض للتلف أو لا تحقق اهدافها على الوجه الاكمل اذا ماتعرضت لظروف سيئة عند الاستخدام أو التنفيذ ، فالاسمنت المطابق للمواصفات لايؤدى غرضه اذا ماتعرض لاملاح فى الأرض أو فى الماء تؤدى الى تبطيىء أو تعجيل زمن الشك عن الوقت المرغوب فيه ، وقد تؤدى بعض المواد الى ايقاف الشك نهائيا . وهكذا .

دراسة ظروف البيئة فى البلاد العربية وتوجيه المواصفات واشتراطات وأسس التصميم والتنفيذ بحيث تتمشى مع هذه الظروف وتجدر الاشارة الى ان دراسات البيئة مازالت دون المستوى فى معظم البلاد العربية وقد واجهت الهيئة هذه المشكلة عندما بدأت فى التفكير فى وضع أسس التصميم والتنفيذ للخرسانة العادية والمسلحة ، وغيرها ، فقد كان أحد العوامل الرئيسية التى تسببت فى بطء سير هذه العملية عدم توافر الدراسات المتكاملة حول ظروف البيئة فى مختلف مناطق المملكة .

لما كانت صناعة مواد البناء من الصناعات المتوطنة فى كثير من البلاد العربية ، فان جهد المسئولين عن المواصفات القياسية ، والرقابة على جودة الانتاج ، يجب أن ينصب على تشجيع استخدام المواد المنتجة محليا ، وتطوير استخداماتها ، ومساعدتها على تطوير نفسها بحيث تتواءم مع الظروف والمتطلبات المعاصرة .

كما يمكن للتقييس ان يسهم فى ايجاد طابع وشخصية للمدينة العربية عن طريق اصدار اشتراطات عامة للاسس التى يجب مراعاتها عند اعداد اسس التصميم للمبانى ، بحيث توفر هذه الاسس المتطلبات الاساسية ، التى تتواءم مع البيئة ، كما تحكم اشكال وتصميمات هذه المبانى أطر عامة متناسقة تسودها الروح العربية .

كما يمكن ايضا اصدار اسس عامة لتوجيه التخطيط الاقليمى على مستوى المدينة وعلى مستوى القطر ، بحيث يمكن ان تكون عملية تطور المدينة العربية محكومة بالاطار العام الذى يكسبها الشخصية ويجعلها نابعة من التراث ، وفى نفس الوقت متمشية مع ظروف البيئة ومستجيبة لمتطلبات العصر .

ومثل هذه العملية ، لا تكون فعالة اذا تمت على مستوى ضيق ، ويجب أن تتم على النطاق الاقليمى العربى بوجه عام ، وفى هذا الصدد فاننا ندعو المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ومنظمة المدن العربية الى فتح هذا الملف الحيوى ، والى دعوة الهيئات الوطنية للتقييس فى طريق الوطن العربى ، والجهات المتخصصة كجمعيات المهندسين والجهات المسئولة عن الاشغال والاسكان والجهات المسئولة عن انتاج أو استخدام مواد البناء والتشييد الى الادلاء بدلوها فى هذه القضية الهامة ، التى طالما اقضت مضاجع المخلصين التواقين الى الوصول الى المعادلة الصحيحة التى تطور الحاضر العربى كامتداد لماضيه المشرق وتصل فى نهاية الأمر الى مدن عربية تجمع بين الاصالة والمعاصرة وتريح انسان العصر ، وفى نفس الوقت تثير فيه الفخر والاعتزاز بطابعه المميز وحضارته العريقة .

واذا كانت الجهود الرسمية تحتاج الى وقت وجهد . فاننا نوجه الدعوة الى المخططين والمصممين ، الذين يمكن ان تكون استجابتهم اسرع وجهودهم اوضح فى الاسهام بهذه المهمة ، والتفاعل البناء مع اجهزة التقييس الوطنية ، ومع الجهات المسئولة عن الاشغال العامة والاسكان والالتزام بالمواصفات القياسية ، والاشتراطات العامة التى تصدرها مثل هذه الجهات وتقديم وجهات النظر البناءة التى يمكن ان تقود البلاد للوصول الى تحقيق هذه الاهداف .

دور تكنولوجيا الكمبيوتر فى تخطيط المدن

سعيد يوسف أمين

مقـــدمـــة :

عبر سنين قليلة تطورت تكنولوجيا الكمبيوتر بسرعة مذهلة فبلغت به آفاقا لم يكن من قبل ليبلغها حتى الخيال . فلو اصابت صناعة السيارات خلال تلك المدة ما اصابته صناعة الكمبيوتر من تطور لاصبحت كلفة سيارة الرولزرايس الآن عشرة ريالات فقط ولهبط استهلاكها من الوقود الى لتر واحد لكل ٤٠ كيلومترا ولو لم تتعرض البرمجة لزيادة التكاليف واصابتها من تدنيها ما اصاب المعدات التى ارتقت من الصمامات الالكترونية الى الترانزستورات الى الدارات المتكاملة ثم الى فقاعات الذاكرة المغناطيسية لاصبحت الفروق اجل واعظم

نمت تكنولوجيا المنهجة مع نمو تكنولوجيا الكمبيوتر ، ويرى فى كل مؤسسة اناس غرباء يحاولون استخدام الكمبيوتر فى مجالات جديدة ولايتيسر ذلك بغير المنهجة التى تعنى معاملة المعلومات تمثيلها تمثيلا قابلا للفهم من قبلنا نحن الناس العاديين .

تتألف الكمبيوترات من ثلاثة اقسام رئيسية : اجهزة ادخال المعلومات وأجهزة اخراج المعلومات واجهزة المعالجة التى توصلنا الى الغاية المنشودة من الكمبيوتر ، قد تسمعون موظفيكم يتحدثون عن الذاكرة والاسطوانات واشرطة التسجيل ووحدة المعالجة المركزية وانبوب الاشعة المهبطية والطابعات والقارئات وغير ذلك من الادوات فلا يقلقكم ضخامة هذه الكلمات وتعددها لانها كلها تدخل فى اطار الاقسام الرئيسية أى تعنى جميعا وسائل متباينة لادخال واخراج المعلومات ثم معالجتها أو حفظها .

تقدم الانواع الجديدة من الكمبيوتر امكانات مثيرة فى مختلف المجالات المالية والاقتصادية والعلمية والعسكرية والهندسية ولكن حديثنا اليوم ينصب فقط على طاقاتها فى تخطيط المدن . وأنى لاحذر سلفا فاقول ان بعض ماسنناقش من تطبيقات واستعمالات سيغدو قديم العهد بعد سنين قليلة نظرا لما عرفناه من التطور السريع فى تكنولوجيا الكمبيوترات .

مزايا الكمبيوتر فى تخطيط المدن

يبدأ تخطيط المدن بجمع الاحصاءات والمعلومات التى تتعلق بمختلف العناصر المؤثرة فى التخطيط وتتضمن هذه العوامل : العوامل السكانية والاقتصادية والاجتماعية والمناخية . يتبع هذه الخطوة الطور التحليلى باختزان الكميات الكبيرة من المعلومات وتشكيلها وتقويمها قبل بدء مرحلة التصميم الفعلى . تتضمن هذه المرحلة تنسيق اعمال جميع المهندسين بمختلف فروعهم واعمالهم المعقدة كانتاج المخططات والتمييز بين التصاميم المختلفة وتسوية التضارب بينها وحفظ الوثائق فاذا تم ذلك بدأ طور الانشاء والتنفيذ . لم يكن من الممكن تحليل وتقويم مثل هذه الكميات الهائلة من المعلومات اللازمة بدقة وبسرعة لولا ان تم ايجاد وسائل بالغة التعقيد لادخال المعلومات .

فى طور التصميم مثلا ادخلت تكنولوجيا الكمبيوتر من خلال كمبيوترات عالية التخصص وسائل لمراقبة الوثائق والرسوم ومراجعتها ومراقبة لوائح المرافق والممتلكات بالاضافة الى امكانيات اخرى كالتحكم فى العمليات الصناعية مما يؤدى الى توفير فى الوقت واليد العاملة يقود الى حلول اقتصادية أفضل والى تصاميم ادعى الى الاطمئنان .

ومن المزايا الاخرى لتكنولوجيا الكمبيوتر المساعدة فى اطوار التخطيط امكانياته فى المحاكاة والنقد والتنبؤ .. تلك الامكانات التى تسمح بتجريب معايير التصميم والافتراضات كما انها تقدم نظرة للمستقبل على اساس حقائق اليوم .

واسمحوا لى الآن ان اشرح باختصار من تكنولوجيا الكمبيوتر التى توافرت لمخططى المدن الحديثة . بسبب تعدد واختلاف مستويات المعلومات فى هذا المجال كما ذكرنا سابقا يتم اختزان وادارة المعلومات بطريقة بناءة تسهل استرجاعها وتداولها ولايكتفى بتوفير المعلومات ولا بتأمين قاعدة صحيحة لها تصمم للاحتياجات الحالية بل ينبغى التطرق فى الوقت نفسه الى المرونة المستقبلية .

كان المبدأ الاساسى والجوهرى لقواعد المعطيات هو حفظ كل المعلومات فى صيغتها التجريبية مع تحقيق كل علاقاتها المادية وكان من الصعب تحقيق هذه المهمة بالسرعة والمردود المتوفرين حاليا فى احدث آلات ومناهج الكمبيوتر . ولذا فقد عدل المفهوم على اساس تحقيق قواعد المعطيات ضمن ثلاثة مستويات هى :

- **المعلومات التشغيلية** : وهى المعلومات التفصيلية الاساسية التى تؤلف قاعدة لاعمال الجمع والربط والتحليل .. وقد يحتاج نموذج التخطيط الى عدد من عينات المعلومات السريعة بالاضافة الى عدد كبير من التحاليل الاحصائية وهى تضم مثلا :

  .. عدد السيارات العاملة فى المدينة مصنفة حسب الحجم واستهلاك الوقود والصنع وتاريخه .. وعدد شهادات سائقى السيارات الموزعة سنويا لافراد كل جنسية .. والابنية التى يجب الحفاظ عليها .

- **المعلومات الوظيفية للمنطقة** : على هذا المستوى تجمع وتفحص المعلومات حول قطاعات عامة كالنقل واستعمال الأرض والاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية وكلف البناء .

– **معلومات استراتيجية التخطيط** : ليس هذا المستوى من المعلومات الذى هو ادارة المخطط الرئيسى الذى يراقب الاتجاهات العامة اكثر من معطيات منتقاة ومستخلصة ومتداولة من معطيات المستويين السابقين فهو مصمم للاجابة على السؤال الذى يكثر طرحه ، ماذا لو ؟

ان من وظائف ادارة قواعد المعطيات بالطبع السماح للمخطط بتوجيه ومحاورة المعلومات من أى من المستويات الثلاثة التى يرغب فيها وهذا اجراء يحتاج الى نظام لادارة قواعد المعطيات ذى قدرة فعالة تسمح بالربط الحر لاجزاء صغيرة فى شبكة المعلومات . والبنيان الرئيسى لتقدم ادارة قواعد المعطيات على الرغم من اهميته الكبرى يتطلب من المخطط عناياته فى استعادة المعلومات وصياغتها وتداولها .

فى قطاع التخطيط خاصة يجب ان تظل الاختيارات متاحة مفتوحة لتلبية الطلبات غير المتوقعة التى لم تتم صياغتها بعد .. أن وظيفة مدير قواعد المعطيات ان يصمم قواعد تستجيب بفعالية للاحتياجات الحاضرة ويضع فى الوقت نفسه حجر الاساس لاحتياجات المستقبل المجهولة وهذا انتاج من التكنولوجيا له بالاضافة الى الابداع قيمة كبيرة بالنسبة للمخطط اذ يسمح له بالحصول على احكام دقيقة معتمدا على عناصر جوهرية شاملة وليس على نظرة عامة ضيقة بسبب عدم توافر جميع المعلومات الضرورية .

الكمبيوتر وانتاج الرسوم :

ولتكنولوجية الكمبيوتر فضل كبير فى تحسين امكانيات الرسم وانتاج الرسوم . فلو اننا اخذنا رسما يحتاج انجازه يدويا لعشرين ساعة من العمل فاننا لا نحتاج فى انتاجه الا الى ساعة واحدة بالنظم الآلية . يتم الرسم والتنقيح على شاشة الكمبيوتر بطريقة انيقة ومجدية ، وينجز هذا العمل بالتفاعل مع الكمبيوتر باستخدام شاشات راسمة متخصصة وموظفين متخصصين وتكنولوجيات مختلفة منها استعمال لوائح انتقاء الرسوم الهندسية أو الاقلام الضوئية . واكثر من هذا فلقد طورت طابعات وراسمات خرائط عالية الدقة والكفاءة تعمل بالكهرباء الساكنة تستطيع استقبال المعلومات من قواعد المعطيات لرسمها دون تدخل بشرى . ولهذا النظام امكانية تغيير المقاييس آليا وامكانية الرسم الثلاثى الابعاد بالاضافة الى خطوط المناسيب ورسوم المنظور . استخدام مثل هذه التكنولوجيا يحقق وفرا ملحوظا فى الوقت واليد العاملة ويساعد على استعادة الرسوم والخرائط المختلفة ومثل ذلك :

– تعيين الاحداثيات السينية والعينية لمعلومات مختزنة كما فى خرائط مجموعة الأراضى .

– تعيين دائرة الاهتمام ، اذ يمكن الحصول على خريطة لقسم من شارع فى المدينة اذا حددنا احد تقاطعات الشارع وقطر دائرة الاهتمام .

وبالاستعانة بالكمبيوتر نستغنى عن الجهود المضنية التقليدية للمساحين ومهندسى المياه والمهندسين الكهربائيين ومهندسى المجارى وذلك بتأمين خريطة واحدة يقوم الكمبيوتر باعدادها خلال دقائق وهى تمثل شتى المعلومات المطلوبة . ان امكانية الرسم مقرونة بتخزين المعلومات تعود بفوائد اضافية هائلة فى تخطيط المدن وبالتحديد فى تصميم وصيانة نظم المرافق العامة للمدينة الجافة منها والرطبة لان الانظمة الذاتية الجديدة تستطيع تخزين جميع المعلومات حول تقدم مرفق معين كمقاطع المجارى وتمديدات الكوابل والاعماق والفتحات فمن خلال التداول السريع والدقيق لهذه المعلومات يمكن تجنب مشاكل التداخل خلال اطوار التصميم والانشاء فى حياة المدينة .

ان استخدام طاقة الكمبيوتر للرسم قد سهل من جهة اخرى دراسة التأثيرات البيئية للابنية فى بعض العناصر الأخرى كاسلوب حركة المرور وشدة الاضاءة الشمسية وتجميل المناطق المطورة حديثا .. هذه العوامل التى لها اهمية كبرى فى أى تخطيط عمرانى .

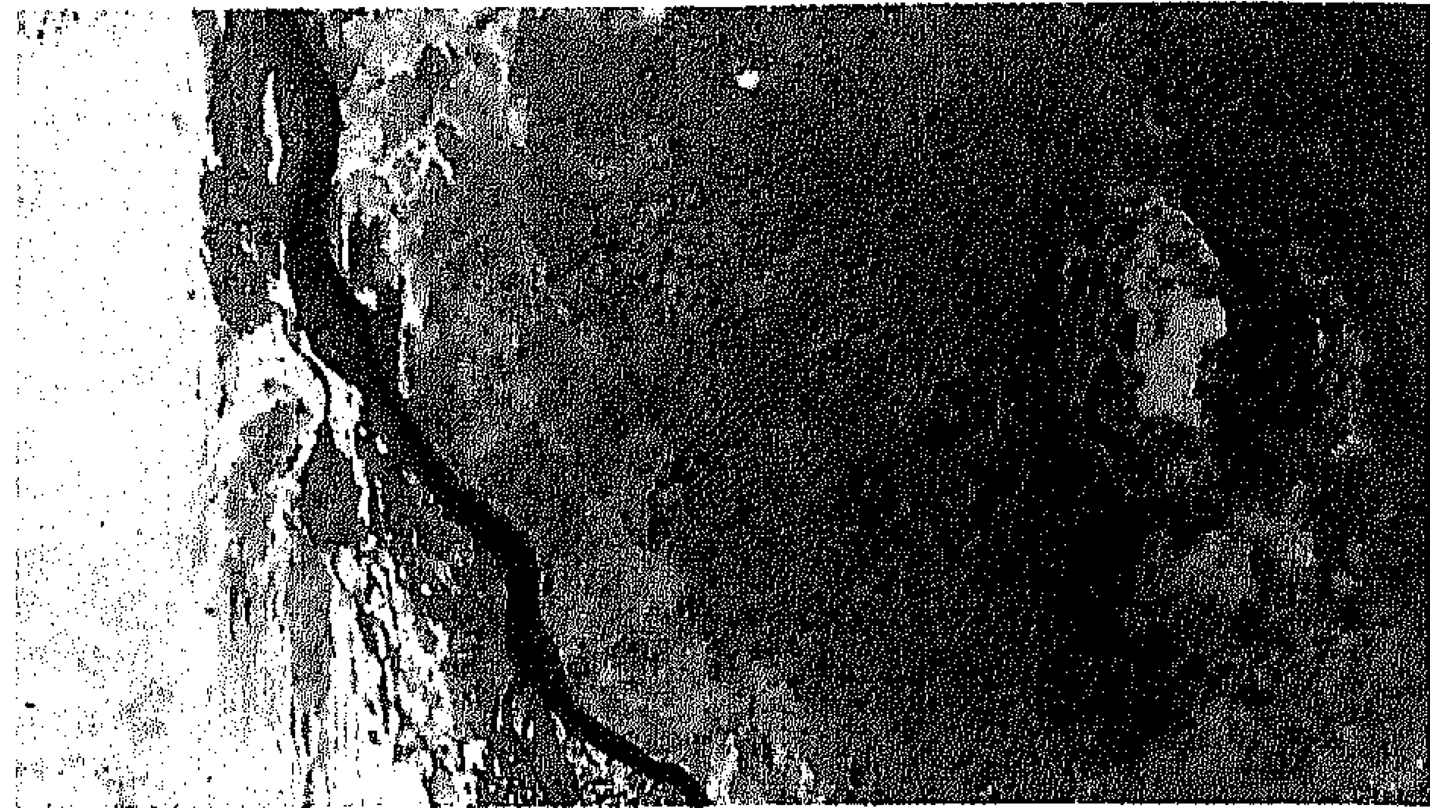
الالمام بالمعلومات التاريخية :

تتطلب عملية التخطيط ايضا الالمام بالمعلومات التاريخية واستخدامها ويتيسر ذلك عن طريق الوثائق والرسوم القيمة التى اذا لم يحسن صونها تآكلت مع مرور الزمن واصبحت فى حكم الضياع هذا عدا ما قد يصيبها من تصنيف خاطىء يعرضها لان تصبح قليلة الجدوى . لتفادى هذه المحاذير نلجأ الى الميكروفيلم والميكروفيش اللذين يزيدان زيادة كبيرة جدا فائدة تخزين واستعادة الرسوم والوثائق . يمكن الآن ان نصور أى وثيقة أو رسم على ميكروفيلم او ميكروفيش ونفهرسها لتستعاد عند اللزوم بواسطة آلة قارئة للمصغرات واكثر من هذا فاننا نستطيع الحصول على نسخ عن هذه الوثائق والرسوم باستخدام الآلات القارئة الطابعة . هذا يمكن للمخططين أو لأى مؤسسات اخرى الحصول على مصنفات للميكروفيلم لاستعمالاتهم الخاصة .

هناك خطوة اكثر تقدما خطاها الكمبيوتر فى استعمالات الميكروفيلم . ان السرعة الكبيرة للكمبيوتر واجهزة الاسترجاع الذاتى تمكننا من الوصول الى الوثائق التى تتضمن الرسوم ورؤيتها خلال عشر ثوان فقط بعد التعرف على هوية الوثيقة وذلك على الشاشة التى تستخدم لمعالجة المعلومات . يتم انجاز هذا العمل بالكمبيوتر بتحويل عنوان الفيش الى جهات الاسترجاع الذى يعين مكان الفيش ويتعرف عليه ويوجهه لتتلقاه عدسة التصوير التى تنقل الصورة الى جهاز ذاكرة وسيط لتظهر فى النهاية على الشاشة المهبطية والصورة المرئية بهذه الطريقة ، دقيقة تحتوى ٢٠٠ نقطة فى كل انش وهى فى الغالب افضل نوعية من الوثيقة الاصلية وهذه الصورة المحسنة جدا يمكن طبعها بآلة اخرى موضوعة الى جانب مستخدم الجهاز .

يساعد الكمبيوتر المخططين فى سرعة البحث عن الوثائق والرسوم اذ يمكنهم من الحصول عليها فى زمن قصير جدا . تتم فهرسة الوثائق وتصنيفها وفق كلمات مفاتيح حسب المواضيع وتحفظ بالميكروفيلم . يمكن للباحثين ايجاد الوثيقة بتعيين الموضوع أو التاريخ أو رقم الوثيقة أو وفق دلالات اخرى يمكن تحديدها بواسطة المنهجية المفهرسة واذ ذاك يسهل الحصول عليها آليا .

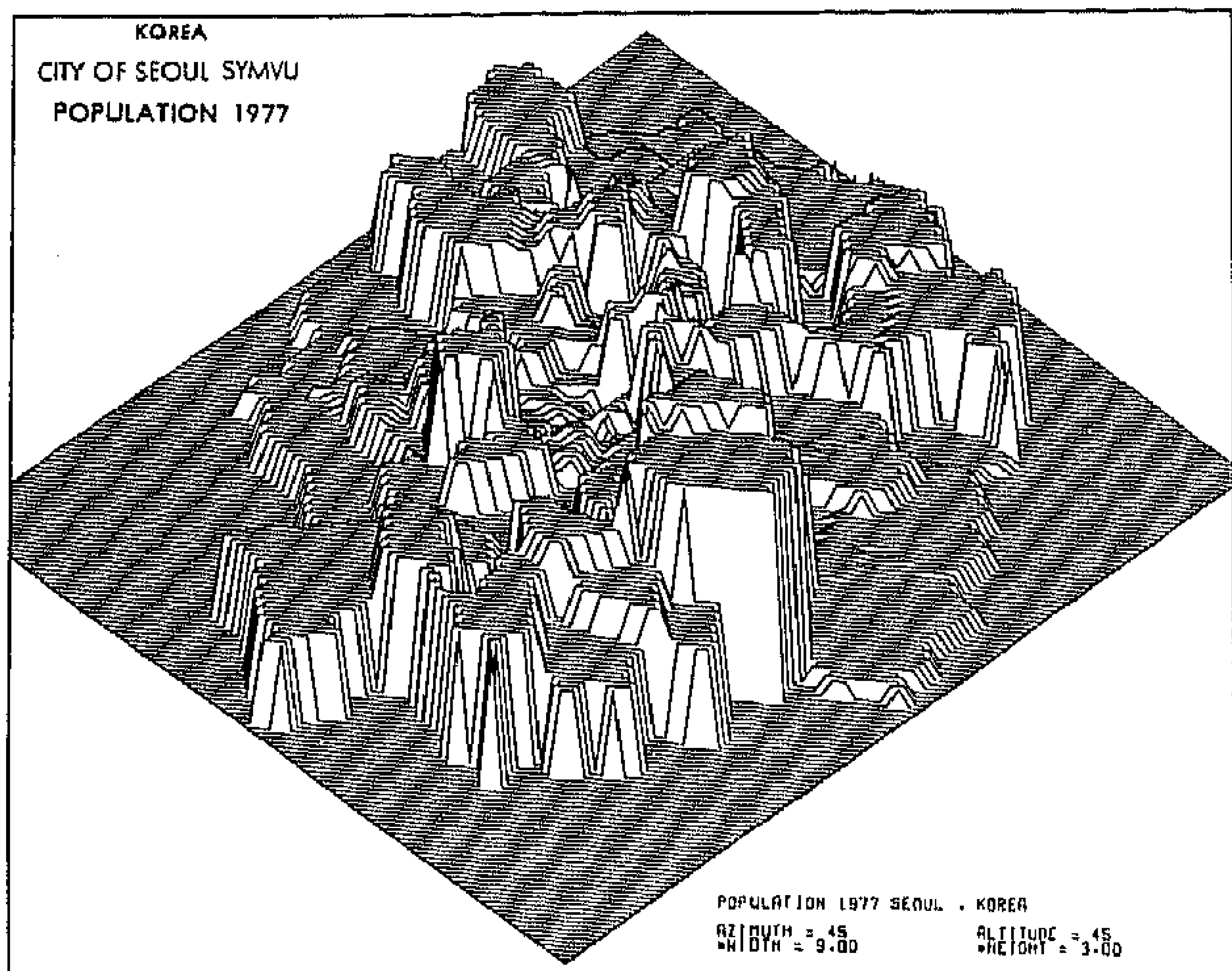
فكر فى الاوقات المهدورة التى يمضيها سكرتيرك او احد موظفيك باحثا منقبا عن خطاب من وزارة التخطيط يخص موضوعا معينا كتب بتاريخ محدد وقارن هذا الوقت بعشر ثوان فقط تلزمك للحصول على المعلومات نفسها لتجد ان الوقت والجهد الذين يمكن توفيرهما خلال مراحل البحث فى التخطيط لايمكن ان تقوم بثمن .



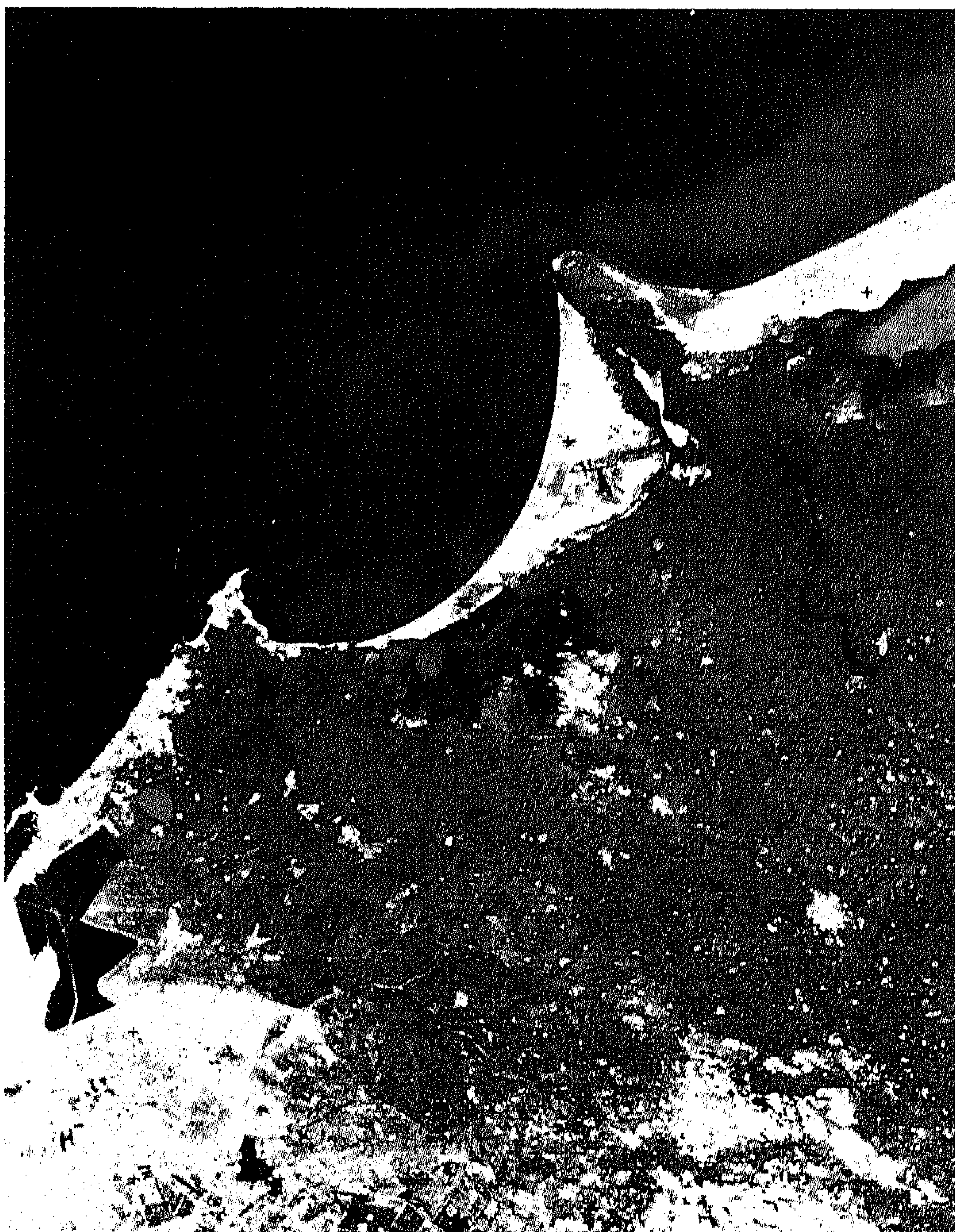
١٤٥ منطقة الجزيرة بالسودان ـ صورة ملونة بالكمبيوتر



١٤٦ وادي بيحان باليمن صورة بالكمبيوتر



١٤٨ خريطة احصائية بيانية بالكمبيوتر ـ مدينة سول



١٤٧ صورة منعكسة مجموعة بالكمبيوتر للاسكندرية

ومما يبعث على الدهشة مستقبل استراجاع الوثائق بمتصفحات الصفحات التى تستطيع أو تنقل المعلومات الى احد اقراص التسجيل بمعدل / ١٤٠٠ / صفحة فى الساعة الواحدة بحيث تصبح جاهزة للرؤية مباشرة . تدفع صورة القرص الى وحدة تصوير معلومات الكمبيوتر على الميكروفيلم لمعالجتها خلال وقت مناسب ، ووحدة التصوير فى الكمبيوتر تغنينا عن استخدام كاميرات اخرى يمكن استخدامها مترافقة معه . واضافة الى ذلك فان ادخال تكنولوجيا الليزر فى هذه المجالات قد وسع مجالات تخزين الوثائق واسترجاعها .

ان استخدام تكنولوجيا الكمبيوتر وتكنولوجيا الاسترجاع الذاتى معا يبسط العمل ويزود عملية تخطيط المدن بمعلومات تاريخية تكون عادة مجهولة لايمكن بلوغها ونتيجة ذلك عمل تخطيطى اكثر جودة .

فن المحاكاة والتنبؤ :

لان التخطيط هو فن التطلع لما سيحدث وخلق الظروف للانتفاع الافضل من الموارد والمساحات فان علينا استخدام تكنولوجيا الكمبيوتر لتحسين عملية التخطيط وذلك باستخدام اداتين هامتين جدا هما فن المحاكاة أو النمذجة وفن التنبؤ . بالتنبؤ يستطيع الكمبيوتر الاخبار عما سيحدث معتمدا على الفعاليات التاريخية وافتراضات المخططين حول عناصر مختلفة كمعدلات النمو والنشاط الاقتصادى والنقل كما يستطيع ان يعطينا بسرعة وبمردود جيد تنبؤات مقارنة مبنية على افتراضات مختلفة واساليب للتنبؤ مختلفة كالارتداد الخطى والمعدل المتغير .. ويقودنا هذا التنبؤ الى الانتفاع من أداة اخرى هى المحاكاة .

ان نمذجة المحاكاة تعنى تمثيلا حسابيا لبعض الظواهر كشبكة النقل مثلا ونماذج المحاكاة المخططة بشكل صحيح تتيح للمخطط الحصول على اجوبة لاسئلته ماذا لو ؟ فهو يطرح السؤال ماذ يحدث لو جعل الشارع (أ) باتجاه وحيد للشمال وجعل الشارع (ب) باتجاه وحيد نحو الجنوب ، أو السؤال « ماذا ينتج لو سمحنا بزيادة الكثافة السكانية فى الشطر الغربى من المدينة وبزيادة الاعمال فى الشطر الشرقى منها ؟ اذا وضعت هذه المتحولات فى النموذج تحت افتراضات متغيرة مكنت مخطط المدينة من خلال خطوط بيانية ورسوم ان يرى كيف يبدو شكل مدينة فى ظروف معينة ، تظهر له اختناقات المرور والازدحام والظروف البيئية الآخذة فى التردى مع عوامل اخرى . يمكن ان تكون المحاكاة من اهم الوسائل الضخمة التى يستطيع المخطط ان ينتفع بها ، ولكن جدواها تعتمد على التحليل والتنبؤات والكمبيوتر على استعداد لتأمين الاساس لذلك .

الكمبيوتر والتشغيل والادارة

يلعب انتاج وتوزيع المرافق دورا رئيسيا فى تخطيط المدن فقد تم الوصول بواسطة الكمبيوترات الحديثة للمراقبة والتحكم فى العمليات الى اسلوب لزيادة كفاءة تلك المرافق زيادة كبيرة كمحطات ضخ المياه والكهرباء فالكمبيوتر يضمن المراقبة التامة والتحكم فى مختلف هذه المصانع مع انقاص كبير فى اليد العاملة .

ولهذا فان لها دورا كبيرا فى تخطيط المدن اذ تؤمن طاقة رخيصة يوثق بحسن ادائها وانتاجها وهذا ما حسن المؤشرات الاقتصادية ، وأمن للمدينة الحديثة موارد موثوق بها ، هى من ضرورات النجاح التام للمجتمعات الصناعية والتجارية .

لقد صممت انظمة التحكم الحديثة فى الكمبيوتر للابقاء وبشكل ذاتى على المستويات المرغوبة لبعض المحولات التشغيلية كدرجة الحرارة والضغط والطاقة المنتجة ، كما يمكن ان تصمم ايضا للكشف وتشخيص الاعطال بل وفى بعض الحالات تصحيح الخلل الناجم عن انقطاع التيار وتعطل الاجهزة وبسرعة كبيرة ، ويمكن لكمبيوتر لا يشغل سوى غرفة لاتزيد مساحتها عن ٢٠م٢ ان يراقب ويتحكم فى اكثر من عشرة آلاف نقطة قد تكون كواشف لتحسس الحريق فى منطقة ما أو متحكمات بدرجات الحرارة لمجمع مجارى مكيف الهواء كليا أو اية مجموعة قياس لنظام كهربائى معقد فى مدينة كبيرة .

والكمبيوتر اليوم وضع بين يدى مخططى المدن اداة لاتقدر بثمن لتصميم اقتصادى وفعال لانظمة الاتصال والنقل . لقد استطاع ماصمم منه لنظام التسيير الذاتى التام للسكة الحديدية ونظام اشارات المرور ان يساهم مساهمة كبيرة فى حل مشاكل الازدحام المستمرة فى البلدان الحديثة حيث أوجد لما صعب منها الحلول الاقتصادية الناجعة .

بعد انتهاء مرحلة التخطيط واقرار المخططات وقبل البدء بالانشاء يهيأ سجل يعرف ضمن حدود المدينة الأرض والابنية (مناطق المدارس ، المساحات ، الاسواق ، المرافق ...) ثم يعرف بصورة منفردة كل مكان ويقرر استخدامه مثال ذلك مناطق الخدمات الطبية أو مناطق خدمات الاطفاء لمجتمع سكانى . كما يتيح السجل للسلطات تخصيص اماكن الاراضى الخاصة والعامة والمخصص منها للخدمات المدنية بما يتمشى مع النوايا الاصلية لمخطط المدينة . وسندا لذلك يتضمن السجل ايضا معلومات حول كل مكان كمساحته الطابقية والمرافق المخططة والتاريخ التقديرى للانتهاء كما يمكن للسجل ايضا تعيين امكنة الهواتف العمومية وتحديد احتياجات مواضع الاشارات ومختلف المعلومات الاخرى المفيدة كما يمكن ان يساعد فى تسلم الابنية المنتهية من الانشاء بصورة منتظمة .

هذه هى المهمة الادارية الجسيمة لمدينة باى حجم معقول والاستعانة بالكمبيوتر للتسجيل ستخفف من عناء هذه المهمة بل وتؤمن فوائد اضافية وذلك بالحصول من السجل على اجوبة اسئلة كثيرة مثل : « أى الامكنة متوفرة وذات مساحة طابقية اقل من ٥٠٠,٠٠٠ متر مربع وكانت قد حددت للسكن الخاص » أو « ماهى الاماكن التى خصصت لمؤسسة ما ؟ » أو « ماهى تواريخ انهاء جميع المدارس فى المدينة ؟ » ويغذى السجل بمعلومات حديثة العهد دوما ليعكس آخر وضع يتعلق بتخصيص المناطق وتسلم اعمال الانشاء المنتهية . وهذا السجل المركزى يمكن ان يجيب على اسئلة الاقسام المختلفة لهيئة تخطيط المدينة للحصول على نظرة مشتركة للمعلومات الاحدث عهدا .

وفى مرحلة متأخرة فجميع العقود ، وعقود الايجار المتعلقة بالاماكن والأراضى يمكن ان تربط بالسجل لتؤمن الاجوبة لاسئلة اخرى مثل : « مامقدار المساحات التى تم التعاقد على تأجيرها لمؤسسة ما واين توجد ؟ » أو « أى العقود ترتبط بتنفيذ الاسواق المركزية واين توجد ؟ » وهكذا .

هذه لمحة موجزة فقط عن بعض الفوائد القيمة التى يستطيع الكمبيوتر تقديمها لمخططى المدن . وثمة وسائل اخرى يمكن ذكرها مثل الهندسة والحسابات وتصميم الاعمال الترابية ومراقبة الكلفة والبرمجة الزمنية للمشاريع يمكن ان تشكل مواضيع لمحاضرات اخرى فى المستقبل .



القسم الثالث

التجارب والمدن الجديدة

من أهم ما اتسمت به الآونة الأخيرة فى العالم العربى هى المشروعات العمرانية الضخمة . منها مدن جديدة تبنى بأسرها ، ومنها أحياء سكنية متكاملة . ولما لهذه المشروعات من أهمية ، رأينا أن نفرد لها قسما خاصا يتضمن ثلاثة ابحاث :

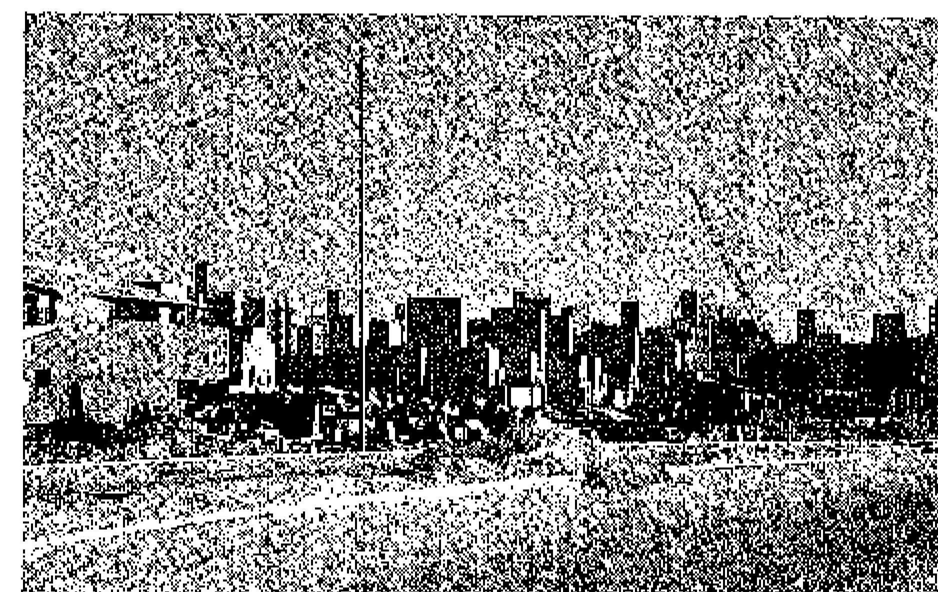
أولا : حسن مراد رضا الذى يتحدث عن تجربة المدينة المتكاملة بينبع على ساحل البحر الاحمر بالمملكة العربية السعودية .

ثانيا : حمدان عبدالعزيز الحمدان الذى يناقش تجربة المدينة الصناعية المتكاملة بالجبيل على ساحل الخليج العربى بالمملكة العربية السعودية .

ثالثا : محمد فؤاد السيد الذى يستعرض **اسلوب الاسكان الحديث بالجماهيرية الليبية** ومدى ارتباطه بواقع مجتمع الغد .



١٥٠ سيدي بو سعيد – تونس



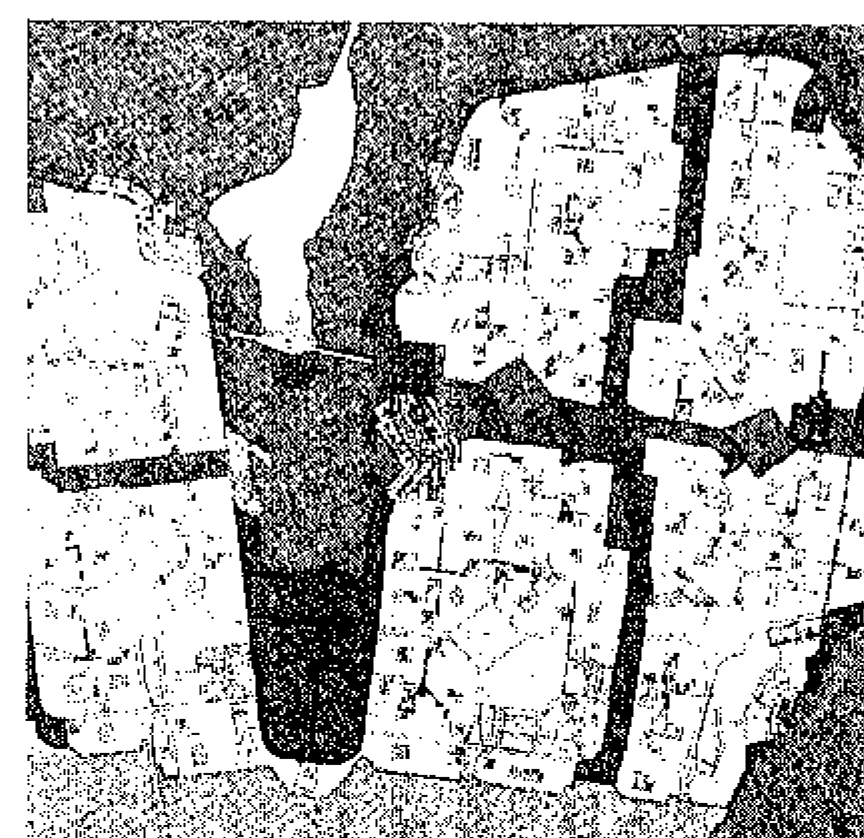
١٥١ تشييد مشروع الاسكان بالرياض



١٥٢ شارع المطار بالرياض



١٥٣ مشروع الاسكان العاجل – جده



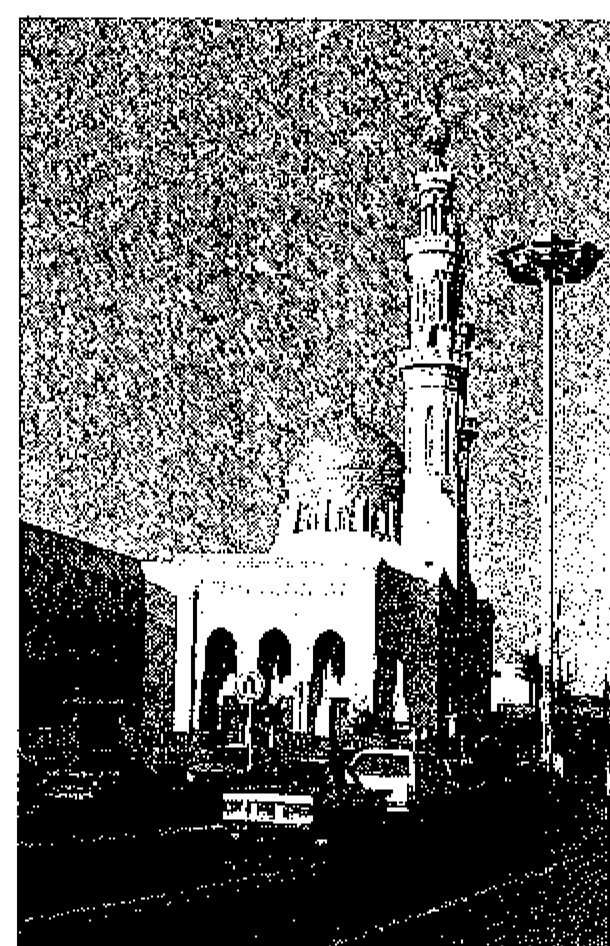
١٥٤ خريطة الجبيل



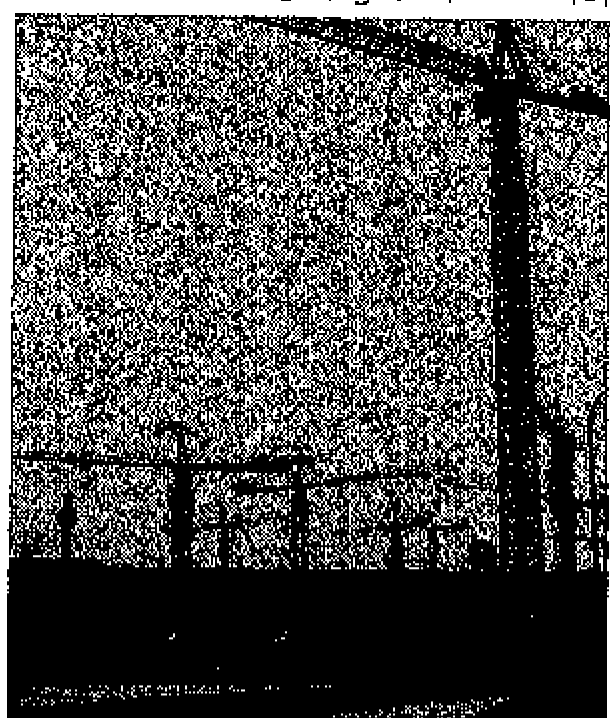
١٥٥ الحفصية – تونس



١٥٦ مشروع الاسكان العاجل – الرياض



١٥٧ مسجد بطرابلس ليبيا



١٥٨ التشييد الحديث – الرياض

مدينة ينبع الصناعية

حسن مراد رضا

مقدمة :

وقد تم تقسيم هذا البحث الى ثلاثة اجزاء .

– مضمون خطة التنمية : ويلخص دور مدينة ينبع الصناعية على نطاق المملكة وعلى النطاق الاقليمي ،

– المخطط الاجمالي : يوضح هذا الفصل البرنامج العام للتطوير والسياسات التخطيطية التي وضعت من اجل مختلف قطاعات المجتمع والتي تعتبر مساعدة في تنمية وتطوير المخطط الاجمالي .

– المعايير التي وضعت لتنمية وتطوير قطاعات المجتمع : وقد تم توضيح بعض المعايير والاحكام التخطيطية التي وضعت وسوف تطبق هذه المعايير والاحكام على جميع مراحل تطوير المجتمع ، وتعتبر الاهداف الموضحة مؤشرا لنوعية اسباب الراحة والبيئة واسلوب الحياة الذي يتم توفيره .

مفهوم خطة التنمية :

المفهوم القومي والاقليمي :

ان الركن الاساسي والمهم من استراتيجية المملكة العربية السعودية للتنمية الشاملة هو توسيع وتنويع القاعدة الاقتصادية عن طريق تنمية وتطوير الصناعة التي يمكن ان تستخدم الموارد النفطية للبلاد . وتوزيع العائد من هذه التنمية بين الاقاليم بطريقة عادلة .

وبما انه لاتوجد موارد نفطية مستقلة بالاقليم الغربي من المملكة العربية السعودية ، فانه قد تم تمديد خط للانابيب عبر مسافة اكثر من ١٠٠٠ كيلو متر لضخ النفط من الحسا الى ساحل البحر الاحمر . ويعتبر اتمام هذا الخط نهاية لاعتماد المملكة على منفذ بحري واحد لتصدير النفط وتجميعا للصناعات الثقيلة في مكان واحد . وتعتبر ينبع حجر الزاوية لهذه الاستراتيجية .

وكما يوضح اسمها ، فان مدينة ينبع الصناعية ترتكز على تنمية وتطوير الصناعات الثقيلة . وعلى وجه الخصوص صناعة البتروكيماويات

وان جزءا كبيرا من العمالة الكليه يقوم بتقديم الخدمات لسكان المدينة الجديدة والتي يبلغ عدد سكانها ١٥٠,٠٠٠ نسمه وتكون المدينة اكبر مدينة على ساحل البحر الاحمر في شمال جدة .

وفي داخل المدينة يوفر المجمع السكني كلا من الترفيه المنزلي ، الراحة والعبادة ، والتعليم ، الصحة والمتطلبات الاجتماعية للناس الذين ياتون للعمل والسكن في مدينة ينبع الصناعية .

اهداف تنمية وتطوير المجمع

– يمكن دمج اهداف تنمية المجمع في اربعة عناصر اساسية :

– يجب ان يكون مكانا ملائما تطيب الاقامة فيه ويعكس تطلعات وطموحات المواطنين السعوديين .

– يجب ان تكون المدينة بيئة جذابة لدخول القطاع الخاص .

– يجب ان تؤدي دورها بكفاءة وفعالية .

– يجب ان يكون اسلوب تخطيط وتنفيذ المدينة مرنا وقابلا للتكيف مع التعديل والتغيير .

المخطط الاجمالي :

ان العناصر الاساسية لتماسك بنية المدينة الجديدة هي شبكة الطرق الاولية والاحياء السكنية المرتبطة بها ، والتي سوف تكتمل بقيام وسائل الترفيه والتسلية وتشجير المناطق المكشوفة والتي سوف يكون لشاطئ البحر دور كبير فيها وضمن هذا الاطار العام ، سوف يتم تطوير سلسلة من المراكز التجارية والمرافق غير السكنية الاخرى .

شبكة الطرق الاولية :

ان شبكة الطرق الاولية هي عنصر التماسك البنيوي للمدينة حيث انها تلائم طبيعة الموقع ووظيفة المناطق التي تخدمها . لذلك تراها في الشمال تظهر استقامة وادي الفرح بينما هي تتذبذب ضمن النسيج العمراني العام للاحياء السكنية المتفردة والمختلفة الاشكال . كما انها – وهذا هو الاهم – تركز بوضوح على وسط المدينة باعتباره العنصر الاول والاساسي في المدينة . وتزداد اهمية شبكة الطرق بوجود شبكة المرافق العامة على نسق مواز لها بصفة عامة .

المناطق السكنية

ان المناطق التى تطوقها شبكة الطرق الأولية هى عبارة عن احياء سكنية او مجموعات سكنية ، تم توزيع المساكن فيها ويمكن تصنيف المجموعات السكنية حسب موقعها فى المخطط الاجمالى . وتتميز المجمعات السكنية التى يمكن ان يطلق عليها اسم مجموعات قلب المدينة والتى هى المجموعات بكثافتها السكنية المرتفعة وبقلة عدد افراد الاسرة فيها (بما فى ذلك وجود كثير من غير المتزوجين) . وبالمقارنة – فان المناطق السكنية الساحلية تتشابه مع بعضها البعض من حيث دنوها من البحر ومن حيث توصيلها بالكورنيش .

ان الهدف الرئيسى من وراء توزيع مختلف عناصر البرنامج الاسكانى هو علاقة الوحدات السكنية بمرافق المدينة . واهم هذه العلاقات ناتج عن ارتباط هذه المساكن ارتباط وثيقا بتسلسل المراكز التجارية ومواقعها بالنسبة الى وسط المدينة ، مراكز الاحياء والمراكز المحلية ويهدف اسكان اكبر عدد ممكن من الاسر على مقربة من هذه المراكز .

وعلى كل حال فانه بالرغم من هذا الاختلاف الا ان هنالك بعض الاصول المشتركة . فعلى صعيد المدينة ، نجد ان تشجير شبكة ممرات المشاة تخترق المجموعات السكنية وان نموذج المنائر العالية (التى ستكون بمثابة المفاصل لمنظر الممرات المقترحة) سوف يوحد المدينة ويؤكد تماسكها . كما ان تاثير العادات والتقاليد السعودية على المجموعة السكنية سوف يكون واضحا وجليا .

الفسحات المكشوفة المشجرة والمناطق الساحلية :

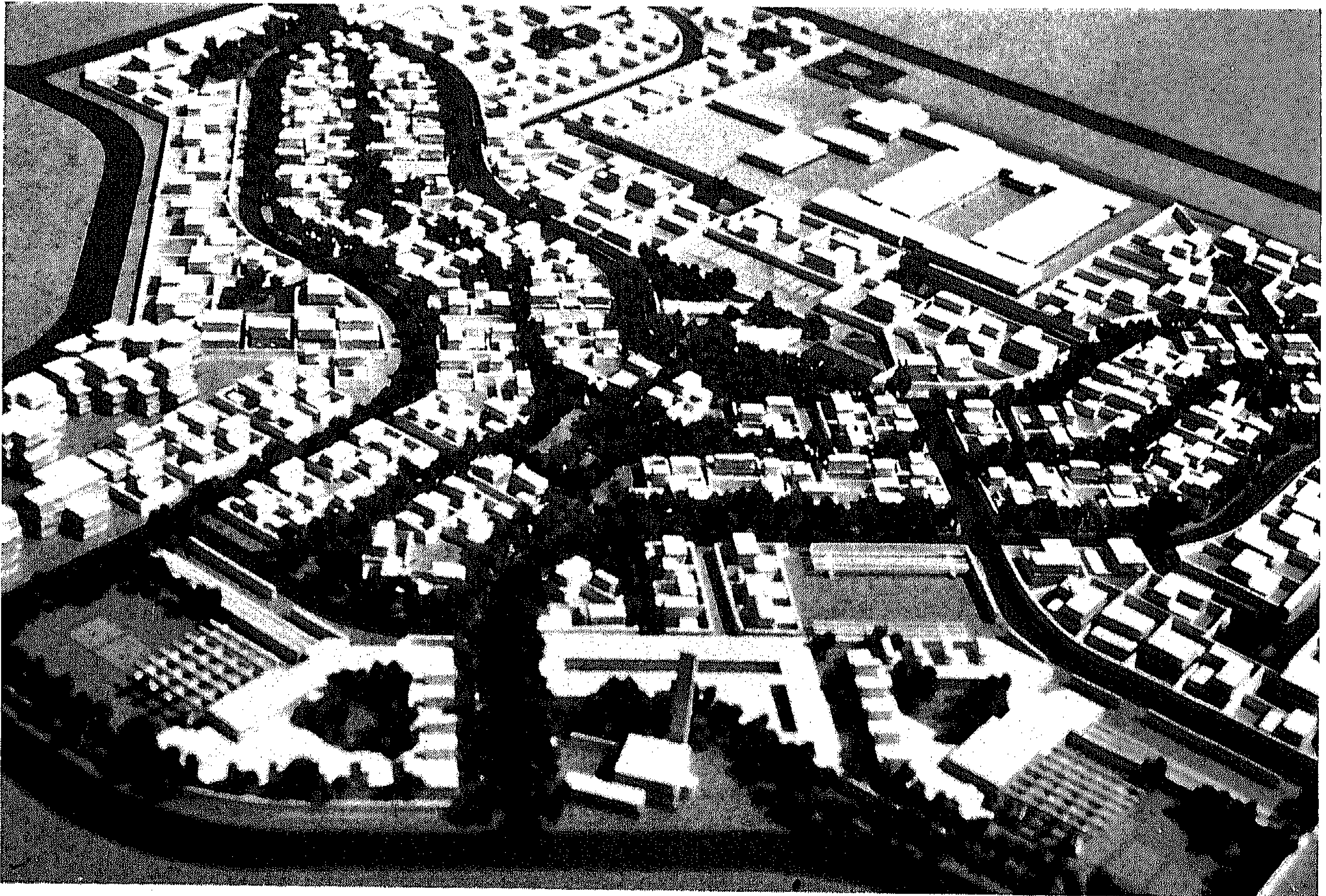
للفسحات دور هام ايضا لتوفير الراحة والاستجمام وبخاصة للعائلات . كما ان أى جزء من المدينة لايبعد عن هذه الفسحات باكثر من ثلاثة كيلو مترات . ونظرا لاتساع المساحة المشجرة فإن بامكان معظم الذين يأتونها ان يستمتعوا بقدر لابأس به من الخصوصية .

كما سيكون للبحر اثر كبير على مظهر المدينة – وذلك باعتباره عنصرا مميزا للمدينة عن الصحراء . وذلك نتيجة للطريقة التى يحاول بها المخطط ابراز وجوده بالشكل الأمثل حيث يجعله يخترق قلب المدينة وتطوير المنطقة الساحلية من اجل النشاطات المختلفه للمدينة . ونتيجة لعدم اتصال البر بالبحر فى الوقت الحالى فانه لابد من اجراء عمليات الحفر والردم اللازمة من اجل تشكيل الخط الساحلى الجديد على حسب حاجة المدينة . وهكذا يمكن لوسط المدينة ان يحتوى ذلك الاختراق البحرى العميق محدثا بذلك خليجا صناعيا يتناسق مع شكل بنيان وسط المدينة .

العقيدة :

يعكس برنامج المساجد المعايير التى تم وضعها فى الاماكن الاخرى من المملكة لبناء المساجد . وتوجد هذه المساجد المحلية فى جميع المناطق السكنية ويضاف اليها مسجد فى منتصف كل حى سكنى وسوف يتم تشييد جامع رئيسى فى وسط المدينة ليشكل معلما رئيسيا للمدينة لترسيخ المفاهيم والعقيدة الاسلامية التى هى الدعامة التى ترتكز عليها المدينة ، كما يمثل ايضا دائرة دينية تكون مختصة بالشئون الدينية .

كما تم تخصيص مكان لاداء صلاة العيد فى موقع صحراوى بالقرب من وادى الفرح فى خارج المدينة .



١٥٩ ينبـع

التعليم :

سوف يتم تشييد مدارس ماقبل المرحلة الابتدائية ومدارس المرحلة الابتدائية بجوار المراكز المحلية ومراكز المجمعات السكنية مباشرة وذلك من اجل تقريب المسافة وتشجيع السير بالاقدام اليها بطريقة آمنة . ولقد استند فى توزيع المدارس المتوسطة والثانوية على الافتراض بان معظم التلاميذ سوف يستقلون وسائل النقل فى انتقالهم بين البيت والمدرسة . وبالنسبة لمؤسسات التعليم العالى فسوف يتم تجميعها فى مكان واحد . ان تجميع هذه المرافق سوف يشجع على تطوير بيئة ثقافية يستفيد منها كل من التلاميذ والاستاذ كما تساهم بفعالية فى التكوين العام للمدينة الصناعية .

الخدمات الصحية والثقافية :

لقد تم توزيع المراكز الصحية الاولية على جميع انحاء المجمع كما تم حجز اماكن فى المراكز المحلية وذلك لاحتمال قيام مرافق صحية للقطاع الخاص او العام .

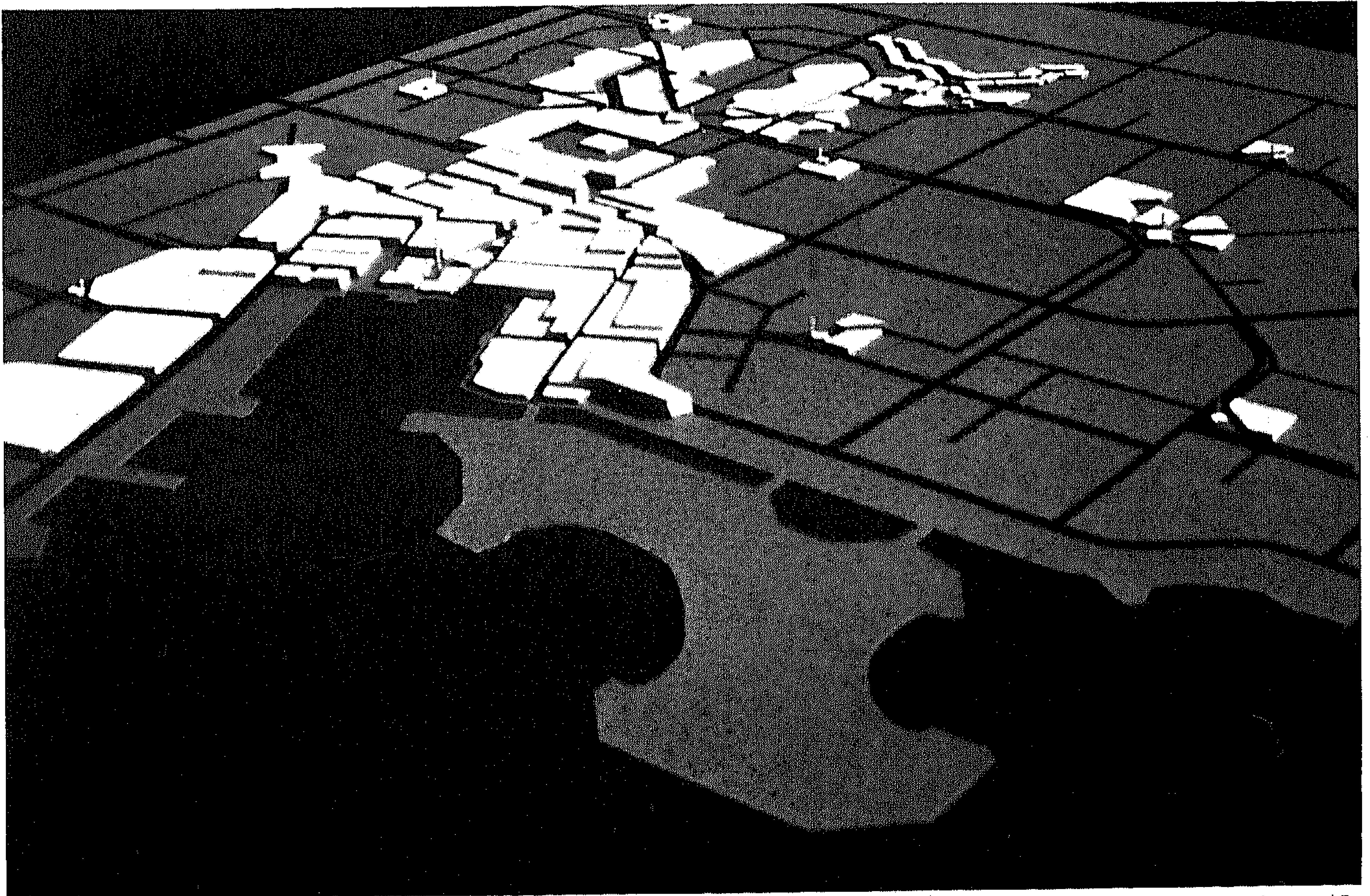
ولقد اعدت المراكز الثقافية من اجل تلبية احتياجات متنوعة فهى تستخدم كأماكن لاجتماعات للسكان ومختلف الهيئات والروابط الاجتماعية ويجب ان يتسم تصميم هذه المراكز بمرونة الاستعمال . ويكتمل البرنامج بقيام المركز الثقافى فى منتصف المدينة والذى سوف يحتوى على قاعة للاجتماعات العامة مرافق للمؤتمرات وقاعة صغيرة لعرض الافلام ومتحف أو معرض للفنون . وسوف يكون المركز مجاورا للجامع الكبير طالما ان الكثير من نشاطاته تصدر عن أو تنظيم فيما يختص بالانشطة الدينية .

المراكز التجارية .

توجد المراكز التجارية فى جميع انحاء المناطق السكنيه حيث لاتبعد عن اى منزل باكثر من ٣٠٠ – ٥٠٠ متر وتقوم هذه المراكز بتلبية حاجيات السكان اليومية ، وعلاوة على ذلك فقد خصصت ثمانية(٨) مراكز بالاحياء السكنية، وقد تم توزيعها بطريقة استراتيجية على القطاعات السكنية ، حيث تحتوى على خدمات اضافية وحوانيت تجارية تخدم مناطق اوسع .

وسط المدينة :

يعتبر وسط المدينة رمز وحدة المدينة وهويتها من اجل مسايرة مركز المدينة لجميع مراكز المدن الاسلامية الاخرى نجد فيه المسجد الرئيسى الذى يمثل بؤرة المدينة ومركزها ، كما يحتوى ايضا على مبانى المكاتب الحكومية وجميع المكاتب الادارية الخاصة بالمجمع اضافة الى ذلك يحتوى مركز المدينة على مركز تجارى مناسب يقوم بخدمة المدينه والتى يتوقع ان تجذب اليها بعض الزبائن من المنطقة الاقليمية وذلك عند نمو المدينة وسوف يتم توفير الكثير من اماكن ترك السيارات وذلك بطريقة منظمة . ويتم ربط اماكن ترك السيارات ونقاط محطات المواصلات العامة ، ونشاطات المنطقة المركزية بممرات للمشاة تكون بعيدة عن اماكن الحركة المزدحمة ، ويكون استخدامها بطريقة سهلة وآمنة . ويجب تنظيم دائرة الخدمات حتى تمتد الى جميع النشاطات وبدون تضارب مع ممرات المشاة ، ويجب ان يتم تصميم الحوانيت وتنظيمها التجارى وفقا للاسس التى تقوم عليها المراكز التجارية المشهورة ، وان تكون خاضعة للقواعد الاسلامية والاجتماعات بمدينة ينبع .



١٦٠ ينبع

الترفيه :

لقد تم توزيع ساحات اللعب للاطفال الصغار فى جميع انحاء المدينة وفى مناطق مختلفة حسب متطلبات التصميم التفصيلى . اما الساحات العامة للالعاب الرياضية وهى عبارة عن ساحات كاشفة اعدت لالعاب الاطفال الصغار . وان النشاط الذى يتوقع ان يسود فى هذه الميادين هى لعبة كرة القدم .

أما مناطق الترفيه الهادئة فيوجد نوعان من هذه المناطق . الاول عبارة عن سلسلة من الحدائق العامة المشجرة الملحقة بالمراكز التجارية والتى توجد بكثرة فى حديقة المدينة الكبيرة بوسط المدينة والنوع الثانى من هذه المساحات هو عبارة عن ساحات عامة مرصوفة ، حيث توجد فى كافة المراكز وتوجد اكبرها فى وسط المدنية .

كما يمكن للمشاة ان يتنزهوا على جوانب الخليج الذى يخترق المدينة ويعبروا ميناء صغيرا للصيد حيث يمكنهم الوصول الى السوق وميناء الزرار حيث ترسو الزوارق المائية ويستطيع الجميع ان يتنزهوا على جوانب الكورنيش ذات المتنزهات العديدة المظللة . وسوف تعكس الجزيرة الواقعة فى اسفل مدخل الخليج صدى الشكل الطبيعى للمنطقة الساحلية خارج منطقة الوسط .

لن يسمح بوصول السيارات الى الجزيرة . وان المبنى الوحيد المقترح انشاؤه هو متحف بحرى

معايير التصميم لتطوير المجمع السكنى

لقد تم وضع اعتبار لاهداف التطوير ومعايير التصميم التى يجب ان يلتزم بها المصممون والمطورون عند وضعهم لخطط مدينة ينبع الصناعية .

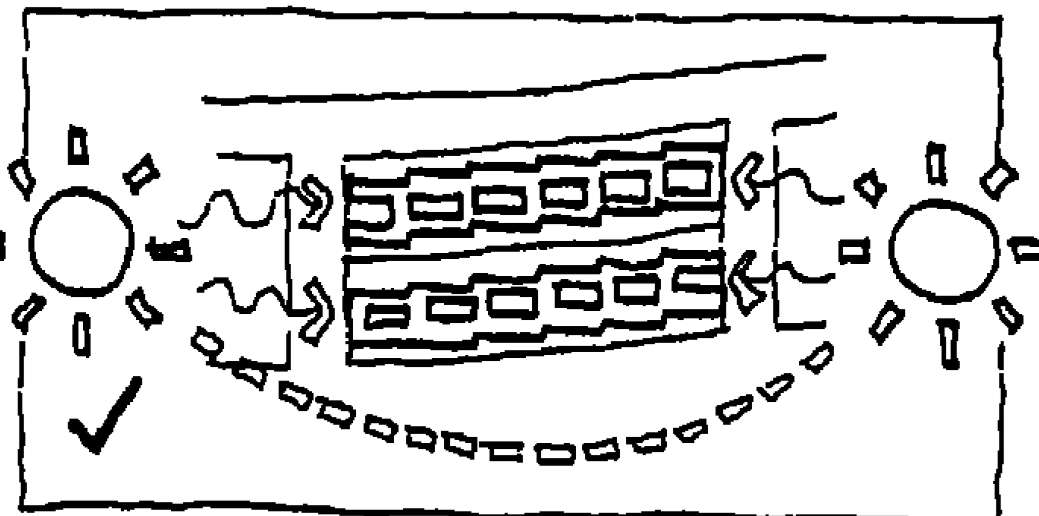
ان معايير التصميم المطلوبة لتحقيق تلك الاهداف متعددة متنوعة وان التركيز الرئيسى لتلك المعايير يقع على :

- المظلات
- حركة الهواء
- الاشعاع الشمسى
- التسوية والتسطيح
- الخصوصية
- الضوضاء والهدوء
- شكل البناء
- الارتفاعات والمناظر
- التزيين وتشجير الارض

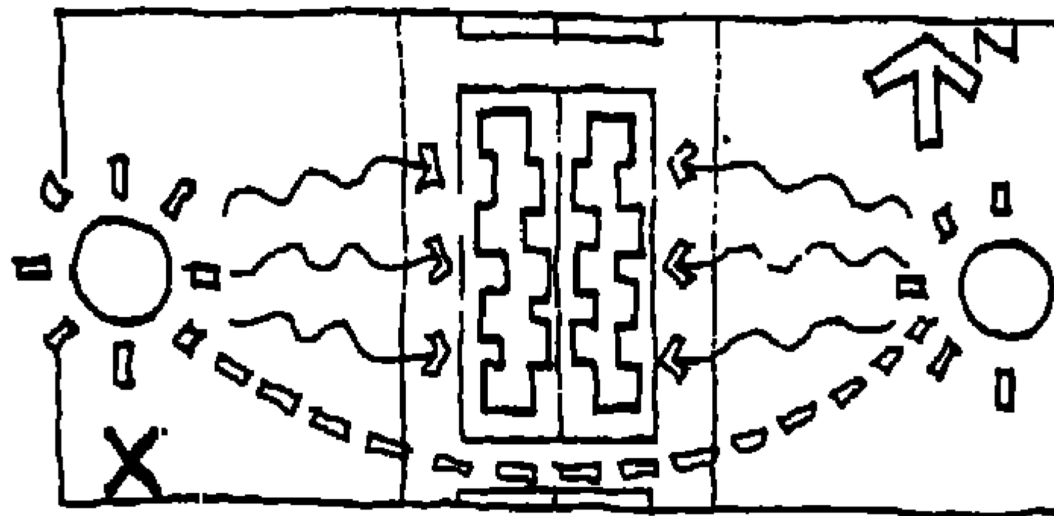
ان هذه المعايير مضمنة فى « كتيب تنظيم التطوير » لدى الهيئة الملكية ويتعين على المصممين والمطورين الالتزام بها .

التظليل والوقاية :

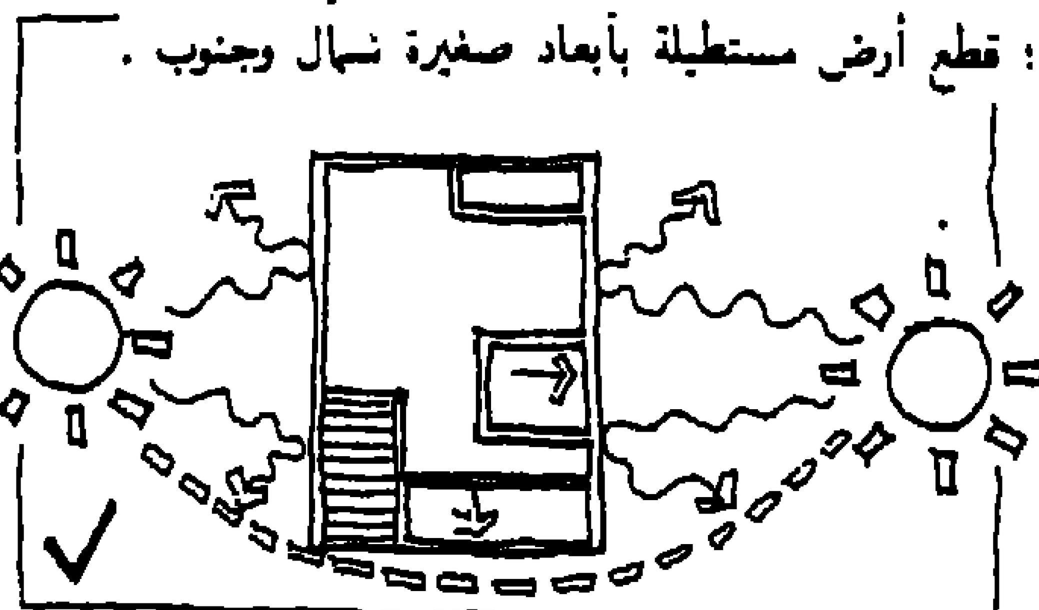
يجب ان يتم تصميم جميع الانشاءات والفراغات بين هذه الانشاءات بحيث يكفل ذلك للمارة أقصى وقاية ممكنة من حرارة الشمس المباشرة وكذلك مواقف السيارات ومستخدمى الاماكن المشجرة والترفيهيه

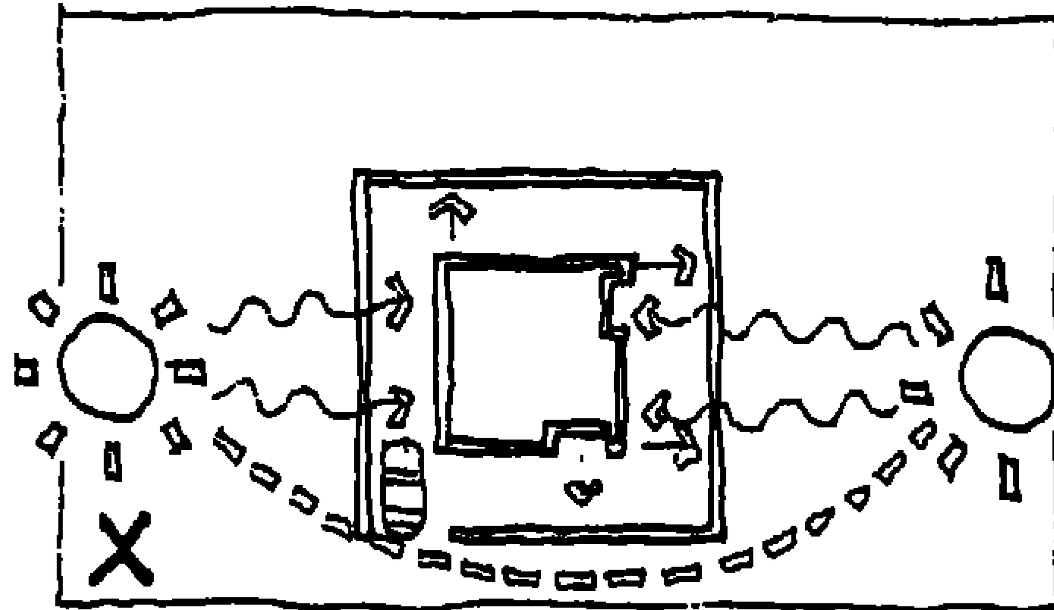


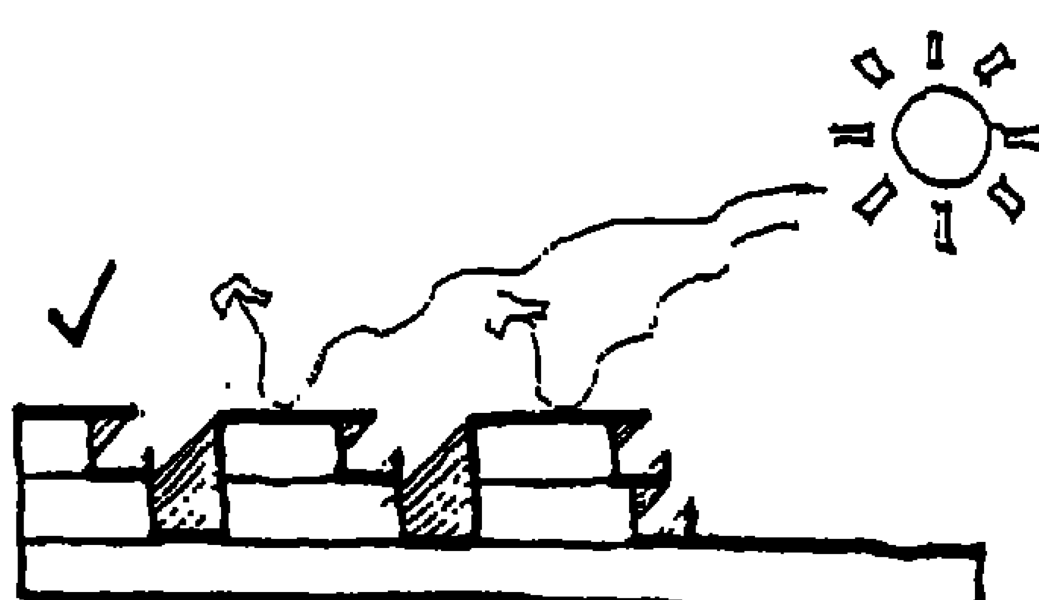
أقل قدر ممكن من الطاقة الشمسية المكتسبة : جدران محمية شرق وغرب ، وأي نوافذ كبيرة تواجه الشمال : ويتم حماية النوافذ التي تواجه الجنوب باستخدام الظلات : قطع أرض مستطيلة بأبعاد صغيرة شمال وجنوب .

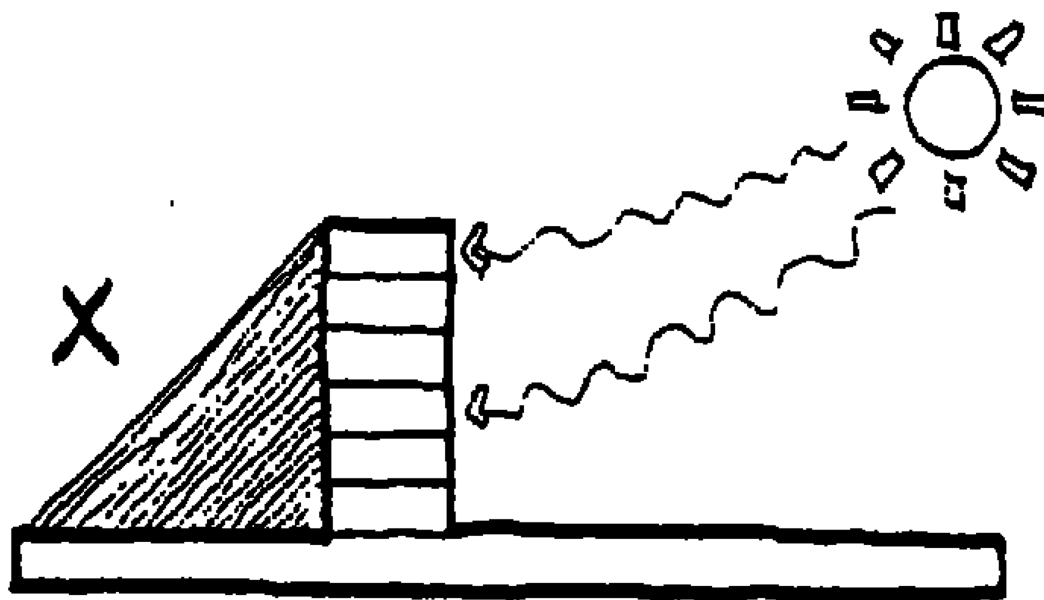


اكتساب الطاقة الشمسية العالية : جدران مكشوفه ونوافذ كبيرة : قطع أرض كبيرة ومربعة .









١٦١ الاشعاع الشمسي

حركة الهواء :

يجب تصميم المبانى والفراغات المتروكة بينها بحيث يمكن الافادة القصوى من حركة الهواء المنعش وتجنب المضايقة والازعاج نتيجة تناثر الغبار والرمل بفعل الرياح

الاشعاع الشمسي :

يجب تصميم جميع التطويرات بما فى ذلك المبانى ومجموعات المبانى والمساحات الخاصة والعامة التى يتم تشجيرها وهندسة مناظرها الطبيعية بحيث تنخفض حرارة الاشعاع الشمسى الى أقل حد ممكن . ولذا يجب اختيار المواد والانشاءات التى تتعرض لضوء الشمس لتقليل التوصيل وتخفيض الحمل الحرارى الى أقل حد ممكن .

المستويات والتسوية :

يجب تدريج جميع الاسطح الارضيه لمنع تجميع الماء محليا . ويجب استقرار جميع المنحدرات التى تزيد عن ١٠٪ لمنع تأكل التربة بفعل الرياح والماء . ويجب استخدام الجدران المساندة حيثما تزيد المنحدرات عن ٣٠٪

الخصوصية :

يجب أن يكفل التصميم والتخطيط فى كل تطوير من التطويرات متطلبات حرية البيت للافراد والعائلة (ولاسيما السيدات) .

يجب اتخاذ الترتيبات التى تحول دون تعرض الفراغات أو المساحات الخاصة بالمنطقة العائلية مثل الافنية المشيدة على قطعة الارض وشرفات الاسطح والبلكونات ، كما يجب ان تكون نوافذ الغرف المخصصة للسكن على بعد ٢٠ م على الاقل من هذه الفراغات .

يجب تصميم النوافذ بحيث يمكن الحد من تعرض الاجزاء الداخلية أو امكانية مشاهدتها من خارج فناء المنزل .

يجب تصميم وتحديد مواقع التسهيلات الاجتماعية المخصصة للسيدات مثل مدارس البنات بحيث يكون لها ممرات مستقله للمشاة منهن .

وختاما يحسن استعمال الجدران الفاصلة طبقا للشروط التى وضعتها الهيئة الملكية لذلك .

الضوضاء والهدوء :

يجب تصميم المبانى وتحديد مواقعها بحيث يمكن تفادى الضوضاء بقدر المستطاع وانخفاضها الى اقل قدر ممكن ، باتخاذ الاجراءات اللازمة لتخفيف حدة الضوضاء عند المصدر أو بالقرب منه عند تصميم الطرق مثلا .

اشكال الانشاء والمنظر العام للمدينة :

يجب تصميم المساكن المتصلة والخاصة بالاسر المفردة بحيث يمكن ادماج الجدران المشتركة أو المتمركزة على حدود قطعة الارض . وحيثما يتم توفير مساحة مكشوفة خاصة داخل قطعة فان مساحة كل فراغ يجب أن يكون حدها الادنى ١٢ مترا مربعا . كما يجب توفير طرق الوصول اللازمه لجميع الاسطح المنبسطة أو المسطحة فى جميع التطويرات وذلك لتوفير المساحات الاضافية الآمنة والمفيدة للسكان .

الارتفاع والمنظر :

فيما عدا ماتنص عليه مذكرة خلاف ذلك فانه لايجوز أن يزيد ارتفاع أى مبنى عن ١٢ م ، ولكن يجوز اقامة انشاءات مسقفة تزيد عن ١٢ م شريطة ان تقل عن ارتفاع البناء العام بثلاثة امتار وتشكل اقل من ثلث مساحة البناء

التشجير والمساحات المكشوفة :

يجب توفير مناطق التشجير العمومية طبقا لما تنص عليه مذكرة التطوير فقط للمحافظة على الماء . كما يجب الاحتفاظ بحالة صرف دائمة للتخلص من الاملاح الزائدة ، كما يجب أن تسمح شبكة الرى بهذا الصرف فى جميع المناطق المشجرة .

خاتمة :

إن هذه بعض اللمحات عن أساليب التخطيط التى أتبعت فى تصميم مدينة ينبع الصناعية لضمان تمشى طابعها العام مع التراث الحضارى الاسلامى للمدينة العربية عامة . والموضوع ثرى ، ولا يمكن أن يفى مثل هذا العرض المختصر لما يستحقه مثل هذا الموضوع الهام ، أو لما قام به كثيرون بالهيئة الملكية من الجهد لتحقيق هذا الوئام المرموق بين الحفاظ على تراث الماضي والتطلع لحاجات المستقبل .

أساليب التخطيط فى المدينة العربية وملامحها فى تخطيط مدينة الجبيل الصناعية

حمدان عبد العزيز الحمدان



١٦٢ الجبيل



١٦٣ الجبيل

اتسمت المدينة العربية من قديم الزمن بترابط عضوى خاص ، ميزها عن التخطيط الهندسى الذى عرفت به المدن الرومانية أو الاغريقية ، أو حتى المدن الفرعونية مثل تل العمارنة ، مدينة اخناتون المشهورة . ولاشك أن هذا التركيب العضوى كان نتيجة تفاعل عدة عوامل :
منها طبيعة ملكية الأرض وتوزيعها ، ومنها الاهتمام بالخصوصية وقدسية البيت فى حد ذاته ، ومنها التأثير المناخى على البيئة . وجاءت المدن الاسلامية العربية فى العصور الوسطى تعبيرا رائعا عن إتساق التخطيط مع هذه المحددات فى اطار التقنيات المتوفراة أنذاك .

واضطلعت الهيئة الملكية للجبيل وينبع بتطبيق هذه المبادىء بتفهم واع لمستلزمات العصر وإمكانيات التقنيات الحديثة ، فجاءت مدينة الجبيل الصناعية ثمرة لجهود الخبراء من الشرق والغرب ، تحت ادارة وطنية مسئولة واعية ، تعمل فى إطار ذلك التراث العظيم . ومن ثم اتسم المخطط العام للجبيل بخدمة متطلبات الصناعات الثقيلة التى تكون القاعدة الاقتصادية للمدينة . فكان توزيع البنيات الأساسية من طرق وخدمات يستهدف الكفاءة والعائد الاقتصادى ، وخصصت المناطق الصناعية ووزعت على المصانع المختلفة بطريقة تسمح لكل مصنع أن يعمل بكفاءة مثلى ، وأن تسير حركة المدخلات والمخرجات سيرا مثاليا ، كما أنه روعى علاقة المصانع بعضها ببعض حين اختيار مواقعها داخل المنطقة الصناعية ، وربط ذلك التكوين الصناعى كله بالميناء البحرى الجديد .

أما المناطق السكنية والترفيهية للمدينة ذاتها ، فتحدد شكلها عن تكوين مجاورات سكنية متداخله روعى فى كل منها الفرد والأسرة والمجاورة ، فكان الاهتمام بالخصوصية من جهة يوازيه الاهتمام بايجاد البيئة الترفيهية المناسبة للأطفال والكبار وذلك بمراعاة احتياجات الموقع والمناخ والخلفية الاجتماعية والحضارية للسكان . تلك الخلفية الحضارية التى تطلب حلولا جديدة فيما تتعرض إليه من مشكلات وماتجابه به هذه المشكلات من مواد وتقنيات ، ولكنها حلول أصيلة لأنها تمثل استمرارية فى التعبير الحضارى للانسان العربى فى هذه البقاع .

اسلـــوب الاسكـــان الحديث بالجماهيرية الليبية
ومدى ارتباطه بواقع مجتمع الغد

محمد فؤاد السيد

مقدمة :

تختلف احتياجات الناس ومتطلباتهم اختلافا كبيرا ، ولكن هناك احتياجات تتساوى فيها جميع الطبقات ويتساوى بالحاجة اليها جميع الافراد . ومن هذه الاحتياجات تأمين المسكن المناسب الذى يلجأ اليه الانسان . وبالرغم من تفاوت مفهوم هذه الافراد بالنسبة للمسكن الذى تحتاجه الا أنها كلها تسعى جاهدة لتأمين هذا المسكن بامتلاكه أو ايجاره بما يتناسب ودخلها .

من ذلك أصبح المسكن أحد الاحتياجات الرئيسية الذى لايقل بحال من الأحوال عن الملبس أو الغذاء فى كونه من العوامل الأساسية لحياة الاسرة وماله من تأثير صحى واجتماعى وانطباعه على المقدرة الانتاجية .

وتعتبر مشكلة الاسكان عامة فى جميع أنحاء العالم – والتى هددت بعض الدول بظهور نتائج سيئة اجتماعية وصحية وخلقية .

الأقاليم السكنية بالجماهيرية :

تنقسم الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية الى خمسة أقاليم سكنية :

– اقليم (١) ويشمل المنطقة الساحلية التى تمتد بين حدود تونس ومصراته ويتراوح عرضها مابين عشرين الى خمسين كيلومترا وكثافة السكان فى هذه المنطقة ٥٦ شخص/ ك . م٢ .

– اقليم (٢) ويشمل المنطقة الساحلية لخليج سرت والتى تمتد من البويرات الى اجدابيا وتشمل المنطقة شبه الصحراوية المستعملة من قبل الرحّل فى (سرت) كمأوى صيفى لهم وقد تأثرت هذه المنطقة بظهور البترول حيث معظم الآبار المنتجة تقع فيها وكثافة السكان بها ٦٫٦ شخص/ ك . م٢ .

– اقليم (٣) ويمتد من ساحل برقة – ويبلغ طوله حوالى ٥٥٠ كم وكثافة السكان به ٠٫٧ شخص/ ك . م٢ .

– اقليم (٤) ويشمل المناطق المأهولة بالسكان من جبل غريان والكثافة ١٤ شخصا/ ك . م٢ .

– اقليم (٥) وتكون من المراكز المأهولة بالسكان فى كل من سبها ومرزق وأوبارى والشاطىء وتبلغ الكثافة به ١٫٢ شخص/ ك . م٢ .

أما من حيث التركيب الاجتماعى فينقسم السكان فى ليبيا الى سكان المدن (ونسبتهم ٣٥٪) وسكان الريف (ونسبتهم ٤٤٪) وسكان البدو وشبه الرحّل ونسبتهم ٢١٪ (وتصل فى برقة مثلا الى ٤٥٪) وهذه الفئات مختلفة فى المستوى العلمى والثقافى

كما أن هناك عادات وتقاليد تخضع لها الأسرة الليبية يتوارثها الخلف عن السلف ومن الملاحظ أن الاسرة الليبية كبيرة الحجم فى الدواخل والريف فى حين أنها فى المدينة تقتصر على الزوجين والاولاد فقط – وهذا يرجع الى الظروف الاجتماعية والمعيشية التى تحتم كثرة العدد فى الريف لأن الأعمال تتطلب التعاون وكثرة العدد – فى حين أنها فى المدينة تتطلب الفردية وقلة العدد بسبب كثرة التكاليف وارتفاع مستوى المعيشة وتعقد الحياة .



١٦٤ عمارات سكنية تحت الانشاء – طرابلس ليبيا

لذلك فان تلك العادات تلعب دورا خطيرا فى مراحل اعداد المسكن المناسب فمن الضرورى أن نولى اهتماما خاصا للمشاكل التى تتعرض لها الأسرة . فمنذ أن قامت ثورة الفاتح من سبتمبر ، وقد جلبت معها التغيرات الجديدة لسكان الجماهيرية تطورت الصناعة تطورا كبيرا وسريعا . واصبحت الجماهيرية حصنا من حصون الصناعة — وازداد دور هذا القطاع أهمية بالنسبة للاقتصاد الوطنى لما له من قدرة على تغير الهيكل الاقتصادى بزيادة وتنمية الطاقات الانتاجية ، بينما كان حوالى ٢٠٠,٠٠٠ عامل يعملون فى ميدان الزراعة وتربية الماشية ، أخذ هذا العدد يتناقص بسرعة حيث نزح الآلاف الى المدن وخاصة مدن طرابلس وبنغازى وسببها ويدفعهم الى المجىء وفرة العمل ، وارتفاع الأجور ، وقد إنتقلت مجموعاتهم بأسرهم

لذلك اتجهت الدوله لعلاج هذه المشاكل باتخاذ الخطوات الايجابية لتحسن أوضاع المجتمع فى مختلف المناطق والقطاعات وتوفير السكن اللائق لضمان الحياة الكريمة لأبناء الشعب . ولقد كانت غاية التنمية ليست فقط مجرد رفع الانتاج ولكنها تحسين أحوال المعيشة للفرد فى مختلف نواحى حياته متضمنة الأحوال الاسكانية — وبذلك جمعت بين النمو الاقتصادى والتغير الاجتماعى فى نفس الوقت وقد وضعت ثورة الفاتح فى اعتبارها من غاياتها الاسكانية (القضاء على مشكلة الاسكان وأن ينتج للمجتمع القدر الأكبر من المساكن بحيث يتيسر أن تحصل كل اسرة على المسكن المناسب بما يفى بمتطلبات المعيشة) ومن هذا يتبين لنا أن غاية الثورة هو تحقيق المساواة فى اتاحة المسكن المناسب لمستويات الدخول المختلفة فى كل الحضر والريف الذى يتناسب مع متطلبات المعيشة بما يحقق الرفاهية لشاغليه ويخلق المناخ المناسب لتنميتهم صحيا واجتماعيا ولترى فيه روح الخلق والذى هو غاية التنمية الاقتصادية فى المجتمع .

مشكلة الاسكان بالجماهيرية :

لمشكلة الاسكان بالجماهيرية أوجه عدة منها زيادةالسكان منها الاحلال بالنسبة للاحصائيات الحديثة سنة ١٩٧٥ م تصل المساكن التى تحتاج الى احلال بأخرى حديثة بمقدار ٨٥٠٠٠ مسكن — وترجع الحاجة الى الاحلال الى وجود مساكن متدهورة وتحتاج الى اصلاح بالاضافة الى النقص فى الخدمات الرئيسية مثل المياه والمجارى

الخصائص المطلوبة فى اختيار الموقع الاسكانى :

من الضرورى وقبل البدء فى البناء معرفة ودراسة الموقع حتى يمكن تفهم التوجيه الصحيح للمبانى — فاختيار الموقع يعتبر من أهم العوامل المؤثرة فى التصميم والكيان المعمارى — فكما هناك مختلف من أنواع النبات والاجناس البشرية التى تنشأ فى المناطق المختلفة والتى تنمو بخصائص التكوين الجسمانى والفسيولجى من حيث الشكل والشبه واللون كذلك فان نشأة العمارة لكل موقع من المواقع يتطلب الآتى :

دراسة المنطقة وطبيعة الارض : سواء كانت مستوية أو منحدرة وتناسبها مع قطعة المبنى اذ أن هذا يؤثر على شكل المبنى الذى تحتمه طبيعة الموقع .

دراسة المنطقة وطبيعة الموقع والوقاية :
ويخضع الشكل المتباين للظروف المناخية ؛ فوضع المبنى على شاطىء بحر يختلف عنه فى طبيعة صحراوية عنه فى منطقة جبلية .

مدى التلوث :
بأن تكون بعيدة عن التلوث (مثل المجارى الصناعية — محطات الكهرباء — المطارات) .

مدى الامتداد المستقبلى :
وسعة الموقع لاستقبال المساكن الجديدة ، حيث يتم الاعتماد على الخدمات بالموقع القائم (شكل رقم (٢) أب) .

شبكة الطرق والمجارى والكهرباء :
فيجب أن تؤخذ فى الاعتبار جميع هذه العوامل المؤثرة على التصميم :

توجيه المبانى المختلفة :
التوجيه يعتبر من أهم العوامل التى تؤثر فى التصميم والطابع والكيان المعمارى فتلاحظ مثلا فى البلاد الشمالية حيث يشتد البرد ويكثر المطر والثلوج — أن الأسقف عنصرا رئيسيا هاما فى المبنى بكونها مائلة — ويشترك فى شدة الميول بلاد أوروبا الشمالية بينما تنفرج هذه الميول كلما اتجهنا جنوبا — وعندما ننتقل الى الشمال الافريقى نجد الاسقف مسطحة (أفقية) لكنها ترجع وتنقلب الى سقف مائل فى مساكن السودان وأواسط افريقيا والبلاد الاستوائية حيث يشتد المطر مع الفارق فى التصميم والطابع وذلك بخلاف البلاد الحارة (كالجماهيرية) والتى تتطلب فيها الحماية من الحر الشكل الذى يجعل الحلول المعمارية تسير فى اتجاه مضاد لمنازل البلاد الشمالية . هذا بالاضافة الى أن الضوء الخارجى والحرارة يتطلبان تصغير الفتحة وذلك لتحاشى أشعة الشمس ، كذلك تزويد الجدران من الخارج بالكرانيش البارزة (عمل الفراندات واللوجيات ..) ومع هذا فيصير خلق تيارات الهواء أمرا مستحبا فى الصيف .

أسس تخطيط المجاورات السكنية :

من أهم المبادىء فى تخطيط المجاورات السكنية مايلى :
- أن تحتوى المجاورة على عدد كاف من السكان حتى يمكن اتاحة الخدمات اللازمة .
- أن يؤخذ فى الاعتبار حماية المجاورة السكنية عند تخطيطها .
- أن يكون موقع الخدمات متوسطا بحيث يكون سهل الوصل إليه .
- أن تكون الشوارع الرئيسية خارج المجاورة السكنية حتى لايحدث ازدحام ولحماية السكان من الضوضاء .
- تحديد عدد نقط الاتصال بالموقع طبقا للتعداد بنسبة حوالى مدخل لكل ١٠٠ — ٢٠٠ وحدة سكنية .



١٦٦ المدينة القديمة ـ طرابلس
ليبيا



١٦٥ المدينة القديمة ـ طرابلس
ليبيا



١٦٧ المدينة القديمة ـ طرابلس
ليبيا

—وشبكة الطرق الداخلية فى حدود المجاورة السكنية — يجب أن تخطط بحيث تخدم المرور الناتج عن المجاورة السكنية — لذلك يجب حسابها على أساليب تخطيطية سليمة

— الالتزام بالطابع المعمارى الاسلامى لتوحيد الواجهات والفتحات والألوان.

— يجب خلق جو من الخصوصية للمساكن — وذلك بدراسة المخطط للمساحات الخضراء — فلا يقتصر التصميم على المعالجة الداخلية بل كذلك على الاماكن المحيطة المفتوحة — لسكان المناطق الحارة يعيشون حول منازلهم

فمهمة التصميم يجب أن تمتد الى الاماكن المفتوحة بالاضافة الى داخل المبنى حتى يخلق الساحات حول المسكن التى لها أهميتها من الناحية الصحية لبناء المجتمع

— هذا ويجب أن تدخل عناصر الطبيعة المحيطة كجزء من تصميم المسكن وفى تنظيم المجموعات السكنية التى تتلخص فيما يلى :

التنظيم الشبكى المنتظم :

وهذا التنظيم يعطى توزيعا مملا بالاضافة الى جعل الفراغ المعمارى غير مريح .

التنظيم الملتوى :

وهذا التقسيم يزيد من احساس الانسان بالفراغ المحيط به — كما أنه ذات مميزات ينفرد بها — وهذه الطرق الملتوية تفرضها طبيعة الموقع وهى تساعد على تخفيض سرعة السيارات ، كما أنها تساعد على خلق فراغ معمارى مناسب .

التنظيم الاشعاعى

وهو عبارة عن طريق فرعى دائرى يقع فى المنتصف يربطة بالطريق الرئيسى بمجموعة من الطرق المتفرعة — ومن مميزاته التوزيع المناسب للوحدات — وهو مثل السابق فى خلق فراغ معمارى مناسب — كما يساعد على تنظيم حركة الهواء بداخل المنطقة السكنية .

أسس تصميم المسكن :

تعتبر الوحدة السكنية من أهم العناصر فى تخطيط المجاورة السكنية لذلك لايتوقف التصميم المناسب للمسكن على العدد المكون للاسرة فحسب بل على التقاليد والعادات ومستوى المعيشة وطبيعة المناخ بالمنطقة — فالمناخ يلعب دورا كبيرا فى مراحل اعداد المسكن المناسب — ففى تصميم المسكن يجب مراعاة التوجيه المناسب للحجرات — وعادة الحجرات الشرقية والغربية فى منطقتنا غير مستحبة نظرا لتعرضها لاشعة الشمس طوال فترة طويلة من النهار لذلك يجب معالجتها معماريا بوضع أسلحة رأسية أو بزرع أشجار متساقطة الاوراق لحجب الاشعة عن الوصول الى داخل الحجرات — وتفضل الواجهات الجنوبية لدخول أشعة الشمس اليها فى فصل الشتاء .

(اذ أن زاوية ميل الشمس تكون أفقية) بينما تكون زاوية ارتفاع الشمس عمودية تقريبا فى فصل الصيف)

هذا ويتوقف التشميس للحجرات على ثلاثة أنواع من الأشعة :

١ — الأشعة الضوئية وتنتج من ضوء النهار .

٢ — الاشعة دون الحمراء وهى التى تحدث الحرارة وهى ذات تأثير صحى وخصوصا فى الشتاء .

٣ — الاشعة فوق البنفسجية وهى التى تحدث التأثير الكيماوى والبيولوجى .

لذلك فانه من الضرورى أن نولى اهتماما خاصا للمشاكل من هذه الناحية وبالرغم من وجود بعض الأسس الموحدة فى العالم للتطور الاسكانى — الا أن هناك عوامل اقليمية داخلية تجعل المسكن يختلف فى كل دولة عن الاخرى من حيث التكوين والتشكيل . وتطوير المسكن لايبدأ باختيار طراز أو نظام معيّن — بل على المصمم أن يخصص الوقت الاكبر لدراسة الظروف المناخية والعرف والظروف الاجتماعية ، كما يجب دراسة التجمعات السكنية من حيث الشكل والتكوين بحيث تكون منسجمة مع بعضها فى شكل يعطى طابعا خاصا بها بحيث يجعلها متماسكة وغير متنافرة مع توفير التهوية للمبنى مع تحقيق الخصوصية لكل جزء منها وتبعا لأهميته .

نماذج توزيع المساكن :

ومن النماذج المستعملة فى تصميم الجهات السكنية مايلى :

المساكن المنفصلة :

وهذه صالحة للاستعمال فى اسكان الضواحى حيث المساحات المتوافرة من الأراضى — ويتميز هذا النوع بالتهوية المناسبة والتوجيه السليم الصحى لكل من وحدات المسكن . ويمكن جمع كل وحدتين مع بعضهما بحائط فاصل بينهما وبارتفاع دور واحد .

(من عيوب هذا النموذج زيادة التكلفة للخدمات العامة) .

المساكن ذات الارتفاع المتوسط فى هذا النموذج :

يتكون من مسكنين أو ثلاثة مساكن فى الدور الواحد — ويسلّم مفتوح من الجانبين ليساعد على التهوية وتلطيف الجو — وهذا النموذج من المساكن الصحية المطلوبة فى المناطق التى تسودها الحرارة العالية — ولايتعدى أقصى ارتفاع لها عن أربعة أدوار .

من مميزاته استغلال المساحة وزيادة الكثافة السكانية بالاضافة الى تحقيق الخصوصية والتهوية الجيدة ، ويصلح استعمال هذا النوع فى المدن والضواحى .

المساكن ذات الشكل التجمعى المتعدد الادوار :

وهى تشبه النوع السابق ولكن تعددت فيها الأدوار (من ١٢ — ١٤ طابقا) لذلك فهى تجمع بين السلالم والمصاعد . ويقتصر استكمال هذا النموذج فى البلاد المكتظة بالسكان والتى يحتم فيها توفير العدد الاكبر من المساكن — وبغرض توفير الاراضى وتخفيف عبء الاستثمار من المرافق ووسائل المواصلات ويعتبر هذا النموذج مناسبا من الناحية المناخية للمناطق الحارة حيث يوفر التهوية والرؤيا الحسنة لكل من الوحدات لكن هذا النموذج تقل فيه الخصوصية .

من مميزات هذا النموذج – توفير المساحات الكافية للحركة بالاضافة الى المساحات الخضراء كما وأن هذا التجمع للوحدات يعطى احساسا بالتنوع على مستوى الوحدات .

المساكن المجمعة على هيئة تراس :

وهذا النموذج شائع الاستعمال فى التجمعات السكنية – ويعتبر اقتصاديا فى استعمال المصاعد والسلالم – لكن معظم الوحدات السكنية تطل على جانب واحد بخلاف الممر مما لايحقق التهوية المناسبة – وعدم توفير الخصوصية لساكنية بالاضافة الى مشكلة التوجيه الواحد لمعظم محتويات المسكن .

التجمـــع الــــرأسى المتداخــــل :

من عيوب التجمع الرباعى للوحدات من الابراج السكنية سيطرة كل وحدة على اتجاهين فقط ، بحيث تضطر احداهما بعدم الاستفادة بالتهوية أو التشميس .
لذلك كانت المحاولة للتغلب على تلك العيوب – بوضع أسس جيدة بواسطة التداخل الجزئى للأدوار – بذلك أمكن تحقيق التوجيه المناسب لكل مسكن بحيث يجمع بين التهوية الصحية وشمس الشتاء مع توفير الخصوصية لأجزاء المسكن – وذلك بالعزل الكامل لأقسام المعيشة عن الأجزاء الأخرى بالاضافة الى مرونة التوزيع .

التجمـع على شكـل (Y) (الابـراج السكنيـة) :

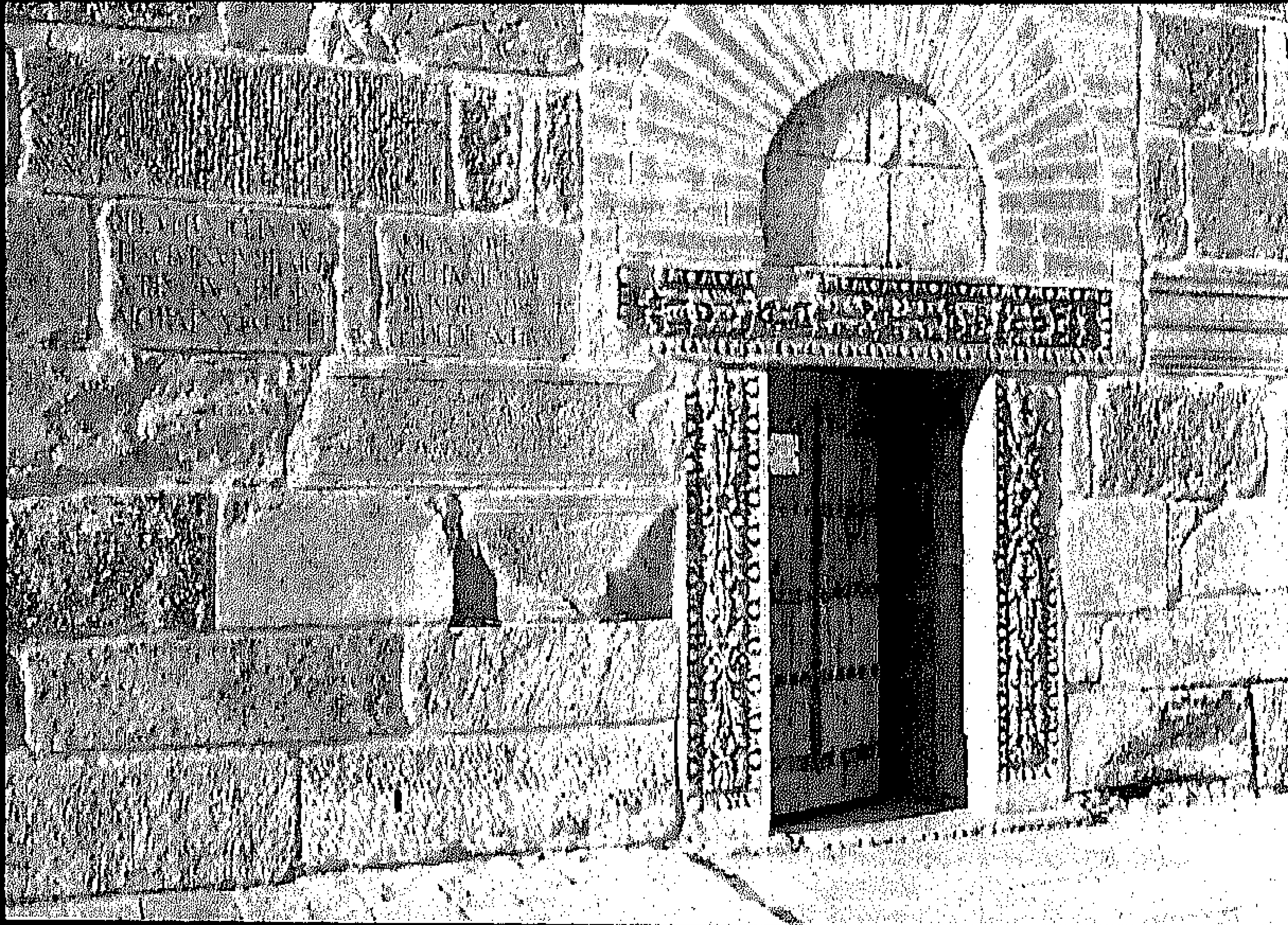
وهذا النموذج يعطى تنوعا بشكل آخر – كما أنه يوفر التهوية من جانبين لكل وحدة سكنية – لكن مدى عيوبه صعوبة توجيه جميع الوحدات بتوفير أشعة الشمس فى فصل الشتاء لكن اذا ماغير طريقة تجميع الوحدات بتحريكها حول محور مائل أمكن الاستفادة بمزايا التوجيه السليم لجميع الوحدات .

وبالرغم من أن البناء الرأسى يوفر الاراضى ويخفف من عبء الاستثمار الكثيف – الا أنه لايتفق مع التقاليد والعادات والظروف الاجتماعية فى الجماهيرية – اذ يجب أن ترتبط المبانى بالظروف البيئية والمجتمع والتراث والأصالة الليبية .

هذا وتعتبر المساحات الخضراء من الأهمية بالنسبة لوجود المسكن وتزداد قيمتها كلما زادت الكثافة السكانية ، اذ تعتبر المنفذ لهم خاصة فى أوقات الصيف .

توجيه وحدة عناصر المسكن بالجماهيرية :

عند دراسة توجيه وتصميم المسكن بصفة عامة يجب دراسة المناخ وطبيعة المنطقة . فالرياح بالجماهيرية تأتى من الشمال الغربى الى الجنوب الغربى – لذلك يفضل وضع المطابخ والحمامات على الجهة الجنوبية تفاديا لخروج الروائح من هذه الوحدات الى خارج المسكن ، كما يجب أن توجه حجرات المعيشة والضيوف لتكون مستفيدة من الاتجاه الشمالى الشرقى .
أما حجرات النوم فيجب أن تتمتع بالاتجاه الشرقى لتنعم بدفء الشتاء .
كذلك من المهم دراسة وحدة المسكن نفسه لتحقيق العلاقة السليمة بين التصميم والمجتمع وتقاليده ، فدراسة الحياة الاجتماعية والتقاليد والعادات لها أهميتها فى تصميم الوحدات السكنية ليست فقط بالنسبة للمجتمع بل ولاقتصاديات الاسكان

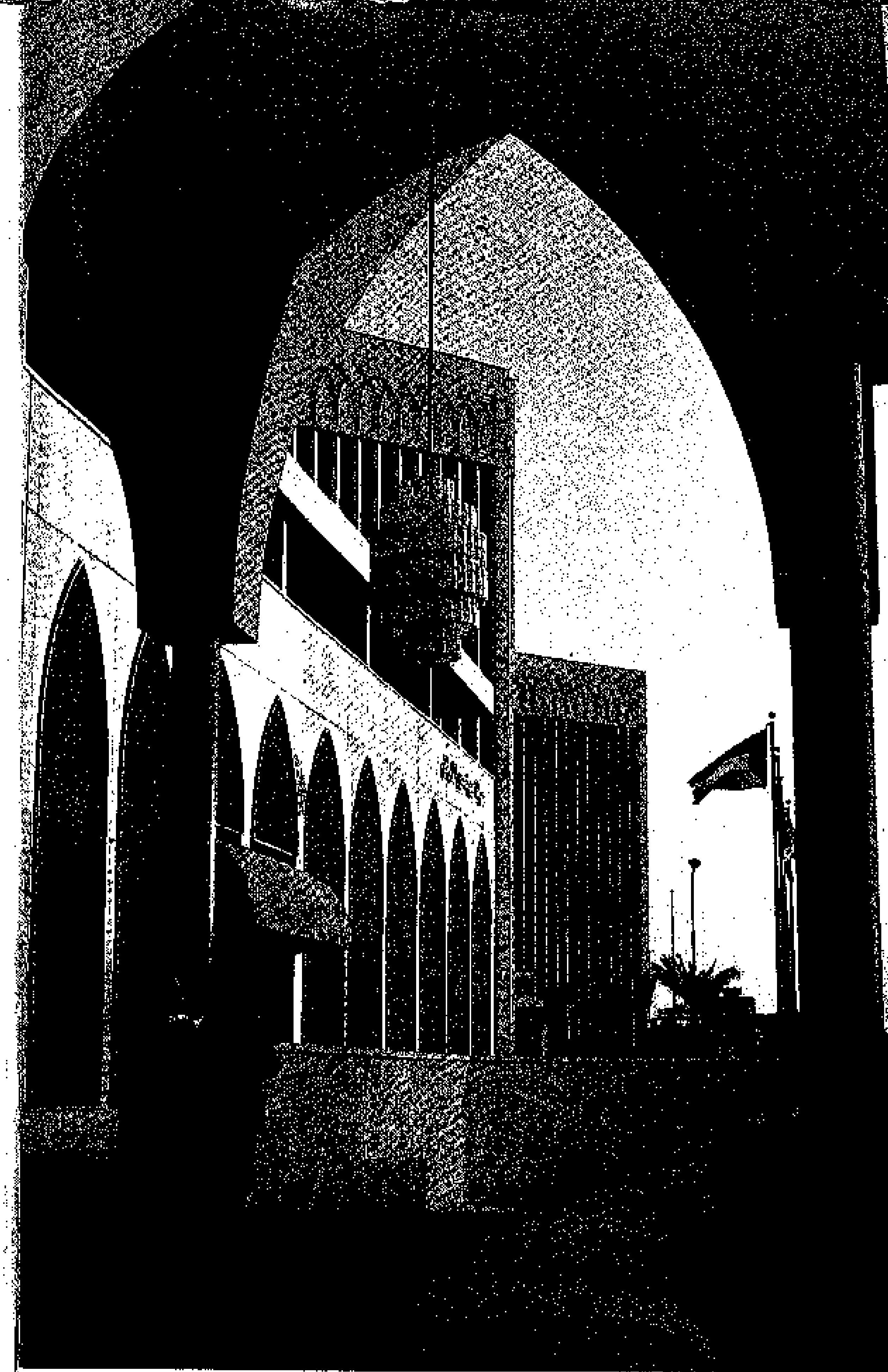


القسم الرابع

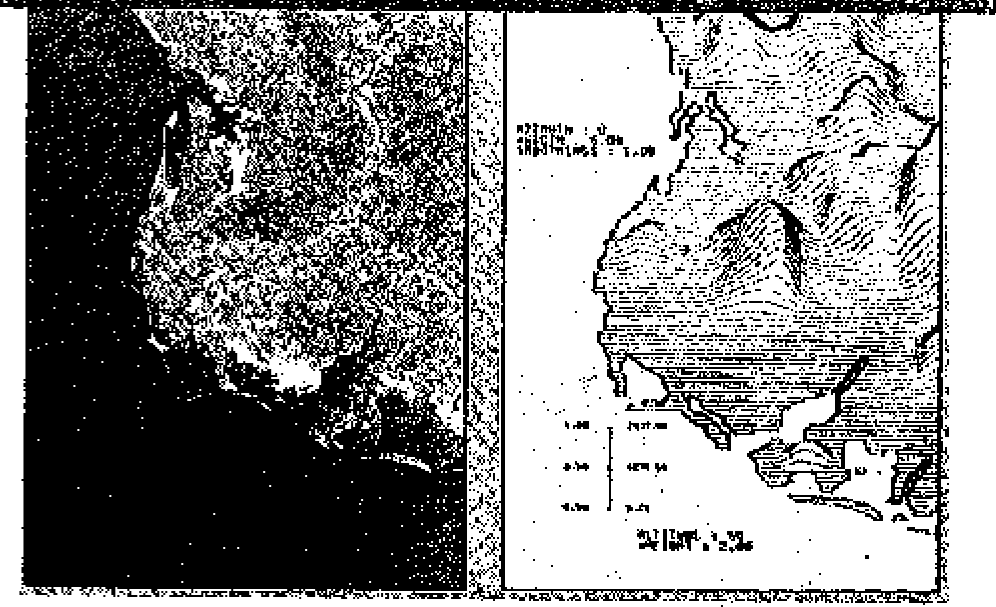
نحو المستقبل

أجمع الحاضرون بالندوة على أن تكوين فكر مستقل عن الهيمنة الغربية ، أصيل فى أسسه وفروعه ، منفتح على العالم يأخذ منه ويعطى له ، هو الضمان للحفاظ على ذاتية مدننا وطابعها الحضرى المميز . ومن ثم كان التركيز على أهمية اعداد الأجيال القادمه من المفكرين الممارسين ، وذلك بتوسيع رقعة اللقاء الفكرى والتكوينى بين التعليم الهندسى والمعمارى من جهة وبين التعليم التاريخى والانسانيات بصفة عامة من جهة أخرى . كما يجب التركيز على دراسة البيئة المحلية (عمليا) تكميلا للدراسات التقنية التى نركز عليها حاليا فى الدراسات الهندسية .

ومن ثم يحتوى هذا القسم على ملخص بحث محمد مكية (الذى سينشر بصورة مستقله فيما بعد) والذى ينادى فيه بالتحرك **نحو مدرسة فكرية جديدة للعمارة والتخطيط فى العالم العربى** ، ونختم الفصل ببحث فريد شافعى **عن دراسات متخصصة للعمارة والتخطيط الاسلاميين** .



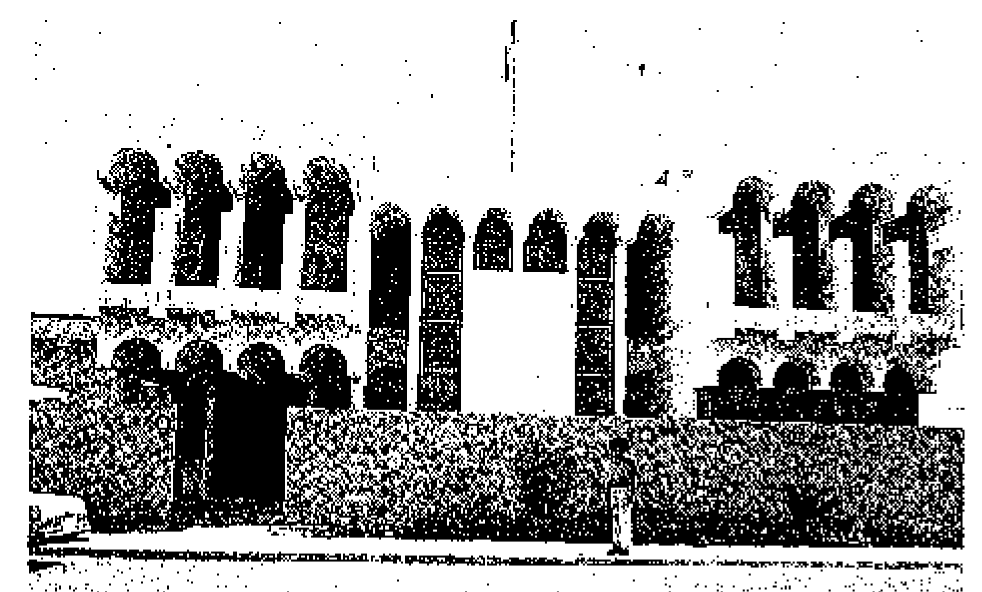
١٧٢ الرياض



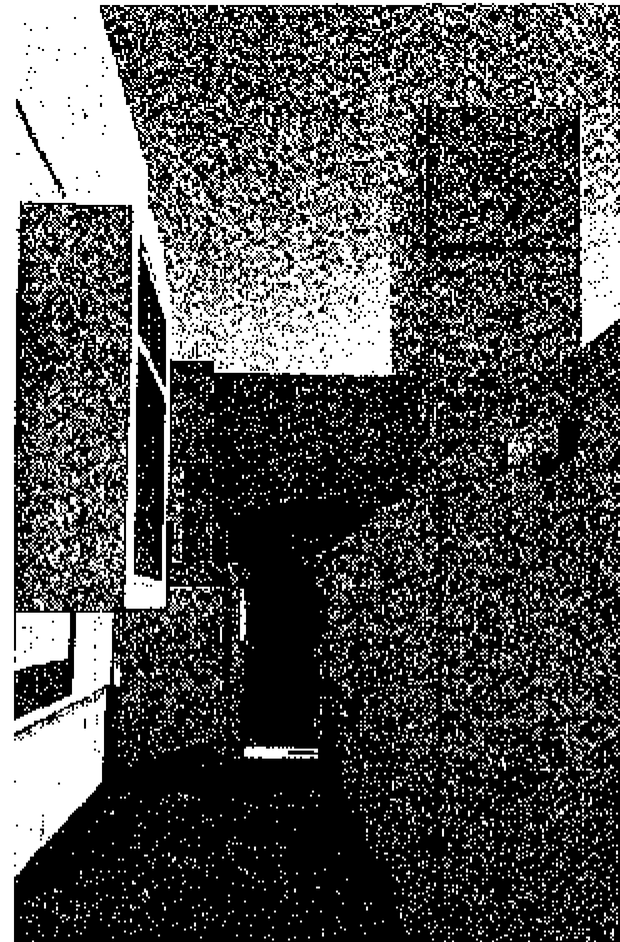
١٦٩ خرائط



١٧٠ سيدي بو سعيد – تونس



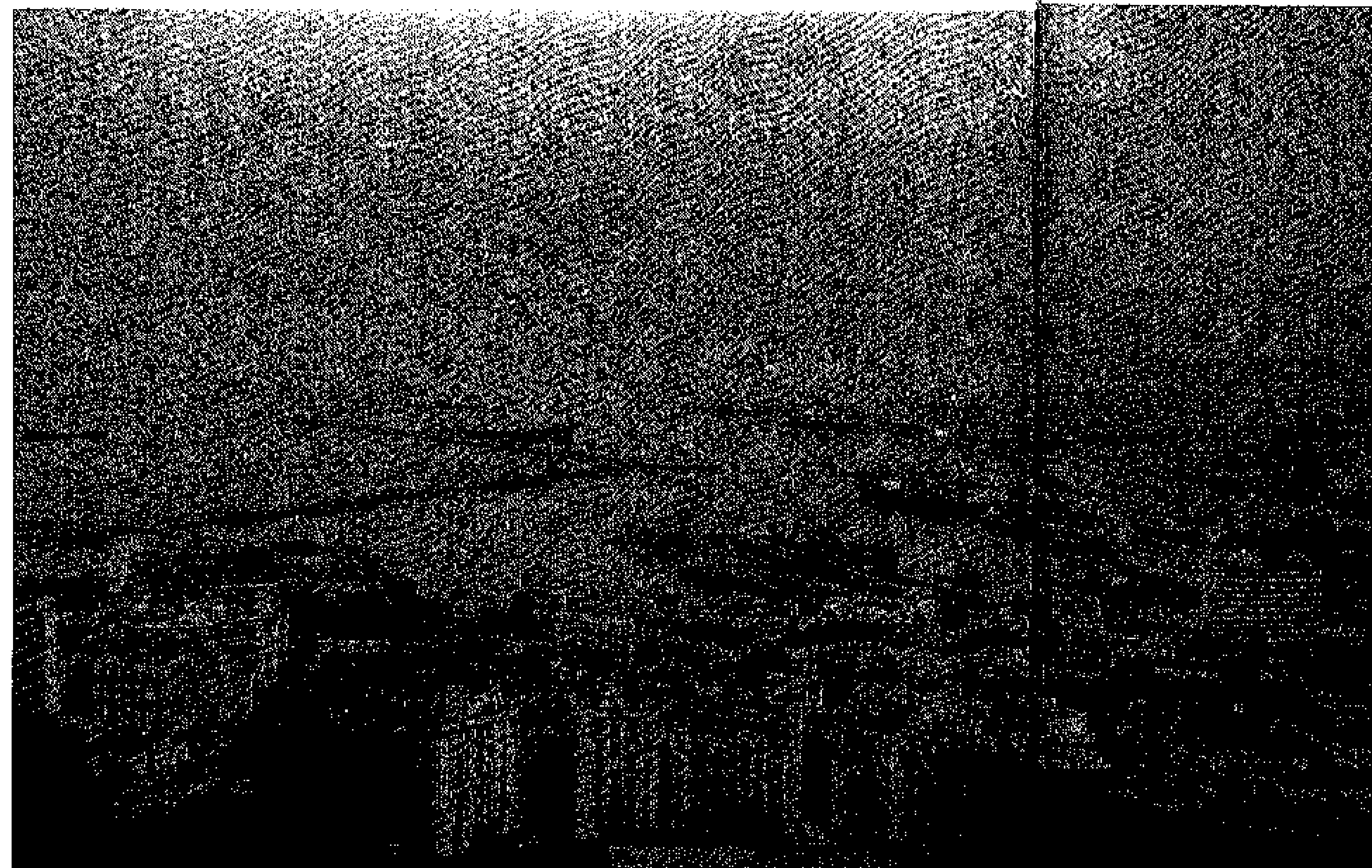
١٧١ أبوظبي



١٧٦ مشروع الاسكان – الرياض



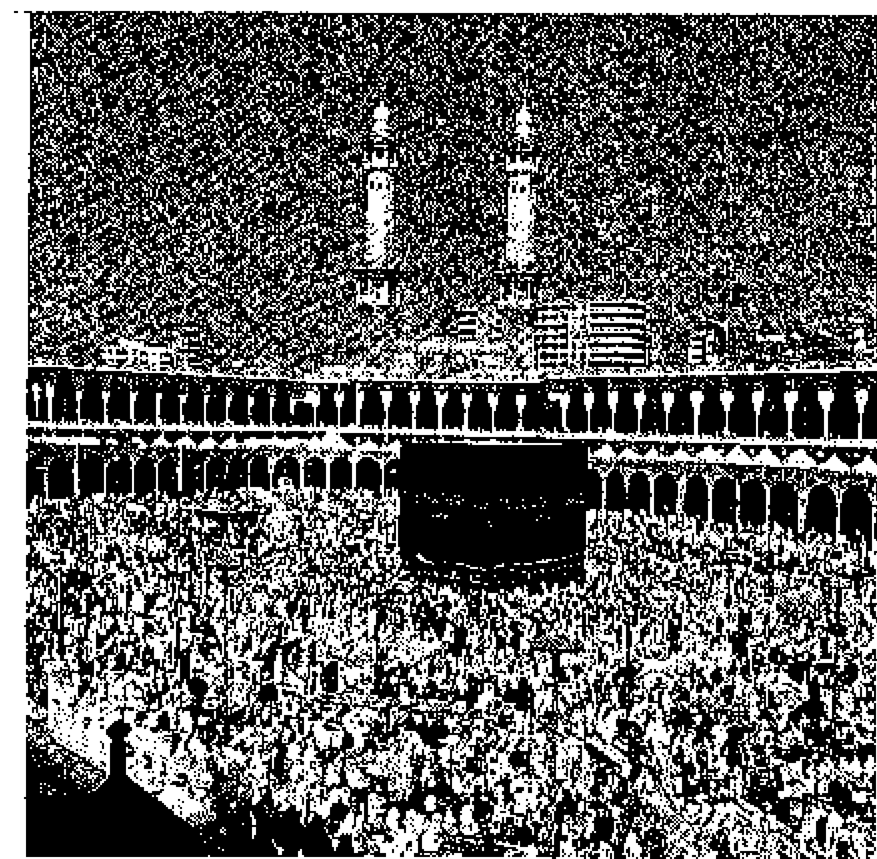
١٧٧ المغرب



١٧٥ مدينة الجزائر



١٧٤ الزجاج الملون – صنعاء



١٧٣ الحرم الشريف – مكة

نحو مدرسة فكرية جديدة للعمارة والتخطيط فى العالم العربى

محمد مكية

ان الندوات والمحاضرات قد ساهمت في خلق وعي عام بأهمية الحفاظ على التراث المعمارى والعمرانى ، وأهمية تأصيله واثرائه للأجيال القادمة . وقد تولد عن هذه الوعي نيه طيبة واسعة الانتشار ، الا ان الهوة واسعة بين النية والتطبيق ، وتستمر اصالة بيئتنا العمرانية تنحسر أمام النزح التحديثى التغريبي .

ولا يخفى علينا ان المقومات الملموسة للمكان لها تأثيرها الواضح في حياة الناس ، وأن هناك تداخلا مستمرا وتفاعلا غير منقطع بين الأنشطة الانسانية والاطار المكاني الذي يحتويها . ومن ثم أصبح السؤال الذي يطرح نفسه في ظل ما يتسم به مجتمعنا من ضياع ، هو كيفية تأمين البقاء الثقافي المحدد للشخصية العربية بمقوماتها الحضارية الاسلامية . واذ يتقدم البحث ببعض الحلول والآراء والنصائح ، فهي مستقاة من خبرة أربعين عاما من العمل والتجربة في التدريس والتصميم والتنفيذ ، في العراق والخليج وأنحاء العالم العربي المختلفة ، ولب ما يراه الباحث في هذا الموضوع هو التأكيد على أهمية تكوين مدرسة فكرية تقود المخططين والمهندسين الى الاهتمام بالجانب المعنوى بالاضافة للملموس ، مدرسة أصيلة تستقي مقوماتها الحضارية من واقعنا وماضينا وتراثنا الفكري وتحدد اتجاهات تقدمية قادرة على مجابهة حاجة الغد من واقع اليوم ، مع تأمين الاستمرارية الحضارية المطلوبة . والفكر الاسلامي هو المغذى الأول لهذه المدرسة . أفكار الوحدة ، المساواة ، عدم الاسراف ، كراهية التبذير والتواضع ورفض عبادة الاصنام كلها تمثل جوهر القيم الاخلاقية التي يجب ترجمتها لواقع بيئتنا العمرانية .

ان هذا الفكر الاسلامي لا يفرض صيغة معمارية واحدة . فالاسلام لا يفرض صورا ونماذج دون غيرها ، بل يفرض قيما وقواعد عامة ، تطلق العنان للقدرات الخلاقة ، فتتنوع النماذج والصور وتختلف التفاصيل ، وان اتحدت في المحاور المنظمة الرئيسية وان اشتركت في احترام القيم وكلية البيئة .

ان هذا النداء لمدرسة فكرية جديدة ، تحمي التراث العربي الاسلامي وتجدده ، يجب ان ينقل الى حيز الواقع استنادا الى استراتيجية ذات محورين : الأول عملية دفاعية لايقاف الدمار اللاحق بنا نتيجة النزح التخريبى ، اما الثانى فهو البدء في تكوين برامج تدريس جديدة للمعماريين والمخططين تتمشى مع ماضينا وحاضرنا وما نتمناه لمستقبلنا .



سيدي بو سعيد ــ تونس

عن انشاء دراسات متخصصة للعمارة والتخطيط الاسلاميين

فريد شافعى

مقدمة :

تسير حركات تخطيط المدن العربية وتشييد العمائر على اختلاف أنواعها فى خطوات حثيثة واسعة لتقوم بكفاية متطلبات الناس بها فى العصور الحديثة والمستقبلة ، ومن ثم فان الاحياء العريقة فى القدم والاصالة فيها ، بل وطابع تلك المدن والبيئة المحلية فيها يتعرض كل ذلك لتيارات جارفة من النظريات المستحدثة فى التخطيط والعمارة ، مما يخشى معه بل وما حدث وما ينتظران يحدث من ضياع وذوبان تلك الاصالة بتأثير تلك التيارات العاتية .

ومن بوادر التوفيق أن أخذت أصوات كثيرة ترتفع وتتعالى منذ فترة فى البلاد العربية منادية بالحفاظ على تراث حضارتنا العربية الاسلامية من نواحيها المختلفة ، وكان أعلاها وأبرزها ما يتعلق بالبيئة العمرانية للمدن العربية من حيث اثارها وتخطيطاتها وعمارتها ، والتساؤل عن كيف يضع المخططون والمعماريون مشروعاتهم لمواجهة النمو والتطور فيها فى الحاضر والمستقبل . ومن المطمئن ان اخذت تعقد المؤتمرات والندوات فى البلاد العربية التى اهتمت بذلك الأمر الحيوى لبحث الوسائل والخطوات لتحقيق ذلك الهدف الواجب عمله بل كان من الواجب عمله منذ زمن طويل .

فعلى الرغم من التوجيهات والتوصيات المشددة التى عنيت السلطات المسئولة فى الحكومات والجهات المختصة بالتنبيه على الحفاظ على الطابع العربى الاصيل الذى يعبر بصدق ، كما عبر من قبل ، عن البيئة العربية التى عشنا ونعيش وسوف نعيش فيها مهما توالت الاحداث وتغيرت مظاهر الحياة ، وان يراعى ذلك بكل دقة فى المشاريع العمرانية التى يعهد بها الى المكاتب الهندسية المحلية ثم العالمية لاعدادها وتنفيذها ، الا انه على الرغم مما بذل من جهود لا يمكن انكارها فان النتائج المرجوه للحفاظ على ذلك الطابع لم تصل الى تحقيق القدر الواجب بل انها قصرت فى اغلب الاحيان عن ان تحقق منه شيئا الا النادر القليل .

أهمية الدراسات المتخصصة :

وفى اعتقادنا ان ذلك القصور يعود فى المقام الاول الى ضعف الجهود فى اعداد القوى البشرية التى يقع على عاتقها القيام بتلك المهمة الغالية ، من مخططين ومعماريين ومهندسين وغيرهم ، وذلك باتاحة الفرص لهم للدراسات المتخصصة والمتعمقة لتقاليد التخطيطات والعمارة الاسلامية فى البلاد العربية ، تلك التقاليد التى ظلت تنبض بالحياة والنشاط فترة الأربعة عشر قرنا الماضية ، ولم تتعرض للضعف والهوان الا منذ القرن الماضى الذى أخذت فيه التقاليد الأجنبية تزحف فى هوادة فى أول الأمر ثم تزداد وتتفاقم آثارها وسرعة تحركها حتى ادخلتها فى دوامات هى وشعوبها التى عاشت فى ظلها تلك الفترة الطويلة واوصلتهم الى حالة من الدهشة وفقد التوازن بل والى الجمود المشوب بالترقب .

ولا مناص ونحن نتعرض لبحث هذا الموضوع من ان نضع جانبا الحساسيات التى تتصل بالاشخاص الذين يكلفون بالحفاظ على ذلك الطابع وتلك الاصالة ومدى دراستهم ودرايتهم به ، فاننا نجدهم قد بذلوا جهودا فردية فى الاطلاع السريع على بعض نواحية ، ولكن من حيث التفاصيل والعناصر والزخارف ، وهى المعروفة بانها المظاهر والثياب الخارجية ، ولم تتح لهم الفرصة ولا الامكانيات للدراسة العميقة لجوهره ولبه اللذين قامت عليهما وبهما تقاليد التخطيطات والعمارة فى العصر العربى الاسلامى فى جميع الاقطار العربية ، فان هذه القوى البشرية التى كلفت وتكلف بالقيام بتلك المهمة الغالية تتمثل فى خريجى الجامعات العربية والأجنبية الذين درسوا طرفا غاية فى الضآلة فى محاضرة أو ثلاث على الأكثر من العمارة الاسلامية وذلك ضمن مادة تاريخ العمارة العام والتى تغطى عددا كبيرا من الطرز المعمارية للعالم المعروف منذ العصور العتيقة من فرعونية واشورية واغريقية ورومانية وعصور وسطى وما بعدها حتى العصور الحديثة ، وهى اذن دراسة عابرة لا تساعد بأى حال من الاحوال على التفهم الحق لتقاليدنا وطابعنا فى العصور العربية الاسلامية على مدى تلك الحقبة الطويلة من تاريخنا ، وبالتالى على الحفاظ عليها وابرازها فى القالب العلمى السليم .

مشاكل الأوضاع القائمة :

ونضرب مثلا لما سبق ذكره بانه كان قد انشىء معهد لدراسات الآثار الاسلامية كان يتبع كلية الاداب بجامعة القاهرة منذ عام ١٩٣٦ ، وكانت الدراسة به متاحة لكل من حصل على الدرجة الجامعية الأولى من جميع الكليات الجامعية وما فى مستواها ، والتحق به عدد كبير منهم وحصلوا منه على دبلوم كان يعد أعلى من درجة الماجستير حيث كانت الدراسة به تستغرق ثلاث سنوات على الاقل ، وكان من بينهم نحو ٢٠ معماريا وفنانا منذ انشائه وحتى الغائه فى عام ١٩٥٤ .

وكنا نأمل أن يقوم هؤلاء بخدمة دراسات العمارة العربية الاسلامية التى كانت من أهم مواد الدراسة فى ذلك المعهد ، وذلك بأن يعدوا أبحاثا متعمقة ترفع من شأن ذلك الطراز الثمين الأصيل ، بل وترفع من شأنهم أيضا ، وذلك بدلا من أن يتركوا الميدان لمن لا دراية له بالعمارة والفنون ويصول فيه على غير أساس أو علم بها ، حتى أن بعضهم ظن فى نفسه القدره على أن يدلى بآراء ويبتكر نظريات مضلله وغير مفهومة لأحد من الباحثين بل وغير مفهومة لهم انفسهم . وبذلك أساءوا أكبر إساءة إلى من يسعى إلى دراستها إما من المراجع التى نشروها أو من المحاضرات التى تلقى عليهم فى ذلك المعهد ، ثم فى قسم الآثار الذى حل مكانه بعد إلغائه ، ثم فى كلية الآثار التى حرّم على المعماريين والفنانين الالتحاق بها ، ولا يسمح لهم إلا بالحصول على دبلوم ليست له قيمة علمية أو أدبية بسبب أن من يقوم بتدريس مادة العمارة الاسلامية لهم هم من شعبة الاداب بلا خلفية معمارية أو هندسية البتة ، وهو أمر يضع كلا من الطالب ومدرسه فى موضع غير طبيعى . بل وغير كريم للطرفين .

ومن دواعى الاسى ايضا ان المعماريين الذين تخرجوا من المعهد قد جرفهم تيار لقمة العيش فمنهم من قطع صلته نهائيا بذلك الطراز ، ومنهم من انقلب عليه وانكر وجود شىء اسمه عمارة اسلامية ، ومنهم — وهو الطامة الكبرى — من تجمد على الجزء التمهيدى الذى حصل عليه من دراسته بالمعهد ، ثم اخذ يدعى انه قد ملك العلم كله بذلك الطراز ، وراح يتفلسف بما كاد ينساه ، ولم يخرج الى الناس شيئا منه ، لا فى ميدان الابحاث أو ميدان التصميمات التخطيطية أو المعمارية .

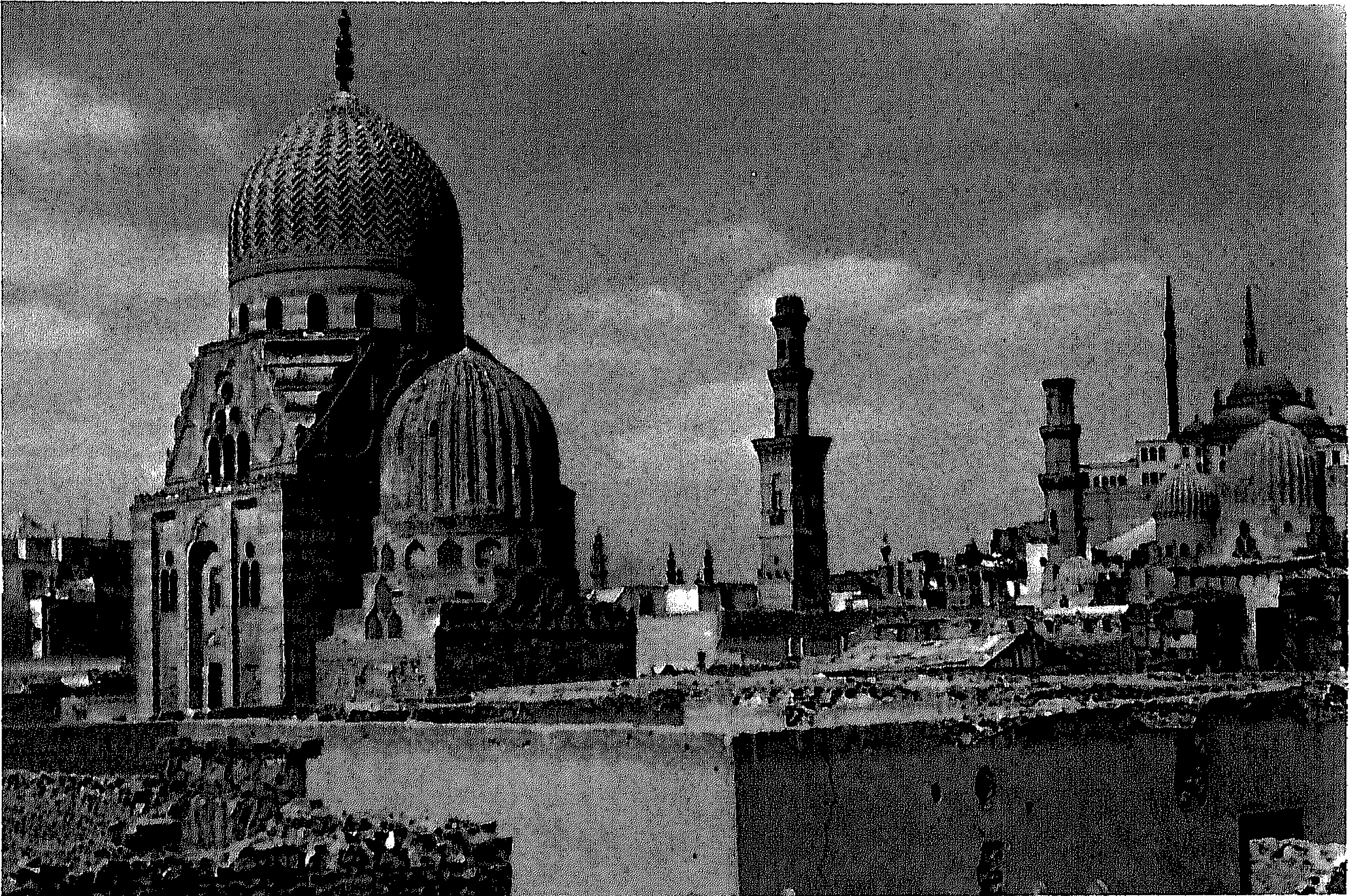
ومما لاشك فيه مع كل ذلك ان الغاء المعهد كان من اشد الضربات التى اصابت دراسات العمارة العربية الاسلامية الاكاديمية ، فليس هناك شخص واحد يؤمن فى قرارة نفسه بأن صاحب ثقافة غير معمارية يمكن أن يتفهم أسس العمارة الاسلامية وأعمالها وأن يدرسها للمعماريين والفنانين والمهندسين .

تجربة رائدة :

ولحسن الحظ أنه فى سنة ١٩٧٠م عندما أسندت إلى رئاسة قسم العمارة بكلية الهندسة بجامعة الرياض ، وفقت إلى أن يضم برنامج الدراسة فى القسم مادة خاصة بدراسة تاريخ العمارة الاسلامية العربية ، وبذلك أصبحت جامعة الرياض أول جامعة عربية تدرس فيها تلك المادة وهى قائمة بذاتها وبعد أن كانت تدرس ضمن مادة تاريخ العمارة . وهو أمر كان من الطبيعى أن يحدث فى دولة عربية توجد على أرضها أقدس بقاع العالم الاسلامى حيث نزل الوحى على من اصطفاه ليكون رسولا نبيا يهدى الناس الى الدين الحنيف ، وهى الأرض التى خرجت منها جيوش المجاهدين فى سبيل نشر ذلك الدين فى أنحاء الدنيا .

نحو أفاق جديدة :

ولاحت بارقة امل عندما فكر معالى الدكتور جعفر صباغ الذى كان عميدا لكلية الهندسة بجامعة الرياض ثم شغل منصب نائب رئيس جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة . وعهد الى معالية دراسة مشروع انشاء معهد للدراسات العليا للحضارة العربية الاسلامية ، على ان يكون من أهم جوانبها العمارة الاسلامية .



١٧٩ مقابر المماليك ـ القاهرة

واقبلت على دراسة المشروع واعددت فيه كل ما كنت اصبو اليه من آراء ومقترحات ومن توصيات بتجاربى السابقة بجامعة القاهرة ، ثم بجامعة الرياض طوال السنوات العشر السابقة .

ورحب معالى الدكتور جعفر صباغ بالدراسة وطلب منى اعداد الخطط للتنفيذ .

وكان من أهم ما تضمنته مقترحاتى للتنفيذ أن يفتح المعهد ابوابه لجميع المعماريين المؤهلين اكاديميا من العرب والمسلمين بل ولغيرهم ، وان يعاملوا معاملة اعضاء البعثات العلمية فى البلاد الأجنبية ، وذلك من حيث المعاملات المالية ، بل واغرائهم بمرتبات مجزية تعوضهم بعض الشىء عن المكاسب التى كان ينتظر حصولهم عليها من مزاولتهم لمهنتهم فى مكاتبهم الهندسية الخاصة أو فى مكاتب هندسية اخرى عديدة ، ثم توفير اطمئنانهم الى معيشتهم هم وعائلاتهم . كما يجب توفير جميع المراجع الهامة الرئيسية التى وضعت عن العمارة الاسلامية وبخاصة النادرة منها التى لا يتسنى للفرد منهم اقتناءها بموارده المحدودة .

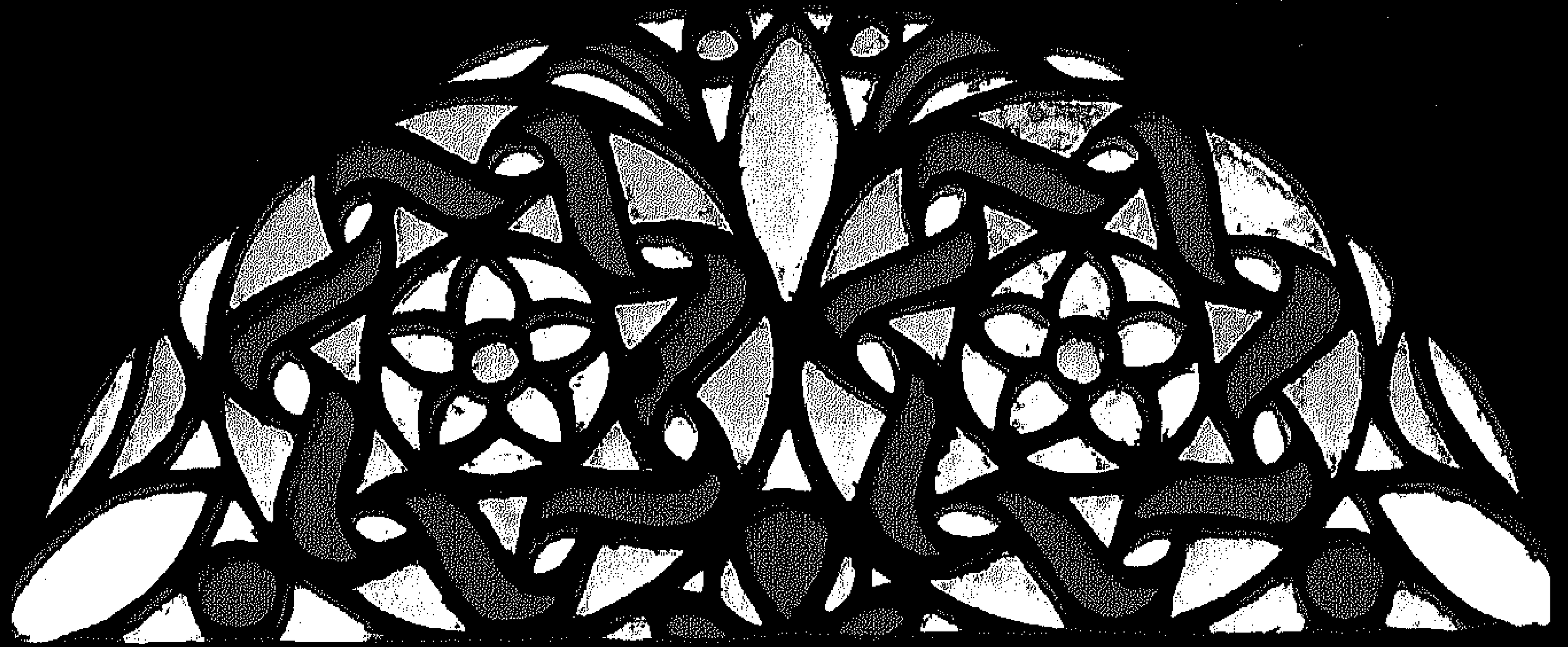
وتم ذلك الاعداد المبدئى منذ عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) ، وكنت آمل ان يتسع الوقت للاهتمام بهذا المشروع واخراجه الى حيز للوجود وبخاصة فى جامعة مكة المكرمة وهى مركز الاشعاع فى العالم الاسلامى كله ، وان يتسنى للمعماريين المسلمين اعداد البحوث والدراسات وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عن تلك الناحية العظيمة من تراث الحضارة الاسلامية العريقة المتسعة الابعاد ، وان يثبتوا للعالم كله ان العمارة العربية الاسلامية كغيرها من نواحى حضارتنا ما تزال بخير ، وانها ما تزال صالحة كل الصلاحية للتطور والتمشى مع مطالب الحياة فى العصور الحالية والمستقبلة ، ولأن توفر للمسلمين كل ما يطلبونه فى حياتهم وبيئاتهم التى تطرق اليها الكثير من المبتكرات العلمية والتكنولوجية والمواد والاساليب البنائية الحديثة ، ومع المحافظة فى الوقت نفسه على اصالتها ، فما يزال فيها من الحيوية ما يثبت انها باقية صامدة لم يتطرق اليها الا ضعف طارىء ولن ينتهى بها الى التوارى فى صفحات التاريخ .

اما وقد تسببت الظروف فى توقف اتخاذ اجراءات فعلية فى سبيل انشاء ذلك المعهد فانى انتهز فرصة الاهتمام بعقد ندوة المدينة العربية لاضع تحت انظار المسئولين والمهتمين بالتراث العربى الاسلامى هذا الموضوع الذى لاشك فى ضرورته الحيوية لاعداد القوى البشرية التى يمكنها بفضل ثقافتها المتخصصة فى العمارة والتخطيط للمدينة العربية ان تقوم بذلك العبء على الوجه الاكمل .

خاتمة :

ولا اكتفى بالتوصية بانشاء مثل هذا المعهد بل انى اذهب الى أبعد من ذلك فاود ان الفت الانظار الى انه من الضرورة الملحة ان ينشأ امثال هذا المعهد لا فى مكة فحسب بل وفى المدينة المنورة وفى الرياض وفى جدة وغيرها بل وفى جميع الجامعات العربية ، وكذلك من الضرورة القصوى ان تعدل برامج الدراسة لتاريخ العمارة فى جميع اقسام العمارة بالجامعات العربية بغير استثناء بحيث تخصص مادة قائمة بذاتها للعمارة الاسلامية لمدة فترتين دراسيتين على الأقل ، وان تكمل بدراسات عليا للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه لذلك التراث الحضارى الهام ، وان تبذل لمن ينقطع لدراستها جميع وسائل التشجيع من منح دراسية سخية ومراجع نادرة وغيرها ، وذلك حتى لا يتجه المعماريون العرب الى الغرب لدراسة النظريات الغربية التى تميل بهم الى نواح بعيدة وغريبة على بيئاتهم واصالتهم ، وحتى يحافظوا بانفسهم على تراثهم الغالى الذى لا يمكن ان يتفهمه بل لن يحاول ان يفهمه واحد من الغربيين مهما بلغ من العلم والثقافة فهو قد عاش حياته فى بيئات بعيدة كل البعد عن البيئات العربية الاسلامية .





الفصل الثالث

دراسات عن المدن العربية

يتضمن هذا الفصل عشر حالات من الواقع ، كل مقدم فى ملف خاص يعالج وجها أو أكثر من الموضوعات التى نوقشت فى الفصلين السابقين ، ولكن يعالجها من الواقع الحى لمدينة عربية اسلامية ، والملفات العشرة والأبحاث التى تتضمنها كالاتى :

أولا : المدينة المنورة

محمد شوقى مكى : النمو العمرانى وتغير ملامح تركيب المدينة المنورة
صالح لمعى مصطفى : النمو العمرانى وخصائصه فى المدينة المنورة .

ثانيا : المقدس :

رائف نجم : الحرم الشريف خلال فترة الاحتلال الاسرائيلى .

ثالثا : فاس

عبد اللطيف الحجامى : مدينة فاس فى اطار الجهود المبذولة للمحافظة على التراث

نجيب العرائشى بدوى : اشكالية المحافظة على التراث المعمارى لمدينة فاس فى اطار مخططها التوجيهى .

رابعا : القاهرة

احمد كمال عبد الفتاح (وآخرون) : احياء قاهرة العصور الوسطى
كمال الدين سامح : تاريخ القاهرة الاسلامية .

خامسا : جدة

محمد سعيد فارسى وحمزة ابراهيم عامر : جدة القديمة والحديثة

سادسا : دمشق

غسان نوبلاتى : الخصائص المشتركة للمدينة العربية والمتمثلة بمدينة دمشق القديمة

سابعا : تونس

محفوظ الامام : مشاكل التجديد وإعادة اعتبار النسيج التقليدى : تجربة باب سعدون

جميلة بينوس : مبادىء الصيانة وقضية التجديد : تجربة الحفصية .

ثامنا : طرابلس لبنان

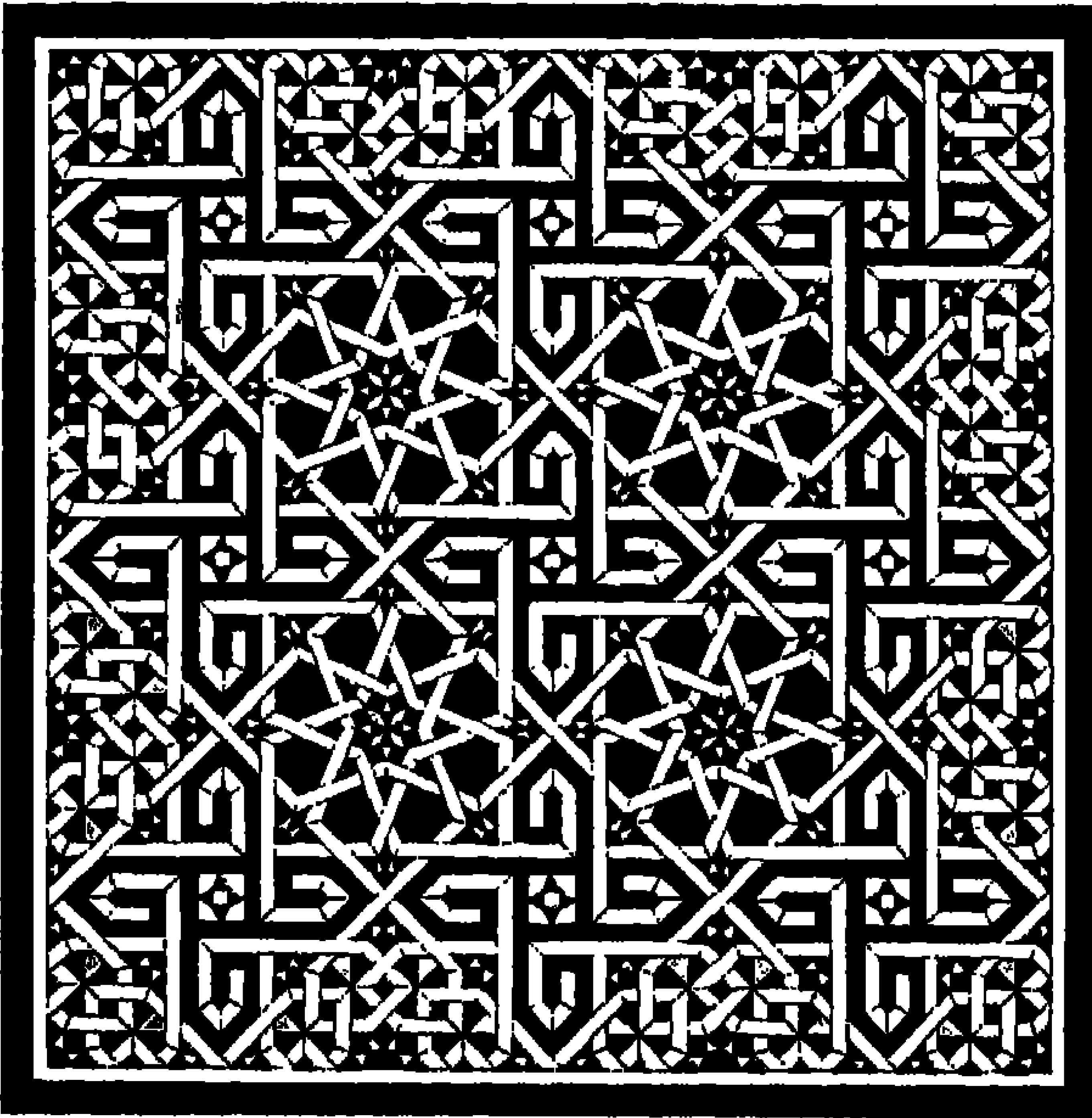
عبد السلام تدمرى : خصائص العمارة الاسلامية فى طرابلس وآثارها المماليكية

تاسعا : صفاقس

على الزوارى : وضعية مدينة صفاقس العربية الاسلامية والتوسع التجارى والصناعى داخلها .


عاشرا : دومة الجندل

مصلحة الآثار : الحفاظ على خصائص المدينة العربية الاسلامية — حالة دومة الجندل



رسم هندسي من الفن العربي

◄ ١٨١ زجاج ملون – صنعاء


المدينة المنورة

النمو العمرانى وتغير ملامح تركيب المدينة المنورة

محمد شوق مكى

مقدمــة :

يهدف هذا البحث الى التعرف على مراحل نمو المدينة المنورة لايضاح العوامل المؤثرة فى هذا النمو ومقدار تغير هذا النمو للوجه الحضارى للمدينه . وهناك عدة جوانب مهمة فى دراسة هذا التطور : - نمو المدينة خلال الـ ٣٠ سنة الماضية . - فحص طبيعة التركيب العمرانى الحاضر للمدينة . - من الفقرتين السابقتين يمكن التعرف على مقدار تأثر التركيب التقليدى للمدينة . ان فهم هذه الجوانب يمكن أن يقود الى تحسين تخطيط وإدارة المدينة ضمن عملية التمدن الحديث مع الحفاظ على التراث الحضارى فى تركيب ووظائف المدينة المنورة .

النمو العمرانى بالمدينة المنورة :

ان النمو الطبيعى وتغير ملامح المدينة أصبح أكثر وضوحا منذ الخمسينات من هذا القرن العشرين (السبعينات من القرن الرابع عشر الهجرى) وبخاصة منذ بداية مشروع التوسعة السعودية للحرم النبوى الشريف . فالمدينة المنورة تتركز حول الحرم الذى يعتبر المولد الاول للنشاط فى هذه المدينة المقدسة والمؤثر الرئيسى على حياة كل المدينة منذ عهود بعيدة . فمنذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (٦٢٢ - ٦٣٣م) كان الحرم هو المركز الذى نمت حوله المدينة وتركزت حوله النشاطات التجارية والمهنية والتى ازدهرت بزيادة الأهمية الدينية لقلب المدينة ، وبخاصة جذبه للحجاج فى موسم الحج وما يسببه ذلك من زيادة النشاط الاقتصادى وبالذات مع زيادة عدد الحجاج الكبيرة خلال الـ ٣٠ سنة الماضية . ولهذا ظهرت الحاجة الماسة لتوفير السكن والخدمات للحجاج المتزايدين . وكانت توسعة الحرم احد المساهمات الرئيسية التى قامت بها الحكومة السعودية لخدمة الحجاج . وقد كان هذا عاملا هاما جدا فى التأثير على التركيب العمرانى لمركز المدينة المنورة .

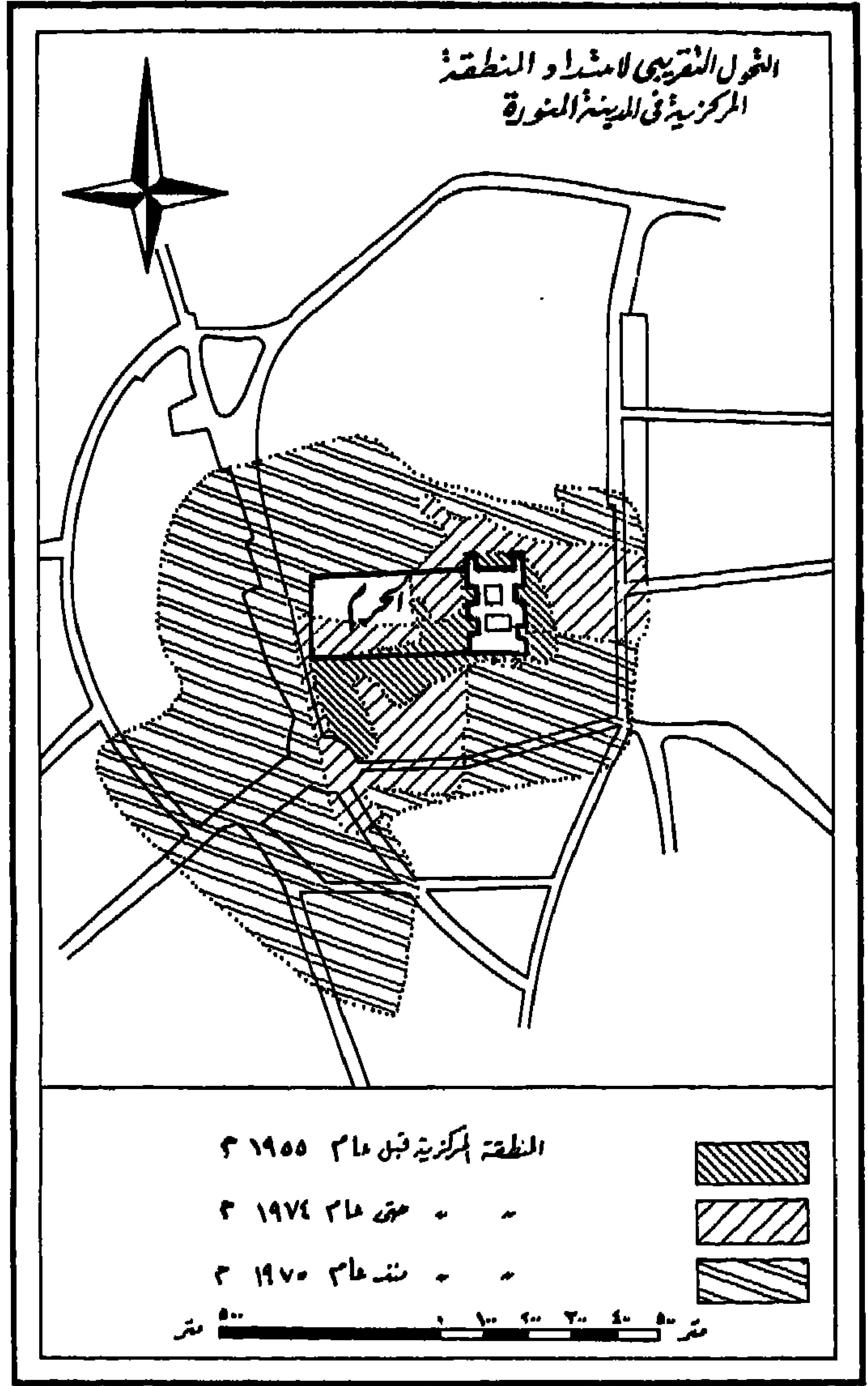
توسعة الحرم بين سنوات ١٩٥٠ - ١٩٥٥م :

حتى الاربعينات من هذا القرن كانت مساحة المدينة المنورة تبعا لما رواه فلبى تقدر بـ ١,٤ كم٢ ، وقد شغلت المنطقة المركزية (المنطقة الدينية والتجارية) نحو ٢٠٪ . من هذه المساحة . وفى هذه المدينة القديمة وزع السكان بطريقة معقولة وبما يحقق سهولة الاتصال بالحرم النبوى الشريف . وقد تشعبت معظم الطرق الرئيسية لتقود للأحياء السكنية المختلفة من منطقة الحرم وغالبا ما واجهت هذه الطرق الرئيسية احد أبواب الحرم . فمثلا شارع باب المجيدى واجه البوابه الشمالية للحرم ، وشارع العينية واجه باب السلام فى الغرب . ومن هذه الشوارع الرئيسية تشعبت الطرق الفرعية والأزقة التى اخترقت الاحياء المختلفة وأحيانا كان البناء يجاور ويلاصق الحرم كما كان الحال فى المنطقة الجنوبية (حيث القبلة) حيث لا توجد ابواب للحرم فى هذا الجانب . ولقد اظهر مركز المدينة نوعا من الانسجام الفائق بين أماكن السكن وأماكن العمل .

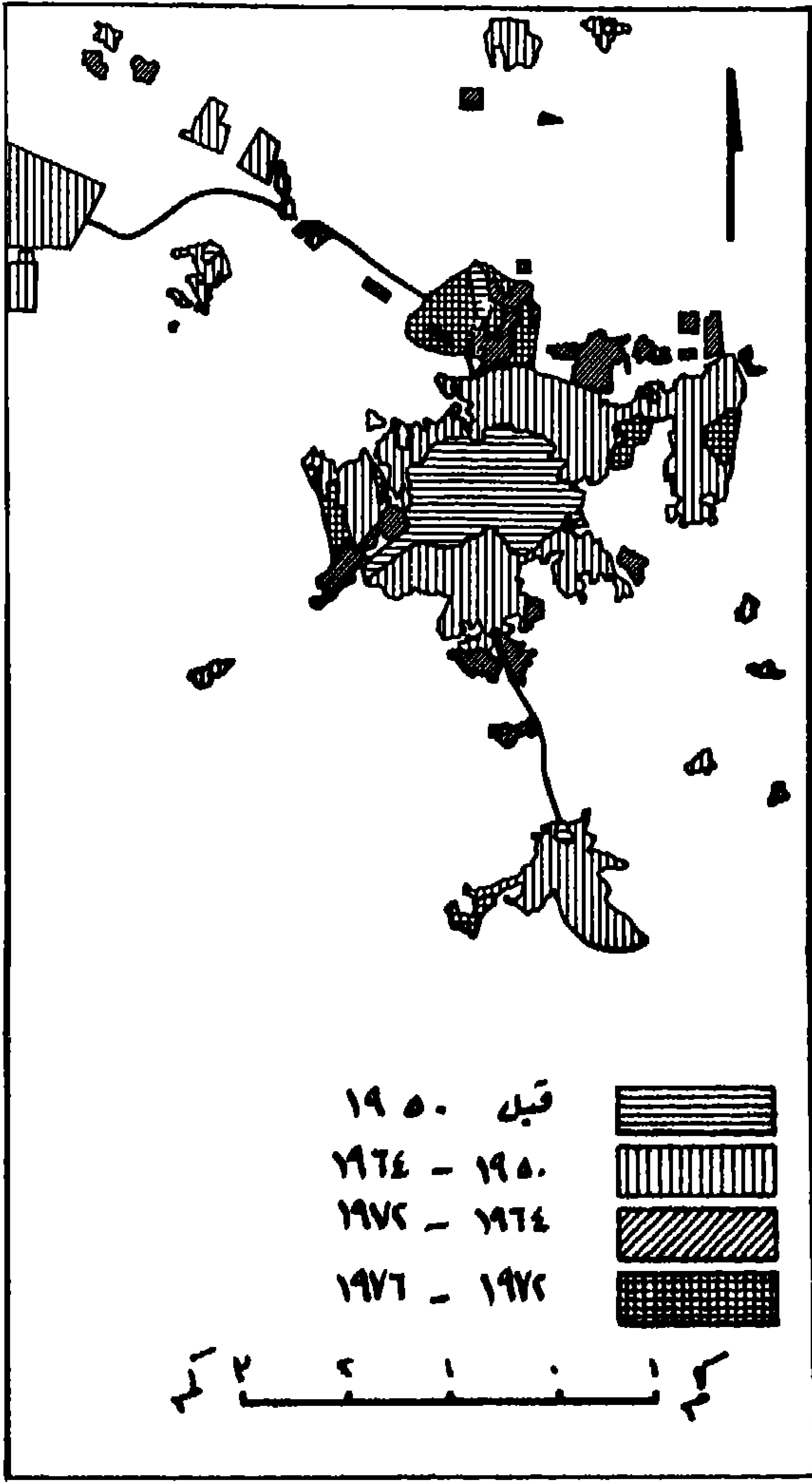
واحد الامثلة لتطوير التسهيلات هى توسعة الحرم النبوى بين سنوات ١٩٥٠ - ١٩٥٥ . وقد كانت وزارة المالية والاقتصاد الوطنى هى الجهة المسئولة عن هذه التوسعة حيث زادت مساحة الحرم من ١٠٣٠٣م٢ الى ١٦٣٢٧م٢ . بالاضافة الى هذا هدمت بعض المبانى المجاورة للتوسعة السابقة وذلك لتسهيل الوصول وانشاء الميادين حول الحرم . وقد كانت هذه المبانى تشغل مساحة ١٦٢٣١م٢ . كما تم بناء ١٢٤٧م٢ من الحرم القديم٢ . وهذا يعنى بقاء ٣٩٪ . فقط من الطراز التقليدى السابق . على أى حال فمع ان هذه التوسعة للحرم كانت صغيرة الا انها دفعت المنطقة المركزية بوظائفها التجارية لاحتلال اراض جديدة جنوب وشرق وغرب حدودها السابقة . وقد نتج عن هذا التوسع تحول ملحوظ فى استخدامات الارض المركزية وتوزيع السكان . فقد هدم الكثير من المبانى السكنية لاتاحة المكان للشوارع الجديدة والميادين حول الحرم والمتاجر والاسواق مثل سوق الخضار الجديد فى ذلك الوقت عند الحدود الجنوبية للمنطقة المركزية . كما حولت اجزاء من المنازل السكنية السابقة لمتاجر .

وقد ذكرت بعض الدراسات ان ما هدم فى هذه التوسعة كان ٢٠٠ منزل و ١٠٠ متجر . ولا توجد فى الواقع أى معلومات عن عدد العوائل أو الاشخاص الذين رحلوا من هذه المنطقة ولكن اذا سلمنا بأن حجم العائلة فى المدينة هو خمسة أشخاص ، فان السكان الذين احتاجوا الى اعادة اسكان يكون قد بلغ نحو ١٥٠٠ شخص ويعد هذا المشروع على اعتبار سكن عائلة واحدة فى كل منزل وتأجير نصف عدد المنازل على الاقل لعوائل اخرى تكون المنطقة جذابة للسكان لقربها من الحرم . ولكن الرقم الحقيقى ربما كان اكثر من ذلك لان مشاريع البلدية التى حدثت فى نفس الفترة لتنظيم المنطقة ادت الى هدم المزيد من المبانى . فاحصائيات تراخيص البناء الصادرة من بلدية المدينة بلغت ٤٢٠ رخصة فى سنة ١٩٥٦م ، بمعنى انها أكثر مما تطلبة مشروع الحرم .

ومع ان توسع المدينة على الحواف كان ملحوظا الا أن الحاجة لايواء الحجاج الذين يرغبون دائما فى السكن قرب الحرم زاد من الطلب على الارض فى المنطقة المركزية . وبالتالى نتج عن هذا نمو رأسى مكثف فى المركز حيث ظهرت المبانى بأربعة الى ستة ادوار وربما أكثر ، مع أنه قبل الستينات لم تعرف المبانى بأكثر من أربعة أدوار فى المدينة . وقد نتج عن هذا الوضع المتغير وخط الافق الجديد فصل الحرم بطرازه الاسلامى الرائع عن بقية المدينة القديمة وزاد من هذا الفصل بناء الطرق الدائرية الجديدة . وكان من



١٨٤ التحول التقريبي لامتداد المنطقة المركزية بالمدينة المنورة



١٨٥. مراحل توسع عمران المدينة المنورة

الممكن الحفاظ على ذلك الطراز التقليدى بالتحكم فى ارتفاعات المبانى فى هذه المنطقة مع التغلب على مشكلة رغبة الحجاج والزوار بالاقامة قرب الحرم بالعديد من الوسائل . فمثلا تشجيع الحجاج للسكن فى مناطق بعيدة قليلا عن الحرم مع توفير التسهيلات الضرورية فى هذه المناطق وتحسين الوصول للمركز والحرم بالاستخدام الحكيم للمواصلات العامة (مثلا باستخدام قطارات تحت الارض) . كما ان اقتراح استخدام الحافلات الكهربائية يبدو مفيدا جدا هنا وذلك للحفاظ على هدوء المنطقة ولمنع الخطر على صحة الحجاج المزدحمين والذى قد ينتج من تلوث الهواء بتأثير عوادم وسائل المواصلات الاخرى .

ولقد كانت توسعة الحرم المذكورة آنفا كافية لاحتواء المسلمين من السكان حتى الستينات . فقد قدرت طاقة الحرم الجديدة بنحو ٣٥ ألف مصلى ، بينما كان عدد البالغين من سكان المدينة فى سنة ١٩٦٣م ٣٣٧٩٩ شخص . ولكن خلال موسم الحج يحصل الازدحام الكبير فى المنطقة ويصبح الحرم غير قادر على ايواء كل المصلين . ففى سنة ١٩٧٣م قدر وجود نحو ٢٠٠ ألف زائر فى المدينة خلال عشرة أيام وهذا العدد ربما تطلب زيادة مساحة الحرم لنحو ٢٤ ألف م٢ لاحتواء هؤلاء الزوار .

توسعة الحرم بين سنوات ١٩٧٤ – ١٩٧٨م :

وهكذا قررت الحكومة السعودية ضرورة توسعة الحرم النبوى الشريف مرة أخرى . وقد بدأ العمل فى سنة ١٩٧٤م بهدم نحو ٧٦٠٠م٢ غرب الحرم . وهذا زاد من طاقة الحرم بنحو ١٦١٧٠ شخصا مما جعل الطاقة الاجمالية تعادل ٥١١٧٠ شخصا ، ولكن هذا لم يكن كافيا اذ انه فى سنة ١٩٧٤م بلغ عدد سكان المدينة نحو ١٩٨ ألف شخص ، منهم ١٠٧٢٩٢ بالغا مما يؤكد ضيق الحرم حتى للسكان المحليين وبالتالى اجبار الكثير على الصلاة فى الطرقات حوله خاصة فى ايام الجمع وحتى فى غير موسم الحج .

لهذا بدأت مرحلة اخرى ضمن هذا التوسعة فى سنة ١٩٧٦م لهدم المزيد من المبانى فى غرب الحرم . وقد انتهت عمليات الهدم فى نوفمبر سنة ١٩٧٧م ووقع عقد مع احد الشركات لتسوير وتبليط وتظليل التوسعة الجديدة مؤقتا . ونتيجة لهذه التوسعة هدم ١٨٦ منزلا فى المرحلة الاولى و ٤٨٤ مبنى فى المرحلة الثانية مضيفة بذلك ٩٣٧٥٠م٢ لمساحة الحرم ، مما جعل مساحته الاجمالية تعادل ١٢٧٤٧٥م٢ ويمكنه احتواء ٢٧١٢٢٥ شخصا فى وقت واحد . وهذه المساحة تبدو مناسبة لكلا السكان المحليين والحجاج على الاقل خلال العقد القادم .

ولقد اضطر كثير من الناس الى ترك المركز نتيجة اعمال التوسعة هذه . ففى سنة ١٩٧٢م (أى قبل مشاريع التوسعة الاخيرة) قدر عدد سكان المنطقة المركزية بـ ٦٢٧٧٠ شخصا وبمعدل كثافة ٣٥ ألف شخص فى الكيلو متر المربع الواحد وقد تصل الى ٥٠ ألف شخص فى الكيلو متر المربع الواحد فى بعض المواقع . وقد امتصت مرحلتا هذه التوسعة نحو ١ كم٢ والتى قد تشير الى فقد نحو ٣٥٠٠ شخص أو ٦٪ من مجموع سكان المركز لمساكنهم . وهذه ربما تكون احدى الحسنات غير المباشرة لمشاريع التوسعة . فهى قد خففت مقدار الكثافة الشديدة فى المركز للسكان الدائمين والتى تعانى من مشاكلها الكثير من المدن العربية . فمثلا فى تونس تصل الكثافة الى ٥٢ ألف شخص فى الكيلو متر المربع الواحد ، وما يقارب هذا العدد ايضا فى بغداد .

والمشكلة تظهر فى الاهمية المزدوجة لمركز المدينة والحاجة لعدم خلق الاضطراب فى وظيفته كمركز دينى وتجارى وسكنى . وفى الواقع ان الصفة الهامة للعلاقة القوية بين المنزل ومكان العمل فى المدينة قد ضعفت كما اشرنا سابقا . وهذا يمكن تأكيده بانه فى سنة ١٩٧٢م كان يسكن فى المركز ٤٩,٥٪ من العاملين فيه والذين قدر عددهم بـ ١٣٣٥٨ شخصا ، بينما انخفضت هذه النسبة الى ٤٢٪ فقط من مجموع ١٥٨٤٩ عاملا فى المركز .

والتأثير الأخير لتوسعة الحرم يتعلق بالتأثير على طراز نمو استخدامات الأرض . فلقد توسعت منطقة الحرم نحو الشمال والشرق والغرب مجبرة سكان ومستخدمى هذه المناطق بالتحرك اما الى اطراف المدينة او الى الجنوب من المركز السابق . والتحرك نحو الجنوب كان لحد كبير انتقائى . فالجزء الجنوبى من الحرم هو اقدس جزء من الحرم لاحتوائه قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والقبلة . وبالتالى اصبح سكان الاحياء النامية فى هذا الاتجاه مثل حى قباء وعلى امتداد الأحياء القديمة المجاورة من مجموعة الموسرين . ولقد قبلت هذه المجموعة بتحرك النشاطات التجارية اليها من الاجزاء الاخرى من المنطقة المركزية التى تأثرت بعمليات توسعة الحرم ، اما الورش ومحلات الاعمال المهنية فلم يرحب بها ولهذا فقد اجبرت مثل هذه النشاطات الى البحث عن مواقع رخيصة فى شمال المدينة .

هذه التحولات الحديثة اعادت تركيب المدينة بشكل مكثف . فلم تعد المدينة تقترب من النمط التقليدى السابق للعهود الصناعية فى نمو المدينة والتى اشار اليها Sjoberg حيث توجد النشاطات الحرفية فى القلب وعمل سكان حواف المدن بالزراعة . وكما هو الحال فى كثير من مدن الشرق الاوسط ففى المدينة الآن عدة نشاطات صناعية منتشرة حول حواف البلد . وفقط فى المنطقة الجنوبية بقيت بقايا من التركيبات التقليدية حيث الاسواق التى تقود الى الحرم .

فى الوقت الحاضر لم يبق فى المدينة اى من الاسواق القديمة المغطاة ، وكل ما تبقى هو جزء صغير من الجانب الغربى من سوق القماشة فى جنوب غرب الحرم . هذا الجزء لايزال يحكى التراث المعمارى السابق لمشاريع التطوير الحديثة . وقد نقلت استخدامات سوق القماشة التى عملت كمركز تجارى هام فى المدينة منذ عدة قرون وحتى الستينات من هذا القرن العشرين الى الشرايين التجارية الجديدة . فالتجارة منتشرة فى شارع المناخة الذى يواجه التوسعة الغربية للحرم . ويلاحظ ان هذا الشارع مستمر فى النمو كشريان رئيسى لتجارة التجزئة فى المدينة . وهذا ربما يعود لموقعه وارتباطه منذ القدم بالاسواق القديمة القريبة منه والتى اختفت الآن . وهناك ايضا شارع باب العنبرية المؤدى الى جده ومكة والذى ينمو كشريان تجارى آخر مهم . وكذلك هناك نمو مكثف للتجارة فى شواع ابى ذر والملك عبد العزيز فى شرق الحرم وشارع درب الجنائز فى الجنوب . وهكذا فستصبح هذه الشوارع وما جاورها المناطق الرئيسية للتطوير المكثف وهذا حتما يقود الى الضغط على الأرض واسعارها هنا اكثر من أى جزء آخر فى المدينة .

ونظرة الى تركيب قلب المدينة يشير الى استمرار الاندماج الكبير بين المناطق الدينية والتجارية . ومثل هذا الاندماج كان منطقيا فى الماضى حينما كانت المدينة ومنطقتها التجارية متكتلة بشكل كبير لأعطاء أقصى استخدام للمنطقة المسورة المحدودة ولتسهيل عمليات الحماية ومقوية كذلك الروابط الاجتماعية بين السكان . ان استمرارية هذا الاندماج تشير الى ان الوظيفة الدينية للمدينة لها تأثير كبير على عمليات التطوير ومواقع الاسواق أكثر من الهدف التاريخى وهو البحث عن مكان آمن فى داخل البلد .



١٨٦ صورة تاريخية للمدينــــة المنورة

• التحولات فى المناطق المحيطة بالمنطقة المركزية منذ سنة ١٩٥٠م :

نتيجة لتوسعة الحرم الضخمة كان من المتعذر تحاشى النمو غير المحكوم ونشوء المساكن الفقيرة . فبمجرد بدء التوسعة بدأ فيض من النشاط العمرانى فى كل المساحات الشاغرة داخل المدينة وعلى حوافها . وهناك بعض الكتاب الذين يرون بان نمو المدن يرتبط بالتناقص التدريجى لاهمية المركز بالنسبة لكل المنطقة المدنية . وهذا قد يعطى المدينة وضعا فريدا نظرا لأهمية وتأثير القلب الدينى فيها والذى لايزال يؤثر فى تغيير تركيب قلبها ونمو منطقتها المدنية ككل . ويمكن القول بان هناك عاملين هامين يؤثران فى ماضى ولحد ما فى حاضر توسع المدينة . هذان العاملان هما تدفق الحجاج السنوى والطبيعة الطبوغرافية للمنطقة . فزيادة عدد الحجاج تعتبر قوة كامنه

تسبب نمو مركز المدينة وبالتالى تدفع الى توسع المدينة على المناطق الشاغرة على الاطراف ، ولكن التحولات السريعة وغير المضبوطة فى شكل الأرض والناتجة عن التأثير القوى لهذه القوة كثيرا ما تفقد النمو المدنى التوازن والاصالة . اما الظروف الطبيعية فقد منعت النمو العمرانى فى مناطق معينة من المدينة لقرون عديدة مثل مناطق الحرات الشرقية والغربية والجنوبية . ولو أن بعض المساكن الفقيرة قد انتشرت فى هذه المناطق منذ الخمسينات من هذا القرن .

بعد توسعة الحرم الاولى (١٩٥٠ – ١٩٥٥م) ومشاريع البلدية لتنظيم داخل المدينة بنى العديد من الطرق لتوصيل المدينة القديمة بالضواحى المبنية حديثا والمواضع التاريخية . ومنذ بداية هذه المرحلة فالنمو العمرانى لم يتبع اتجاها معينا ومحددا وإنما تبنى مسارات الطرق الرئيسية المتجهة من الشمال للجنوب بالاضافة الى بعض الاحياء الفقيرة فى شرق وغرب المدينة والتى ربما كان نشوؤها يرجع الى تدفق العمال المشتغلين فى اعمال التوسعة والذين بنوا مساكنهم الرخيصة والعديمة التنظيم على الاراضى الشاغرة خارج السور القديم للمدينة . بينما امتدت مساكن الاغنياء والأكثر انتظاما على طول الطرق وحيث تتوافر الخدمات العامة . وهكذا نجد عدة اذرع ممتدة من مركز المدينة الى القرى المجاورة ، خالقة بذلك نموا شريانيا .

ولقد استمر نمط النمو السابق حتى سنة ١٣٧٥م حينما اتجه النمو الاساسى للمدينة فى الأماكن الشاغرة حول المنطقة المدنية ونحو الشرق والشمال الشرقى حيث الحرة الشرقية ونحو الشمال الغربى حيث شملت مناطق سيد الشهداء وسلطانة . وقد ساعد على هذا النمو رخص الأرض فى شمال المدينة بمقارنة جنوبها . ولاتزال اقصى الأطراف الشمالية والجنوبية من المدينة هى أقل المناطق كثافة فى المدينة . وهذا يجعل المدينة تسير نحو الطراز الغربى فى كثافة المدن حيث تقل كثافة السكان فى الضواحى وفى المركز (نتيجة لتوسعة الحرم فى المدينة) مع حزام اوسط بكثافة اعلى نوعا ما . ولقد بلغ عدد المبانى المرخص لها فى الفترة من ٧١ – ١٩٧٦ م ٨٩٥ مبنى ، بينما لو حسبنا ما هدم فى توسعة الحرم الثانية ومشاريع البلدية وما تطلبته الزيادة الطبيعية للسكان لبلغ العدد الاجمالى المطلوب ١٥٦٩ مبنى ، مما يعنى بانه كان هناك عجز يقدر بـ٦٧٤ منزلا فى تلك الفترة . ولكن لا شك ان صندوق التنمية العقارى قد حل مشكلة الكثير من السكان فى توفير السكن الملائم لهم ، ولو انه لا تتوافر حاليا لدينا الاحصائيات الدقيقة ولكن التجول فى المدينة ورؤية الكثير من المنازل الشاغرة دليل على توفر السكن الكافى فى الوقت الحاضر فى المدينة .

وقد كان لمشاكل الاسكان فى مختلف المدن السعودية الفضل فى تأسيس وزارة الاسكان فى سنة ١٩٧٥م والتى تبنت الكثير من مشاريع الاسكان فى المملكة ومنها المدينة . فقد تم التعاون مع مكتب تخطيط المدن لتخصيص مناطق معينة مخططة فى الحرة الشرقية والحرة الجنوبية الغربية لبناء مساكن ذوى الدخل المحدود وغيرهم وهذا كان يعنى بدء عهد جديد فى تاريخ المدينة المنورة حيث ارتبط النمو بالتخطيط ومد الخدمات مسبقا . كما أصبح بالامكان بناء مبان حديثة فى منطقة ظلت لفترات طويلة تشكل عقبة للنمو نظرا لطبيعتها الطبوغرافية .

التحكم فى النمو :

ان عملية اتخاذ القرارات بالتنمية ليست سهلة فالقرار السريع وغير المدروس قد يدمر اكثر مما يعمر . كما ان القرار يجب ان لا ينظر فقط الى التكلفة الاقتصادية وانما ايضا الى التكلفة الاجتماعية والتاريخية . وللنظر فى هذه التكاليف المختلفة لابد من الانخراط الفعلى فى المشكلة ومشاركة الآخرين آراءهم وخاصة من يلحقهم تأثير تلك المشاكل .

ان تحويل النمط العمرانى كلية داخل المنطقة المركزية سيقود حتما الى تمزيق الخصائص الاصيلة الموجودة فى نسيج المدينة . لقد اعتبر التخطيط التقليدى فى المدينة القديمة من قبل بعض المخططين معيقا للنمو الحديث . ولكن فى الواقع ان التقليد غير العملى المقترح من قبل كثير من الشركات الاجنبية فى الخطط الجديدة والتى بوركت من الاعماق محليا يمكن ان يضر الصفات البيئية العامة . وهذا يشمل توسعة الشوارع وتعويض فقدان بعض الارض بالتوسع الرأسى فى كتل المبانى الخرسانية . فهذه المبانى غالبا ما تقود الى تصميم الغرف الصغيرة وقلة التهوية الطبيعية . وكبديل لذلك يصبح تكييف الهواء هو (القاعدة والتى بدونها تصبح الحياة فى هذه الغرف من المستحيل تحملها خاصة اذا كان تمويل الكهرباء غير معتمد عليه خاصة فى فصول القمة . ان التركيب التقليدى للمدينة القديمة قد تطور على مدى العصور فهو يعكس تاريخها ولهذا لا يجوز هدمه بدون التفكير العميق . ولصيانه شخصية المدينة من التدمير ربما يكون من الافضل تحويل النمط القديم فقط حيث تحتمه الضرورة القصوى مثل توسيع مداخل الاحياء القديمة . فالتحول التدريجى يسمح بهضم الأفكار الجديدة ولنشوء الحلول المحلية الملائمة والمناسبة لمنطقة دينية كالمدينة . فالنمط العمرانى القديم له قيمه كبيرة لدى كثير من الناس المتخصصين والعاديين . لهذا فان أى مشروع تطوير يجب ان لا يتجاهل هذا وان يعتبر الرغبات الشخصية للسكان بالاضافة الى المضامين التقنية . أما النمو الغافل فقد يؤدى الى عدم التجانس بين السكان وبيئتهم . كما انه بالامكان تبنى الطراز القديم ليقود قواعد التحديث المناسب لطبيعة المنطقة الجافة . فى الواقع انه نتيجة للنمو الحديث فان كثيرا من الطرز المعمارية القديمة والنادرة قد اختفت مثل الممرات المسقوفة ذات العقود على جنبات الطرق والتى هدمت لتوسعة الشوارع . بينما كان بالامكان أن تبنى الممرات المقنطرة على الارصفة الجديدة حتى مع استخدام مواد البناء الحديثة . على العكس من ذلك نجد ان هذه الأرصفة والضيقة احيانا مشغولة باعمدة الكهرباء او بالسياجات المحيطة باشجار الزينة . ان هذه الارصفة لم تخلق لمثل هذه الاستخدامات وانما لسير المشاة وبعدهم عن مسارات السيارات . أما وضعها بالطريقة المشار اليها كما فى شارع قباء والمناخة فهو امر مخالف لقواعد هندسة طرق المدن ، بالاضافة الى خلق نتوءات غير منتظمة وغالبا غير جميلة بفعل صدمات السيارات لها على امتداد افق الشارع مما يؤدى الى تشوش المنظر لدى المشاة . وبالمثل فان ابراج التهوية (او ما يسمى محليا بالجلا) كوسيلة للتهوية بدون الاعتماد على مصدر طاقة يمكن أن يدمج فى الابنية الجديدة لمقابلة حوادث اعطال الكهرباء . وكذلك يمكن استغلال المبانى القديمة لايواء العمال والسكان المعتمدين على الايجار المنخفض . وباختصار فان الجزء القديم من المدينة يجب ان يمسح مسحا دقيقا ويخطط بواسطة خبراء اكفاء ومتفرغين عن العمل لاعتبارات

تجارية . وهذا يعنى توفير الكوادر الوطنية المخلصة أولا قبل تنفيذ أى مشروع . ونتيجة لهذا المسح يمكن حفظ وصيانه المبانى القديمة من الهدم والاستبدال بمبانى الشقق وعدم السماح للسيارات بفرض شكل قلب المدينة .

ولصيانة المناخ الدينى المهيمن للحرم فمن الضرورى وضع بعض الأسس للتحكم الصارم فى النمو الرأسى فى كل المدينة ، وذلك للتأكد على خط افقى منتظم ومتوازن . ففى الوقت الحاضر لا يوجد مثل هذا التحكم حول الحرم (ولو انه وجد فى مناطق اخرى من المدينة حديثا) فنجد المبانى بستة ادوار أو أكثر بجانب المبانى بدورين وفى مجاورة الحرم . مع انه فى اعتقادى كان من الواجب عدم السماح لهذه المبانى بالسيطرة أو الارتفاع أكثر من ارتفاع الحرم او على الاقل عدم حجب منائره مع التأكد على ان تبقى هذه المبانى منسجمة فى طرازها مع الطراز المعمارى للحرم . أما المبانى المرتفعة فيمكن ان يسمح لها فى مناطق أخرى معينة من المدينة مثل جبل سلع على حافة مركز المدينة . كما ان الزام اصحاب المبانى الجديدة فى كل المدينة بتبنى بعض عناصر الطرز المعمارية القديمة على الاقل فى واجهات المبانى أمر مهم جدا للمحافظة على التراث الحضارى . أما فى الوقت الحاضر فان الامر متروك لرغبة الشخص ، وكثير من هؤلاء يرغب فى اقل التكاليف لان ادخال بعض عناصر العمارة الاسلامية من عقود وافريزات معينة قد يزيد من التكاليف . لهذا فانه يجب على مصممى المبانى محاولة ادخال هذه العناصر وحتى لو بأبسط الصور وبأقل التكاليف ، فمثلا يمكن تبنى هذه العناصر فى عمليات الدهان الخارجية بحيث تعطى طابع العقود والاقواس المختلفة .

ان الحفاظ على التراث يجب ان يشمل تقدير كل النسيج المدنى وليس فقط المناطق الاثرية لان النسيج الحاضر سيصبح يوما ما فى المستقبل عملا اثريا فالعناية به من الآن تقلل من عمليات تمزيق التراث . ومن معرفة طاقة الحرم المذكورة سابقا فانه يبدو انه كان من الممكن الاستغناء عن الهدميات فى المرحلة الثانية من توسعة الحرم الثانية وذلك بتبنى بعض البدائل . فالحرم بعد توسعة المرحلة الاولى من التوسعة الثانية (١٩٧٤ - ١٩٧٦م) يمكن ان يستوعب ٧١٧٥٥ شخصاً . وبتبنى الطريقة الناتجة التى استخدمت فى مكة من بناء دورين للحرم (بدون تحويل بقية البناء السابق لـ ١٩٥٠م) يمكن زيادة مساحة ارضية الحرم لتستوعب نحو ١٣٢٢٠٠ مصلى ، وهذا يزيد على مجموع عدد الحجاج المسموح لهم بالاقامة فى المدينة فى وقت واحد وهو نحو ١٠٠ ألف شخص بينما يمكن تحسين المساجد الاخرى البعيدة عن الحرم وتوسيعها مثل مسجد قباء لاستيعاب المصلين المواطنين فى أوقات القمة مثل موسم الحج وذلك لترك الحرم لاستخدام ضيوف الرحمن .

ان اتباع هذا المنهج ربما مكن من صيانه مبان كثيرة ذات قيم حضارية عالية من الهدم كما فى شارع الساحة . بينما كان بالامكان تبنى التوسعة لبعض الممرات التى تقود الى الحرم وخاصة فى المناطق الخربة والتى يستحسن هدمها وذلك بعد دراسة مستفيضة وموافقة كل من المخططين والمهتمين بالتراث وواضعى القرارات . وهذا يعنى انه من الضرورى تأسيس جهاز قوى فى المدينة يكون تابعا للبلدية او مستقلا للاتصال مباشرة بوزارة الشئون البلدية والقروية لرعاية شئوت التراث الحضارى المتعلق بالمدن وتركيبها . على أى حال فان بناء دورين فى الحرم قد يزيد من ارتفاع خط الافق ومن امكانية ارتفاع المبانى الخاصة حوله لمن اراد الاستغلال المادى .

كما انه يبدو من غير الضرورى توسعة الشوراع فى المدينة القديمة حيث ان زيادة عدد الحجاج تجبر السلطات المختصة على تحويل بعض الشوارع حول الحرم للمشاة . لهذا فان الشوارع القديمة تقدم الاساس لشبكة المشاه فى المستقبل فى قلب المدينة وعليه يكون من باب تبذير الموارد تبنى هدم المنطقة التاريخية حول الحرم لمرور السيارات وبعد سنوات قليلة يمنع المرور عن هذه الشوارع .

والتحولات فى التركيب المعمارى يجب ان لا تحدث فى المواقع المجاورة مباشرة للحرم ولكن فى المناطق الخلفية والتى تبدأ من شارع المناخة باتجاه الغرب . ولكون المدينة مستوية السطح تقريبا فى مركزها فان الفرصة لنمو المستقبل ليست محدودة جدا ، كما يمكن اتباع النمو البؤرى حول المدينة بالاضافة الى النمو المندمج فى المدينة . فهناك عدة مواقع لها كافية كبيرة للنمو . فمثلا



١٨٧ صورة تاريخية للمدينة المنورة



١٨٨ النخيل بالمدينة المنورة

منطقة عروة على بعد نحو ٣ كم غرب مركز المدينة والتى كانت منطقة ترفيهية للمدينة اشتهرت بمقاهيها . وفى الوقت الحاضر توجد بعض المساكن بها ولكنها قائمة بطريقة عشوائية والتى يمكن أن تنظم وتخطط للنمو . وعلى بعد نحو ٦ كم جنوب غرب مركز المدينة توجد منطقة آبار على حيث يوجد هناك مسجد تاريخى . وهذه المنطقة هى ميقات احرام الحجاج القادمين عبر المدينة للحج أو العمرة فى مكة المكرمة . وهى ايضا النقطة الغربية لفصل دخول المسافرين المسلمين من غير المسلمين الى المدينة . وهذا يعنى بان هذه المنطقة تضم قيمة دينية كبيرة للنمو . وتوافر بعض الخدمات والمرافق بها يدعم هذا مثل وجود محطة كهرباء المدينة ومحطة التليفزيون والكلية المتوسطة . ان توجيه النمو لهذه المناطق سيخفف الضغط على المناطق الداخلية من المدينة ويمنع تدمير تراثها الحضارى وخاصة فى المنطقة المركزية كما حدث مؤخرا . فالمطلوب هو خطة مستقبلة بعيدة لتحديد استخدامات الارض مع الأخذ فى الاعتبار الاحتياجات الاجتماعية واحتياجات التراث وليس فقط الاحتياجات الاقتصادية .

المناطق ذات القيم التاريخية والجمالية الكبيرة فى المدينة :

يزور الحجاج والزوار القادمون للمدينة فى وقت غير وقت الحج (كما فى شهرى رجب ورمضان) الأماكن التاريخية التى شهدت بزوغ اول دولة اسلامية بالاضافة الى زيارة قبر الرسول ﷺ والصلاة فى المسجد النبوى . ففى المدينة يوجد العديد من الابنية والمواقع التاريخية والتى تقع أما خارج المنطقة المعمورة او على حوافها أو فى داخلها ، وكلها تجتذب الحجاج والزوار لجمالها وشهرتها الدينية أو التاريخية .
واهم هذه المعالم التاريخية المساجد وقبور الشهداء والآبار التاريخية والاسواق القديمة وابواب المدينة القديمة والبقيع (مقبرة المدينة) . والمدينة القديمة هى من أهم المناطق لاحتوائها على قبر الرسول ﷺ . لهذا فهناك حاجة ماسة لايجاد سياسة محافظة على الابنيه الهامة فى هذه المنطقة وتوفير الخدمات الضرورية بالقرب منها مثل اكشاك أو دكاكين الهدايا والتحف لتطوير السياحة الهادفة فى المنطقة . فى الواقع ان تجربة مدينة جدة (ومدينة جدة كانت سباقة الى الكثير من الافكار الجيدة التى تخدم النمو المدنى المعاصر وفى نفس الوقت محاولة عدم فقدان التراث الحضارى كلية) يمكن ان تكون مشجعة لغيرها من المدن السعودية فى المحافظة على التراث المعمارى ومحاولة محاكاته . وهذه المناطق ذات القيم الحضارية يجب ان يتم مسحها على فترات معينة مثل كل خمس سنوات من قبل الجهة المختصة لمعرفة احتياجات المناطق الموجودة وما يمكن ان يضاف الى هذا التراث المحفوظ .

ان اعتبارات الترفيه والمحافظة على التراث يمكن ان تدمج لتمثل احد الجوانب الهامة عند تطوير تركيب المدينة . فقد اتخذت المدينة ملامح معينة منذ عدة قرون تتمثل فى احاطة البناء بالمسجد النبوى الشريف بمنائره وقبته الخضراء ومن خلفها المزارع الخضراء فى خط الافق البعيد . ومعنى هذا ان هذه العناصر التى تتألف من الحرم والمناطق الدينية الاخرى والمناطق الخضراء تمثل عوامل هامة فى الحفاظ على ظروف الحياة المطمئنة الهادئة والمنسجمة والبعيدة عن القلق النفسى الذى أصبح من مشاكل العصر وخاصة فى المدن .

والترفية فى داخل المدينة يتركز حول الحرم . فهنا يأتى كثير من الناس للصلاة فى الحرم وزيارة قبر الرسول او الاستماع الى بعض الدروس الدينية . وخلال موسم الحج تزدحم المنطقة حيث يعتبر الحج كنوع من الترفيه الروحى بل ان كثيرا من الناس يعتبرون الحج فرصة للتعرف على اقوام واوطان جديدة وفرصة للبعد عن مواطنهم الاصلية وتغيير الجو . ولوجود الاسواق الرئيسية فى المدينة حول الحرم فان كثيرا من الناس يتسوقون ويقضون ساعات فراغهم فى هذه المنطقة . لهذا فان تطوير بعض الخدمات الاساسية يكون عاملا مهما فى هذه المنطقة مثل وجود المقاعد العامة وخاصة فى اطراف الارصفة الواسعة بدل السماح للسيارات بالوقوف عليها . وحبذا لو أن المتاجر ذات الواجهات المقوسة والعائدة للقرن الـ ١٣هـ والتى كانت تشغل شرق شارع المناخة لم تهدم وانما حسنت كما تم بالنسبة للمساجد الاثرية فى المنطقة . هذه المتاجر لم تكن تشغل مساحة كبيرة . لهذا فان بقاءها لا يمكن ان يؤثر على توسعة الحرم بشكل كبير وبالعكس فإنه يضفى مظهرا عمرانيا طيبا ويخفف من الطلب على المتاجر فى المركز .

وهناك بعض الابنية ذات القيم المعمارية الكبيرة والتى يجب صيانتها لاظهار الميزة الحضارية التاريخية لنمو المدينة ، كما يجب فتحها للزوار للترفيه العام خاصة فى مواسم زيارة الناس للمدينة . فمثلا هناك محطة السكة الحديد فى باب العنبرية التى يأسف الانسان لذهاب الكثير من معالمها واستخدامها كموقف او محطة لسيارات الحجاج . وقد كان بالامكان تطوير الموقع كمتحف تاريخى يجذب الزوار والسكان المحليين وتزويده بالكثير من القطارات والآليات القديمة المنتشرة فى عرض الصحراء على طول الخط الحجازى وذلك بعد صيانتها . أما موقف السيارات فكان بالامكان انشاؤه فى الجهة الجنوبية المقابلة بعد تسوية ارض الحرة هناك . وهناك ايضا بعض الابنية القريبة من محطة السكة الحديد والتى كان بالامكان صيانتها وفتحها للترفيه العام مثل القلعة القديمة والتى حولت الى مجمع حكومى يضيق الآن بدوائر الحكومة ، أى أنه لم يؤد الغرض الذى انشىء من اجله . وهناك التكية المصرية التى ضعفت وظيفتها فى الوقت الحاضر نتيجة ارتفاع مستوى المعيشة ووجود فرص العمل لكل السكان مما يحبذ فتحها للزيارة العامة كبناء فريد من نوعة فى المدينة . وفوق جبل سلع يوجد العديد من القلاع العثمانية التى يمكن ان ترمم او يمهد الطريق اليها ولو حتى للمشاة وذلك لتعمل كمكان ترفيهى جميل يعطى منظرا للمدينة وما حولها . ويمكن ان يدخل تحت هذا الباب ايضا العمل على ترميم وصيانة البقية الباقية من غرب سوق القماش فى موقع باب المصرى والحفاظ على هذا الجزء كمؤشر للنشاط التجارى السابق فى هذا الموقع ولحفظ المظهر الرائع لاحد ابواب المدينة السابقة والاشجار من حوله تظلله . وفى المدينة العديد من المكتبات الخاصة المحتوية على الكثير من الكتب النادرة ، فحبذا لو جمعت فى مكتبة حديثة تتبع نظام الفهرسة الحديثة لارجاع وظيفة المدينة كمركز حضارى تعليمى يأتيه الوافدون من جهات العالم المختلفة . ان تمويل مثل هذه التسهيلات يدعم ويحقق اهداف خطة التنمية السعودية الثانية لخلق نشاطات وتسهيلات جديدة فى المدن والتى اعتقد انها لم تحقق بشكل طيب فى المدينة .

وهناك بعض البساتين التى يمكن ان تستخدم للترفيه ولكنها مملوكة للقطاع الخاص ولو ان الروابط الاجتماعية مازالت تمكن الكثير من الاستفادة من هذه البساتين . لهذا يبدو انه من الضرورى حماية هذه المناطق الزراعية الخضراء حتى ولو عن طريق دمجها مع التركيب المتغير للمدينة . هذه المناطق تمتد لجنوب وجنوب شرق المدينة . وقد زحف البناء على معظم المناطق الخضراء التى كانت تقع داخل المدينة مع انه كان من الافضل استغلالها كمناطق مفتوحة وسط العمران .

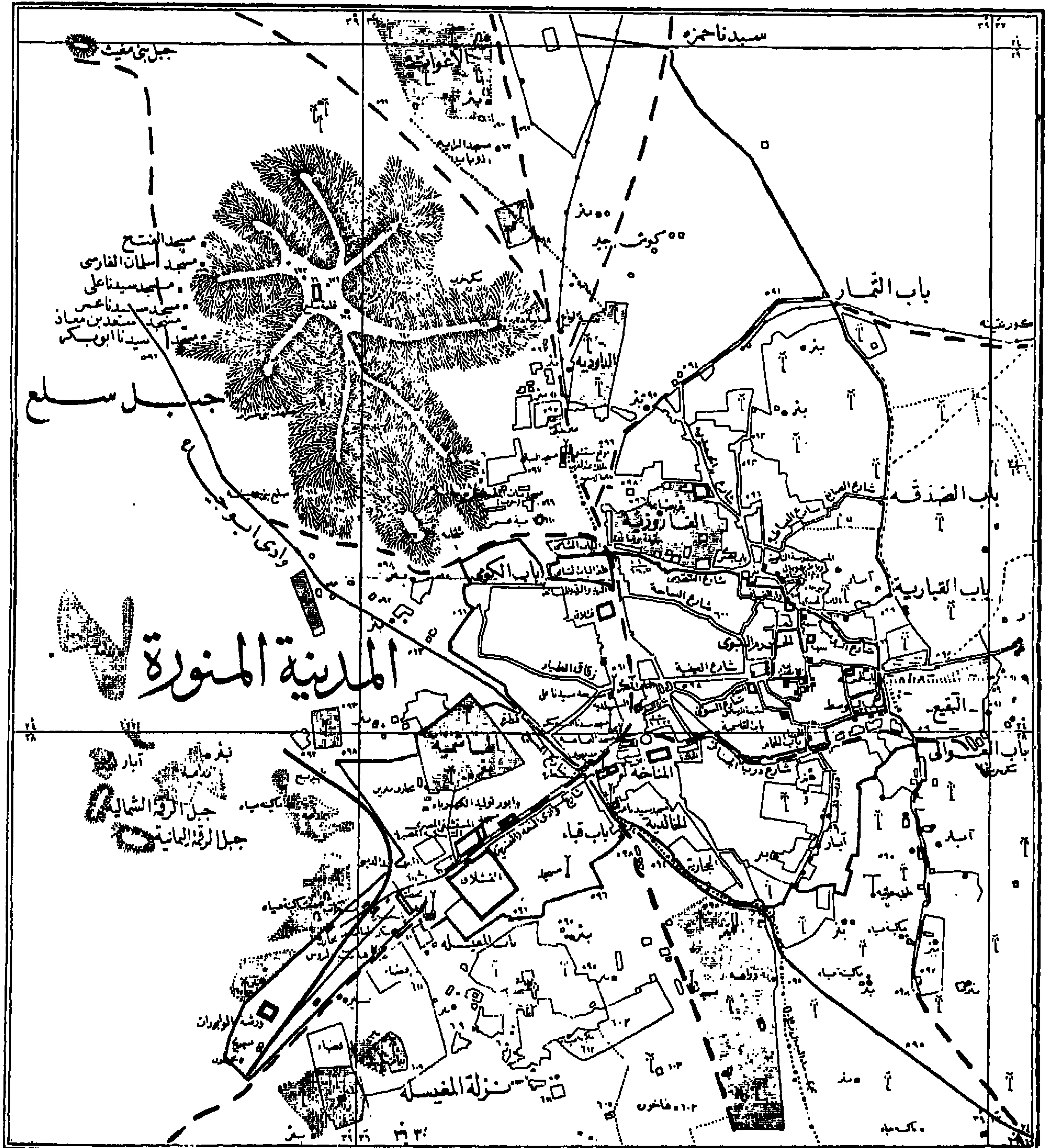
ان تناقص هذه المساحات الخضراء داخل المدينة الى نحو ٢٥كم٢ وهذا مناسب لترفيه نحو ١٠٤١٦٦ شخصا) يجعلها غير ملائمة لعدد السكان البالغين نحو ١٩٨ ألف نسمة سنة ١٩٧٤م . وهذا يعنى نقص المساحات الفضاء اللازمة لترفيه السكان فما بالك بالاعداد الاضافية من الزوار . لهذا يؤمل تطبيق قوانين صارمة لحماية تناقص ما تبقى من هذه المساحات الخضراء ولو حتى على حواف المدينة . ونظرا لأن معظم الارض فى المركز قد خصصت للاستخدامات الدينية والتجارية فان اعتبارات الترفيه اهملت بشكل كبير . لهذا فان التعاون بين السلطات المهتمة بالزراعة واصحاب المزارع المتبقية فى المدينة أمر اساسى جدا لتحقيق الترفيه الاقتصادى حيث يمكن فتح البساتين الخاصة للعامة مع تحقيق الفوائد الاقتصادية لأصحابها او للسلطة المحلية اذا تملكها من خلال رسوم الدخول وبيع المحصول الزراعى الذى لم تبخل الحكومة فى اعانة اصحابه . مثل هذا التعاون يمكن ان يحفظ ويصون نوعية بيئة ومظهر المدينة المتميز . وهذا ايضا يمكن ان يساهم فى حجز وامتصاص تأثير المرور ومستوى الصوت خاصة داخل المدينة . كما ان الخضرة تعطى بعض الراحة النفسية من النظر فقط الى الكتل الاسمنتية والمساحات الزفتية فى داخل المدينة وتخفف من تأثير هذه الكتل على المناخ المحلى .

الخلاصة :

وختاما يمكن القول بأن القلب الدينى هو القوة الديناميكية المؤثرة فى نمو المدينة المنورة وتركيبها . فهو بالرغم من انه قد توسع ووفر المكان للحجاج الا انه خلق من جهة أخرى بعض العجز فى مجالات اخرى مثل الاسكان والمساحات الخضراء والتراث الحضارى . وجاذبية هذا القلب لكل من السكان المحليين والحجاج خلقت طرازا معينا من النمو والتركيب الداخلى كما دفعت الى التحول المستمر فى مواقع الاستخدامات المختلفة داخل المدينة وعلى حوافها . هذه التحولات احيانا تتم بسرعة مما يؤدى الى فقدان الكثير من الابنية التاريخية ذات الطابع المعمارى الفريد والى النمو غير المتكافىء مع الحاجة للخدمات . وهذا يدفعنا الى القول بضرورة التحكم فى النمو وخاصة فى المنطقة المركزية . ولكن هذا لا يعنى منع التطور لان هذا لا غنى عنه لأى مدينة تدب فيها الحياة ، وانما يعنى وضع الانظمة لهذا النمو والقيام بعمليات المسح الملائمة لحاجات المستقبل . فمثلا يجب التفكير جديا قبل البدء فى هدم كل المنطقة القديمة الواقعة شرق الحرم وصيانة ما يمكن صيانته وهدم ما لا يمكن صيانته وما كان متداعيا للسقوط . كما يمكن التغلب على التركيبات المعمارية والظروف الصحية السيئة فى بعض المناطق خاصة على اطراف المدينة عن طريق الاسراع فى تنفيذ مشاريع الاسكان وتمويلها بالخدمات قبل البدء فى أى مشروع إعادة تطوير ، وذلك للسماح للناس المنقولين للقدوم لهذه الضواحى الجديدة . وبالمثل يجب تطوير بعض الخدمات الاخرى مثل المراكز التجارية الثانوية . وقد بدأت فعلا الجهة المختصة فى المدينة ببناء هذه المراكز فى بعض الاحيان بعيدا عن المركز . وهذا لا يعنى اضعاف وظيفة المنطقة المركزية وانما يعنى تكميل وظائفه وتخفيف الازدحام عليه مع نمو المدينة المتزايد حجما وسكانا وبالتالى تقديم الخدمات الضرورية للسكان بالوسائل الاكثر سهولة وراحة . ولكن ما يؤخذ على المراكز التجارية الجديدة هو أن تصميم الكثير منها بعيد عن الطرز التقليدية فى الاسواق ففى اعتقادى بان تصميمها يجب الا يكون بشكل مستقيم تماما وانما لابد من الاكثار من الزوايا المنحرفة والقائمة لانه لصغر حجم هذه المراكز فان تتبع حركات المستوى سهلة وفى هذا شىء من المضايقة للمتسوقين من الجنس الآخر . والغريب ان الكثير من المدن فى الدول الغربية بدأت الآن تبتعد عن الاسواق المفتوحة الكبيرة وتتجه للاسواق المسقوفة . فمثلا السائر فى السوق الجديدة فى مدينة كاردف ببريطانيا يتخيل وكأنه يسير فى مدينة شرقية فالواجهات ذات عقود جميلة والممرات مسقوفة مع وجود بعض الفتحات الزجاجية التى تسمح للنور والضوء والهواء بالمرور . وفى المدينة ايضا هناك مشكلة هامة وهى قلة المواقف قرب الاسواق المنشأة حديثا مما سيؤدى حتما الى ارباك حركة المرور بعد انتهاء هذه المشاريع وحتى لو خصص الدور الاول للمواقف فى سوق المحمودية فان كثرة الاعمدة بداخلة تجعلة غير مناسب للسيارات العريضة التى ينتشر استعمالها فى المملكة . لهذا يجب توفير مثل هذه المواقف او المواقف المتعددة الادوار مع تصميم واجهاتها الخارجية بتشكيلات تتلاءم مع التصميمات المحيطة حتى لا تخلق أى نوع من التنافر فى تركيب المدينة القديم .

النمو العمراني وخصائصه في المدينة المنورة

صالح لمعي مصطفى



١٨٩ خريطة المدينة المنورة

مقدمة

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على التطور العمراني للمدينة المنورة منذ الهجرة النبوية وعبر العصور التاريخية الاسلامية التى تعاقبت عليها لتحديد خصائص أول مدينة عربية اسلامية ومميزات تراثها المعمارى الاسلامي بهدف الاستفادة من ذلك في التصميم الحضرى للمدن العربية الحالية ، وكذلك في مشاريع احياء المناطق التاريخية في المدن العربية بهدف دمجها في النسيج العمراني الحالي وايجاد ترابط وتكامل بين أحياء المدينة قديمها وجديدها .

لذلك وجب علينا دراسة المراحل التاريخية للمدينة المنورة وتحديد شكلها ومعالمها في كل فترة ، ثم استعراض مساقط المدينة التى وصلت الينا منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين مع عرض أنواع من المباني فيها مثل المسجد ، المدرسة والرباط ، المنزل الخاص والمنزل المؤجر والحمام وذلك لتبيان مدى ملائمة تلك المباني للظروف الاجتماعية والبيئية للمنطقة وذلك باستعمال طرق ومواد انشاء محلية أدت وظائفها على الوجه الاكمل .

ان مايحدث الآن في المدينة العربية تحت اسم التطور ماهو الا اتجاه نحو عمارة وحضارة غربية غير مرتبطة بماضينا العريق وهو ماسيؤدى في المستقبل الى تغيير صورة المدينة العربية وابتعادها عن التطور الطبيعى . فعلى الرغم من تعاقب عصور اسلامية متعددة على المدينة المنورة الا اننا نجد أنفسنا أمام عمارة وتراث عمراني يمثل سلسلة منسجمة من التكوينات المعمارية وبحيث لايشعر الانسان بتغيّر العصور من عباسية الى مملوكية ، أو من مملوكية الى عثمانية رغم أن لكل عصر عمارة تميزت بخصائص وقيم مختلفة .

ولنا كل الأمل في أن يصل المؤتمر لوضع توصيات يمكن اتباعها في الدراسات المستقبلية للمدن العربية والله ولي التوفيق .

الموقع

تقع المدينة في الحجاز على هضبة تتدرج بهدوء في الاتجاه الشمالي ، على خط طول ١٦ً ٣٦َ ٣٩ْ وخط عرض ٦ً ٢٨َ ٢٤ْ ويحدها من الشمال جبل أحد ومن الشمال الغربي جبل سلع ومن الجنوب الغربي جبل عير والذى يقع على بعد حوالي أربعة كيلو مترات عن مركزها الحالي وتكون هذه الجبال حدا فاصلا بين الساحل – تهامة – والجزء الداخلي(١) .

ويحد المدينة من الشرق والغرب مجموعة من الحرّات التى تتكون من صخور بازلتية . وقد كانت المسافة المحصورة بين المدينة والحرّات الشرقية وبين المدينة وقباء واحات خضراء أثرت على مناخ المدينة المنورة ولكن بامتداد العمران في الاتجاه الشرقي منذ منتصف القرن الحالي وكذلك الامتداد الجنوبي الذي بدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر أفقد المدينة طابعها المميز بوجودها وسط هذه الواحة الخضراء . وقد تميزت منطقة قباء بوجود مصادر غنية للمياه (آبار وعيون) .

المدينة المنورة عبر التاريخ

المدينة قبل عصر الرسول (يثرب)

يثرب كان الاسم العربي للمنطقة التى تقع الى الشمال الغربي من المدينة الحالية ، الى الغرب من قبر سيد الشهداء حمزة(١) .

وقد ورد هذا الاسم في الكتابات المعينية(٢) وتحت اسم « ي ث ر ب » (G t r b)(١) كذلك ذكر عند البطالمة – في جغرافية بطليموس(٣) – والبيزنطيين تحت اسم « يثربا » . ووردت يثرب في القرآن الكريم مرة واحدة فقط في سورة ٣٣ (الاحزاب) آية ١٣ .

وقد وردت كلمة «يثرب» في الاشعار القديمة وعلى سبيل المثال في شعر قيس بن الخطيم . وفي زمن الرسول استعملت يثرب والمدينة على السواء وهو مانجده في شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك(١) ويرجح أن تكون كلمة المدينة قد اشتقت من الكلمة الآرامية « مدينتا »(٣) والتى تعني مركزا اداريا (Borough)

ولقد ورد ذكر المدينة في القرآن الكريم في ثلاث سور مدنية :

١ – سورة ٩ (التوبة) آية ١٠١ ، ١٢٠ (آلايتان الاخيرتان من السورة ١٢٨ ، ١٢٩ مكيتان) .

٢ – سورة ٣٣ (الاحزاب) آية ٦٠

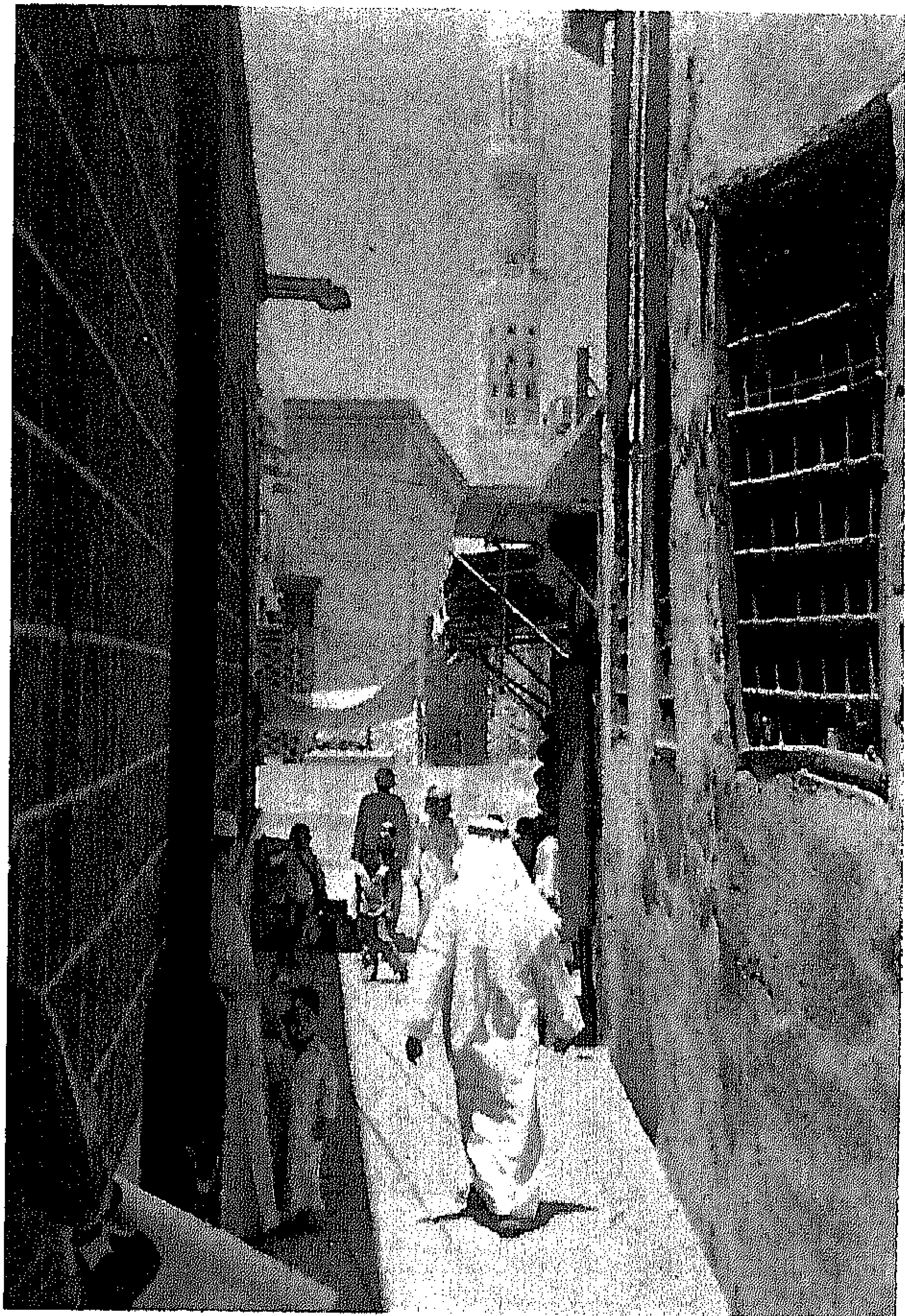
٣ – سورة ٦٣ (المنافقين) آية ٠٨

ونظرا لأن أقدم ذكر ليثرب ورد في كتابات المعينيين تعذر على المؤرخين تحديد زمن انشائها الا ان العديد من المؤرخين افادوا بأن تلك المنطقة كان بها سكان عرب من العمالقه(٤) سكنوا بمنطقة أضم والتى تعرف حاليا بالعيون وذلك قبل هجرة القبائل العربية القادمة من اليمن بعد سيل العرم الاول عام ٤٥٠ م(٥) أو قبل نزوح اليهود الى هذه المنطقة بعد عام ٧٠ م(٦) .

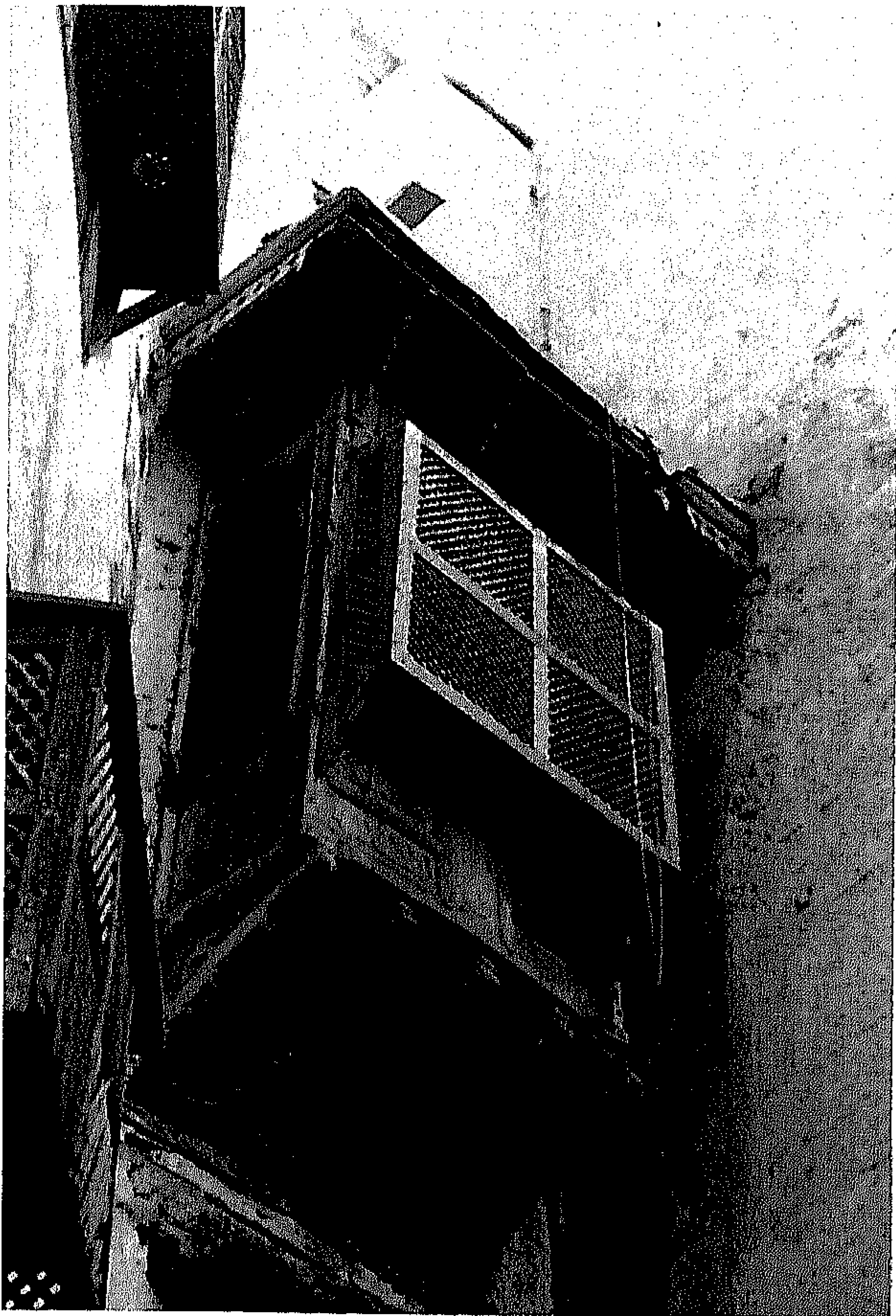
ولم تكن يثرب مدينة بالمعنى الحالي وانما كانت مجموعة من الاكواخ والمنازل البدائية البسيطة منتشرة بدون نظام معين او ترابط محدد ويحيط بها الحدائق والحقول وقد عاش أهلها من الزراعة (١) .

ونظرا لوفرة المياه فقد انتشرت فيها المسطحات الخضراء وأصبحت محطات لامداد القوافل بالماء والخضروات والفاكهة مما ساعد على زيادة عدد النازحين اليها .

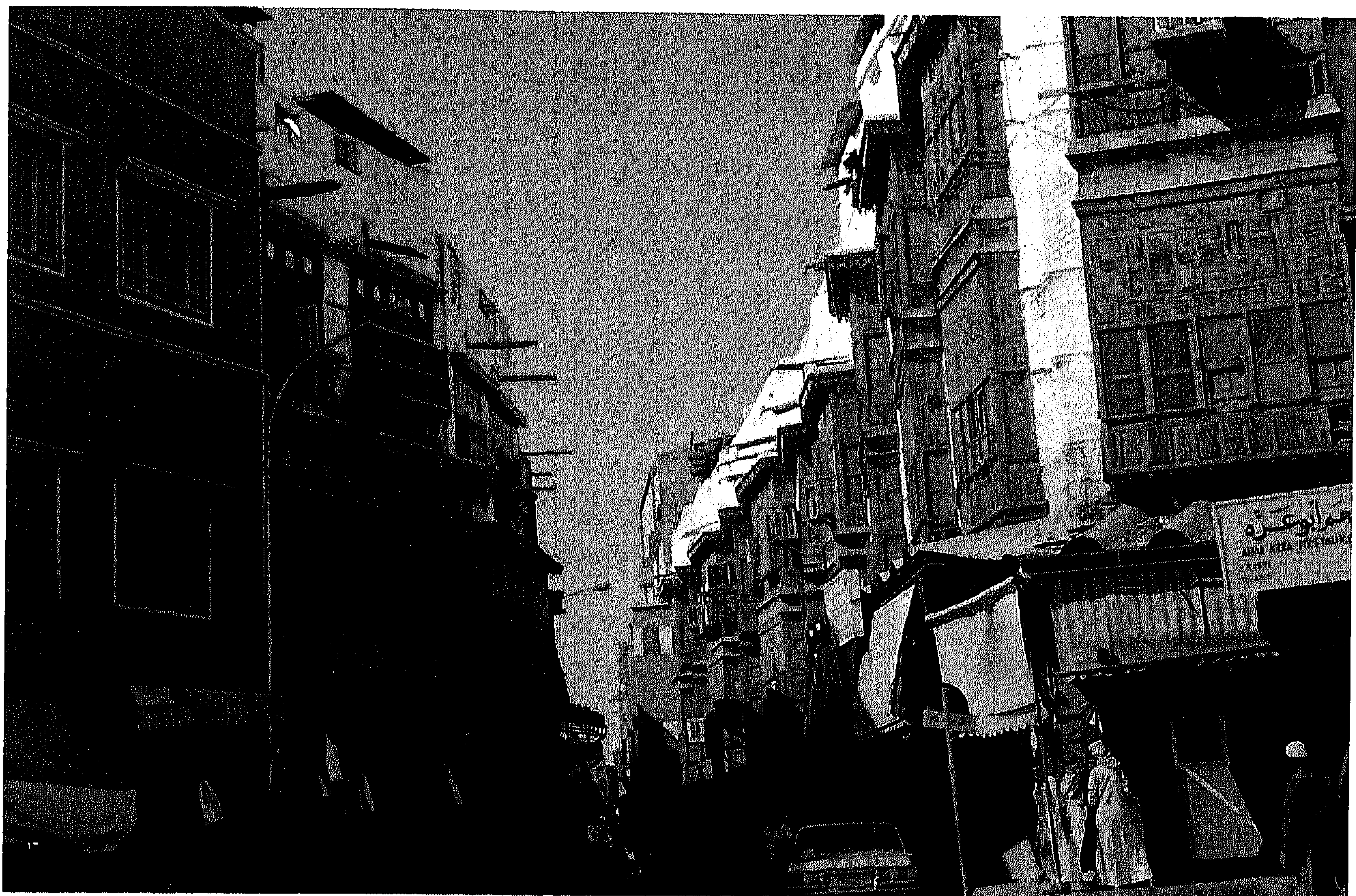
ولم يكن لهذه التجمعات السكنية سور للحماية وانما كانت الاشجار والنخيل بمثابة سور لها واعتمد أهلها على بناء الآطام(٧) (الحصون) يلجأون اليها وقت الخطر . وكانت الاسواق تقام على أطراف المنطقة السكنية(٧) ، أى أنه كان هناك انفصال بين المنطقة السكنية والمنطقة التجارية ولعل ذلك كان لأسباب اجتماعية ودفاعية . ويرجح أن هجرة القبائل العربية – الاوس(٨) والخزرج(٩) – استمرت في الفترة مابين ٤٤٧ – ٥٣٢ م (١٥) ، ولقد سمّوا بعد هجرة الرسول الكريم الى المدينة ودخولهم الاسلام بالانصار(١٠) . ولقد كانت هذه القبائل في أول الامر خاضعة للسيطرة اليهودية ، الا أنه بعد فترة أصبح اليهود تحت سيطرتهم(١) .



١٩٠ كل الطرق تؤدي الى المسجد



١٩١ روشن في احد المنازل (الأغوات)



١٩٢ القديم والجديد في المدينة المنورة

وتعددت الاقوال عن تاريخ نزوح اليهود الى الحجاز . فالقليل يشير الى نزوح اليهود بقلة في زمن نبوخذ نصر (١١) بعد تدميره اورشليم ، حيث تشير صحف العهد القديم الى نزوح بني اسرائيل الى طور سيناء وشمال الجزيرة العربية (٦) في تيماء ، حجر ، خيبر ، وادى القرى ، فدكة مقنا ويثرب(١) وتدل سورة ٢٦ (الشعراء) ، وسورة ٤٦ (الاحقاف) على وجود عناصر يهودية في مكة(١) . ومن المعروف انه كان هناك نشاط تجارى بين اسرائيل وسبأ في عهد سليمان(١٣) .

وقد قام اليهود بفلاحة الارض(٣) وتجميع المباني المنتشرة بهدف تكوين تجمعات حول الحصون الا انه من الثابت وجود هذا النظام الدفاعي في المنطقة من قبل على نمط الحصون اليمنية(١)

ولقد كانت قبيلة قَيْنقّاع من أشهر القبائل اليهودية وأغناها وسكنت في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة واشتهرت بصناعة الذهب ، اما قبيلة بني نضير فسكنت عند وادى بطحان وبني قريظة عند وادى مهزور . وقد تعددت الاسواق في يثرب الا ان اهمها كان سوق قينقاع . وكان انحياز بعض القبائل اليهودية في الحروب بين الاوس والخزرج سببا في طرد بعضها من المنطقة قبل الهجرة النبوية الى المدينة .

المدينة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين (١ - ٣٦ هـ/ ٦٢٢ - ٦٥٦ م) .

لقد تم أول اتصال بين الرسول وأهل يثرب عند قدومهم للحج في مكة عام ٦٢٠ م ثم اتصال آخر عام ٦٢٢ (عام الهجرة) (١٣) .

بدأت الهجرة من مكة الى المدينة حيث وصل الرسول قباء في يوم الاثنين الثامن من ربيع اول من العام الاول من الهجرة (١٤) (٢٠ سبتمبر ٦٢٢ م) ومكث الرسول بها اربعة أيام وغادرها يوم الجمعة ١٢ ربيع أول (٢٤ سبتمبر ٦٢٢ م) . وكان وجود الرسول سببا في الصلح بين قبائل الاوس والخزرج ، كما زاد عدد المسلمين زيادة ملحوظة بعد اسلام سعد بن معاذ بن النعمان - زعيم قبيلة عبد الاشهل - ومنذ معركة بدر(١٥) في رمضان ٢ هـ/ مارس ٦٢٤ حتى وفاته كان هو زعيم الانصار(١) .

وذهبت محاولات اليهود لتفتيت الوحدة الاسلامية ادراج الرياح . وقد أشار القرآن الكريم الى نبذ اليهود للعهد مع الرسول في سورة ٢ (البقرة) آية ١٠٠ ، وسورة ٨ (الانفال) آية ٥٥ - ٥٨ . وقد رحلت قبيلة قينقاع من المدينة فى ٥ ربيع أول ٣ هـ - / ٢٦ أغسطس ٦٢٤ م الى وادى القرى ثم بعد ذلك الى اذرعات بالشأم(١٦) . كما رحلت بني نضير الى خيبر عام ٦٢٥ م ومنها بعد ذلك الى الشام في المحرم ٧ هـ/ فبراير ٦٢٨ بعد معركة خيبر كما خرج بني قريظة من المدينة في ٦٢٨ م وقد تم اقتلاع جذورهم من الجزيرة العربية فى عهد بن الخطاب(١٧) من المدينة .

وفي المدينة اقام الرسول منزله ومسجده في كتلة معمارية واحدة وانتشرت حول البناء مساكن الصحابة والمهاجرين والانصار . ويعطينا مسقط منزل الرسول صورة عن شكل المبانى السكنية في تلك الفترة وان كان هنا الحوش كبيرا نسبيا حيث بلغ مسطح المبنى حوالي ٢٦٨٣٫٠٠ مترا مربعا ، وذلك لأن المبنى قد قام بوظائف متعددة . فقد افاد البخارى بأن العديد من الصحابة والمسلمين المتعبدين كانوا ينامون بالحوش (اهل الصفة) ، كذلك استعمل الحوش كحظيرة للجمال ومستشفى حيث ضربت به الخيام للمرضى ومعكسر للاسرى حيث ربطوا الى جذوع النخيل الحاملة للصفة .

ولاعجب أن يؤدى المسجد وظائف متعددة ، فان الدين الاسلامي قد شمل بتعاليمه كل أنماط الحياة من دينية وسياسية وعسكرية وصحية واقتصادية واجتماعية ، ومن هنا كان تجمع المباني حول مركز الحكم الاسلامي صفة ظهرت منذ اللحظة الاولى في المدن العربية الاولى حيث جمع المسجد مع دار الامارة في كتلة معمارية واحدة او مجموعة من المباني المرتبطة مع بعضها وعلى سبيل المثال في الكوفة (٥٠ هـ/ ٦٧٠ م)(١٨) . ويمكن تصور حجم ومسطح المدينة في عهد الرسول من الاعداد التى خرجت معه في الغزوات . ففي غزوة بدر خرج مع الرسول ٣٠٠ رجل(١٩) وفي العمرة التى سبقت صلح الحديبية في مارس ٦٢٨ م - خرج مع الرسول ١٤٠٠ - ١٦٠٠ رجل (من بينهم بدو من خزاعة(١٩)) .

وبالتصور انه لابد ان كل مسلم قادر على العمل العسكرى قد اشترك في غزوة بدر (رمضان ٢ هـ/ مارس ٦٢٤) فيمكن تقدير عدد الاسر بحوالي ٢٠٠ - ٢٥٠ اسرة وبالتالي كان عدد المساكن عام ٦٢٤ م كان حوالي ٢٠٠ - ٢٥٠ مسكنا زادت فى عام ٦٢٨ م الى حوالى ٧٠٠ - ٨٠٠ مسكن أى انها تضاعفت حوالى اربع مرات على الاقل .

ولم يكن حول المدينة سور كما اقيم لها في زمن الرسول سوق تجارية خارجها في مكان المناخة الحالي(٢٠) ومن هنا يتضح ان النظام التجارى الذى كان موجودا في يثرب استمر في مراحلها الاولى الا وهو الفصل بين المناطق السكنية والمناطق التجارية . ويرجح ان هذه الاسواق كانت عبارة عن ساحات كبيرة تزاول فيها الانشطة التجارية بدون وجود مبان ثابتة .

واستمرت المدينة مركزا للحكم الاسلامى منذ الهجرة وحتى رجب ٣٦ هـ/ يناير ٦٥٧ م حين نقل علي بن ابي طالب مركز الدولة الاسلامية الى الكوفة(٢١) .

المدينة في العصر الاموى والعباسي (٤٠ - ٦٦١/٦٥٦ - ١٢٥٨)

بعد مقتل علي بن ابي طالب في الكوفة(٢٢) (٤٠ هـ - ٦٦١ م) تحول مركز الحكم الى دمشق في العصر الاموى ، والى بغداد وسامراء (لبعض الوقت) في العصر العباسي الا ان المدينة كانت دائما مقصدا للزيارة لجميع المسلمين .

وقد رجعت عائلة الحسين (٢٣) بعد مقتله في موقعة كربلاء في (١٠ المحرم ٦١ هـ/ ١٠ أكتوبر ٦٨٠ م) الى المدينة ، كما عاش بها بعض الامويين في نهاية العصر الاموى وقد أدى ذلك الى زيادة في عدد السكان وخاصة في عهد مروان(٢٤) بن محمد (مروان الثانى) في عام ١٢٧ هـ/ ٧٤٥ م حينما دب الوهن في الدولة الاموية وآذنت شمس بني أمية بالغروب . وقد أقيمت

في وادى العقيق قصور تخللتها الحدائق والمياه وكانت بقاياها ماتزال تشاهد حتى عام ١٢٢٨ هـ/ ١٩١٠ (٢٥) ويمكن تصور شكل هذه المباني بتلك التى شيدوها في بادية الشام .

وقد ثار أهل المدينة ضد الحكم الاموى في عام ٦٢ هـ/ ٦٨٣ م بقيادة عبدالله بن الزبير(٢٦) حيث عمل خندقا وسورا(٢٧) بالجهة الشمالية للمدينة الا ان ذلك لم يمنع الجنود الأمويين بقيادة مُسلم بن عُقبة من دخول المدينة والقضاء على الثورة(٢٨) . وفي نهاية الحكم الاموى عام ١٣٠ هـ/ ٧٤٧= م حدثت ثورة اخرى ولكنها اخمدت بسرعة(١) .

وقد تغير شكل السوق بصورتها السابقة بأن اقام هشام بن عبد الملك (٧٢٤ - ٤٣ م) مباني في مكان السوق بالمناخة فعلمت دكاكين بالطابق الارضي ، والطوابق العليا استعملت للسكن . وكانت هذه اول محاولة بالمدينة لايجاد علاقة بين المنطقة السكنية والتجارية(٢٩) .

وفي العصر العباسي حاولت عناصر من اسرة علي بن ابي طالب الاستقلال بالمدينة حيث قام محمد بن عبدالله عام ١٥٤ هـ/ ٧٦٢ - ٦٣ م بعمل خندق حول المدينة مما يدل على عدم وجود سور حتى تلك الفترة - في موقع الخندق الذى عمل ايام الرسول الا انه قتل في القتال مع العباسيين بقيادة عيسى بن موسى(٣٠) . وتوالت المحاولات فقام الحسين بن علي في عام ١٦٩ هـ/ ٧٨٦ بمحاولة اخرى فشلت وتسببت في تخريب كبير بالمدينة وقتل بالقرب من مكة ، وفي عام ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ - ٨٥٠ م في عهد الخليفة الواثق (٨٤٢ - ٤٧ م) تعرضت المدينة لهجوم(١) من بني هلال (٣١) تسبب في خراب العديد من مبانيها .

ولعل هذه الهجمات المتعددة في العصر الاموى والعباسي هي السبب الذى دعا امير المدينة اسحاق بن محمد(٣٢) في عام ٢٦٣ هـ/ ٨٧٦ - ٧٧ م لبناء سور حولها من الطوب اللبن (٣٣) ، وكان هذا اول سور يقام حول المدينة منذ نشأتها . وقد هدم السور المقام من اللبن فيما بعد واقام عضد الدولة بن بويه(٣٤) بدلا منه في الفترة مابين ٢٦٧ - ٧٢ هـ/ ٩٧٨ - ٨٣ م سورا جديدا من الحجر(٣٥) وقد كان الهدف من العناية بالسور هو حماية المدينة من استيلاء الدولة الفاطمية في مصر عليها .

ويعطينا المقدسي (توفي ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥ م) وصفا قليلا عن المدينة قرب نهاية القرن الرابع الهجرى ولكنه يحدد حجم المدينة وابوابها واسواقها(٣٦) :

« المدينة أقل من نصف مكة يحيط بأكثرها بساتين ونخيل وقرى ، ولها مزارع قليلة ومياه عذبة . والاسواق عند الجامع لها نور وبهاء ، بنيانهم مدن ، ملحة الارض ، قليلة الاهل ، والمسجد في ثلثيها مما يلي البقيع الغرقد . والمدينة هائلة الابواب ولها اربعة ابواب : باب البقيع (السور الشرقي) ، باب الثنية (التسمية راجعة الى انه يؤدى ثنية الوداع في الشمال الغربي خارج المدينة) ، وباب جهينة(٣٧) (ارجح انه كان في السور الغربي) وباب الخندق (يؤدى غالبا الى منطقة غزوة والخندق ومنطقة مساجد الفتح) .

وقد استرعى انتباه المقدسي صغر حجم المدينة وقلة سكانها وقد يرجع ذلك للثورات والهجمات التى تعرضت لها خلال هذه الفترة . كذلك يتضح من الوصف ان الامتداد لجهة الغرب كان يعادل فقط نصف المسافة من المسجد النبوى الى البقيع . وقد شبه مباني المدينة بمباني المدن مما يرجح انها كانت جيدة البناء حسنة المظهر ، الا انه لم يعطنا فكرة عن حجمها وارتفاعها . وهناك اشارة هامة للمقدسي الا وهي وجود الاسواق بجوار الجامع ، وان كنت اعتقد انه يقصد هنا جامع المُصّلى حيث انه يشير للمسجد النبوى باسم المسجد عند تحديده لابعاد المدينة ، كما اننا نعلم ان السوق المقامة بالمناخة في عصر الرسول قد بنيت كمحلات تعلوها مساكن في العصر الاموي في عهد هشام ، وذلك كان بالقرب من جامع المُصلّى الذى عُمّر على يد عمر بن عبد العزيز اثناء توليه امارة المدينة في عهد الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك ، خلال فترة اعماره للمسجد النبوى بين عامي ٨٨ - ٩١ هـ/ ٧٠٦ - ١٠ م . وقد جاءت تسمية الابواب بالنسبة لعلاقتها بالمناطق التى تؤدى اليها وهو مايساعد في تحديد موقعها ولعله ابتدأ بباب السور الشرقي ثم السور الشمالي والغربي ومن هنا يتضح ان المدينة لم يكن لها باب على الارجح في السور الجنوبي .

وقد جُدّد السور بعد حوالي ٢٠٠ عام من تاريخ انشائه بالحجر على يد جمال الدين محمد بن ابي المنصور المعروف بالجواد الاصفهاني(٣٨) في عام ٥٤٠ هـ/١١٤٥ - ٦ م(٣٩) وبعد تجديد السور بحوالى ثمانية عشر عاما اقام نور الدين بن زنكي في عام ٥٥٨ هـ/ ١١٦٢ - ٦٣(٤٠) سورا من الحجر احاط بالسور القديم والتجمعات السكانية التى أقيمت خارج السور الاول . ويمكن تصور شكل الابواب بمقارنتها بأعمال نور الدين الشام(٤١) .

وقد اشار السمهودى الى النص التالى الذى وجده في نهاية القرن التاسع/ الخامس عشر الميلادى على الباب الحديد داخل بوابة البقيع :

هذا ماأمر بعمله العبد الفقير الى الله تعالى محمود بن زنكى بن أقسنقر غفر الله له سنة ٥٥ هـ ١١٦٢ - ٦٣ م

ولعل الهدف من بناء السور الجديد وكذلك تجديد السور القديم هو توفير الحماية الكافية للمدينة من الغزو الصليبى وهو ماحدث بعد ذلك فعلا في عام ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ - ٨٣ م حين نزل الجنود الصليبيون بقيادة Raynald of chatilan في ينبع ولكنهم صدوا بقيادة احد افراد عائلة صلاح الدين الأيوبي(٤٢) .

ولقد كان لزيارة ابن جبير (٤٣) (توفي ٦١٤ هـ/ ١٢١٧ م) للمدينة في ٣ المحرم ٥٨٠ هـ/ ١٦ أبريل ١١٨٤ م ان تلقي بعض الضوء على عمران المدينة وان كان لم يعط الكثير من التفاصيل ، الا ان الاهتمام برصف الشوارع وخاصة المنطقة المحيطة بالحرم ، وافاد بأن للمدينة سورين واربعة ابواب ، في كل سور باب يقابله آخر ، اطلق على احدها باب الحديد نظرا لانه عمل من الحديد وباب الشريعة (لعله يؤدى الى مدرسة لتدريس الشريعة الاسلامية) وباب القبلة (في الحائط الجنوبي للبلدة) وهو مغلق ثم باب البقيع (يؤدى الى البقيع) في السور الشرقي .

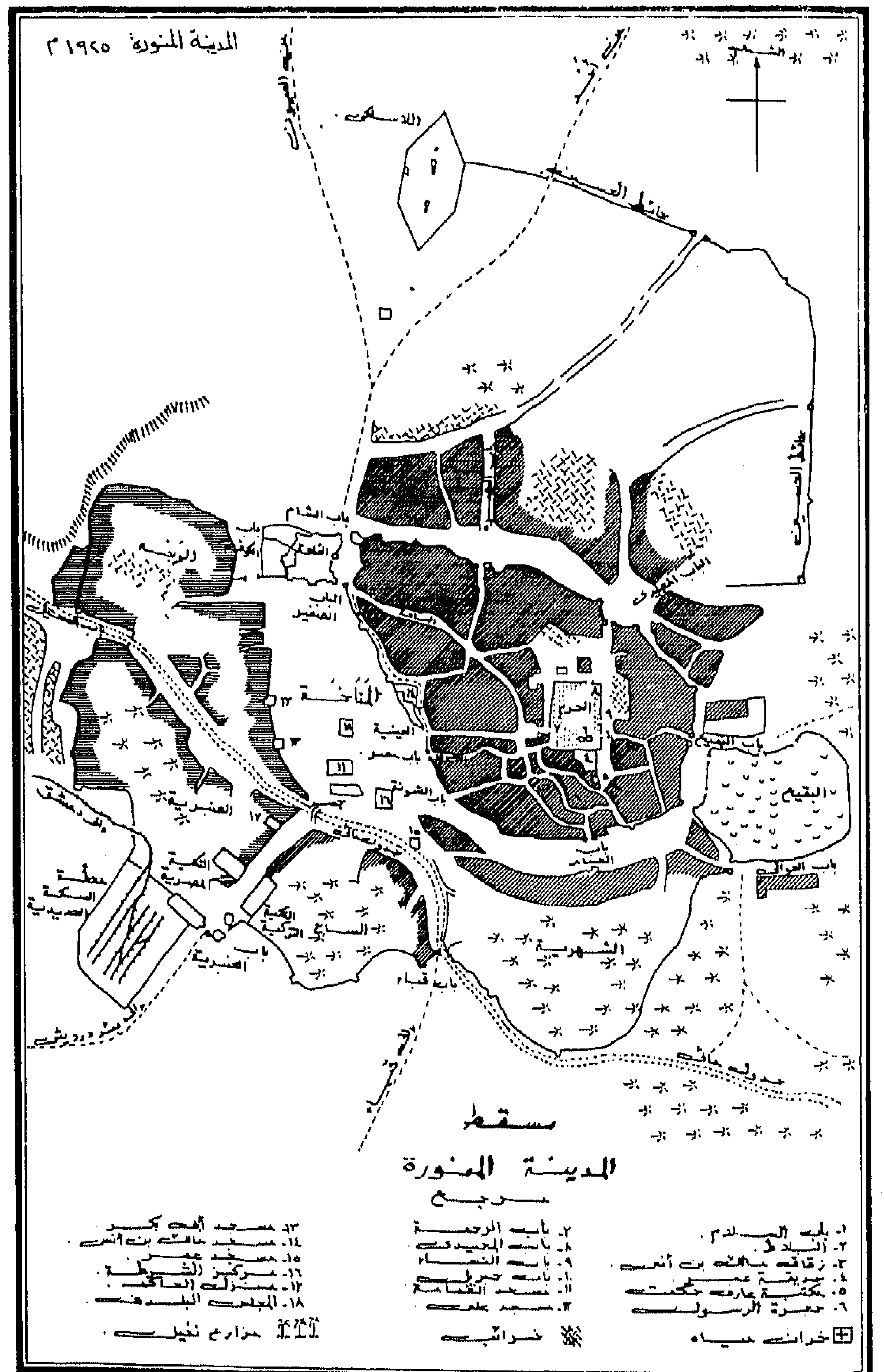
ويلاحظ أن ابن جبير قد اخذ الترتيب الجغرافي فى وصفه للسور بالنسبة لباب القبلة (في اتجاه الجنوب) وباب البقيع (في اتجاه الشرق) مما يجعلني ارجح بوجود الباب الحديد في السور الشمالي وباب الشريعة في السور الغربي . وارجح ان باب الشريعة هو باب جهينة أو مقابله ، ولعل وجود مدرسة لتدريس الشريعة قد طغى على اسم جهينة السابق ، كما ان الباب الحديد يرجح انه ماكان في وصف المقدسي بباب ثنية الوداع .

وفي نهاية القرن السادس الهجرى يعطينا ابن النجار (توفي ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٤ م) في دراسته عن المدينة التى وضعها عام ٥٩٣ هـ - ١١٩٦ م اى بعد بناء السور الثاني بخمسة وثلاثين عاما تأكيدا على زيادة الوضع العمراني للمدينة والذى يرجع بدون شك الى هروب العديد من المسلمين من الشام وفلسطين اما الغزو الصليبى نظرا لبعدها ، وخاصة ان مصر نفسها قد تهددها الغزو الصليبى في نهاية العصر الفاطمي في عام ٥٦٣ - ٤ هـ/ ١١٦٨ م مما أدى الى حرق الفسطاط لمنع الصليبيين من الاستيلاء عليها (٤٤)

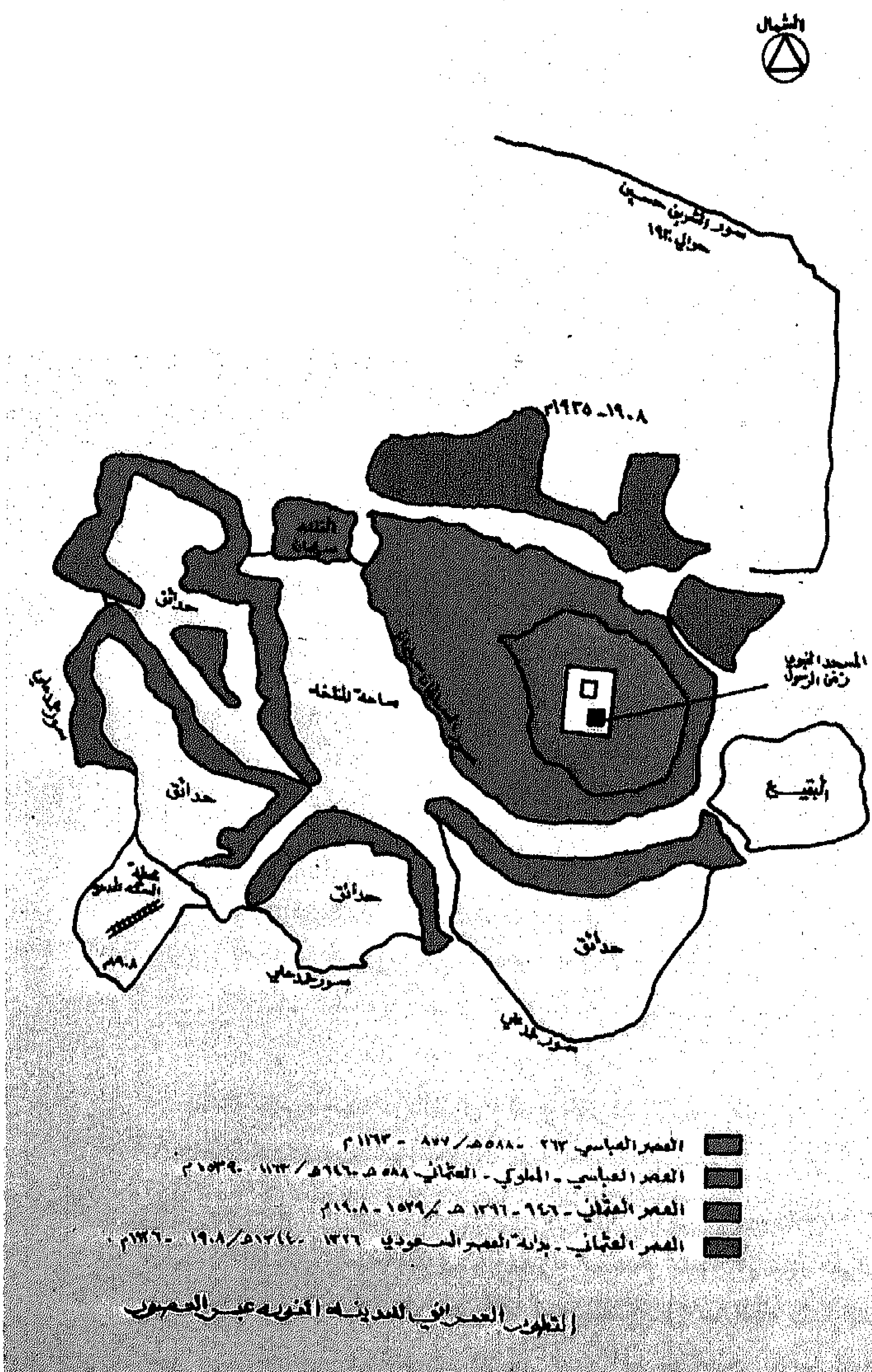
كذلك أحب أن أشير الى أن الاهتمام الفاطمي ببلاد الحجاز وخاصة بالحرمين الشريفين كان واضحا وكان يخطب باسم الخليفة الفاطمي على المنابر واستمرت هذه العلاقة حتى اواخر الدولة الفاطمية في عهد الوزير طلائع بن زيق(٤٥) وهو ماساعد بلا شك على ازدياد النمو العمراني والتجارى بالمدينة .

المدينة في العصر المملوكي البحرى والجركسي (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

نجد بين أيدينا في هذا العصر مجموعة من المصادر التاريخية مثل المطرى (٤٥أ) توفي (٧٤١ هـ/ ١٣٤٠ م) والمراغي والذى كتب عن المدينة في عام ٧٦٦ هـ/ ١٣٦٥ م ، الا ان المؤرخ السمهودى (توفي ٩١١ هـ/ ١٥٠٦ م) والذى عاش بالمدينة فترة طويلة قد تميزه عن غيره بمراجعته لكافة المخطوطات السابقة منذ ان كتب اولهم وهو ابن زبالة عن المدينة في صفر ١٩٩ هـ/ سبتمبر - اكتوبر ٨١٤ م الى تاريخ زمن المؤرخ ، كذلك قام السمهودى بعمل مقارنة بين أقوالهم والتحقق من ذلك بدراسة المواقع والمباني مما جعله مرجعا هاما ودقيقا .



١٩٣ مسقط المدينة المنورة - ١٩٢٥ م



١٩٤ التطور العمراني للمدينة المنورة عبر العصور

ويتضح من اقوال السمهودى ان اهتمام السلاطين المماليك قد انصب بالدرجة الاولى على المسجد النبوى وخاصة بعد الحريق الاول في عام ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م والحريق الثاني عام ٨٨٦ هـ/ ١٤٨١ م وكذلك جددت عدة ابواب في السور في عهد الصالح بن قلاوون في عام ٧٥٥ هـ/ ١٣٥٤ (٤٦) .

ولم يشر الرحالة ابن بطوطة (توفي ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م) خلال زيارته للحج عام ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م الى تطور عمراني او زيادة سكانية وانما اكتفى بوصف سريع للمسجد النبوى .

ويحتمل ان يكون الزلزال الذى حدث عام ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م وانتقال السلطة من الدولة العباسية الى المملوكية وعدم عناية السلاطين المماليك بالمدينة(٤٧) بالاضافة الى تنازع حكامها على السلطة الداخلية بها ، قد أدى الى تدهور الأوضاع العمرانية ، مما ادى الى عدم اشارة ابن بطوطة خلال زيارته الى اى شيء عمراني ملموس بها .

وقد اثار عدم عناية المماليك بالمدينة انتباه السمهودى حيث اشار الى عدم ترميم المسجد النبوى منذ حريق عام ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م بعناية واشار الى حالته السيئة في زمنه(٤٨) . ونعود مرة اخرى للسمهودى لنتعرف على بعض ملامح المدينة في نهاية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى ، فنجد ان المدينة احتوت على شوارع رئيسية واخرى ثانوية فعلى سبيل المثال الشارع المؤدى الى البقيع (شرق المسجد) بين دار ربطة ودار عثمان اطلق عليها الطريق العظمى ، وكان عرضها ٥ أذرع(٤٩) (حوالي ٥٠ر٣ م) ، ومن الشوارع الرئيسية أيضا الشارع الموصل من باب السلام الى الباب في السور الغربي بالقرب من المصلى ، والشارع من باب الرحمة الى الباب الشامي بالركن الشمالي الغربي للمدينة مارا بسوق العطارين . كذلك نظمت عملية تصريف مياه الامطار بالشوارع في فترة عصرى قايتباى .

وكان للمدينة فى تلك الفترة خمسة ابواب :

- باب السويقة (حيث يوجد في هذا الشارع السوق الرئيسية) بالسور الغربي جهة المُصلّى (جامع المصلى) ، والمسافة بينه وبين باب السلام بالمسجد ٠٠ر٦٤٥ ذراعا حوالي ٠٠ر٤٥٠ مترا)(٤٩)
- باب بالسور الغربي عند رحبة حصن امير المدينة (بالركن الشمالي الغربي) .
- باب بالسور الشمالي المعروف بالباب الشامي .
- باب بالسور الشرقي يعرف بباب البقيع ويبعد عن باب جبريل بالمسجد ٤٣٣ ذراعا (حوالى ٠٠ر٣٠٠ متر) .
- باب مسدود بالسور الجنوبي يعرف بباب السوارقية .

ومن المقاسات المذكورة نجد ان امتداد المدينة لجهة الغرب يبلغ مرة ونصف امتدادها ناحية الشرق ، وبمقارنة مسطح المدينة في نهاية القرن التاسع الهجرى بالعلاقة التى اعطاها لنا المقدسي في نهاية القرن الرابع الهجرى ، نجد ان المدينة غرب المسجد النبوى قد امتد العمران بها لجهة الغرب ثلاثة أمثال السطح الذى كان على عهد المقدسي على أساس ان السطح شرق المسجد بقي ثابتا تقريبا في هذه الفترة ، ويتضح من ذلك ان مسطح المدينة قد تضاعف تقريبا خلال خمسة قرون .

ويمكن تعليل هذا الامتداد بسبب وجود عوائق طبيعية في الاتجاه الشمالي ، ولعل المحافظة على الواحة الخضراء في الجهة الشرقية والجنوبية كان دافعا لعدم امتداد العمران في الجهتين حيث ان الزراعة كانت هي المورد الرئيسي للسكان .

وقد كان قايتباى من أوائل السلاطين الذين اهتموا(٥٠) بعمران المدينة فاقيمت في عهده المدارس منها المدرسة الزمنية(٥١) ومدرسة السلطان قايتباى (الاشرفية) بين بابي السلام والرحمة مع مئذنة صغيرة بجوارها . كما شرع في بناء حمام وسبيل وفرن وطاحون ومصنع للدشيشة ووكالة ، ويفيد السمهودى بعدم وجود حمام او طاحون بالمدينة منذ مدة طويلة ، ولعله كانت هناك حاجة ملحّة لانشاء هذه المجموعة الكبيرة من مباني الخدمات بعد الزيادة التى وضحت من المقارنة السابق الاشارة اليها وكذلك بسبب عدم اهتمام السلاطين المماليك بالمدينة من الناحية العمرانية لفترة طويلة قبل ذلك .

وخلال دراستي الميدانية لمبانى المدنية التاريخية لم استدل على أية مبان ترجع الى فترة العصر المملوكي سوى مدخل رباط ياقوت الماردانى والمؤرخ في عام ٦٠٦ هـ/ ٣٠٦ - ٧ م

المدينة في العصر العثماني (٩٢٣ - ١٣٣٦ هـ/ ١٥١٧ - ١٩١٩ م)

امتدت سلطة الدولة العثمانية الى الحجاز بعد استيلاء السلطان سليم الأول على مصر في ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م وأصبح من ضمن القاب السلطان لقب خادم الحرمين الشريفين .

وقد اهتم السلاطين بمكة والمدينة ، وحظيت المباني الدينية بشكل عام والمسجد النبوى بشكل خاص بالعناية والرعاية وخاصة في فترة حكم السلطان سليم(٥٢) ٩٢٦ - ٧٤ هـ/ ١٥٢٠ - ٦٦ م ، والسلطان محمود الثاني(٥٣) ١٢٢٣ - ٥٥ هـ/ ١٨٠٨ - ٣٩ م ، والسلطان عبد المجيد الاول(٥٤) ١٢٥٥ - ٧٧ هـ/ ١٨٣٩ - ٦١ م والسلطان عبد الحميد الثانى (٥٥) ١٢٩٣ - ١٣٢٧ هـ ١٨٧٦ - ١٩٠٩ م ، والمؤرخ قاضي الحنفية جلال الدين محمد بن خضر الرومي (توفي ٩٥٩ هـ/ ١٥٥٢م) اعطانا صورة عن أعمال السلطان سليمان وتعمير سورها وذلك في بداية العصر العثماني(٥٦) .

فقد هدم السور من فوق منسوب سطح الارض وكذلك الابواب واعاد البناء بالحجر وكذلك حصن امير المدينة (في الركن الشمالي الغربي خارج السور) واقام مكانه قلعة . وقد ابتدأ العمل في السور في عام ٩٣٩ هـ/ ١٥٣٢ - ٣٣ م ، اما القلعة فقد بدأ العمل بها في منتصف عام ٩٤٤ هـ/ ١٥٣٧ - ٣٨ م وانتهت كل الاعمال في السور والقلعة في ١٥ شعبان ٩٤٦ هـ : ٢٦ ديسمبر ١٥٣٩ م . وقد بلغ طول السور ٢٣٠٠ متر وارتفاعه يتروح بين ٥٠ر١٠ - ١٢ مترا .

وقد تبين ان سبب اطالة مدة البناء ترجع الى انقطاع الموارد المالية المرسلة من مصر ، كذلك وفاة بعض المشرفين على البناء ، هذا بالاضافة الى تغيير المشرفين المصريين بآخرين من الاتراك ، كذلك اجريت بعض الاصلاحات في أبواب المسجد وبعض اجزاء الحائط الخارجي بالاضافة الى اضافة محراب جديد للمذهب الحنفي .

واعتقد انه لو أقيمت في تلك الفترة أعمال ذات اهمية على المستوى العمراني لكان قد ذكرها الرومي بجانب وصفه التفصيلي لأعمال سليمان الدفاعية . وقد تبين من الاطلاع على المصادر التاريخية العربية والاجنبية ان الاهتمام الكبير بالمدينة خلال الحكم العثماني كان بالدرجة الاولى في بداية القرن التاسع عشر .

في القرن السابع عشر زار المدينة الرحالة Wild (٥٦أ) وذلك في عام ١٦٠٧ م كعبد مع سيده التاجر الايراني ، وكان ذلك في عهد السلطان احمد الاول (٥٦ب) (١٠١٢ – ٢٦ هـ/ ١٦٠٣ – ١٧ م) .

ويفيد بأن المدينة لها سور دائرى من الطين به ثلاثة ابواب وامامه توجد حدائق النخيل والمباني مقامة بالحجارة . ولا اعتقد ان وصفه للسور كان دقيقا حيث انه بني منذ فترة وجيزة من الحجارة في عهد سليمان في عام ١٥٣٩ .

وفي القرن الثامن عشر قام نيبور (٥٦ ح) برحلته الى المدينة عام ١٧٦٢ م ، وقد وصف المسجد النبوى وعمل له رسما اخذه عن احد العرب وكل ماذكره عن عمران المدينة هو انها صغيرة الحجم ومحاطة بسور في حالة سيئة .

ان اقدم خريطة دقيقة للمدينة ترجع الى ابريل من عام ١٨١٥ عندما قام بوركهارت بزيارته للمدينة وقد بنى عليها السور الذى اعاد بناءه سليمان وكذلك السور الخارجي الذى اقيم بالجهة الغربية والجنوبية وهو متهدم وكثير من اجزائه مبنى بالطوب اللبن .

وقد لوحظ ان الامتداد الخارجي للمدينة مفصول عن جسم المدينة القديمة بساحة واسعة (المناخية) من الجهة الغربية ودرب الجنائن من الجهة الجنوبية . وان مسطح ضواحي المدينة وان كان في فترة زيارة بوركهارت به كثير من الحدائق والقليل من المباني بالمقارنة مع المدينة نفسها – يزيد عن مسطح المدينة وهو ماأثار انتباه الزائرين . كما يتضح انه منذ العصر العثماني اقام الحكام الجدد مساكنهم في الضاحية الغربية على الطريق الرئيسي (طريق العنبرية) او على المساحة بينما تشغل بقية المسطح مجموعات من المباني ذات الطابق الواحد او الطابقين تتجمع حول احواش كبيرة وكل حوش يقطن به حوالي ٤٠ عائلة وتنفصل المباني عن بعضها بواسطة حدائق النخيل . كذلك اشار الرحالة الى حالة المباني الجيدة على طريق العنبرية وامام الباب المصرى . والى الشوارع الرئيسية المرصوفة . أما الحارات فيتراوح عرضها بين حوالي ٢ – ٣ أمتار .

ولقد كان موقع القلعة في مفصل المدنية مسيطرا على مدخلها الشمالي وعلى مسافة ليست ببعيدة عن منزل الحاكم التركي .

أما المدينة القديمة فان اكبر شوارعها كان يبدأ من الباب المصرى الى باب سلام كما كان الحال في نهاية القرن الخامس عشر الميلادى على عهد المؤرخ السمهودى ، كما كان ايضا الشارع التجارى للمدينة ، اما الشارع الرئيسي الاخر فهو يصل بين الباب الشامي وباب الرحمة بالمسجد وبه قليل من المحلات ويحصر الشارعان بينهما احياء متعددة تتخللها حارات ضيقة غير نافذة . ويشير بوركهارت الى وجود حمام واحد داخل المدينة أقيم عام ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥ – ٦٦ م على يد الوزير محمود باشا في عهد السلطان السليمان .

أما المباني السكنية الخاصة ، ففيها حديقة وبئر الا انه لاحظ ان مباني الخدمات مثل الوكالات او الخانات غير موجودة . وفي النهاية يقدر تعداد السكان بحوالي ١٦٠٠٠ – ٢٠٠٠٠ نسمة . أما الرحالة بورتن (Burton) (٥٨) فيقارن بين المدينة وبعض المدن فيقول ان حجم المدينة يبلغ ١ ونصف حجم مدينة السويس المصرية ونصف حجم مكة المكرمة ويحد ابوابها الاربعة ويذكر بعض الاسواق خارج السور بجوار الباب المصرى مثل سوق الحبوب والخضر . وقد اشار ايضا الى وجود اربع وكالات : احداها بالقرب من باب السلام ، ووكالة الجبرتي واثنتان بالقرب من الباب المصرى ، اى ان الوكالات تقع على الشارع التجارى الرئيسي . كذلك اشار الى الحمام الوحيد في حارة ذروان الا انه اشار الى ان المباني العامة بشكل عام قليلة .

وقد اثار اهتمامه جودة المباني بالجهة الشرقية من الحرم : فهي مبان من طابقين في الغالب ، استعمل في بنائها البازلت والطوب المحروق والاسقف من خشب النخيل بها أحواش ونافورات واشجار النخيل ولها واجهات خشبية (رواشن) ومشربيات ويشبها الرحالة بمبان في مالطة . وقد تجول بحرية في المدينة بحيث اعطى عدد الحارات والازقة بخمسين وعدد الدروب بخمسين ايضا .

وأفاد بناء على اقوال Captain Sadlier أن الاتراك قد قاموا بعمل تعداد عام ١٩١٨ م وكان بالمدينة ٦٠٠٠ مسكن ، وان عدد السكان بلغ ١٨٠٠٠ نسمة ، الا انه يشير الى ان العدد في منتصف القرن التاسع عشر قدر بحوالي ١٦٠٠٠ نسمة : ٩٠٠٠ نسمة داخل السور الداخلي ، ٧٠٠٠ نسمة خارج السور في الضواحي وان بها ٤٠٠ جندى وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادى تعطينا مخطوطة علي بن موسى(٥٩) المؤرخة في ٢١ جمادى الثاني ١٣٠٣ هـ/ ٢٧ مارس ١٨٨٦ م وصفا تفصيليا لشوارع وحارت ومباني المدينة حيث قام المؤرخ بالتجول فيها محددا عدد المباني الدينية ومباني الخدمات ، كما اورد اسماء العديد من الشخصيات الهامة مع اعمالها في المدينة ، الا ان هذه الدراسة قد افتقدت النظرة التحليلية التى وجدناها في دراسة بوركهارت او بورتن .

ويستدل من هذه المخطوطة ان المدينة كان بها المباني الدينية والمدنية التالية :
مباني دينية : ٣٣ مسجدا ، ٨ أربطة ، ١٤ زاوية ، هذا بالاضافة الى المسجد الرئيسي ، المسجد النبوى .
مباني خدمات : ٢٢ سبيلا ، ١١ سوقا ، ٣٠ مدرسة ، ٢ حمام ، ١ خان ، ٢ تكية ، ٧ مكتبات هذا بالاضافة الى دار البلدية ومستشفى للاهالي وآخر عسكرى .

أما بالنسبة للمباني السكنية فبلغ عدد الدور الهامة ٤٧ دارا ، اما الازقة والشوارع فبلغ عددها ٤٢ زقاقا ، ٣ شوارع ، ١٢ دربا (طريق) ، ٨ حارات ، هذا بالاضافة الى ٥٥ حديقة عامة وخاصة ، والمباني الدفاعية فقد اشتملت على قلعة في الركن الشمالي الغربي خارج السور الداخلي بجوار الباب الشامي بالاضافة الى الاسوار الداخلية والخارجية جهة الجنوب والغرب وثكنة للجنود بالقرب من التكية المصرية .

وقد تبين من دراسة المخطوطة ان المدينة احتوت على العديد من الاحواش المغلقة والتى تتجمع حولها المباني السكنية وهو مايتلاءم مع الظروف الاجتماعية للمنطقة العربية ، كما ان العديد من هذه الاحواش كان بمثابة حدائق (مزارع نخيل) ، هذا بالاضافة الى وجود العديد من الشوارع التى تعددت اسماؤها طبقا لعروضها ، كذلك استمر وجود العصب الرئيسي للمدينة وهو الشارع الاعظم والذى تجمعت عليه اغلب الانشطة التجارية ويصل بين الباب المصرى بالسور الغربي وباب السلام ، هذا بالاضافة لوجود العديد من مصادر المياه العذبة داخل المدنية ، وقد كانت العين الزرقاء من اهم مصادر تغذية المدينة بالمياه . وتدل كثرة المدارس على النشاط العلمي والديني علما بأن احدى هذه المدارس كانت تقوم بتعليم اللغة الفارسية .

ويلاحظ ان وجود منطقة سكنية متميزة بالامتداد الغربي وخاصة على شارع العنبرية والذى كان ولايزال مدخل المدينة المنورة بالنسبة للقادمين من مكة المكرمة وجدة . ولوحظ ان المباني السكنية الخاصة احتوت على حدائق وحوض للمياه وهو مايدل على محاولة المهندس للتغلب على الظروف المناخية الصعبة في هذه المنطقة الحارة الجافة بادخال العناصر الطبيعية داخل المبنى ، بالاضافة لما في ذلك من تأثير حسي جيد على السكان .

المدينة فى مطلع القرن العشرين

أما في القرن العشرين ، فقد اعطانا ابراهيم رفعت(٦٠) ، الذى كان قد زار المدينة أربع مرات فى الفترة مابين (١٩٠١ – ٨ م ، الوصف التالي عن المدينة المنورة : –

« أكثر ابنيتها من الاحجار المجلوبة من المحاجر القريبة وبيوتها ضيقة غير منتظمة اكثرها من غير رحاب ، مرتفعة البناء ذات طبقتين وثلاث وأكثر ، وقل ان تجد فيها بناء ذا طبقة واحدة ، وأكثر الطبقات الارضية مشحونة بالبضائع التجارية وحجراتها ضيقة تشبه في شكلها قيعاننا (قاعات) الا انها ذات لوانين (ايوانين) ، وحوانيتها مرتفعة الابواب عن الارض بنحو متر ، وبيوت اكابر الاشراف ضخمة متينة ذات شكل جميل ومنظر بديع وواجهاتها مبنية بالآجر الاسود ولها رواشن ، مشربية ، مصنوعة من الخشب الخرط الجميل ، وابوابها مرتفعة عن الارض . وحارات المدينة ضيقة لايزيد عرض الواحدة عن المترين وشوارعها لاتزيد عن أربعة ، وأحسنها شارع غرب المسجد النبوى يسمونه حارة الساحة وهو اطول الشوارع وفيه اجمل المباني وبه دار المحافظة والشارع الموصل للمسجد من جهة باب السلام مبلط بالاحجار ولكن ارضه غير مستوية والحارات لضيقها يسمونها ازقة » .

ثم يذكر ابواب السور الداخلي على النحو التالي :–
باب البقيع او الجمعة في السور الشرقي .
الباب المجيدى في السور الشمالى .
الباب الشامي في السور الشمالي (في الشمال الغربي)
الباب الصغير في الجنوب الغربي للقلعة .
الباب المصرى في السور الغربي

أما السور الخارجي بالجهة الجنوبية والغربية فقد كان به بابان بالجهة الجنوبية الشرقية باب العوالي وباب الكوفة ، وفي السور الجنوبي باب قباء وفي الغرب باب العنبرية والذى سمي بالحميدى (نسبة للسطان عبد الحميد) ثم بعد ذلك بالرشادى (نسبة للسلطان رشاد آخر السلاطين العثمانيين .) وقد اقيم السور الخارجي من الطوب اللبن في عهد محمد علي باشا والي مصر خلال حملة ابراهيم باشا . وقد بلغ عدد المباني الدينية ١٧ مسجدا ، ١٧ مدرسة دينية ، ١٢ مكتبا لتعليم الصبيان . وكان عدد تلامذة المكاتب يبلغ ٣٢٠ تلميذا ، وتلامذة المدارس الراقية (ذات المستوى العلمي المرتفع) ٥٥ تلميذا وذلك في عام ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩٢ – ٩٣ م . أما باقي الخدمات فكانت ٨ تكايا ، ٢١ سبيلا ، ١٠٨ أربطة ، حمامين ، ٤ وكالات ، ١٨ مخبزا ، ٩٣٢ حانوتا ، ٣٦ مقهى و ٤ محلات للاصباغ .

واقتصرت المباني الدفاعية كالسابق على القلعة وثكنة للجنود . ولكن مايثير الانتباه البساتين داخل المدينة والتى وصل عددها الى ٤٨٥ بستانا . ثم يقدر ابراهيم رفعت عدد المساكن بالمدينة بأربعة آلاف مسكن ويتضح من تلك الارقام الدراسة الدقيقة بالنسبة لهذه الفترة التى قام بها ابراهيم رفعت .

اما البتانوني والذى وصل المدينة يوم ٩ يناير ١٩١٠ م بعد ٦ سنوات من آخر زيارة لابراهيم رفعت ، فقد اورد ان عدد المساكن في المدينة بلغ ١٢ الف مسكن على نمط بيوت مكة وجدة ، لكن شوارعها اضيق من شوارع مكة وجدة .

ولفت نظر البتانوني ضيق الشوارع حول الحرم واقترح عمل ميدان فسيح يساعد على حل مشكلة الحركة من والى الحرم بالاضافة الى عملها كرئة ومتنفس للمدينة . كذلك اشار الى العناصر المعمارية الخشبية في بعض المبانى مثل الابواب والرواشن والذى قال انها انقطعت عن المدينة على عصره ، الا انه يتعارض مع ابراهيم رفعت بقوله انه ليس بالمدينة من مدارس تستحق الذكر وحدد البتانوني عدد السكان بستين الفا وليس كلهم من السكان المحليين بل من المجاورين الاجانب الذين اكثرهم من الهنود والاتراك والشوام والمغاربة والمصريين . كذلك اشار الى بقايا القصور من العصر الاسلامي الاول في وادى العقيق .

وأحب أن أشير الى ان عدد المساكن الذى أورده ابراهيم رفعت ، قريب من الحقيقة – ٤٠٠٠ مسكن – وخاصة عندما نعلم ان

تعداد السكان في عام ١٩٠٨ م – بعد اربع سنوات من زيارة ابراهيم رفعت – بلغ حوالي ٣٠٠٠٠ نسمة (٦٢) ، أى بمتوسط سبعة اشخاص بكل مسكن وهو عدد مناسب للاسر العربية في تلك الفترة . اما عدد المساكن الذى اورده البتانوني – ١٢٠٠٠ مسكن – فهو مبالغ فيه كثيرا الا ان الزيادة السكانية والتى بلغت الضعف في عامين فيمكن قبولها بسبب سهولة الوصول الى المدينة بإنشاء خط سكك حديد الحجاز والذى ربط بين الشام والمدينة المنورة ، وقد افتتح في ٢٥ شعبان ١٣٢٦ هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٩٠٨ م . هذا بالاضافة الى الظروف الصعبة التى كانت تمر بها الامبراطورية العثمانية وخاصة في بداية القرن الحالي في عهد السلطان الدموى عبد الحميد(٦٣) والتى قد تكون سببا الى هرب العديد من المسلمين من الشام والاتراك الى المدينة المنورة .

وفى عام ١٩١٠ م زار الرحالة « Moritz » المدينة فيقول انها تتكون من جزءين : المدينة القديمة والمدينة الجديدة بالجهة الغربية منها ويفصلهما ميدان المناخة ويبلغ عرضه حوالي ٤٠٠ متر ، ويؤكد الزيادة السكانية بعد انهاء خط السكك الحديد في سبتمبر ١٩٠٨ م ويحدد العدد بحوالي ٦٠٠٠٠ – ٧٠٠٠٠ نسمة ، منهم العديد من السوريين والهنود والمغاربة – نفس العدد الذى اورده البتانوني – وبعد انشاء محطة السكك الحديدية بدأ حولها حركة عمرانية جديدة ، وقد قدر عدد السكان قبل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ م) مباشرة بحوالي ٨٠٠٠٠ نسمة(٦٥) .

وبالاطلاع على خريطة المدينة التى اعدها موريتز في عام ١٩١٤ نجد ان العمران امتد بقدر محدود في الاتجاه الشمالي (حي المناشي) ، ولكن هذا الازدهار لم يدم طويلا حيث قامت الحرب العالمية الاولى مما ادى الى توقف الخط الحديدى عام ١٩١٦(٦٦) . كذلك قام الشريف حسين بن علي في صيف ١٩١٦ بثورة ضد الاتراك ، وقد نتج عن ذلك انخفاض ملحوظ في عدد السكان حيث قدر بحوالي ٣٠٠٠٠ نسمة(٦٥) . وفي عام ١٩١٧ م وصل عدد السكان الى حوالي ١٥٠٠٠ نسمة فقط .(٦٧) .

وقد تسببت هذه الحرب في قيام السلطة التركية في المدينة بهدم بعض المباني حول الحرم في عام ١٩١٦ بهدف تسهيل الدفاع عنها ، الا انه في النهاية انسحب الاتراك غن المدينة في رجب هـ/ ابريل ١٩١٨ م .

وقبل بداية العهد السعودى زار المدينة الرحالة روتر(٦٨) في عام ١٩٢٥ واعطى وصفا للمسجد النبوى ولحدود المدينة وابوابها ، واشار الى ان المساحة المبنية بين السورين – الامتداد خارج السور القديم – تساوى نصف مسطح المدينة داخل السور . واشار الى الانخفاض الواضح في عدد السكان والذى وصل الى حوالي ٦٠٠٠ نسمة خلال فترة النزاع بين آل سعود والشريف حسين ، وقد استرعى انتباهه تلاصق المساكن وضيق الحارات ، وأوضح بأن ذلك لمقاومة رياح السموم في الصيف . وعين أهم الشوارع بالمدينة وهي : شارع السوق من الباب المصرى الى باب السلام ، وشارع موصل من الباب الشامي ويتصل بشارع السوق عند حي البلاط واشار الى أن أقدم منطقة هي حارة الاغوات وبها ازقة ضيقة وبيوت متلاصقة .

وقد اقام الشريف حسين سورا حول الامتداد الشمالي للمدينة بعد خضوعها لسلطته .

المدينة في العهد السعودى (٢٥ جمادى الثاني ١٣٤٤ هـ/ ١٠ يناير ١٩٢٦)

في بداية العهد السعودى زار المدينة فيلبي(٦٩) في عام ١٩٣١ م عمل زيارة اخرى عام ١٩٣٨ . وافاد بأن بعض المباني في غرب العنبرية خرّب ، ولعل ذلك بسبب ترك اصحابها الاتراك لها بعد انسحابهم من المدينة ، وقد كان نمو حي العنبرية قد اخذ في الازدياد بعد منتصف القرن التاسع عشر ، كذلك كان بالجهة الجنوبية داخل وخارج السور العديد من حدائق النخيل مع قليل من المباني المتواضعة . وقد وصل عدد السكان في تلك الفترة لحوالي ١٥٠٠٠ نسمة ، وافاد بأن قلة زوار المدينة يرجع الى الازمة النقدية العالمية في الثلاثينات ، بالاضافة الى توقف حركة القطارات منذ عام ١٩١٦ . كذلك اشار الى ان اقدم مبنى موجود بالمدينة مؤرخ في ٧٦ هـ (١٣٦ – ٧ م) ولعله يقصد مدخل رباط ياقوت الماردانى الذى اشرنا اليه سابقا ، وكانت اجزاء من السور ماتزال تشاهد في المدنية . وأفاد بأن هدم القباب على مدافن البقيع تم في عام ١٩٢٥ – ٢٦ م

ويلاحظ انه منذ السنوات الاولى من العهد السعودى والزيادة السكانية في اطـراد ويرجع ذلك الى استقرار السلطة واستتباب الامن والنظام . واتجهت الزيادة العمرانية في اتجاه الشمال والجنوب والغرب ، وقد هدم السور في عام ١٩٥٠ م ولم يبق منه حاليا غير اجزاء من الباب المصرى .

وبعد الحرب العالمية الثانية نمت المدينة بسرعة وقد ساعد على ذلك انشاء شبكة من الطرق وبناء العديد من المطارات والموانيء لربط مدن المملكة داخليا ، وكذلك ربطها مع دول العالم ، بالاضافة الى تسهيل حركة التجارة الداخلية والخارجية واتجهت المدينة في نموها في كافة الاتجاهات بدون انتظام وبدون تخطيط ، مما دعا المملكة السعودية في التفكير منذ فترة في عمل مخطط يحدد الصورة المستقبلية لها . وقد فقدت المدينة للأسف تلك الواحات الخضراء التى كانت تحيط بها . وبعد الحريق الذى حدث في بداية السبعينات لم يبق من التراث المعمارى بالمدينة الا منطقة الاغوات جنوب شرق المسجد النبوى . ومن الدراسة الميدانية للمباني الحالية في تلك المنطقة والتى ترجع الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، يمكن التعرف على الطابع المعمارى للمباني وللنسيج العمراني للمدينة في العصر العثماني . فالمباني يتراوح ارتفاعها بين طابقين او ثلاثة ، ذات واجهات صغيرة مطلة على الحارات او الأزقة ، وغطيت فتحاتها الخارجية برواشن ومشربيات خشبية ، واستعمل في البناء الحجر البازلتي .

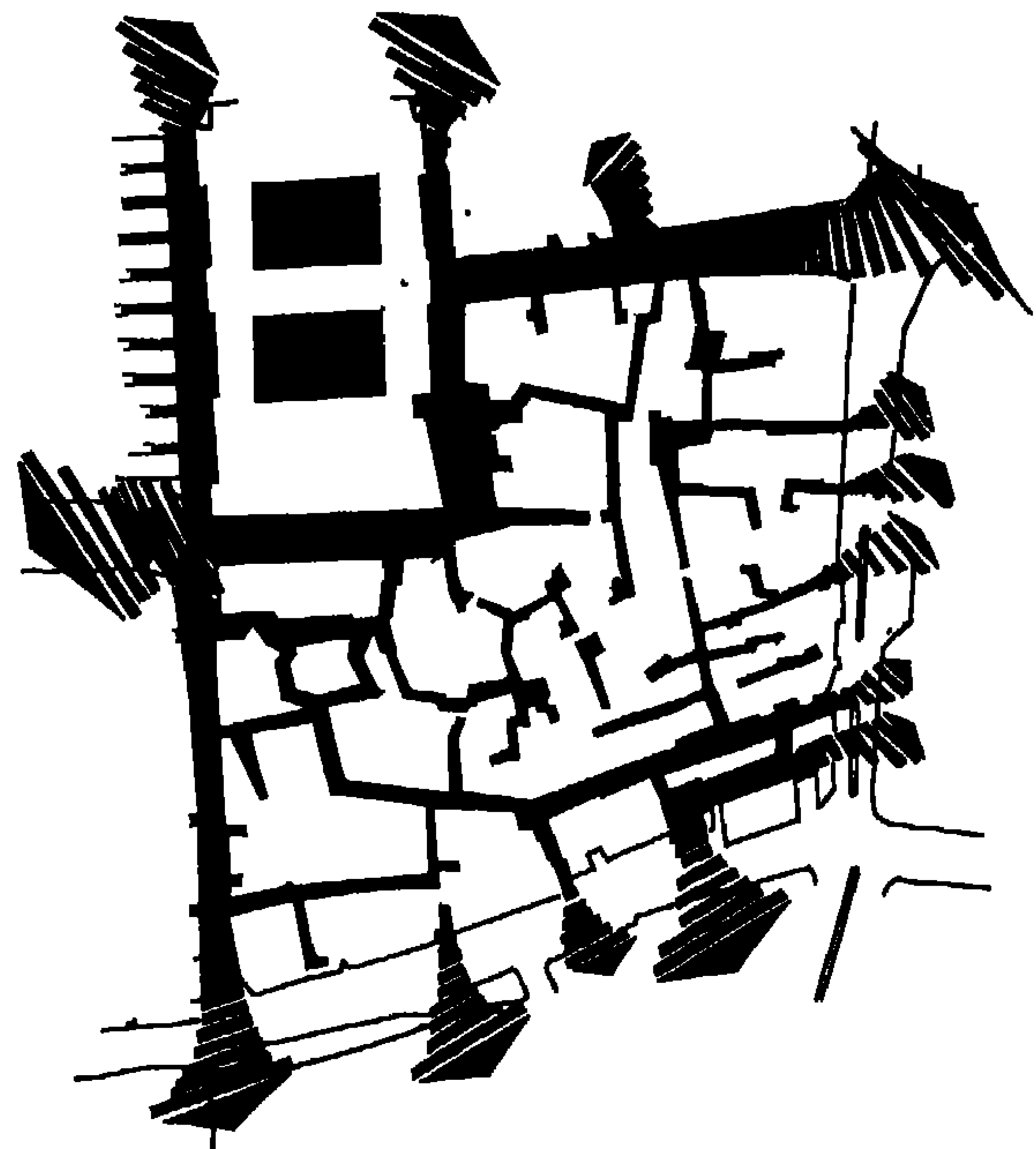
وتتجمع هذه المباني حول احواش او ساحات صغيرة ، انتشرت في اجوائها بعض المدارس ويوجد بالمنطقة حمام . وقد لوحظ في المباني السكنية تأكيد

الخصوصية لكي تتلاءم مع الظروف والعلاقات الاجتماعية التى بنيت على مبادىء الدين والشريعة الاسلامية . كما احتوت المباني السكنية الخاصة على سبيل بالطابق الارضي وقاعة لاستقبال الضيوف ، بالاضافة الى مدخل منكسر لمنع الرؤية داخل المبنى للعابرين بالطريق . وقد انعكست صورة العمارة الاسلامية على تصميم الابواب الخارجية وعناصر التشكيل والتى اعتمدت على الحليات الهندسية والنباتية والتى تأثرت لحد كبير بالزخارف التركية . وشبكة طرق للمشاة ، اعتمدت على حارات ضيقة متعرجة تتقاطع مع بعضها مكونة ساحات صغيرة متنوعة المسطحات ، وقد كانت الفراغات بين المباني عنصرا للربط والتكامل . كذلك لوحظ ان كافة الطرق قد نظمت بطريقة بحيث تؤدى كلها الى مركز المدينة وهو المسجد النبوى الذى كان دائما العلامة المميزة landmark بالنسبة للقادمين الى المدينة او المقيمين فيها .

الخصائص العمرانية للمدينة المنورة

من كل ماسبق ذكره نجد ان المدينة المنورة قد تميزت بخصائص عمرانية ومعمارية نوردها على النحو التالي :—

كان المسجد هو مركز الاشعاع الديني والثقافي والاجتماعي للمدينة ، وقد اتجهت اليه كافة الشوارع الرئيسية القادمة من ابوب المدينة . كذلك احاطت به المدارس والمكاتب التعليمية والأربطة والمكتبات العلمية . وقد وجد حول الحرم منطقة سكنية هادئة وخاصة في الجهة الشرقية والجنوبية . وكان الحرم هو العلامة المميزة في المدينة landmark بحيث تقع عليه عين القادم للمدينة من اى اتجاه كان .



١٩٥ النسيج العمراني والتكوينات حول الحرم النبوي الشريف STREET PATTERN
(منطقة حارة الاغوات)

وجدت الاسواق في القرن الأول الهجرى خارج المدينة ثم جمعت مع السكن في نهاية العصر الاموى . بعد ذلك ظهرت الشوارع التجارية والتى تجمعت بها على اطراف المدينة الوكالات لتسهيل حركة نقل البضائع بدون ان تعوق الحركة السكانية داخل المدينة وعلى سبيل المثال الشارع الموصل بين الباب المصرى وباب السلام ، وباب الرحمة والباب الشامي . واعتقد انه بسبب الاحترام الديني لمنطقة الحرم لم يسمح بوجود نشاط تجارى مكثف بالقرب من الحرم مباشرة ، حيث ان الدائرة المباشرة المحيطة بالحرم شغلت بالمباني التى لها علاقة مباشرة بالحرم سواء من الناحية السكنية او الادارية او التعليمية .

لم تكن المدينة بسبب ظروفها الدينية المميزة حيث بها ثاني الحرمين في حاجة الى سور دفاعي كما هو الحال في كل المدن في العصور الأولى ، الا ان النزاع على السلطة في العصر الاموى والعباسي ادى الى بناء اول سور لها في عام ٢٦٣ هـ/ ٨٧٦ – ٧٧ م .

احترم تخطيط المدينة العادات والتقاليد بتجميع المباني على احواش داخلية منزرعة ساعدت على انماء العلاقات الانسانية ، بالاضافة الى فوائدها المناخية حيث تعمل كآبار للتهوية ولخفض درجات الحرارة .

تعددت المسطحات الخضراء داخل المدينة وخارجها والتى كان عددها حتى بداية القرن العشرين ٤٨٥ بستانا وهو مكان له تأثير .

تعدد اشكال شبكة الطرق من طريق (درب) وشارع وحارة وزقاق (لفظ عطفة لم تذكره المصادر) كل منها كان له وظيفة وغرض خاص ، فالشارع والطريق وصل عرضه الى اربعة امتار ويصل بين الابواب الرئيسية ومركز المدينة ، وتجمعت حوله الخدمات التجارية الهامة . الحارات ترواح عرضها بين ٢ – ٣ امتار واستعملت كحركة رئيسية داخل المناطق السكنية ووجد بها بعض الانشطة التجارية الخفيفة اما الزقاق فتراوح عرضه بين ١٫٥٠ – ٢ متر ولم تتواجد عليه اية أنشطة تجارية وقد يرجع نظام الشوارع المتعرجة والذى انتشر في المدينة الى اعطاء المشاه الفرصة للتجول البصرى وتقسيط المسافات واتاحة الفرصة للتأمل الهادىء وعدم الملل . كذلك وجدت الشوارع المغطاة للحماية من العوامل الجوية .

بالنسبة للخانات وهو ماشرع في المدن العربية فقد قل وجوده علما بأن أقدم ماعرفناه اقيم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ولعل وجود عدد كبير من الاربطة يوضح لنا انها قد استعملت كمكان لنزل القادمين للزيارات الدينية الطويلة او ان عددا من الدور السكنية كانت تستعمل لاستقبال النزلاء والزوار . اما الحمامات فقد وجد حمام داخل السور بالركن الجنوبي الشرقي للمدينة – ليس في مكان متوسط – ولكن في المنطقة السكنية – لذلك وجد حمام آخر خارج السور لخدمة الامتداد العمراني في الجهة الغربية الى الغرب من ساحة المناخة في العصر العثماني .

اعتمد المقياس الآدامي في التصميم ، فوجد الذراع والشبر والخطوة ، مما اوجد نسبا انسانية في التصميم العمراني للشوارع والمباني . فنجد ان العلاقة بين عرض الحارات وارتفاعات المباني وصلت الى ١ : ٣ ، ١ : ٤ ، مما اتاح ايجاد تهوية مناسبة مع الحماية من اشعة الشمس :

التراث المعمارى بالمدينة المنورة :

أما التراث المعمارى بالمدينة فقد توافرت به الخصائص التالية :-
احترام الوظيفة في المبني والتعبير عن ذلك بوضوح ، فاختلفت المباني السكنية عن مباني الخدمات مثل المدارس او الوكالات او الحمامات .

استعمال التشكيل الحر بالواجهات والتى ينتج عن تجميعها تنغيما وايقاعا منتظما مع استغلال التباين – الناتج من استعمال المسطحات المصمتة (الحوائط) والفتحات (الرواشن والمشربيات) .

الانتباه الى الداخل في التصميم بعمل احواش داخلية في المبنى وذلك لتوفير الظروف المناخية الملائمة . مع ملاءمة هذا التصميم للظروف الاجتماعية للمجتمع الاسلامي .

التجانس والتكامل في المظهر واللون باستعمال مواد طبيعية في الانشاء مثل الحجر البازلت والطوب الاسمر والخشب ، مما أوجد صورة مترابطة لواجهات المباني .

استعمال التشكيل الهندسي الذى ارتبط بوحدة متكررة في تصميم الرواشن والمشربيات .

تدرج خط القطاع الخارجي للمباني بحيث تنوعت طرق التشكيل البصرى للشوارع .

وجود انسياب رأسي وأفقي للفراغات داخل المباني وتغير الارتفاعات والمسطحات طبقا للوظيفة وعلى سبيل المثال في المباني السكنية الخاصة .

خاتمة :

ومن هذا نرى انه لابد من التعرف بدقة على خصائص المدن العربية للاستفادة منها في وضع التصميم الحضرى الجديد ، وهذا ليس بهدف تكرار النظم القديمة وانما لخلق طابع متطور يفي بحاجات الانسان في الحاضر والمستقبل ، لكي تواكب المدن العربية والعمارة التطور العلمي والتكنولوجي ، ولكي يوجد الاستمرارية في طابع المدينة ويوقظ روح الارتباط العاطفي بين السكان والمدينة .

ان الدين الاسلامي هو دين كل زمان وكل عصر ، ويفتح الباب باستمرار لكى تكون أحكامه مراكز نور تشرق بالغد الاكثر تطورا وملاءمة للنمو الانساني المستمر ، لأنه الدين المتجدد دائما عبر كل زمان ومكان والله ولي التوفيق .

ملاحظات

١ – المدينة المنورة : Enzyklopaedie des Uslam (Leiden 1913 - 34) 88 - 98 .

٢ – المعينين : كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب العربية (بيروت ١٩٧٧) (٧) ١٦ .

٣ – فليب حتى : تاريخ العرب (بيروت ١٩٧٤) (٥) ١٥٣ .

٤ – العمالقة : Encyclopaedia of Islam I (Leiden 1960)[2]429

٥ – فليب حتى : تاريخ العرب (بيروت ١٩٧٤)° ٩٩ – ١٠٠.

٦ – فليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (بيروت ١٩٥٨) ٣٧٠ .

غسان زكريا : النبي هزمهم فى خيبر وعمر بن الخطاب اخرجهم من الجزيرة (مجلة الحوادث اللبنانية عدد ١١٠٠ (الجمعة ٩ ديسمبر ١٩٧٧)٣٤) .

٧ – أطم كلمة عبرية وتعني حوائط بدون نوافذ من الخارج ، وبالعربية= بناء مرتفع . (ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب (القاهرة ١٩٢٧) ١١٦ – ٧) .

٨ – الاوس وتعنى هدية ، وهي اختصار اوس منات الآلة تحولوا الى الاسلام في زمن اوس الله .

هاجروا من اليمن تحت امرة عمرة مزيقيا واستقلوا تحت قيادة مالك بن عجلان الخزرجي من قبيلة سالم . حدثت مناوشات بين الاوس والخزرج فخرجت قبيلة عبد الاشهل وظفر بينما حل السلام بين عمرو بن عوف واوس منان 429 (Encycl . of Islam I (Ieiden 1960)

٩ – الخزرج : احد القبيلتين الرئيسيتين في المدينة ويشكلون قبل الاسلام مع الأوس قبيلة بنى قبلة (Encycl. of Islam IV (Leiden 1978[2]) 1187

١٠ – الانصار : ورد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة ٩ (التوبة) آية ١٠٠ ، ١١٧، (Encycl . of Islam I (Leiden 1960[2] 5T4 - 5)

١١ – نبوخذ نصر : احد ملوك البابلي الاخير ، حكم لمدة ٤٣ عاما (٦٠٥ – ٥٦٢ ق . م) .

فرج بعجمي : كنوز المتحف العراقي (بغداد ١٩٧٢) ٥٨ – ٥٩.

١٢ – ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب (القاهرة ١٩٢٧) ٣٩.

١٣ – فليب حتى : تاريخ العرب (بيروت ١٩٧٤)° ١٦٧ .

١٤ – اول المحرم ١ هـ = الجمعة ١٦ يوليو ٦٢٢ م .

توفي الرسول ١٣ ربيع اول ١١ هـ/ ٨ يونية ، ٦٣ م .

١٥ – مونتجمرى وات : محمد في المدينة (بيروت بدون تاريخ) ١٦ – ٢٢.

Encycl . of islam I (Leiden 1960)[2] 867 - 8.

١٦ – ولفنسون : تاريخ اليهود في الجزيرة العربية (القاهرة ١٩٢٧) ١٢٨ ، ١٣٣ .

١٧ – ولفنسون : تاريخ اليهود في الجزيرة العربية (القاهرة ١٩٢٧) ١٨٣ ، يدّعي المؤلف

بوجود اسر يهودية بوادى القرى الى القرن الحادى عشر الميلادى وكذلك قلة منهم في جهات تيماء في القرن الثاني عشر الميلادى .

Creswell : Early Muslim Architecture I (Oxford 1969)[2] 22ff., 46ff

١٩ – مونتجمرى وات : محمد في المدينة (بيروت بدون تاريخ) ١٦ ، ٦٩ ، ٧٧.

٢٠ – محمد الخطراوى : مجلة الفيصل ، العدد السادس (الرياض – السنة الاولى ١٣٩٧ هـ) ٥٧ .

٢١ – Creswell Early Muslim Architecture I (Oxford 1969)^2 15.

٢٢ – Encycl . of Islam III (Ieiden 1971)^2 607 - 15.

٢٤ – فليب حتى : تاريخ العرب (بيروت ١٩٧٤)^٥ ١٤٩ – ٥١ .

٢٥ – البتانوني (البتنوني) : الرحلة الحجازية (القاهرة ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م) ٢٦١ . توفي البتانوني عام ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م (الزركلي : قاموس تراجم الاعلام ، جزء ٧ (بيروت ١٩٧٩) ١٥) .

٢٦ – ولد عبدالله في ذى القعدة ٢ هـ/ مايو ٦٢٤ ، قتل في معركة الامويين في ١٧ جمادى اول (الثاني) ٧٣ هـ/ ١٤ اكتوبر (٣ نوفمبر) ٦٩٢ م .

(Encycl . of Islam I (Leiden 1906) 5) .

٢٧ – Creswell: Early Muslim Architecture I (Oxford 1969)^{2}11.

٢٨ – فليب حتى : تاريخ العرب (بيروت ١٩٧٤)^٥ ٢٥١ – ٥٢.

٢٩ – يفيد السمهودى نقلا عن ابن زَبالة وابن شَبّة ، ان ابتداء البناء على ارض السوق السابقة في المناخة بدأ في عهد معاوية ثم اقام هشام بن عبد الملك دارا اتخذبها السوق كله ، جعل الطابق السفلي منها دكاكين والطوابق العليا مساكن (السمهودى : وفاء الوفاء ، جزء ٢ (بيروت ١٩٧١) ٧٥٠ – ٥٣) .

٣٠ – توفي عيسى بن موسى في عام ١٦٧ هـ/ ٧٨٣ – ٤م
(Encycl . of Islam IY (Leiden 1978)^2 88).

٣١ – بنو هلال : Encycl . of Islam III (Leiden 1971)^2 385 - 70

٣٢ – اسحق بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب ، ذكر في كل المصادر الجعدى ولعلها الجعفرى . كان اميرا على المدينة لحين وفاته عام ٢٦٦ هـ/ ٨٧٩ – ٨٠ م وتولى بعده اخوه موسى . وقد كثرت في المدينة الفتن الى ان استقرت الامارة لبني الحسين بن علي (احمد البرادعي : المدينة المنورة عبر التاريخ الاسلامي (١٩٧٢) ١٠٨.

٣٣ – السمهودى : خلاصة الوفاء (القاهرة ١٣٦٧ هـ) ٢٥٤ .

٣٤ – اسمه فناخسرو وكنيته ابو شجاع ، وهو ابن الحسن بن بويه . تولى السلطة في فارس وخوزيستان من قبل عمه عماد الدولة البويهي عام ٣٣٨ هـ/ ٩٤٩ – ٥٠ م . اصبح امير الامراء في ١٨ شوال ٣٦٧ هـ/ ٢٩ مايو ٩٧٨ م وخضعت لحكمه العراق والشام . اول من خوطب بلقب ملك في الاسلام . بني البيمارستان العضدى بجانب الكوخ من بغداد ، كما اقام مرقد الامام علي بن ابي طالب قرب الكوفة . توفي في ٨ شوال ٣٧٢ هـ/ ٢٦ مارس ٩٨٣ م ببغداد ودفن بها ثم نقل ودفن في مشهد الامام علي . (زامباور معجم الانساب والاسر الحاكمة (القاهرة ١٩٥١) ٣٢٢ – ٤ ، ٣٢٧ ؛ ايتنكهاوزن : فن التصوير عند العرب (بغداد ١٩٧٣) ٢٠٢ ملحوظة ٥٨ .

٣٥ – السمهودى : خلاصة الوفاء (القاهرة ١٣٦٧ هـ) ٢٥٤ .

٣٦ – المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، الجزء الثالث (ليدن ١٩٠٩) ٨٠ – ٨١ز

٣٧ – كان هذا الباب يؤدى الى مايعرف بدرب جهينة ، وهي المسافة بين الباب وحصن امير المدينة – السمهودى : وفاء الوفاء الجزء الثالث (بيروت ١٩٧١)^٢ ٨٥٦ كما أن المؤرخ العباسى من القرن العاشر الهجرى يشير الى درب جهينة بأنه هو الناجية المعروفة في زمنه بباب الكومة ويؤدى الى العقيق وقباء – حيث يوجد جامع جهينة (احمد العباسي : عمدة الاخبار (السعودية بدون تاريخ)^٥ ١٤٥ ، ١٩٣ .

ويفيد الانصارى بأن الحصن اقامه امير المدينة ابن شيخة في القرن السابع الهجرى وقد اقيم في مكانه بعد ذلك القلعة العثمانية في عهد السلطان سليمان . (الانصارى : آثار المدينة المنورة (١٣٨٣ هـ) ٢٦) . وباب جهينة نسبة الى جهينة بن زيد بن ليث (الزركلي : قاموس تراجم الاعلام ، الجزء الثانى (القاهرة ١٩٥٤ – ٥٩) ١٤٠) .

٣٨ – الجواد الاصفهاني (الاصفهاني) . وزير في عهد الاتابك زنكي ابن اقسنقر صاحب الموصل . ولى نصيبين ثم ولى الاشراف على المملكة كلها . تولى الوزارة في عهد سيف الدين غازى قبض عليه قطب الدين مودود عام ٥٥٨ هـ ١١٦٣ م وسجن بقلعة الموصل حتى مات عام ٥٥٩ هـ/ ١١٦٤ م ونقل الى المدينة حيث دفن في رباط اقامه لنفسه في البقيع . الزركلى : قاموس تراجم الاعلام الجزء السادس (بيروت (١٩٧٩) ٢٧٨ .

٣٩ – السمهودى خلاصة الوفاء (القاهرة ١٣٦٧ هـ) ٢٥٤ ؛ احمد العباسي : عمدة الاخبار (السعودية بدون تاريخ)^٥ ١٤٢ – ٤٧ ؛ علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة (المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ) ٣. يعطى علي حافظ عام ٥٠٠ هـ بدلا من ٥٤٠ هـ وهو غير حقيقي لأن دولة الاتابكة قامت في عام ٥٢٠ هـ .

٤٠ – السمهودى : خلاصة الوفاء (القاهرة ١٣٦٧ هـ) ٢٥٥ ؛ احمد العباسي عمدة الاخبار (السعودية بدون تاريخ)^٥ ١٤٥ – ٤٧ ؛ علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة (المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ)٣٠ ولكنه يعطي عام ٥٥٧ هـ بدلا من عام ٥٥٨ هـ علما بأن التاريخ الثاني هو الاصح طبقا للنص التاريخي الذى نشره السمهودى .

٤١ – Elisseéff, N. : Les monuments de Nur ad - Din, BEO, XIII, 5 - 43.

٤٢ – Esin, N. : Mecca and madinah (Italy 1974)^2 159 .

٤٣ – رحلة ابن جبير (بيروت ١٩٦٨) ١٥٦ – ٥٧ .

٤٤ – جاستون قيت : القاهرة مدينة الفن والتجارة (بيروت ١٩٦٨ – ٧١ ، ٧٢ الفاطمي في جزيرة العرب (القاهرة ١٩٥٧) ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٦.

٤٥أ – المطرى (محمد جمال الدين بن احمد) : التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة . (مخطوط القاهرة دار الكتب ، تاريخ ٥٦٤)

٤٥ ب – المراغي (ابو بكر بن الحسن بن عمر) : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة .

(مخطوط ، القاهرة ، دار الكتب ، تاريخ ٥٩ ، ١٦٤١) .

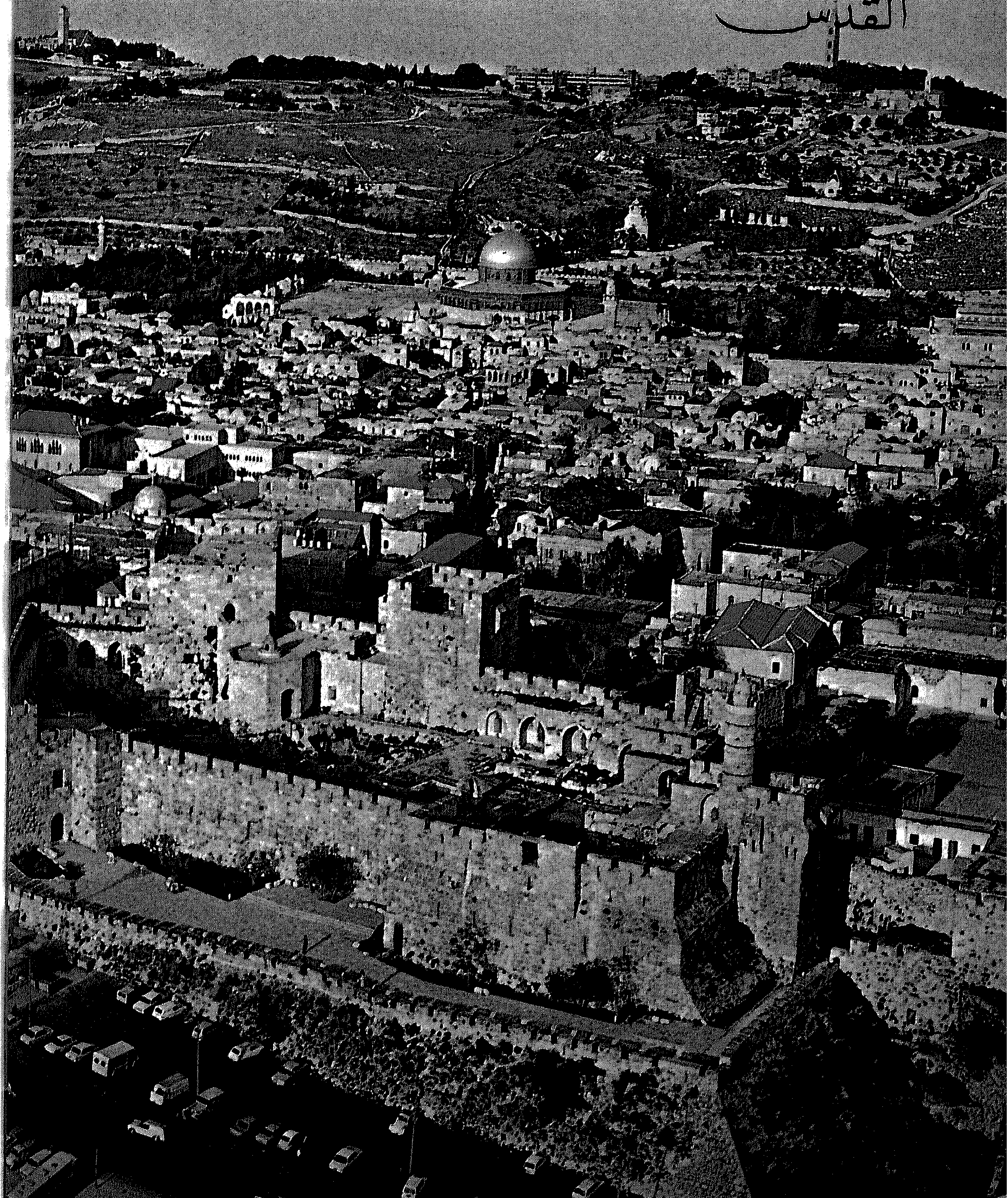
٤٦ – احمد العباس : عمدة الاخبار (السعودية بدون تاريخ)[5] ١٤٥ –
٤٧ ؛ على حافظ : فصول من تاريخ المدينة (المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ)
٣٠. ماذكره الخطراوى في مجلة الفيصل بأن الصالح بن قرووت اقام سورا آخرا للمدينة غير صحيح والحقيقة انه اقام باصلاحات في السور فقط (الخطراوى : في مجلة الفيصل ، العدد السادس (الرياض ، السنة الاولى ١٣٩٧ هـ) .

الصلح صلاح الدين بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، سلطان مملوكي بحرى حكم مصر بين عامي ٧٥٢ – ٥٥ هـ/ ٣٥١ – ٥٤ م (زامباور : معجم الانساب (القاهرة ١٩٥١) ١٦٣) .
٤٧ – ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاعرة (١٣٤٨ هـ) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور (بولاق ١٣١١ – ١٤ هـ) .
٤٨ – Sauvaget. J. Ia Mosquee omeyyade Medine (paris 1947) 27 - 9.
٤٩ – الذراع في فترة القرن الخامس عشر (العصر المملوكي الجركسي في مصر) حوالى ٧٠ سم . عن القياسيات
Hinz, W. : Islamische Masse und Gewichte, umgerechnet ins metrische Systeme. Handbuch der Orientalistik : Erganzungsband I, Heft I, (Leiden 1955) .

٥٠ – ولد قايتباى في عام ٨٢٦ هـ/ ١٤٢٣ م . خدم عند السلطان الظاهر جقمق واعتقه . ترق في خدمة الدولة حتى وصل وظيفة اتابك . بويع بالسلطنة ٣ رجب ٨٧٢/ ٢٨ يناير ١٤٦٨ . له العديد من المنشآت في مصر والشام والحجاز . ظل في السلطنة لحين وفاته في ٢٧ ذى القعدة ٩٠١ هـ/ ٧ أغسطس ١٤٩٦ م (حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ، جزء اول القاهرة ١٩٤٦) ٢٥٠ – ٥١) عن اعمال قايتباى في المدينة المنورة (السمهودى ، وفاء الوفاء ٢ (بيروت ١٩٧١) ٦١٨ ، ٦٤٣ – ٤٠
٥١ – المدرسة اقامها الخواجا (لفظ يطلق على كبار التجار) شمس الدين (الشمسي) بن الزمن . ارسل لعمارة الحرم في رمضان ٨٨٦ هـ/ ٢٤ مايو – ٢٣ يونية ١٤٨١ . (ابن اياس : بدائع الزهور ، الجزء الثالث (القاهرة ١٩٦٢) ١٤٥ ، ١٧٠ ، ١٩٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٩٤ .

٥٢ – السلطان سليمان (Encycl . of Islam IV (Leiden 1934
٥٣ – السلطان محمود الثاني - Encycl . of Islam III (Leiden 1936) 125 8.
٥٤ – السلطان عبد المجيد الاول - Encycl . of Islam I (Leiden 1960)[2] 74 5
٥٥ – السلطان عبد الحميد الثاني Encycl . of Islam I (Ieiden 1960)[2] 63 - 5
٥٦ – عمر بن خضر الرومي : التحفة اللطيفة في عمارة المسجد وسور المدينة الشريفة .
(نشر محمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة (الرياض ١٩٧٢) ٨٥ – ٩٢) .
٥٦أ – Otto Baumhauer Aus der Reisebeschreibung des Johann Wild, Mekka und Medinah. Dokumente zur Entdeckungsgeschte Bd . I (Stuttgart 1965) 67 - 62.
٥٦ب – Encycl . of Islam I (Leiden 1960)[2] 267 - 8
٥٦ جـ Niebuhr, G. : Beschreibung von Arabia (Austria 1969) 371.
٥٧ – Burckhard, J. : Travels in Arabia (London 1968) 317 - 97

٥٨ – Burton, R. : Personal Narrative of a pilgrimage to al - Madinah& Meccah, 2 vol. (London 1907)[3] 285 - 395 .
٥٩ – علي بن موسى : رسالة في وصف المدينة (مخطوطة – دار الكتب المصرية/ تاريخ ١٦٩٠ ، ١٦٤٤) . نشر حمد الجاسر : رسائل في تخطيط المدينة (الرياض ١٩٧٢) ٣ – ٨١
٦٠ – ابراهيم رفعت مرآة الحرمين الجزء الاول (دار الكتب ١٣٤٤ هـ) ٨٢ – ٤٠٧ ، الجزء الثاني ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، كان اميرا لبعثة الحج اربع مرات :
٣١٨ هـ/ ١٩٠١ م – ١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٣ ، ١٣٢١ هـ/ ١٩٠٤ ، ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٨ م .
توفي عام ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥ م . (الزركلي : قاموس تراجم الاعلام ، جزء ١ (بيروت ١٩٧٩)[٤] ٢٩) .
٦١ – محمد لبيب البتانوني : الرحلة الحجازية (القاهرة ١٣٢٩ هـ)[٢] ٢٣٠ – ٦٥
توفي عام ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م (الزركلي : قاموس تراجم الاعلام جزء ٧ (بيروت ١٩٧٩)[٤] ١٥) .
٦٢ – Wavell : A modern Pilgrim in Mecca (London 1912)
٦٣ – فليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين – الجزء الثاني (بيروت ١٩٧٢)[٢] ٣٤٩ .
٦٤ – Moritz, B, : Bilder aus Palastina, Nord Arabien und dem Sinai (Reimer, Berlin 1916)10.
٦٥ – روبرت ماثيو : الاستراتيجيات البديلة للمدن – المدينة المنورة (لندن – ١٩٧٢)
٢٦ لم يبين المؤلف مصادر هذه المعلومة ولكن يمكن اعتبار الرقم صحيحا بمقارنته بالارقام عن الاعوام السابقة لهذا التاريخ .
٦٦ – . Esin, E. : Mecca and Medinah (Italy 1974)[2] 186 - 93
٦٧ – علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة (المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ)
٦٨ – Rutter,E. : The holy Cities of Arabia (London 1930 - 32)[2] 496 - 576 .
Philby, H.St J-B : A Pilgrim in Arabia london)[2] 50 - 91


القدس

الحرم الشريف خلال فترة الاحتلال الاسرائيلي

رائف يوسف نجم

مقدمـــة :

هذا البحث يحكى قصة المسجد الاقصى الاسير في مرحلة زمنية محدودة مدتها ثلاثة عشر عاما عجافا من تاريخ القدس الشريف . انه يتعلق بمرحلة زمنيه تبعت الماضى الغني بالتراث والحضارة الاسلامية وسيلحقها المستقبل المشرق بالامل ان شاء الله . وثقت وقائعها من بصمات الاحتلال الاسرائيلى البغيض الحاقد على الاسلام والمسليمن ، ومن فصول الرواية الدرامية التي اخرجوها ومثلوها ، ومن الاحداث اليومية التي كانت تجرى هناك من حفريات وهدم ونسف وحرق وطرد للسكان العرب وتدمير للآثار الاسلامية ووضع العراقيل لتعطيل المحافظة عليها .

لم تستند معلومات هذا البحث على مراجع نشرت سابقا ، بل هي توثيق من الطبيعة لاحداث مرحلة زمنية حديثة من تاريخ الحرم الشريف والتراث الاسلامي فيه جُمعت من خلال علاقتى الرسمية والفعلية كعضو في لجنة اعمار المسجد الاقصى والصخرة المشرفة منذ الاحتلال الاسرائيلى عام ١٩٦٧ والى اليوم . فقد عاصرت هذه الاحداث بكاملها وشاهدتها وعملت مع زملاء لي لازالة اثار الحريق ولترميم الاثار وللمحافظة على التراث الاسلامي والمنطقة المحيطة به .

ان هذا البحث يشتمل على ملخص للاحداث التي ألمت بالحرم الشريف والاعمال الهندسية الموثقة بالصورة والشرائح الملونة والتى قام بها جهاز الاعمار الذى مازال على رأس عمله بواجهة في جو مكفهر يغلب عليه القلق والاضطراب النفسى والضغوط الاجتماعية والاقتصادية التي يمارسها الاسرائيليون ضد العرب . والأمل بالله عظيم لكي يوفقنا الى انجاز مهمتنا هذه للاحتفاظ بالحرم الشريف رمزا اسلاميا مشرقا ابد الدهر فاتحا ذراعية لاستقبال المصلين من جميع انحاء المعمورة صامدا ضد ما يخططة له اعداء الاسلام من المشرق والمغرب وسيبقى الاقصى شامخا ما بقى المسلمون يقرأون :

بسم الله الرحمن الرحيم « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » صدق الله العظيم .



ان تاريخ الحرم الشريف وما ألم به من احداث خلال فترة ثلاث عشرة سنة من الاحتلال الاسرائيلي الاسود يحتاج الى مجلدات عديدة ، ولكنى سأوجز هذا البحث ليشمل الاحداث التالية :-

هدم ومصادرة الاملاك العربية القديمة حول الحرم الشريف لازالة معالم الحضارة العمرانية الاسلامية وطرد السكان العرب منها بغية السير فى تهويد مدينة القدس القديمة المقدسة .

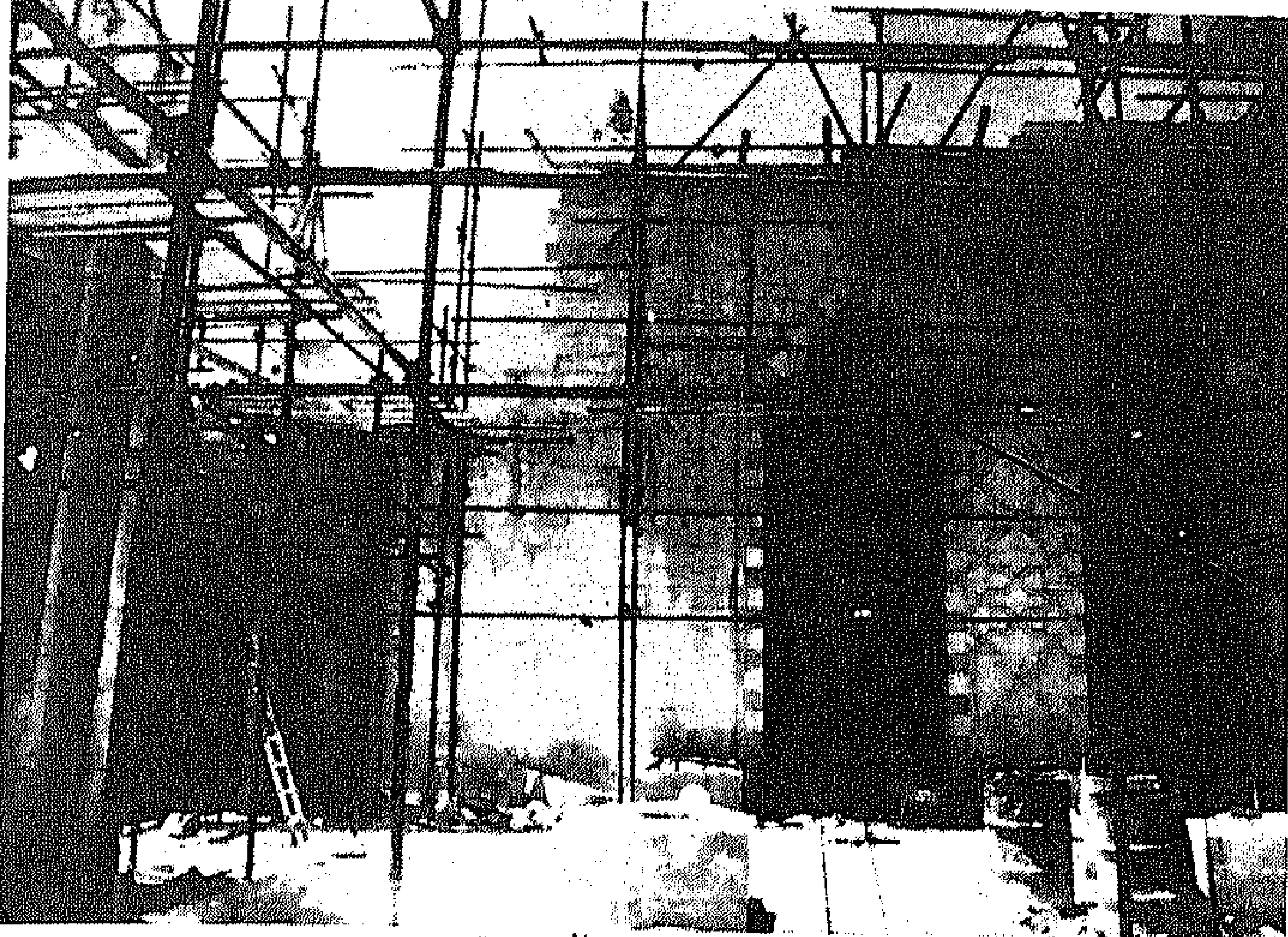
- الحفريات الاسرائيلية حول الحرم الشريف وهدف الاسرائيليين منها .

- حرق المسجد الاقصى المبارك من قبل الاسرائيليين مع سبق الاصرار والتعمد .

- اعمار المسجد الاقصى المبارك من قبل حكومة المملكة الاردنية الهاشمية والاثار الاسلامية الاخرى ضمن الحرم الشريف .

- مسح وتوثيق الابنية الاثرية الغنية بالعمارة الإسلامية حول الحرم الشريف لاثبات وجودها واعمارها .

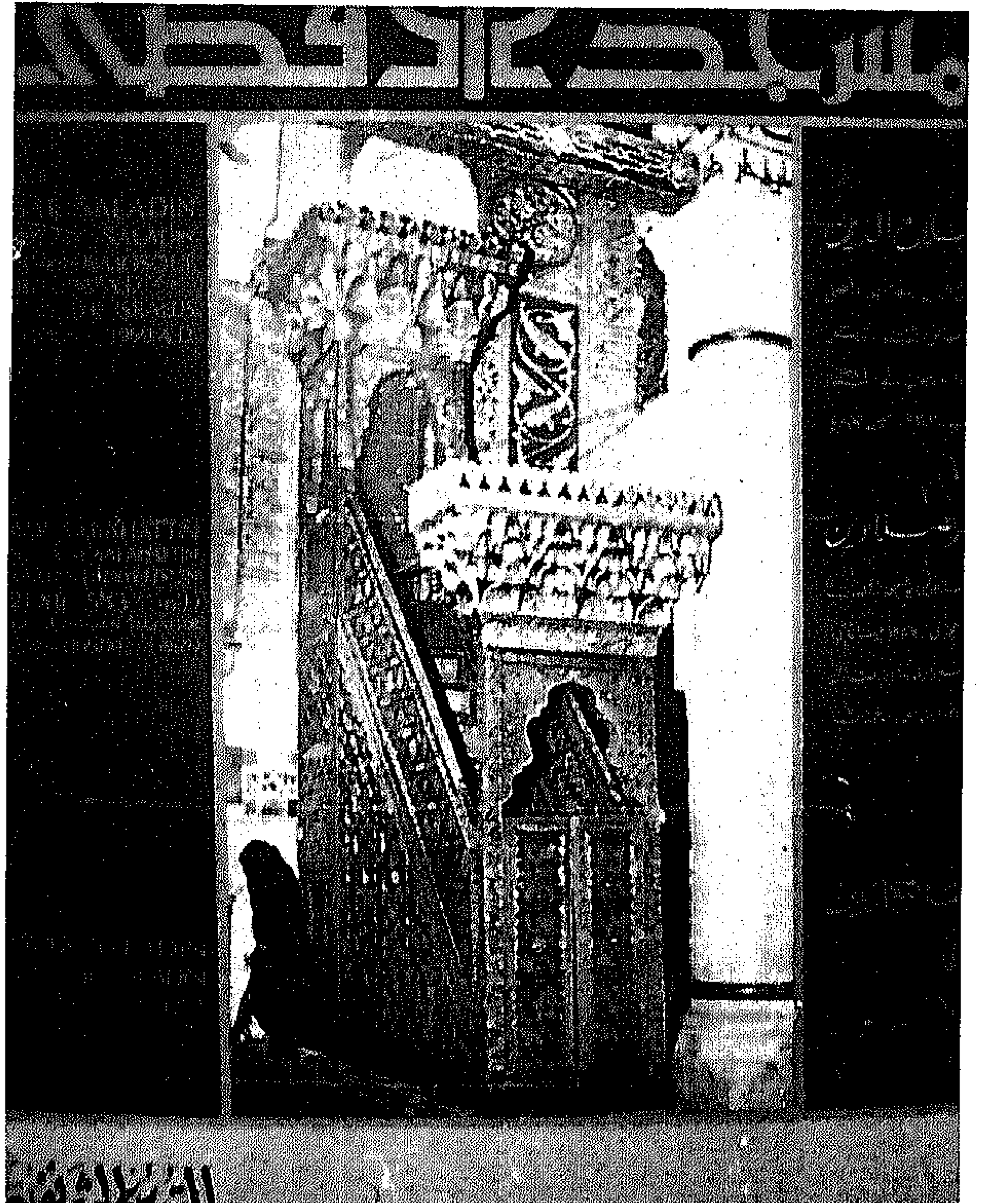
- التنظيم الاسرائيلي .



١٩٩ اعمار المسجد الاقصى بعد الحريق



٢٠٠ الاثار الاسلامية التي اكتشفها الاسرائيليون بالحفريات



١٩٨ منبر صلاح الدين قبل الحريق - القدس



٢٠١ آثار منبر صلاح الدين بعد الحريق - القدس

الحرم الشريف :
هو المكان الذى يقدسة المسلمون داخل القدس القديمة ويقع على جبل (سوريا) وتبلغ مساحته حوالى ٥٠٠×٣٠٠م٢ .

المسجد الاقصى : وهو اكثرها تقديسا بسبب علاقته الوطيدة باسراء النبى محمد ﷺ من مكة الى القدس أو أكثر تخصيصا من الكعبة المشرفة الى المسجد الأقصى في ليلة واحده . قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم
« سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير . »

قبة الصخرة المشرفة : وهى ثمنة البناء فوق صخرة المعراج التى عرّج منها النبي محمد ﷺ الى السماء في نفس ليلة الاسراء .

حائط البراق : وهو الجزء الجنوبي من جدار الحرم الشريف ويبلغ طوله حوالي ٥٠م وأرتفاعة ٢٠م ويعد من الاملاك الاسلامية لانه يشكل جزءا من الحرم الشريف وله علاقة وطيدة باسراء النبي عليه الصلاة والسلام .

ان ملكية هذا الجدار الاسلامية قد ايدها تقرير هيئة عالمية شكلت في زمن الانتداب البريطانى على فلسطين وقدمت تقريرا بذلك سنة ١٩٣٠م واعيد نشر هذا التقرير بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٦٨م بعد الاحتلال الاسرائيلى للقدس تحت رقم (S 18427) . ورغم ان اليهود لا يملكون أى حق قانونى لهذا الحائط الا ان سماحة المسلمين سمحت لليهود بزيارة هذا الحائط والبكاء خلفه ، ومن هنا اطلقوا عليه « حائط المبكى » بينما اسمه الحقيقي هو حائط البراق .

يدعي اليهود بأن هذا الجدار هو الجدار الخارجي لهيكل سليمان الذى رممه هيرود سنة ١١ ق.م ولكن نسوا ان طيطس قد هدمه سنة ٧٠م وجاء بعده هدريان وازال آثاره بالكامل وأصبح مكانه قاعا مستويا . ولو كان هناك مثل هذا الهيكل المزعوم فانه كان قد انشىء في موقع بين الحرم الشريف وقرية سلوان ثم ازيل بالكامل .

هدم ومصادرة الاملاك العربية حول الحرم الشريف :
وضع الاسرائيليون خطة لهدم الابنية العربية ومصادرة احياء كاملة حول الحرم الشريف ونفذوا هذه الخطة مباشرة بعد الاحتلال وفي اربع مراحل :

أولا : نفذت المرحلة الاولى بتاريخ ١٩٦٧/٦/١١ أى بعد اربعة أيام فقط من احتلال القدس حيث هدموا الابنية الآتية : –

– ١٣٥ بيتا في حارة المغاربة العربية والتي كان يسكنها ٦٥٠ عربيا .
– جامعين في حارة المغاربة .
– مصنع بلاستيك قرب الحي الارمنى والذى كان يعمل فيه ٢٠٠ عامل عربى .

ثانيا المرحلة الثانية بتاريخ ١٩٦٨/٤/١٤ حيث اصدر وزير المالية الاسرائيلي أوامره بمصادرة مساحة ملاصقة للحرم الشريف واعتبارها املاكا اسرائيلية وكانت هذه المساحة تشتمل هذه المساحة على ما يلى : –

– ٥٩٥ مبنى اشتملت على ١٠٤٨ بيتا عربيا و ٤٣٧ دكانا عربيه و٥ مساجد و٤ مدارس عربية ومركزين ثقافيين اسلاميين (زاوية ابو مدين الغوث وزاوية الفخرية) . وسوق الباشورا التاريخية وبوابة السلسلة

وكان يسكن في هذه الابنية حوالي ٦٠٠٠ عربي اجبروا على مغادرة بيوتهم قسرا وعنوة بواسطة السلطات الاسرائيلية عن طريق الضغوط الاقتصادية أو قطع الماء عن بيوتهم أو تعطيل شبكة المجارى العامة أو نسف البيت .

ثالثا نفذت المرحلة الثالثة بتاريخ ١٩٦٩/٦/١٤ حيث هدمت السلطات الاسرائيلية ١٤ مبنى تاريخيا اسلاميا بواسطة البلدوزر بحجة التمكن من استمرار اعمال الحفريات الاثرية تحت هذه الابنية الموازية لجدار الحرم الشريف الغربي . كان احد هذه الابنية مسجدا وآخر مركزا ثقافيا . وقد اخرج من جراء هذا الهدم ١٠٠٠ عربي من مساكنهم وطردوا خارج البلدة القديمة .

رابعا : نفذت المرحلة الرابعة بتاريخ ١٩٦٩/٦/٢٠ حيث صادرت السلطات الاسرائيلية ١٧ مبنى عربيا كان احدها المدرسة التنكيزية التاريخية ومعظم هذه الابنية يقع غربى الحرم الشريف . وكان الهدف من هذه المصادرة مكملا للهدف السابق وهو الاستمرار في الحفريات الاسرائيلية الاثرية دون معارضة السكان .

على اثر هذه التصرفات من قبل الاسرائيليين قال اللورد كارادون فى احد اجتماعاته مع تدى كوليك رئيس بلدية القدس اليهودى ان القدس لن تنعم بالسلام الذى يشتاق له الجميع اذا كانت السلطات الاسرائيلية تقوم بهدم ومصادرة الابينة العربية وتطرد سكانها العرب وتستبدلهم بالسكان اليهود .

قرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن :
بعد احتلال شرق القدس في أوائل حزيران سنة ١٩٦٧ من قبل السلطات الاسرائيلية اصدرت هيئة الأمم قرارا رقم ٢٢٥٣ بتاريخ ١٩٦٧/٧/١٤ نصى على ما يلي :

« ان هيئة الامم معنية جدا بالتغييرات التي طرأت على القدس بعد الاحتلال ومحاولة اسرائيل تغيير معالم القدس ، ولهذا فهي تطلب من الحكومة الاسرائيلية الآتى :

- الغاء جميع التغيرات التي نفذتها حكومة اسرائيل .
- عدم قيام اسرائيل باجراء أي تغيير في القدس .

وقد اكدت هيئة الأمم هذا القرار مرارا وتكرارا فيما بعد وكذلك مجلس الأمن ، الا ان اسرائيل اهملت هذا القرارا ورفضته كعادتها في رفض جميع القرارات التي لا تعجبها .

الحفريات الاسرائيلية حول الحرم الشريف :

منذ منتصف القرن التاسع عشر ، حيث بوشر لأول مرة البحث عن الآثار في فلسطين ، كان الحرم الشريف والقدس أهم ما جذب علماء الآثار . ورغم ان عديدا من التحريات قد جرت خلال المائة عام الماضية الا ان النتيجة كانت اعلانا عن اكتشافات ومعتقدات متضاربة ومختلطة بانطباعات وأفكار خاطئة لان تلك الابحاث كانت مقرونة بفرضيات خيالية وغير دقيقة .

وفي عام ١٩٦٨ بعد احتلال السلطات الاسرائيلية للقدس بدأوا بالحفريات حول الحرم الشريف معلنين ان الهدف من تلك الحفريات كان للوصول الى معلومات عن تاريخ القدس خلال العصور القديمة وما كان يجرى فيها ولكن حقيقة تلك الحفريات كانت للتفتيش عن أى أثر لهيكل سليمان الذى ادعى الاسرائيليون انه كان مشيدا فى نفس موقع الحرم الشريف جهز الاسرائيليون فريقين لهذه الحفريات :

الفريق الأول مولته الجامعة العبرية وكان برئاسة الاستاذ مازار من الجامعة نفسها .

باشر هذا الفريق عمله بالحفر في الزاوية الجنوبية الغربية خارج الحرم الشريف وتحت المتحف الاسلامي وامتد شرقا بمحاذاة الجدار الجنوبي للحرم الشريف وشمالا بمحاذاة الجدار الغربي للحرم الشريف حتى وصل الى باب المغاربة .

الفريق الثاني كان ممثلا ببعض الاحزاب الدينية المتعصبة من اليهود وباشر عمله بالحفر تحت المدرسة التنكيزية والتي تم احتلالها مسبقا من قبل القوات الاسرائيلية .

وصلت هذه الحفريات الى عمق ١٥ مترا تحت سطح الارض الطبيعية ثم سارت شمالا بشكل خندق ارتفاعة ٢,٥٠ متر وبعرض متفاوت . امتد هذا الخندق لمسافة ١٧٥ مترا شمال حائط البراق تحت البنية الاسلامية التاريخية والأثرية والمنشأة على محاذاة الجدار الغربي للحرم الشريف وتسببت في تشقيق بعضها وهبوط البعض الآخر لتخلخل التربة تحتها من جراء الحفريات ومن جملة الابنية التي تضررت بسبب هذه الحفريات دار الشهابي ورباط الكرد والمدرسة العثمانية . وقد سمحت السلطات الاسرائيلية للفرق الدينية اليهودية المتعصبة بزيارة هذا الخندق والصلاة في داخله .

لم تكن نتيجة هذه الحفريات مرضية للاسرائيليين اذ لم يجدوا أى أثر لهيكل الملك سليمان ، وكل ما وجدوه كان اثارا اسلامية من العصر الأموى واثارا أخرى من العصر البيزنطى أو اثارا رومانية ، كما وجدوا بعض قطع الفخار المكسورة وقطعتي نقود صغيرة سكها الثائر اليهودى المدعو (باركوخبا) تحمل رمزا لأربعة اعمدة وبوابة لتدل على شكل مدخل هيكل سليمان .

رغم هذه النتيجة فقد وضع الاسرائيليون تفاصيل تصميم هيكل الملك سليمان حسب فرضيات خيالية ووضعوا مواصفات فنية متكاملة لانشاء هذا الهيكل ، وقالوا ان موقعه هو في نفس موقع المسجد الأقصى ثم غيروا رأيهم وقالوا انه مكان مبنى قبة الصخرة المشرفة ، وان صخرة المعراج المشرفة هى حجر الاساس لهذا الهيكل . والقصد من كل ذلك هو هدم الأماكن المقدسة الاسلامية وانشاء الهيكل المزعوم مكانها .

ان هذه الحفريات الاثرية التي قام بها الاسرائيليون ، بعكس ما كانوا يأملون ، لم تعطهم أى برهان عن وجود هيكل الملك سليمان في هذا الموقع ، وعلى العكس من ذلك فقد أضرت بالابنية الاسلامية الاثرية والغنية بالعمارة الاسلامية والفن الاسلامي والتي تم هدم بعضها بالجرافات وتشقق البعض الآخر وأصبح فى وضع خطير يتطلب الترميم العاجل للحفاظ على هذه الآثار التاريخية .



٢٠٢ حارة المغاربة قبل ان يهدمها الاسرائيليون



٢٠٣ حارة المغاربة بعد هدمها

حريق المسجد الأقصى المبارك :

قبل حريق المسجد الاقصى ببضعة أيام رتب الاسرائيليون مظاهرة عدائية للمسلمين أمام ابواب المسجد الاقصى في داخل الحرم الشريف وكان اليهود فيها يهتفون بشعارات عدائية . وبتاريخ ٢١ آب من عام ١٩٦٩ أعلنت السلطات الاسرائيلية رسميا ان شخصا مختل العقل اسمه (روهان) قد احرق المسجد الأقصى ، ان حقيقة هذا الحريق كانت مختلفة عما اعلنه الاسرائيليون .

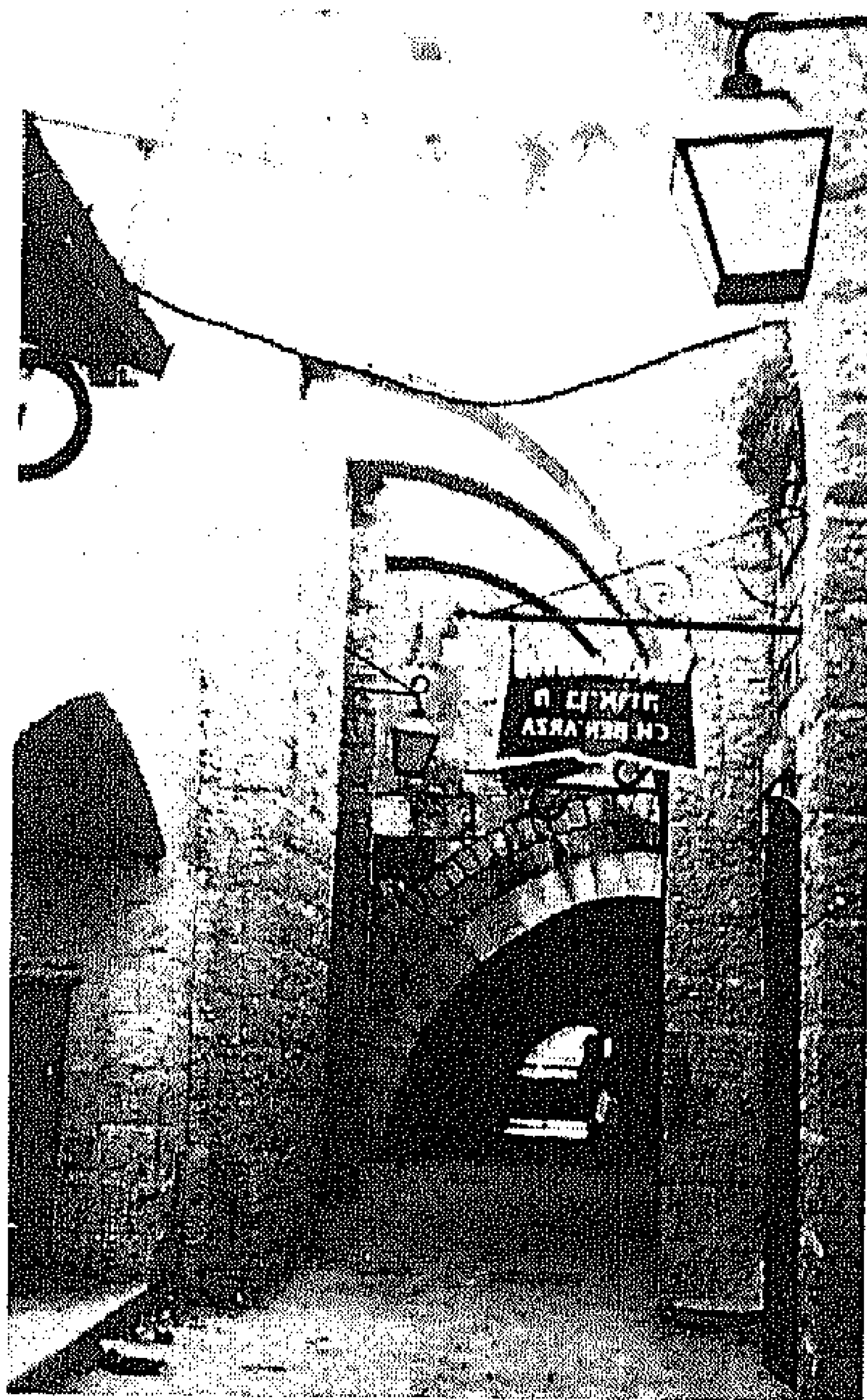
لقد شب الحريق في نفس الوقت في ثلاثة مواضع :

الموضع الاول كان في مسجد عمر الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الاقصى . والموضع الثانى كان في وسط الجدار الجنوبي وفي منبر صلاح الدين بالذات . والموضع الثالث كان في الشباك الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد الاقصى ، وهذا الشباك يرتفع ١٥ مترا فوق ارضية المسجد ويصعب الوصول اليه من الداخل وهذا بالتالى يدل على ان هناك شخصا من الخارج قد ساعد روهان في هذا الحريق .

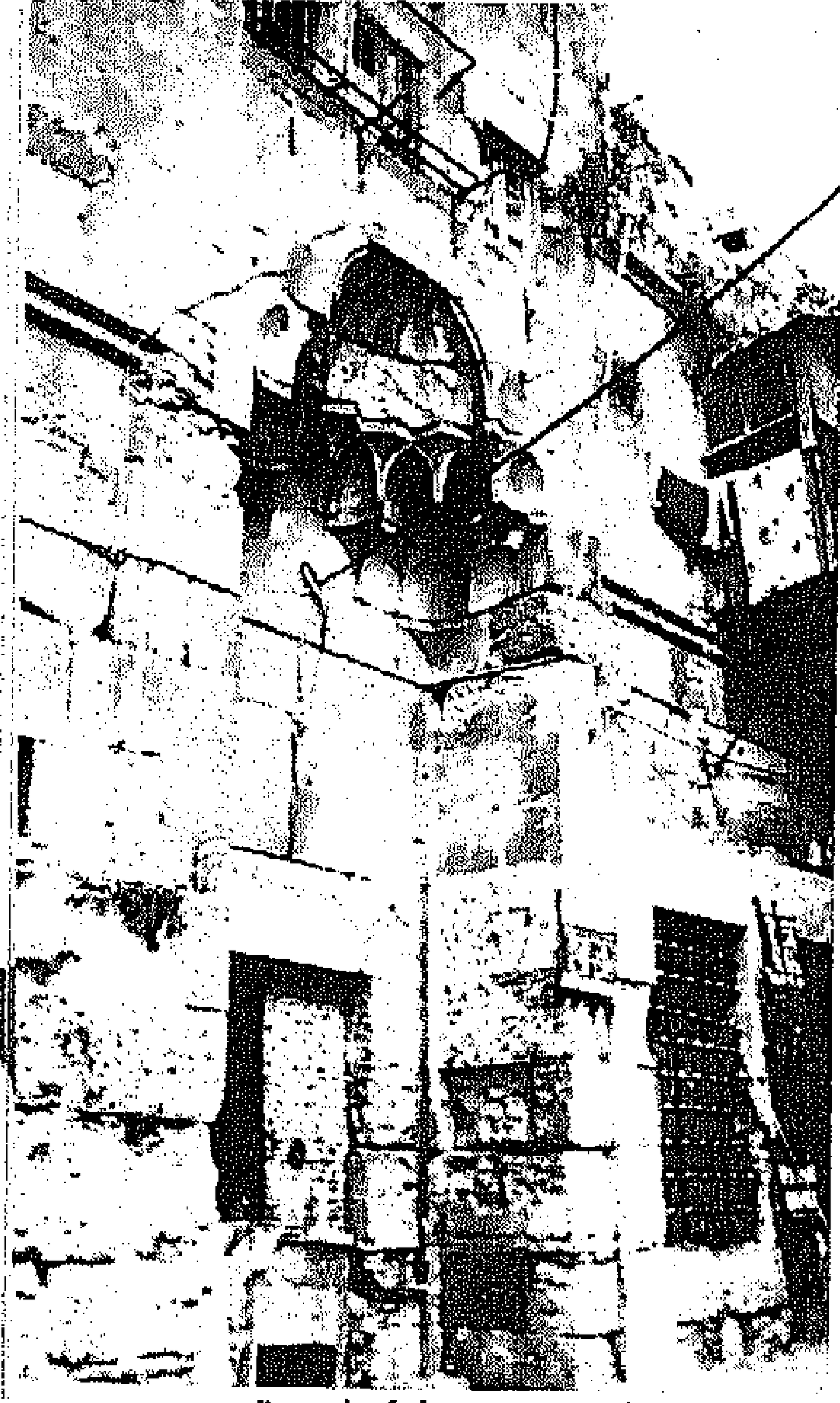
كان يعتقد الاسرائيليون ان الحريق في المواضع الثلاثة سوف يتصل مع بعضه البعض ويدمر الواجهة الجنوبية كلها ومن ثم يمتد شمالا ليأكل جميع المسجد ، الا ان الاسرائيليين لم يكونوا محظوظين تماما لان النار في الشباك المرتفع قد انطفأت بذاتها دون ان يطفئها أحد لسبب بسيط وهو عدم وجود عامل مساعد للحريق فيما بين هذا الشباك والوسط ولذلك لم يحرق الا الوسط والجهة الشرقية . لقد بلغت مساحة الجزء المحترق من المسجد ١٥٠٠ متر مربع من اصل المساحة الاجمالية البالغة ٤٤٠٠ متر مربع أى حوالى ثلث مساحة المسجد الاقصى . ومما يجدر ذكره انه في نفس يوم الحريق قطع الاسرائيليون في بلدية القدس اليهودية الماء عن الحرم الشريف لكي لا يستعمل في اطفاء الحريق ، كما ان سيارات الاطفاء الاسرائيلية من البلدية جاءت بعد ان اخمدت النيران ولم تفعل شيئا . أما الذين اخمدوا النيران فهم السكان العرب الذين يقيمون حول الحرم الشريف بمساعدة سيارات الاطفاء العربية التي قدمت من بلدتي الخليل ورام الله .



٢٠٤ حريق المسجد الاقصى



٢٠٥ احد العقارات العربية التي حولها الاسرائيليون الى مكتبة يهودية



٢٠٦ المدرسة الكيلانية

ان ما ذكر اعلاه لهو اكبر دليل على ان حريق المسجد الأقصى قد تم عن قصد وتعمد من قبل الاسرائيليين وانه قد خطط له على النطاق الرسمي الاسرائيلي كما ان المشتركين فى الحريق كانوا اكثر من واحد ، ولكن الاسرائيليين ادعوا ان روهان المجنون هو الوحيد الذى قام بهذا الحريق واخرجوه من البلاد وسفروه لبلده الاصلي استراليا .

فيما يلي اذكر أهم الاجزاء التي احرقت داخل مبنى المسجد الاقصى المبارك :

- منبر صلاح الدين الذى يعتبر قطعة فنية نادرة والذى كان يرمز الى انتصار القائد صلاح الدين الايوبى ودخوله القدس . وباحراقه اراد الاسرائيليون احراق هذا الرمز .

- مسجد عمر الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد الاقصى .
محراب زكريا المجاور لمسجد عمر ومقام الاربعين وثلاثة اروقة ممتدة من الجنوب شمالا مع الاعمدة والاقواس والزخرفة والسقف التى سقطت على ارض المسجد .

- عمودان رئيسيان مع القوس الحامل للقبة .
- القبة الخشبية الداخلية والزخرفة الجصية الملونة عليها .
- المحراب الرئيسي للمسجد والجدار الجنوبي والرخام الداخلي كاملا . و٤٨ شباكا من الجبس والزجاج الملون والفريدة بصناعتها . والسجاد العجمي . وسورة الاسراء التي تبتدىء من فوق المحراب والتي كانت مركبة بالفسيفساء المذهب وغيرها من الزخارف والايات القرآنية في أماكن اخرى .

إزالة آثار الحريق وترميم المسجد الاقصى المبارك :

تم اعمار المسجد الاقصى مرات عديدة خلال سبعة القرون الماضية ، وكانت أسباب ذلك اما للتحسين أو للتوسيع أو للصناعة . وخلال القرن العشرين تم اعماران اساسيان كان الأول تركيا والثاني من قبل حكومة المملكة الاردنية الهاشمية وتم سنة ١٩٦٥ قبل العدوان الاسرائيلي واحتلال القدس . وعندما احرق الاسرائيليون المسجد الاقصى قررت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية اعمار المسجد وازالة آثار الحريق واعادته كما كان . وشكلت الحكومة الاردنية لهذا الغرض لجنة اعمار برئاسة قاضي القضاة وكنت احد اعضائها ، ووضعت المخصصات اللازمة للعمل ، وقدّرت تبرعات المواطنين في الارض المحتلة التي بلغت في ايام معدودة (٢٥٠٠٠٠ دولار) قررت لجنة الاعمار القيام بهذا العمل الجليل على مراحل مدروسة مبرمجة حسب التالي : –

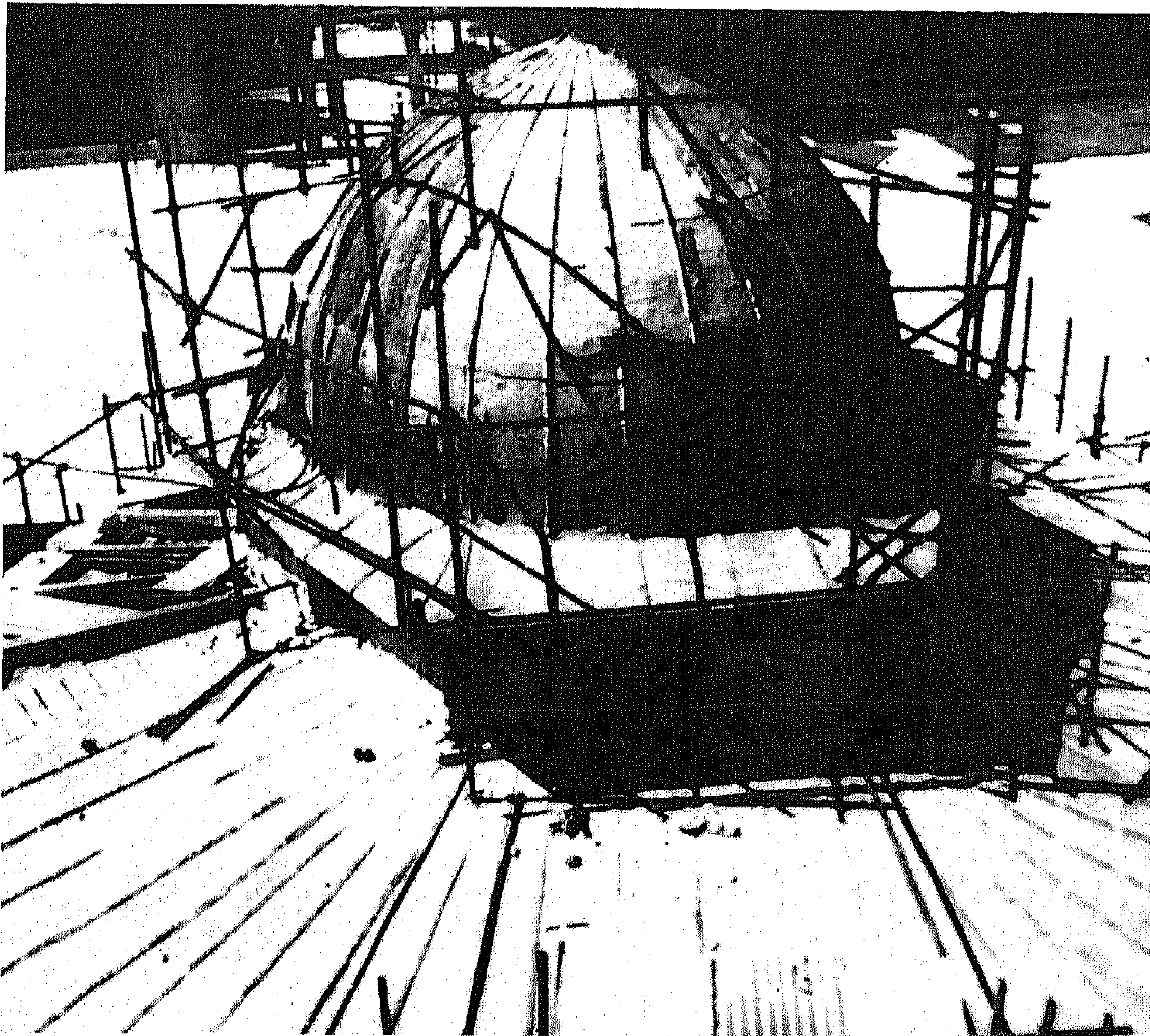
– انشاء الجزء المحترق والمهدوم وإزالة اثار الحريق .
– ترميم الزخرفات الداخلية والشبابيك الجصية والقبة الخشبية الداخلية
– صنع منبر مماثل لمنبر صلاح الدين المحروق . واصلاح القبة الخارجية .

كما قررت استعمال مواد انشائية افضل مما استعمل في مراحل الاعمار السابقة كالخرسانة المسلحة (بدلا من الطين) والجير والرخام والحجر المنقوش مع الابقاء على روح العمارة الاسلامية وشكل الواجهات والعناصر الانشائية . لقد تأثر المسجد الاقصى في السابق بسبب الزلازل ، ولذلك تم حفر الاساسات للجزء المحترق والمهدوم لعمق ٩,٠٠ أمتار للوصول الى طبقة الصخر والتأسيس عليها وهذا بالطبع يخفف من تأثير الزلازل .

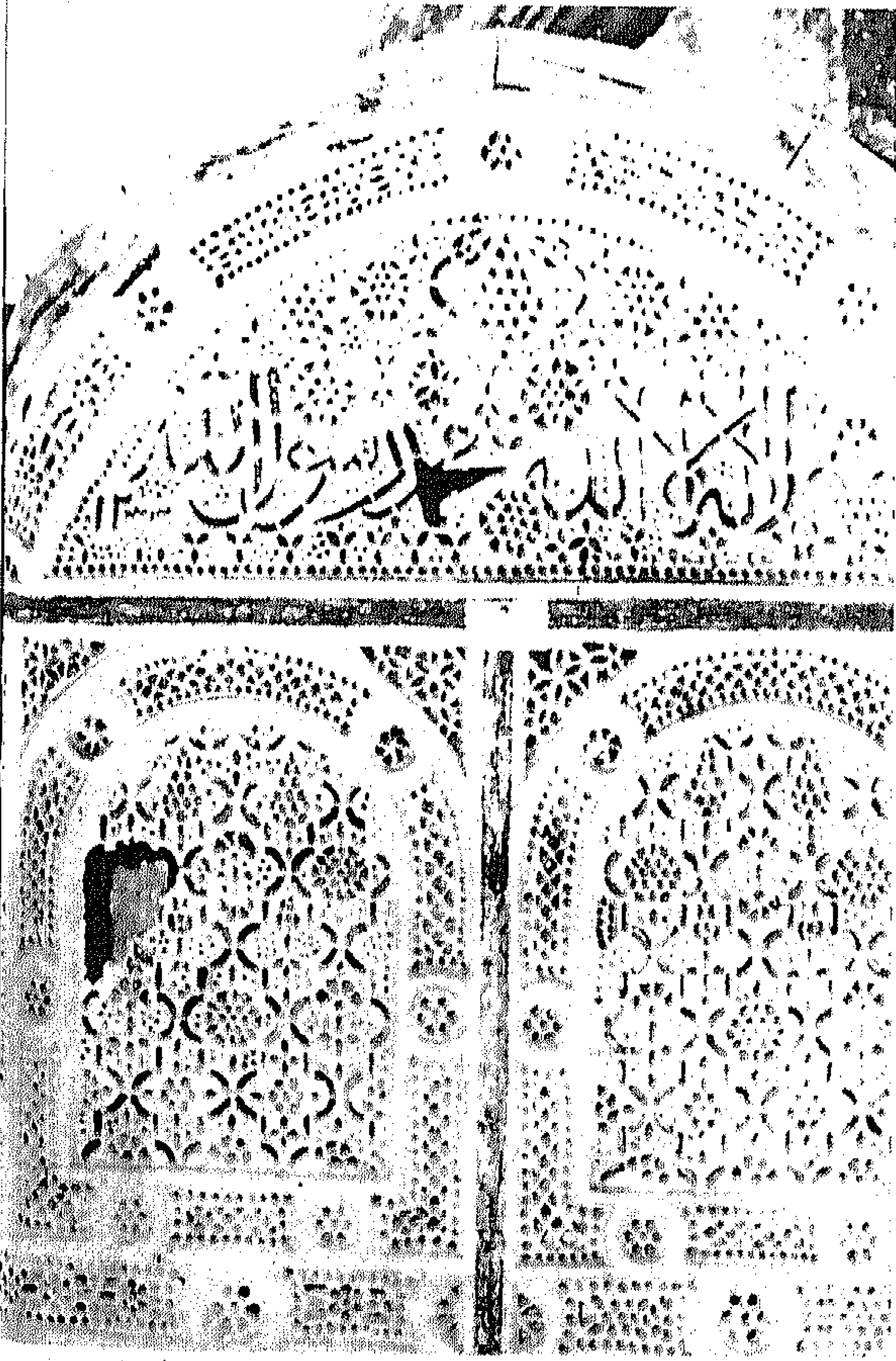
خلال عملية حفريات الاساسات الداخلية للجدران والأعمدة الجديدة تم اكتشاف خندق يصل الخارج بداخل الأقصى حفره الاسرائيليون قبل حريق المسجد الاقصى وهويشكل جزءا من الحفريات الاثرية الاسرائيلية للتفتيش على اثر من آثار هيكل الملك سليمان . يقال في القانون ان اللص دائما يترك وراءه اثرا صغيرا يدل عليه . وفي حالتنا هذه كان الاثر بعض نقاط من الشمع سقطت على الأرض الترابية للخندق وكانت جديدة العهد مما يدل على ان الاسرائيليين قد دخلوا هذا الخندق قبل مدة قصيرة من حريق الاقصى . وكان أول شيء تم فعله هو سد هذا الخندق بالخرسانة المسلحة ومن ثم بوشر بعملية الاعمار التي اشتملت على الآتي : –

اساسات الجدران الجديدة والاعمدة الجديدة بدلا من المحترقة والمهدومة .
القواعد الخرسانية والزنانير الخرسانية المسلحة والاعمدة الخرسانية المسلحة .
ارضية خرسانية مسلحة بدلا من الارضية السابقة العادية .
السقف الخرساني المسلح بدلا من المحترق والمهدوم .
الاقواس الحجرية البيضاء والحمراء والجدران العلوية الحجرية الحاملة للسقف .

انشاء واجهة وسقف مسجد عمر مع الابقاء على الشكل المعماري السابق ، وقد استعمل السقف المسلح فوق عقدة داخلية من الحجر المكحل بدلا من الطين والجير الذى كان مستعملا بالسابق فوق العقدة الحجرية .



٢٠٧ قبة السلسلة



٢٠٨ أحد الشبابيك الجصية – صناعة ...

انشاء اعمدة رخامية فوق قواعد حجرية بدلا من التالفة . واجهة جديدة لمقام الاربعين . ومما يجدر ذكره هنا انه خلال حفر اساس جدار الواجهة تم اكتشاف قاعدة متوسطة للمدخل مدفونة تحت الأرضية مما يدل على ان هذا المدخل كان له بابان في وقت مضى ، ولذلك اعيد شكل المدخل كما كان سابقا وانشيء له بابان مع قوسين من الحجر .

وقد بلغت تكاليف الاعمال المنجزة لغاية تاريخه من أجل اعمار المسجد الاقصى بعد الحريق (٣,٠٠٠,٠٠٠) دولار .

أما الاعمال المتبقية والتي تحتاج الى ترميم او اعمار في المسجد الاقصى فتشمل قبة صلاح الدين وسورة الاسراء والزخرفة الداخلية والمحراب والقبة الخارجية الالومنيوم وتركيب جهاز إنذار واطفاء الحرائق ، وكذلك ترميم الاماكن المقدسة الأخرى داخل الحرم الشريف حيث يوجد داخل الحرم الشريف اثار اسلامية عديدة تحتاج الى ترميم ومن اهم هذه الآثار ترميم قبة الصخرة وقبة السلسلة وسوق القطانين والمتحف الاسلامي وسبيل قايتباى وكذلك مسح وتوثيق الأبنية الاثرية حول الحرم الشريف وداخل القدس القديمة .

ان مسح هذه الأبنية والتي تشمل ضمنها المدارس الاسلامية القديمة وسبل الماء الكثيرة يعتبر عاملا هاما لاثبات وجود هذه الابنية أولا ومن ثم تحضير مخططات تفصيلية وتوثيقها من اجل القيام بترميم ما يلزم منها وهذا الأمر لا يجوز اهماله بعد اليوم .

التصدى للتحدى الاسرائيلى :

رغم ادانه اسرائيل من قبل جميع المحافل الدولية والطلب اليها بعدم تغيير طابع مدينة القدس الا ان السلطات المحتلة قد وضعت مخططا تنظيميا مفصلا للقدس سيتم بموجبه طرد حوالي عشرين الفا من السكان العرب في القدس القديمة وقد بدىء بتنفيذة منذ عدة سنوات بشتى الضغوط على هؤلاء السكان . وفي نفس الوقت قامت اسرائيل بانشاء المستوطنات الاسرائيلية حول مدينة القدس بشكل يمكنها من حصار المدينة ومنع العرب من التوسع وقد أنشأوا حتى الآن حول القدس وفي الضفة الغربية ما يتوف على مائة وثلاثين مستوطنة اسرائيلية ضاربين بالمعارضة الدولية عرض الحائط .

ان الصمود العربي في القدس الشريف يعتبر تحديا للسلطات الاسرائيلية وما تقوم به من اجل تهويد القدس . ان جميع الدول مدعوة لدعم هذا التحدى وخصوصا الدول العربية والاسلامية دون انتظار تغير الحالة السياسية ، من اجل الابقاء على هذا الجزء من الحضارة الاسلامية وكنوزها الاثرية والمعمارية .


فاس

انقاذ مدينة فاس في إطار الحفاظ على التراث الاسلامي

عبد اللطيف الحجامى

مقدمة

أسست مدينة فاس على يد المولى ادريس بن ادريس سنة ١٩١ هـ (١) وفي الآثار عن كتاب القرطاس وكتاب الاستقصا أن ادريس هذا ناجى ربه عند الشروع فيها بالدعاء التالي : « اللهم إنك تعلم أني ماأردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولامفاخرة ، ولارياء ولاسمعة ولامكابرة وانما أردت أن تعبد فيها ، ويتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك وشرائع دينك ، وسنة نبيك محمد ﷺ مابقيت الدنيا ، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه وأكفهم مؤنة اعدائهم وأدر عليهم الأرزاق ، وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق ، انك على كل شيء قدير »(٤) .

وشيد فيها أول مسجد بعدوة الاندلس ويطلق عليه اسم « جامع الاشياخ »(٣) ثم بضع سنين أسست العالية ، أي عدوة القرويين وبني جامع الاندلس وجامع القرويين وظلتا مدينتين منفصلتين الى ان جمع بينهما يوسف بن تاشفين في القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر الميلادي . وتعتبر سنة ٢٤٥ هـ (٤) سنة « بداية أول جامعة في العالم هي جامعة القرويين إذ انه تم تأسيس جامع الأزهر في ٣٦٠ هـ وصار جامعة في ٥٤٧ هـ كما أسست أول جامعة في أوروبا جامعة ساليرن سنة ٤٣٠ م أي حوالي ٢٠٠ سنة بعد القرويين »(٥) وكان دور القرويين نشر العلم الشرعي على كل المستويات فكان من جملة الطلبة تجار وصناع وحرفيون ومسافرون من كل الطبقات اغنياء وفقراء فانتشر العلم في البلاد وعم ، ومازال بعضنا يعرف أفرادا واظبوا على دروس القرويين فحفظوا مئات الاحاديث وتعودوا التدبر في نص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وكان سكان المدينة يحتكمون الى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله (ص) في أمورهم الخاصة والعامة . فصارت الشمائل المحمدية تعم تصرف الفرد في خاصة نفسه ، وفي معاملاته حتى قال الدكتور محمد المنتصر الكتاني : (أخبرني والدي عن أبيه عن جده رحمهم الله أن عالما من علماء فاس بالمغرب ألف كتابا في عوائد فاس وحضارتها ، استنبط لها جميعا أصلا من السنة النبوية ، سماه : العُرف الآسى في العُرف الفاسي ولم يقع بيدي ...) انتهى كلام الكتاني (1) .

وتعاقبت الدول على مدينة فاس بعد الادارسة فكانت دول المرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين والسعديين ثم العلويين وخلفت فيها كل دولة معالم ثقافتها وحضارتها ، ونتج عن هذا عبر التاريخ مدينة متميزة لها شخصيتها الخاصة بها تتمثل في عمرانها ونشاطاتها التجارية والصناعية وعلاقاتها الاجتماعية ومازالت توحي الينا الى يومنا هذا بحكمة تدبير معمريها .

النظام المعماري لمدينة فاس .

وتحتوى مدينة فاس حاليا على مركز اساسي هو مركز عدوة القرويين ويشمل جامع القرويين وضريح المولى ادريس الأصغر وشبكة الأسواق كسوق الأقمشة والتوابل والأواني والقيسارية وتتخلل هذا المركز طرازات وفنادق للصناع والتجار كفندق تطاوين وفندق النجارين ، ومدارس لطلبة العلم كمدرسة العطارين (٧٢٣ هـ)(٢) ومدرسة المصباح أو المصباحية ومدرسة الطفاوين وكلها مرينية ومدرسة الشراطين العلوية (حوالي ١٠٨١ هـ)(٣) .

وللمدينة الاصلية مركزان آخران ، مركز عدوة الاندلس الذي يضم جامع الأندلس ومدرستي الصهريج والأندلس المرينيين ، ومركز فاس الجديد مع مدرسة البيضاء .

ويمتد النشاط التجارى عبر الشوارع الرئيسية الرابطة بين مركز القرويين وبين الأبواب الرئيسية للمدينة باب الفتوح وباب عجيسة وباب أبي الجلود . ثم المشور وباب السمارين وتتوزع الفنادق على طول هذه الشوارع لدورها الاقتصادي .

(١) – القرطاس ص : ٣٢ ، الاستقصاص : ١٦٧ – الجزء الاول .
(٢) – القرطاس ص : ٤٩٠
(٣) – الاستقصا ص : 166 – الجزء الاول .
(٤) – القرطاس ص : ١٥٤
(٥) فاس عاصمة الادارسة .

(١) – فاس عاصمة الادارسة .
(٢) – القرطاس ص : ٤١٢
(٣) – الاستقصا ص : ٤٠ – ٤١

وهكذا يرتسم جزء مما نسميه بالاهلال المركزي الذي يشكل المحور الاساسي للمدينة لكن النشاط الاقتصادي لاينحصر في هذا الهلال المركزي بل توجد هناك مراكز للانتاج تتكون من عدة وحدات مثل دور الدباغة وصياغة المعدن وغيرها ، وتتمركز خاصة على ضفاف وادي الجواهر الذي يشق مدينة فاس وبالأخص قرب حارة « بين المدن » ، ثم هناك عشرات الارحية (فوق المائة) التي تعتمد على ماء القنوات التي تتخلل المدينة وهناك أيضا عشرات الطرازات التي توجد في كل من المناطق التجارية والصناعية ، وهناك صناعة الفخارين الموجودة خارج الأحياء السكنية في الجهة الشرقية كيلا تؤذى سكان المدينة وهناك أخيرا أرحية الزيتون الموجودة خصوصا قرب باب الفتوح وباب عجيسة وفضلا عن هذا فان معظم أشغال الطرز سواء على الثوب أو على الجلد تنجزها النساء في بيوتهن .

وتحيط بالمركز الرئيسي حارات أو أحياء سكنية تحتوي كل منها على مركز ثانوي يتكون من حوانيت المواد اللازمة للاستهلاك اليومي من فحم وخضر وتوابل وغير ذلك من المواد الغذائية ، ويشمل كذلك بعض المرافق مثل المسجد والكتاب والسقاية والحمام في بعض الاحيان . كما توجد في كثير من الاحياء زوايا الشيوخ .

ودُور المدينة الاصلية تتخذ اشكالا عديدة :

– فهناك الدار التي تتكون من بيتين متقابلين بينهما صحن ذو شكل هندسى ثابت مربع أو مستطيل كيفما كان شكل البقعة الارضية ، وفي جهة من الجهتين الباقيتين من الصحن منافع للدار ومن جملتها المطبخ والميضاة ، وغالبا ماتتوفر الدار على ماء بئر أو عين أو قناة ، واذا كانت الدار تحتوي على سفلي وفوقي فيكون في الفوقي غرفتان ومنافع .

– وهناك الدار التي تتكون من نفس الشيء ، كالاولى ولكن يوجد في جهة المنافع « مصرية » أي دار صغيرة هي الفوقية وسطها مغطى بسقف أو بقبة .

– وهناك الدار مثل الثانية ولها في الطابق الثاني أو السطح منزه أي غرفة لها واجهة معظمها من الزجاج ويقابلها منظر عام ، وتحجبها حيطان السطح عن رؤية المنازل المجاورة .

– وهناك الدار التي تكون مثل هذه الاخيرة ولها روض أي بيت يكون بجانب الدار ثلاثة حيطان من الزجاج وقبالته عرصة أو حديقة كما أن هناك مركبات عديدة تعكس تعايش عدة عائلات من نسب واحد أو عائلة كبيرة مع عائلات خدمها وغير ذلك .

– وتحيط بكل الاحياء الموجودة بالمدينة أجنة فيها فواكه وخضر ، ثم بعد هذا هناك أسوار تحيط بالجميع ولها أبواب ضخمة ، وللمدينة مقبرتان شمالية وجنوبية ولها طرف داخل الاسوار وطرف خارجه ولها كذلك نطيان كلتاهما خارج المدينة قرب المقبرة ، وتحيط بالاسوار أجنة عديدة وغابات زيتون وأراض فلاحية .

وتروي كل هذا النسيج مياه وادي فاس أساسا ، فهو يمر بالقصر الملكي بفاس الجديد وينحدر عبر المدينة نحو الشرق . ويتفرع من وادي فاس عدة أودية بعضها تروي عدوة القرويين والبعض الآخر يروي عدوة الاندلس وفي مدخل المدينة قرب باب أبي الجلود ناعورة ترفع الماء لري فاس الجديد كما أن هناك ساقية تأتي بالماء لفاس الجديد على بعد عدة كيلو مترات غرب المدينة .

وتشكل هاته المياه شبكتين شبكة علوية وأخرى سفلية فالعلوية للماء النقي الصالح للعادة والعبادة والسفلية تشكل شبكة الماء الحار التي تتلقي كل المياه المستعملة ثم تصبها في وادى الجواهر أو وادى الزحول اللذين يكونان في مخرج المدنية وادي فاس ، وزيادة على ماء وادي فاس توجد مئات العيون والآبار .

وتعبر شبكة المياه الموجودة في فاس من أوائل الشبكات في العالم وربما تكون أتقنها ، وتمر هاته المياه بمعظم دور فاس ومرافقها من مساجد وميضات وحمامات وأرحية ودور الدباغة كما تستخدم لسقي الأجنة وتنظيف الازقة وغير ذلك .

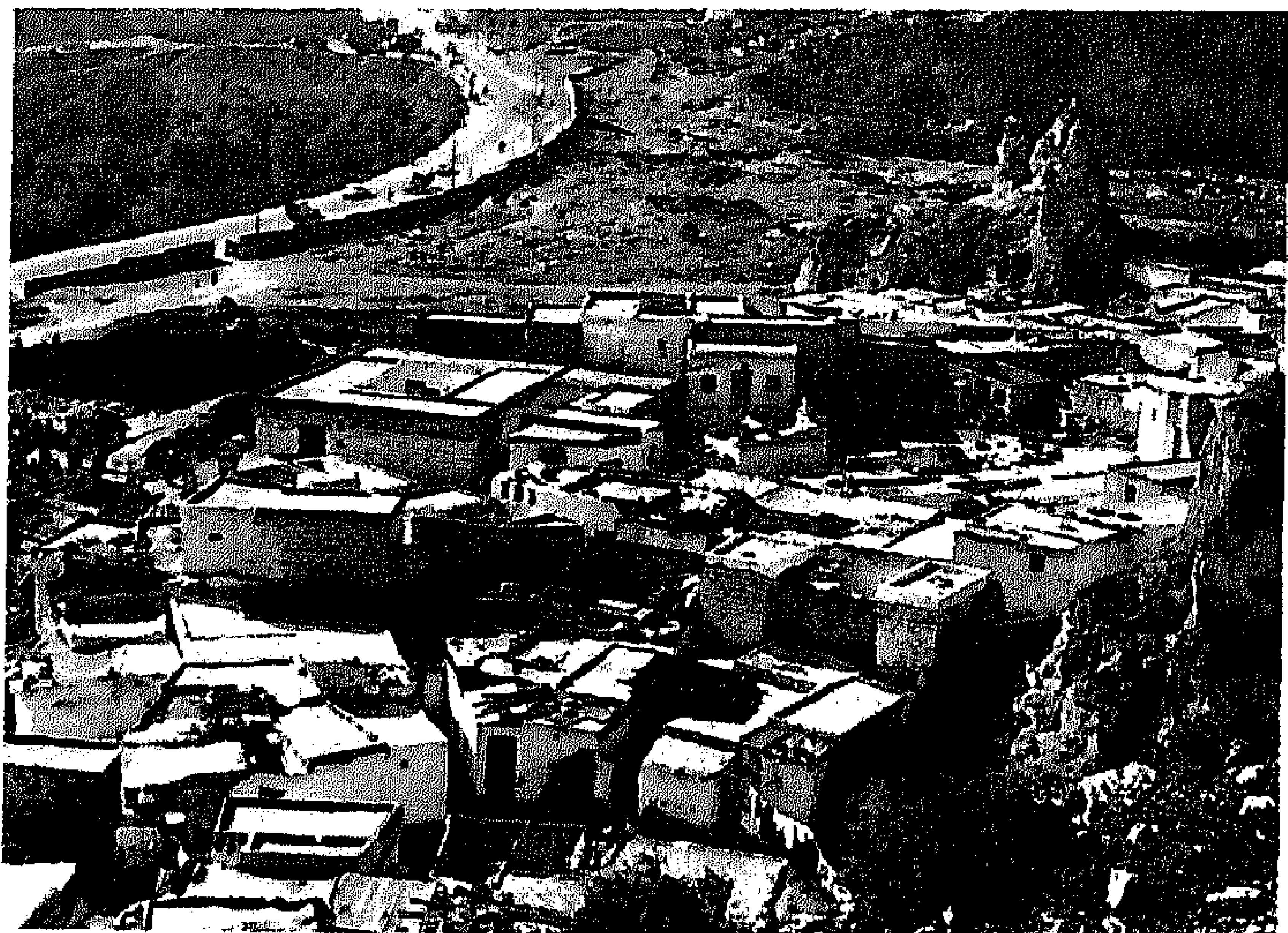
وهكذا يوحي هذا العمران بنسيج متصل يخشى اذا ماانفكت عقدة منه أن ينفك كله .

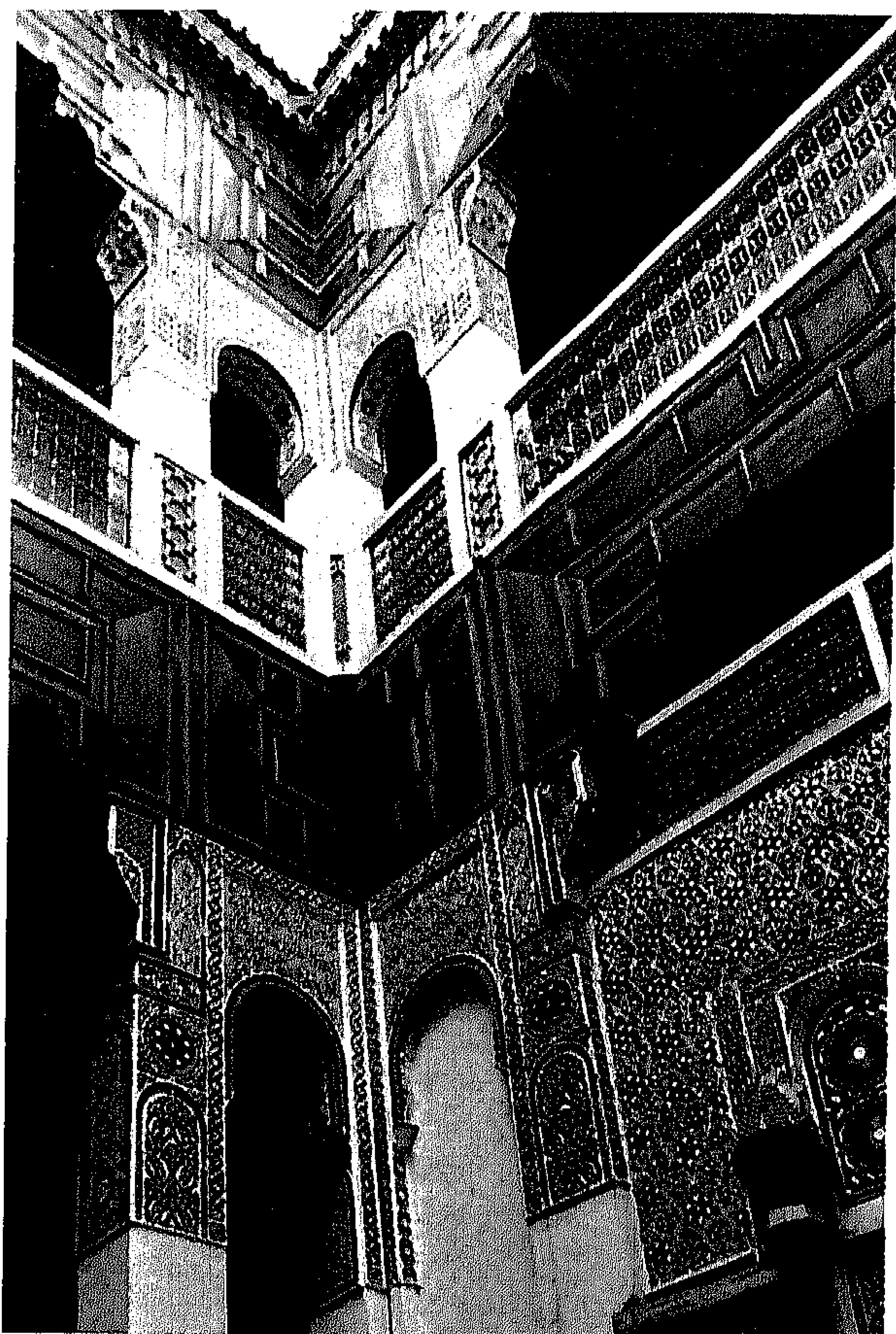
الواقع الحالي لمدينة فاس :

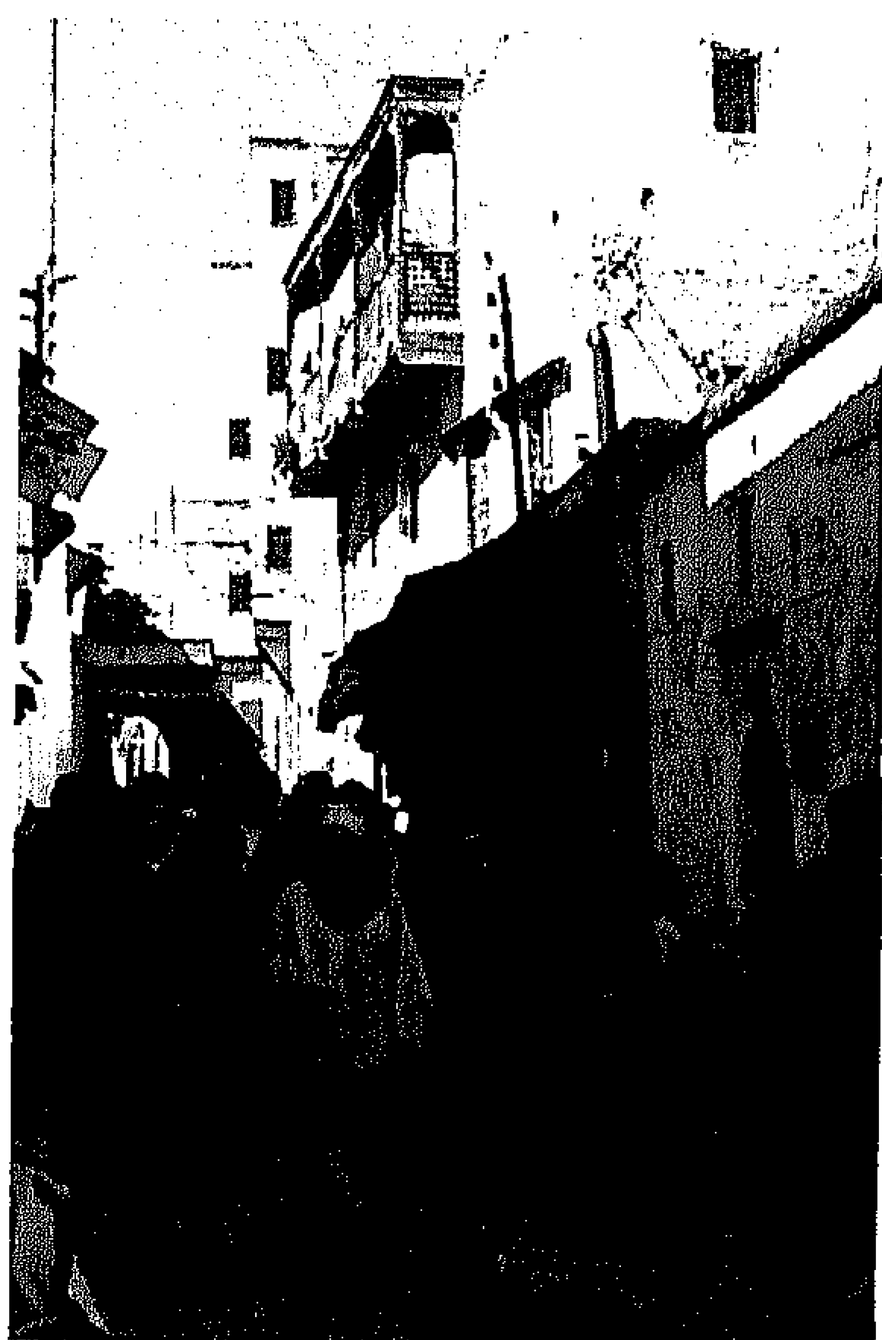
إن المفروض فى هذا النسق الشامل في البنيان أن يكون انعكاسا لخاصيات هذه المدينة من الناحية الاجتماعية من تكامل وارتباط بين السكان ، فقراء ، وأغنياء ، علماء وعوام ، صناعا وتجارا في الاحياء والمساجد والمدارس والاسواق . كما أن المفروض أن تقوم هذه الارتباطات على أساس قواعد تزيدهم التحاما والتئاما ، وتبسط بينهم المساحة وسعة الصدر ، كما يتجلى ذلك في وجود اوقاف خاصة بالطلبة والدروس والمكتبات الفقراء والصناع وحتى بالحيوانات والطيور .

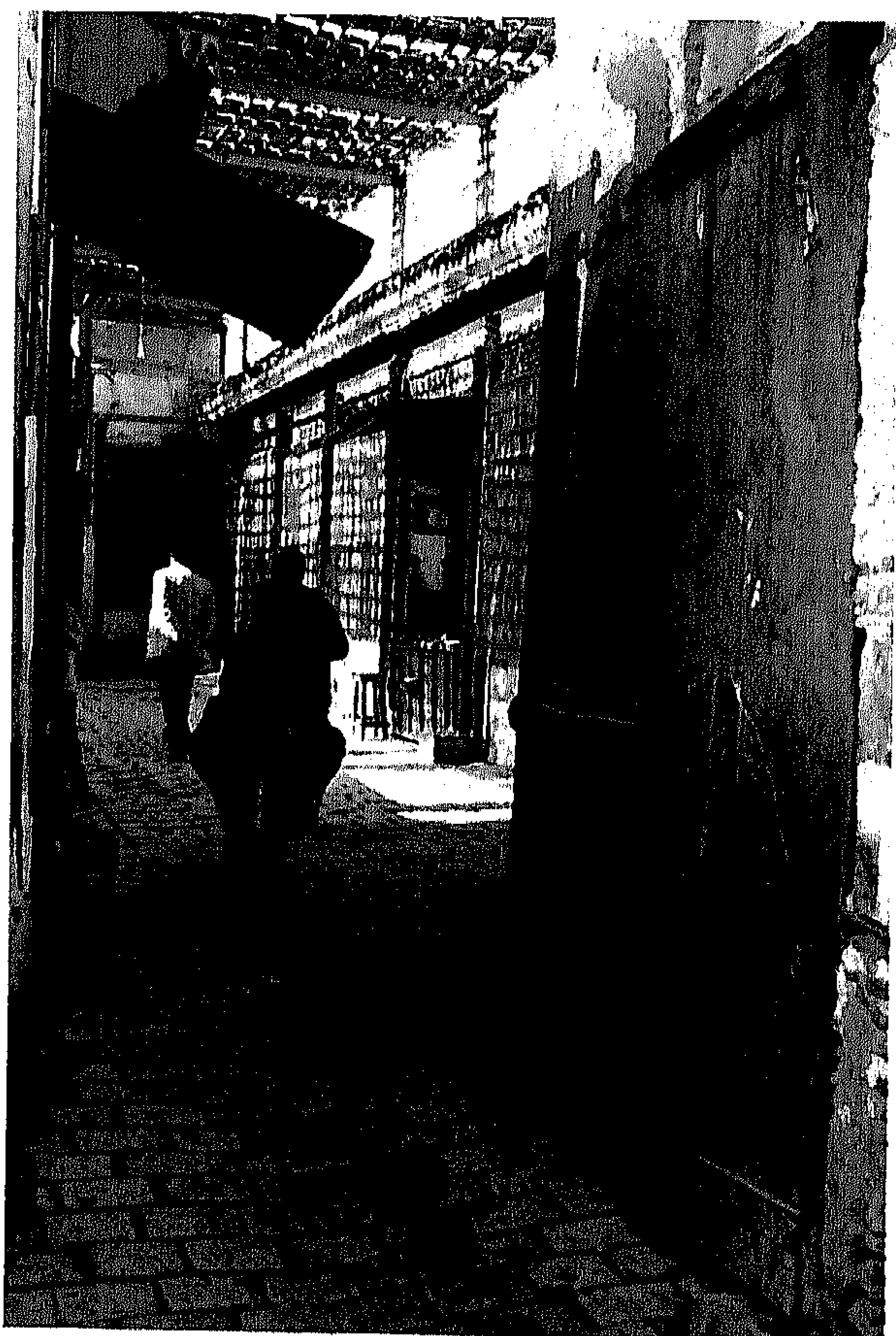
لكن ، اذا ماقلنا « ان الامصار برجالها » فان فاسا تبدو في هذه السنوات الاخيرة وكأنما قد اعتراها إعياء شامل ، فتضعضع كيانها المعماري وضعفت بنيتها الاجتماعية وتقهقر اقتصادها نسبيا ، ونتيجة لتغيير اجتماعي شامل توجد هذه الوحدة الفريدة مهددة بالزوال .

فقد أوجد الاستعمار حساسيات خطيرة داخل المجتمع الفاسي في أوائل هذا القرن ثم جاءت الهجرة القروية الضخمة الاولى حوالي سنة ١٩٣٦ م بسبب استيلاء المستعمر على آلاف الهكتارات من الاراضي الخصبة بنواحي مدينة فاس ، ثم بنى المستعمر مدينة في الجنوب الغربي من المدينة الاصلية خارج الاسوار تجنبا لاثارة غيرة أهل البلد وتبذير جهود كبيرة دون جدوى


٢١٢ سكن مرتجل ـ فاس


٢١٠ تفاصيل معمارية ـ فاس


٢١٣ منظر لأحد الشوارع ـ فاس


٢١١ سوق الحايك ـ فاس


٢١٤ عامل حرفي ـ سوق السكاكين فاس

لان غرضه هو استغلال مايمكن أن يستغل من ثروات البلاد دون أن تضيع جهوده في الاشتباكات الجانبية مستفيدا في ذلك من تجاربه السابقة في المستعمرات الاخرى .

ثم أنتج هندسة معمارية تحاكي الهندسة المعمارية الاصلية في الشكل ولاعلاقة لها بالمضمون .

كما أعد قوانين للبناء بعضها يخص المدينة الاصلية والبعض الآخر يخص باقي الاراضي . فاهتم بالشكل في المدينة الاصلية واهتم بالمضمون خارجها خدمة لمصالحه الخاصة ودون اعتبار لاي قانون مغربي اسلامي .

وجعل أسلوب هاته القوانين يواكب السلطة التي كان يطغي بها على الاراضي الموجودة داخل محيطه البلدي ، وبنى معامل تنافس صناعات المدينة الاصلية العامة لاهل البلد ، وسبب هذا هجرة التجار الى الدار البيضاء مكان تصدير السلع ثم بعد الاستقلال في ١٩٥٦ : تزايدت الهجرة القروية ونشأت هجرة داخلية من المدينة الأصلية الى دار الدبيبغ أو المدينة الجديدة ، والى عين قادوس وهي وحدة سكنية أحدثت في ١٩٥٤ غرب المدينة الاصلية .

ونتج عن كل هذا أن عدد سكان مدينة فاس تصاعد من ٨١٫١٧٢ في ١٩٢٦ الى ٢٧٠٫٠٠٠ في المدينة الاصلية وحدها والى ٥٢٠٫٠٠٠ نسمة في كل المدينة في ١٩٨٠ أي بعد مضي نصف قرن ، كما أن الهجرة داخل المدينة بدأت تكتل السكان حسب الطبقات الاقتصادية ، وتفكك نظام التجارة والصناعات وكاد يندثر الجو الثقافي العام :

وهكذا ظهرت مدن الصفيح والتجزئات والبناء غير القانوني وهي الآن تؤوي مايقرب من ٢٠٪ من سكان المدينة وتكاد تنعدم فيها التجهيزات والمرافق الاجتماعية ، وهي الآن تحيط بالمدينة الاصلية من كل جوانبها ، وذلك راجع لتوافر الشغل ولو بصفة هامشية في المدينة الاصلية . ووصلت الكثافة السكانية في المدينة الاصلية الى ١٠٠٠ ساكن في الهكتار الواحد وتوارى العديد من الاجنة والحدائق داخل الاسوار وخارجها وقسمت دور فخمة الى شقات ضيقة ، وتخرب كثير منها لعدم القيام بالاصلاحات اللازمة لها . كما تدهور عدد كبير من معالم فاس لعدم توظيفه توظيفا حكيما ، وتزايُد السكان بالمدينة الاصلية زاد من شدة الحاجة الى المرافق الاجتماعية وتجهيزات البنية التحتية حيث تدهورت حالة البنية العتيقة بسبب اكتظاظها وعدم اصلاحها وزادت هجرة التجار الى الاحياء الجديدة في مقدار عجز سكان المدينة الاصلية عن القيام بشئونها وفي هذا الحين نجد هذه الاحياء الجديدة وخصوصا دار الدبيبغ تتوافر على تجهيز وعلى أراض تفوق احتياجاتها .

أما من الناحية الاقتصادية فنجد عددا من الصناعات المسماة بالتقليدية يلاقى صعوبات شتى تدفع به للاندثار ، اذ تفككت عدة حرف منها حرفة النسيج التي يصعب الآن تداركها وحرف الجلد التى تتخبط حاليا في مشاكل مصيرية سوف تأتي عليها إن لم تتلق مساعدة فعالة ، كما انقرض كثير من الحرف ، في حين تسربت عشرات الوحدات من الصناعة الحديثة الى المدينة الاصلية وتستعمل جلها آلات كهربائية ولايرتبط موقعها بحي من الاحياء فنجدها في وسط أحياء سكنية مثلا وهي بهزات محركاتها تؤذي الدور المجاورة وبما ترميه من مواد كيماوية تلوث قنوات ماء الاودية والآبار والعيون . وتشغل العمال في جو مغلق بعيد عن ان يستوفي حتى شروط الصحة الجسمية ، ولكنها تشغل مئات بل آلاف العمال .

وأما التجارة فان نشاطها المتزايد لايعني نظامها المحكم اذ نجد معظم تجارة الجملة قد انتقل من وسط المدينة الى الابواب الرئيسية وخصوصا باب الفتوح وباب السمارين وذلك راجع جزئيا لصعوبة نقل السلع بالكمية والسرعة اللازمة الى دور السلع الموجودة وسط المدينة فتكتظ مناطق هاته الابواب وتصبح مشكلة من مشاكل العمران احيانا بوجود حافلات وسيارات النقل البلدية والنقل بين المدن ، وكذلك بوجود التجهيزات اللازمة للمسافرين والتجار مثل الابناى ومستودعات الوقود والمقاهي والمطاعم . وطريق الرصيف الجديدة التي تخترق طرفا من مدينة فاس فوق وادي الجواهر تشكل نفس الخطر على المدينة .

وأما المتاجر الموجودة داخل المدينة فقد تركت التنظيم ضمن تكتلات التخصصات الشيء الذي يسهل النقل والبيع ، وفتح كل تاجر حانوته حسب هواه . وعلينا أن لانغتر بكثرة الحركة الناتجة عن هذا الوضع حتى يبقى قياسنا قياسا علميا صحيحا .

وأما مياه وادى فاس ومياه العيون والآبار فقد تلوث معظمها واذا لم تنق حاليا فقد تؤدي الى نقل الامراض الى آلاف السكان الذين تصلهم هاته المياه .

وأخيرا لقد واكبت جامعة القرويين ومدينة فاس نشأة الحضارة الاسلامية فى شمال افريقيا وغربها وفي بلاد الاندلس .

وابرز هذا المركز علماء عديدين يشهد لهم التاريخ بمقدرتهم العلمية كما يشهد لهم بمواقف مشرفة أمام الصراعات التي كانت تشوب المجتمع من حين لآخر .

وحتى عهدنا الحاضر ظلت جامعة القرويين الشريان النابض للمدينة جمعاء كما ظلت مركز أشعاع للعلم وتصد للجهل . ونراها كيف قامت فى وجه الاستعمار لما أخرج الظهير البربرى الهادف الى عزل جبال الاطلس عن باقي بلاد المغرب . لكن بتلاشي التعليم الاصيل تكاد تنعدم تغذية أهل فاس الروحية والعلمية لان من مميزات هذا التعليم عدم اهماله لعامة الناس ، ولهذا الانعدام انعكاسات وخيمة على البيئة الاجتماعية ، وكل منا يعلم مدى أهمية هذا الباب بالنسبة للصبيان والشبان والصناع والتجار وحتى بالنسبة للعلم نفسه .

هذه أهم مشاكل مدينة فاس وخصوصا المدينة الاصلية وإذا لم نعتبر المميزات الجزئية فإننا نجد أن هاته المشاكل تعتري معظم المدن العربية .

هذا جانب من حقيقة وضعية مدننا ، ومالم نتدارك الامر بعد فإنه لن يزداد الا تفاقما . وكم من مدينة تضخمت مشاكلها حتى صار التحكم في نموها شبه مستحيل ، وكلنا على علم بمخلفات هاته المشاكل .

مسألة إنقاذ مدينة فاس

لم تكن حالة مدينة فاس لترضى سكانها ولامسئوليها خصوصا وأن هاته المدينة رغم ماذكرنا يكاد لايوجد لها نظير في العالم الاسلامي قاطبة ، ولذلك لفتت أنظار كل من يهمه أمر المدن والشعوب الاسلامية وكل من يهمه مصير الثقافة الاسلامية .

الخطوات التحضيرية .

فبعد تقريرين قدمهما خبيران من اليونسكو تحت إشراف وزارة الثقافة المغربية قررت وزارة السكنى وإعداد التراب الوطني دراسة تصميم توجيهي لمدينة فاس ، وبعد قبول الجمع العام لمنظمة اليونسكو بنيروبي سنة ١٩٧٦ لاقتراح المغرب بشأن اعتبار مدينة فاس تراثا عالميا ألقي النداء العالمي لانقاذها في ٩ أبريل ١٩٨٠ . وخلال هاته المدة تم التوصل الى نتيجتين أساسيتين :

الاولى أن الانقاد لايمكن أن يكون إلا ضمن إطار نمو المدينة بصفة عامة . وهكذا أسفرت دراسات التصميم التوجيهي عن تحديد هذا الاطار ، وكانت المدينة الاصلية محور هاته الدراسات نظرا لاهميتها بالمقارنة بالوحدتين الحضريتين الاخريين دار الدبيبغ وعين قادوس ، فالمدينة الاصيلة تؤوي مايقرب من ٦٠٪ من سكان المدينة و ٦٠٪ من النشاطات الاقتصادية ، اذ ان الصناعة التقليدية وحدها تشغل حوالي ٣٠,٠٠٠ صانع بينما تؤوي دار الدبيبغ حوالى ٢٩٪ من مجموع السكان ، ومايعادل تلك النسبة يقطن بعين قادوس ، الوحدة التي تكاد تخلو من كل نشاط اقتصادي .

وبعد مأأوضح التصميم التوجيهي خصائص كل من هاته الوحدات وكذلك خصائص مدن الصفيح والقرى الموجودة بالقرب من المدينة ، بين الربط الموجود بينهما وحدد إطار نموها الى أفق سنة ٢٠٠٠ م آخذا في ذلك بعين الاعتبار المتغيرات القابلة لان يتحكم فيها مثل توزيع السكن على الاراضي المتوافرة وتوزيع التجهيز على مختلف الوحدات الحضرية ، والمتغيرات غير القابلة للتحكم فيها في هاته الفترة ، كالهجرة القروية والبنية الاقتصادية والمعطيات الطبيعية .

واهم الاختيارات التى نتجت عن هاته الدراسات هى :

- الحفاظ على المدينة الاصيلة وانقاذها .
- تعمير المنطقة الشرقية تعميرا إسلاميا يضمن توازن المدينة الاصلية بين الوحدات الحضرية المكونة لمدينة فاس .
- التعمير المحدود للمنطقتين الجنوبية والغربية .
- تعمير اختياري لمنطقتي الكعدة وزلاغ يحدد بعد سنة ١٩٩٠

وبعد مرور سنتين على تهيؤ التصميم التوجيهي يمكننا أن نبدى بعض الملاحظات ومن أهمها :

- ضرورة وجود استمرارية في البحث ووجود ربط مباشر بين الدراسات والتطبيق .
- ضرورة حظوة الاختيارات بموافقة كل الاطراف المعنية بأمر التعمير وبالاخص السلطات المحلية والمركزية وسكان المدينة مع ممثليهم .
- إتخاذ الاجراءات اللازمة للتحكم في مسألة الاراضي .
- الاخذ بعين الاعتبار مدى الفعالية القانونية للتصاميم المرتقب تهيئتها

هذا فيما يخص النتيجة الاولى ، أما النتيجة الثانية فهي اعتبار إنقاذ مدينة فاس عملية شمولية تستهدف إحياء التراث وإعطاءه المكانة التي تقتضيها أهميته في إطار نمو حضارتنا .

فبعد تهيؤ التصميم التوجيهى سنة ١٩٧٨ شرع في دراساته معمقة للمدينة الاصيلة بقصد تهيئة مشروع الانقاذ وشملت الدراسات عدة قطاعات . ودلت على ارتباط بعضها ببعض وعلى ضرورة الالمام بها كلها . ونتج عن هاته الدراسات مشروع إنقاذ مدينة فاس الاصيلة .

ويمكن حصر بعض أسس المنهاج المتبع لتهيئة مشروع الانقاذ في النقاط التالية :

- اعتبار المدينة الاصلية وحدة حضرية متميزة تشمل كل القطاعات في ارتباط شامل ومتكامل .
- اعتبار أن خصائص هاته الوحدة مازالت قائمة ومازال يعتمد عليها ولو « بشكل هامشي » في النشاط الحضري للمدينة الاصيلة .
- اعتبار أن عملية الانقاذ تستهدف مبدئيا إحياء وتدعيم كيان المدينة الاصيلة مع الاخذ بعين الاعتبار كل الامكانات المتوافرة في عصرنا الحاضر .

انطلاقا من هاته الاعتبارات الثلاثة تمت دراسات ميدانية ووثائقية حول : النسيج المعمارى . الهيكل الاقتصادي . الهيكل الديمغرافي . شبكة المياه والبنية التحتية . التجهيزات العامة . قضايا تاريخية .

ثم بعد هذا تم تحديد المشاكل التي تهدد المدينة الأصيلة وتقويم احتياجات صيانتها من تجهيز وترميم وإصلاح وأخيرا وضع مشروع للانقاذ :

مشروع الانقاذ :

يمكن تقسيم مشروع الانقاذ هذا الى ثلاثة فروع :

- عمليات الانقاذ .
- الاجراءات اللازم اتخاذها لتحقيق الانقاذ .
- التقويم المالي .

أما عمليات الانقاذ فهي تنقسم الى قسمين : قسم يقصد إعطاء المدينة الأصيلة الدور الاهم الذي يليق بها ضمن الوحدات الحضرية الاخرى . ويشمل هذا القسم :

مشروع المنطقة الشرقية وبالاخص مايرتبط بتخفيض كثافة سكان المدينة الاصيلة وذلك بنقل مايقرب من ١٠,٠٠٠ عائلة من داخل المدينة ومايقرب من ٤٠٠٠ عائلة من مدن الصفيح المضايقة للمدينة الاصلية الى هاته المنطقة .

مشروع الحي الصناعي العصري والصناعي التقليدي لنفي ضرر وحدات الانتاج الصناعي الموجودة داخل الاسوار والحد من تأثيرها في جلب اليد العاملة الى المدينة ولتشغيل سكان المنطقة الشرقية ووحدة عين قادوس .

تقريب المرافق الادارية والاجتماعية والثقافية الضرورية للمدينة الاصيلة نظرا لتمركز هذه المصالح فى دار الدبيبغ .

مشاريع البنية التحتية كحماية وادى فاس وتجديد قنوات الماء الحار وإصلاحها وترميم واحداث طرق للمواصلات تربط بين المدينة الأصيلة والوحدتين الاخريين ، وكذلك تجهيز المنطقة الشرقية .

أما القسم الثاني فيشمل كل المشاريع المتعلقة بداخل المدينة ويهدف هذا القسم من العمليات الى تقوية بنية المدينة الاصيلة وتنميتها ومنها :

- مشاريع المحافظة على البيئة الطبيعية .
- المشاريع الثقافية كترميم المساجد والمدارس والخزانات العلمية وإنشاء معهد الدراسات الاسلامية ومركز الملتقيات العالمية .
- مشاريع التجارة والانتاج كترميم الفنادق وتنظيم الاسواق والطرازات ودور الدباغة والارحية وترميمها وبناء مدرسة للمحافظة على الفنون والصناعات التقليدية وبناء مدرسة لصناعات البناء وفنونها بصفة خاصة .
- مشاريع التنظيم الحضري من تنظيم لمراكز الاحياء وإصلاح وترميم للدور العتيقة والقصور ذات القيمة التاريخية والفنية .
- ثلاثة مشاريع نموذجية في مجال السكن والتجهيز .
- بناء قنطرة بين عدوتي المدينة .
- تعميم الماء الصالح للشرب والكهرباء .

وأما فيما يخص الاجراءات فهي تتعلق بالتنسيق بين المصالح في شأن كل عمليات الانقاذ كما تتعلق بالمسائل القانونية وبتشجيع الدراسات الهندسية والمعمارية وبحملات التوعية كما أنه قد أنجز تقويما ماليا أوليا ليس هاهنا مجال ذكره .

وهكذا نرى أن هذا المشروع يعنى بالحفاظ على أسس ومقومات مدينة فاس كما يعنى بإحيائها وتنميتها وإحياء وتنمية فروعها .

الانجاز :

تم القاء النداء العالمي منذ مايقرب من سنة . والاهتمامات تبدو من أوساط مختلفة ، لكن عمليات الانجاز لما تبدأ بعد . فما هي الحواجز التي تحول دون الشروع في عمليات الانقاذ ؟

إن مشروع الانقاذ كما قلنا يضم عمليات شتى ، منها مشاريع البناء والترميم ومنها مشاريع تستهدف تنظيم المدينة وقوانين نموها . ومشروع الانقاذ هذا هو جزء من المجهودات المفروض بذلها للمحافظة على التراث الاسلامي بصفة عامة . ففي هذا الاطار نجد أنه قد تم الحد جزئيا من نمو المدينة في الجهات غير المرغوب فيها كما تم توجيهه نحو المنطقة الشرقية الموجودة ضمن اختيارات التصميم التوجيهى ومشروع الانقاذ ، كذلك كانت هناك استشارة دائمة فيما يخص المشاريع العامة التي لها ارتباط بالحفاظ على المدينة الأصيلة . وحتى بالنسبة لمشاريع الخواص فجلها لاترخص إلا بعد موافقة المسئولين عن المحافظة على المدينة .

كما أنه قد تم انجاز المرحلة الاولى من عملية إصلاح وتعميم قنوات الماء الحار والتخفيف من تلوث ماء الوديان والآبار والعيون . وتعد هاته العمليات ضمن المجهود الوطني لانقاذ مدينة فاس فضلا عن مشروع الانقاذ الذي سوف يبدأ فيه رسميا في القريب العاجل بأربع عمليات : ترميم باب المحروق وتجهيز محيطه (باب الشريعة قديما) ، ترميم جزء من سور المدينة بباب عجيسة ، ترميم فندق النجارين وفندق البركة وفتحهما للنشاط الاقتصادى والانتاج التقليدي .

لكن رغم هذا كله تبقى الجهود ناقصة إذا مالم يتبن سكان المدينة هذا المشروع . وليست مسألة الحفاظ مسألة مادة وإمكانات تقنية فقط بل هي مسألة وعي بالدرجة الاولى .

فمشروع الانقاذ على أهميته لن تكون له النتيجة المطلوبة ولن يمكن إنجازه إلا إذا استكملت أمتنا وعيها بالاهمية البالغة لتراثها الاسلامي ولدوره الاساسي في بناء مستقبلها .

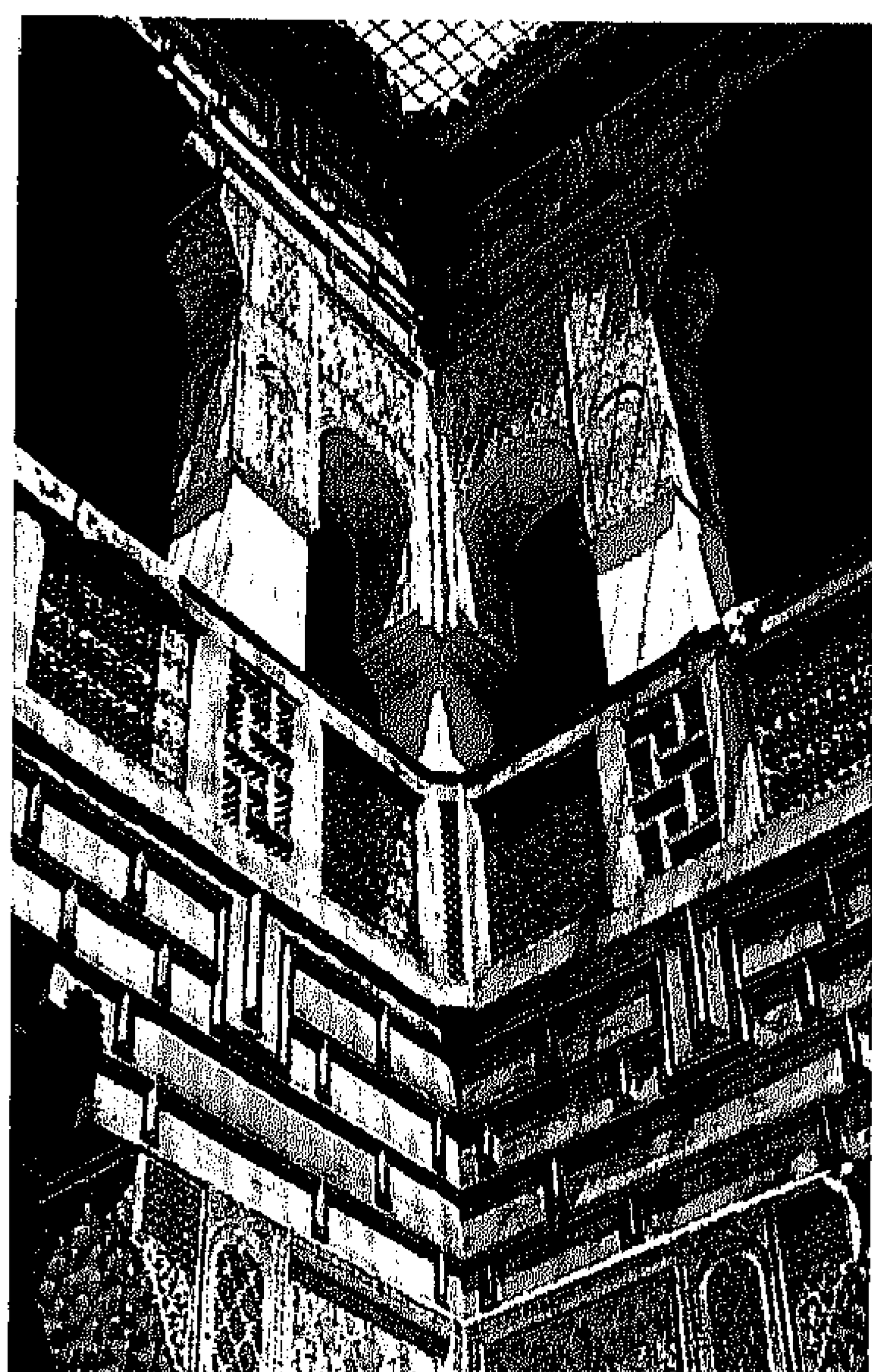
وهذا يتطلب منا الماما تاما بميداننا والاستفادة في مثل هذه الفرص من وجود ممثلين لاهم مدننا لتبادل الآراء والتنسيق بين الجهود المبذولة من كل واحد على حدة ، ونرجو الله أن يوفقنا وإياكم لصالح الاعمال .



٢١٥ احدى الحدائق الجميلة فاس


٢١٦ النسيج العمراني التقليدي فاس


٢١٩ السيارات في ظل الواجهات التقليدية


٢١٧ تفاصيل معمارية – فاس


٢١٨ وادي بوخرارب المغطى حاليا فاس

أشكالية المحافظة على التراث المعمارى لمدينة فاس في إطار مخططها التوجيهى

نجيب العرائشى بدوى

موضوع هذا التقرير يتعلق بدراسة حديثة العهد ، أشرفت على تهيئتها وزارة السكنى واعداد التراب الوطني في المملكة المغربية بمساعدة منظمة اليونسكو ، استهدفت وضع تخطيط توجيهي لمدينة فاس اهتم باستخلاص مميزاتها المعمارية وبايجاد الاطار الملائم للحفاظ على مآثرها التاريخية ضمن برنامج عام نمو وتطور المدينة حتى سنة ٢٠٠٠

ومدينة فاس التي استطاعت أن تبلور في شكل منسجم وموحد مطبوع بالطابع الاسلامي العريق جميع التقاليد الفنية والتقنية التى نقلتها اليها مختلف الفئات التي ساهمت في بنائها تعد من قلائل المدن التي استطاعت الى وقت قريب المحافظة على أصالتها التاريخية والحضارية بالرغم من التقلبات والهزات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفها القرن الاخير ، لكن المقارنة بين مدينة فاس في الماضى ومدينة فاس في الحاضر تظهر لنا التغيرات التي أحاطت بسيرتها خلال هذا القرن وكذا حدة المشاكل المطروحة عليها حاليا والاخطار المحدقة بها مستقبلا .

فبعد أن كان تنظيمها المعمارى يتجاوب الى حد كبير مع وظائف واحتياجات الحياة الحضرية اصبحت تعكس خللا فى مسيرة تطورها ونمائها ذلك لأن الاطار المخصص للحياة الحضرية أضحى متجاوزا نتيجة ظاهرة الضغط الديموغرافى الحديث والتقلبات الاقتصادية المعاصرة

فعلى الصعيد الاقتصادي عرفت الصناعة الحديثة بالمدينة تطورا لا يوازى التطور العمرانى ، ذلك أن الايادى العاملة التي هاجرت الى المدينة وجدت امكانات العمل بها جد محدودة ، الشيء الذى دفع بها للالتجاء الى القيام بأعمال هامشية ، من تجارة صغيرة ، ومهن متواضعة لا تتطلب أي تخصص مهني .

وعلى صعيد آخر فان الصناعة التقليدية التي كانت تشكل النشاط الاقتصادى الحيوي للمدينة قد عرفت بدروها تقهقرا نتيجة منافسة المنتجات الصناعية الجديدة والتطورات الحاصلة في نموذج الاستهلاك ، وقد ادى هذا أيضا الى تحول جزء كبير من قطاع الصناعة التقليدية الى قطاع خدمات واصبحت بالتالى القاعدة للمدينة العتيقة تتكون من صناع تقليديين صغار وسكان جدد هاجروا الى المدينة من أجل الحصول على عمل .

أما على صعيد التعمير فقد تم تشييد وتطوير مدينة جديدة أمام المدينة العتيقة على النمط الغربي لا علاقة لها بأصالة حضارتنا المعمارية ، فأصبحت المدينة تتصف بكونها تحتوى على مركزين أساسيين يطبعان شكلها العام :

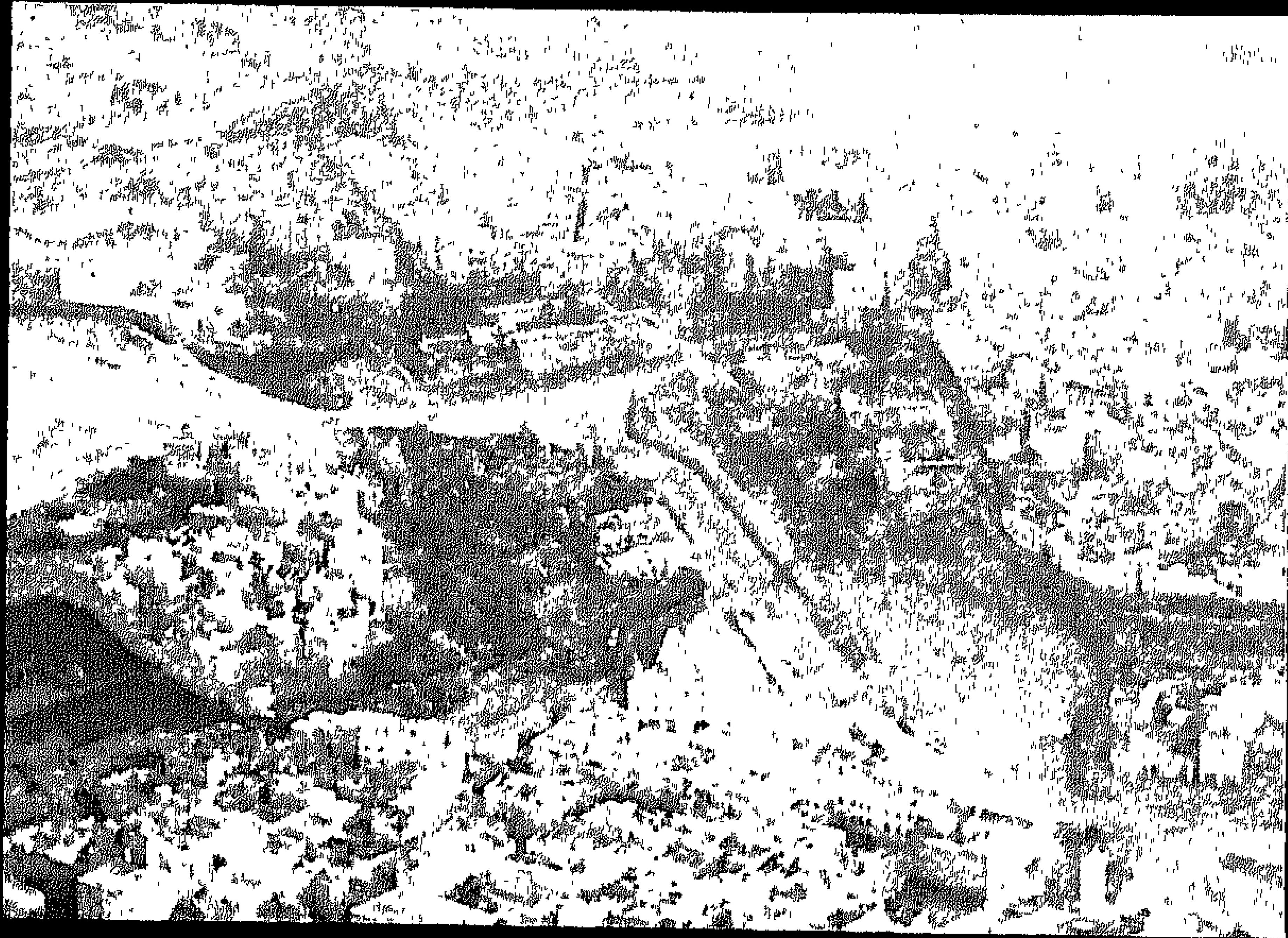
المركز التقليدى للمدينة القديمة الذي يعرف تدهورا ملموسا ويحتضن كل العرف والوظائف ذات الطابع التقليدى .


المركز العصري للمدينة الجديدة وهو دائم الحيوية ويضم جل الانشطة الحديثة من تجارة وصناعة وتجهيزات .

ولعل أخطر شكل تولد عن هذه الوضعية هو التزايد المهمل للكثافة السكانية بالمدينة العتيقة حيث يصل معدلها الى ١٠٠٠ ساكن في الهكتار الواحد ، وحيث أخذ البناء يتسع داخل أسوارها على حساب المناطق المخضرة والبساتين التي كانت تمتاز بها ، وكذلك داخل المنازل بتغطية الصحون وتقسيم البيوت الى أن أصبحت هذه المنازل قليلة أو منعدمة التشميس والتهوية .

وخلاصة القول ، فقد تبين من خلال دراسات التخطيط التوجيهى ان المشاكل التي تعرفها المدينة العتيقة لا تنحصر عند اسوارها من حيث أسبابها بل ترتبط بالوحدات الاخرى المكونة للمدينة وبوضعها داخل المجال الحضرى ، فالمشكلات التى تحدق بالمدينة العتيقة ليست مشاكل ترميم للسكن والتراث القديم أو تكييفه مع متطلبات العصر فقط ، بل مشاكل ترجع أساسا لطبيعة العلاقات التي تربط بين قطاعين يشكلان قاعدة التنظيم المعمارى الحديث ، القطاع التقليدى بجميع مستوياته الاقتصادية ، والاجتماعية ، الثقافية والعمرانية والذى يعرف تراجعا وتدهورا مستمرا والقطاع الحديث ، الذى هو دائم الحيوية والنشاط .

٢٢٠ فاس من الجو ◄




القاهرة

إحياء قاهرة العصور الوسطى

احمد كمال عبد الفتاح وآخرون*

مقدمة :

أسس القائد « جوهر الصقلى » مدينة « القاهرة » عام ٣٥٨ هجرية (٩٦٩ م) ، لخليفته « المعز لدين الله الفاطمى » ، الى الشمال من العاصمة القديمة « مصر الفسطاط » ، وكانت حينئذ مدينة محرمة Forbidden City ، مقصورة على الحكام وأتباعهم ، من الفاطميين ، ومسورة بأسوار قوية كقلعة محكمة تحميهم وتحمى مصر الفسطاط من أعدائهم القرامطة القادمين من الشمال .

وفى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى ، أصبحت القاهرة عاصمة كاملة لامبراطورية واسعة ، بعد أن سمح لعامة الشعب بسكناها وبعد أن ضم اليها العواصم الاسلامية الثلاث : الفسطاط ، والعسكر ، والقطائع ، وشيد حولها جميعا سور دفاعى جديد وتوجه بقلعته فى جبل المقطم .

وفى عهد المماليك ، اتسعت رقعة القاهرة ، وامتدت فى اتجاه الشمال والغرب . وتنافس الحكام والأمراء ، فى بناء المساجد ، والمدارس ، ودور الكتب ، والقصور ، والخانات ، والوكالات ، وغيرها من الآثار الرائعة ، التى لايزال الكثير منها ، شاهدا على مااتسمت به المدينة آنذاك ، من الغنى والازدهار ، ورفاهية الذوق .

أما فى أيام العثمانيين ، فقد بقيت القاهرة فى حدودها المملوكية . وتفشى الخراب بأحيائها ، وتلاشى العديد من قصورها وعمائرها ، نتيجة للاهمال ، والنقص فى الأموال والمواهب الفنية ، التى كانت ترسل أو تنجذب الى عاصمة الخلافة « اسطنبول » . ومع ذلك ، لم تخل هذه الحقبة ، من آثار رائعة لبعض التكايا ، والأسبلة ، والمساجد ، الحافلة بأروع النقوش والزخارف .

وقد ظلت المدينة على ماهى عليه تقريبا ، الى مابعد الغزو الفرنسى لمصر ، حين حركها مرة ثانية ، طموح محمد على والخديوى اسماعيل ، فى العصر الحديث . وذلك عندما تم انشاء مدينة عصرية ، مستوحاة من تخطيطات « هاوسمان » فى « باريس » ، فى المنطقة الواقعة بين القاهرة القديمة ومجرى نهر النيل

واستعادت « القاهرة » مكانتها كعاصمة ، ونشطت فيها حركة البناء والتعمير ، ولكن فى اطار وطراز أوروبى. وبعد أن تم تثبيت مجرى النهر ، وردم الكثير من البرك والخلجان ، أضيفت للقاهرة ، مناطق سكنية شاسعة الى الغرب . ولحسن الحظ ، فمازالت القاهرة القديمة ، تحتفظ حتى الان ، والى حد كبير ، بطابعها التاريخى المميز ، وتضم اكثر من خمسمائة أثر اسلامى ، من القرن السابع الى التاسع عشر الميلادى . وهو أمر ليس له مثيل ، فى العالم الاسلامى كله .

أدت التوسعات العمرانية نحو الغرب ، الى هجرة الطبقة المتيسرة من السكان ، من منطقة القاهرة القديمة ، الى المناطق الجديدة وتبع ذلك ، انتقال المركز التجارى للمدينة ، وبقى فيها السكان ، من رقيقى الحال . وترتب على ذلك ، الاهمال الكامل للمنطقة القديمة من السلطات الادارية ، التى كان مفروضا عليها أن تلتزم بالحفاظ عليها وحل مشاكلها ، ورفع مستواها ، ونجم عن ذلك :

اهمال المبانى الأثرية ، وتدهورها . وسوء المرافق والخدمات ، بالمنطقة . وارتفاع منسوب المياه الجوفية ، الملوثة بمياه الرشح من المجارى . والخلط فى استعمالات الأراضى . وتلوث البيئة . وزيادة كثافة المرور الآلى ، بأحجامه المختلفة .

وانعكس فقدان القيم الحضارية ، على معاملة سكان المنطقة للآثار ، فعوملت كأنها أطلال بالية ، واستعملت استعمالا سيئا ، خربها ، ودمر الكثير من قيمها الفنية والمعمارية .
كما دخلت أنماط معيشية غريبة ، الى المنطقة ، لاتناسب ماضيها الحضارى ، ولاواقعها البيئى . وانعكس ذلك ، على طابعها العام ، وشخصيتها الفريدة ، هذا بالاضافة ، الى التدهور الاجتماعى ، الذى جاء نتيجة توافر وسائل الخدمات الاساسية فى المنطقة كالتعليم ، والخدمات الصحية والترفيهية المناسبة . بالاضافة ، لانخفاض مستوى الدخل العام ، وتفاقم مشكلتى زيادة السكان وأزمة الاسكان .

ولهذا ، فان المشكلة الواضحة للمدينة القديمة ، تتمثل فى أن أى مشروع لاحيائها والحفاظ على آثارها ، لابد وأن يرتبط تمام الارتباط ، برفع المستوى العام لها ، عمرانيا ، واجتماعيا ، واقتصاديا . وأن أى حل يقترح ، يجب أن توجهه نظرة شمولية ، على المنطقة ككل .

---

* هذا بحث ميدانى أعده المكتب العربى للتصميمات والاستشارات الهندسية ، وقام به فريق من المتخصصين هم احمد كمال عبد الفتاح ، يحيى الزينى ، عبد الباقى ابراهيم ، احمد رأفت الزغبى ، عبد الحليم ابراهيم ، ممدوح يعقوب ، عبدالله السعيد .

◄ ٢٢١ جامع السلطان حسن ـ القاهرة

ولاشك ، أن عملية الاحياء هذه ، عملية ضخمة ، باهظة التكاليف ، وأكبر من امكانيات مصر ، فى ظروفها الراهنة . ولابد من اثارة الرأى والضمير العالمى ، دول وأفراد ، بالمسئولية اتجاه هذا التراث الانسانى العظيم ، وحثة على الاسهام فى الحفاظ عليه .

وتأكيدا على اثار الاهتمام العالمى ، بآثار مصر الاسلامية ، قررت منطقة « اليونسكو » ، اعتبار قاهرة العصور الوسطى ، واحدة من مراكز التراث الثقافى والحضارى ، ذات الأهمية الخاصة ، فى العالم . ووافقت على القيام ، بالدراسات الأثرية ، والتخطيطية ، والعمرانية ، اللازمة للحفاظ عليها . على أن تتركز هذه الدراسات ، فى ابراز دور – المنطقة ، كمركز ثقافى وحضارى حى ، والبعد عن معالجتها ، كمجتمع لآثار صماء ، أو عمائر متحفية .

تحليل للتكوين الحالى للنسيج العمرانى لقاهرة العصور الوسطى

التكوين الطبيعى للمنطقة : يحدد الموقع العام لمنطقة القاهرة الفاطمية (قاهرة العصور الوسطى) من الشمال ، أسوار بدر الجمالى ، ابتداء من برج الظفر ، باب النصر ، باب الفتوح ، حتى شارع الخليج المصرى ، ومن الجنوب ، شارع باب الوزير ، ومن الشرق ، تلال الدراسة ، وسور مصر القديمة ، والقلعة ، ومن الغرب ، شارع الخليج المصرى ، وميدان احمد ماهر ، وشارع محمد على . وتبلغ مساحة المنطقة ، حوالى ٨٤٧ فدانا تقريبا . وتضم ٣٤٦ أثرا اسلاميا ، من مختلف العصور الاسلامية . ويحيط بالقاهرة أحياء أغلبها رديئة سيئة .

الأقسام الادارية للمنطقة : تنقسم الى الأقسام الادارية التالية من محافظة القاهرة : قسم باب الشعرية ، وقسم الجمالية ، وقسم الدرب الاحمر ، وقسم الخليفة .

الحالة العامة لأحياء المنطقة ومنشآتها : حالة المبانى فى المنطقة عموما رديئة ، فيما عدا بعض المبانى العامة المنشأة حديثا ، والتى لاتمت للطابع المميز للمنطقة بصلة . والمتوسط الاجمالى لعدد الأدوار فى مبانى المنطقة كلها ، هو ٢٫٥ دور .

الاستعمالات الحالية للمنطقة : تبلغ جملة المساحة الفعلية المستعملة فى المنطقة ٦١٤ فدانا تقريبا – بعد استبعاد قلعة صلاح الدين والجبانات والأراضى الواقعة شرقى سور مصر القديمة (وتبلغ مساحتها ٣٣٣ فدانا تقريبا) . وأهم الاستعمالات بالمنطقة : المناطق الأثرية والدينية ، وتتركز فى قلب المنطقة ، وعلى جوانب الشوارع الرئيسية ، وتشغل ٤٤ فدانا . وتمثل المناطق السكنية ، التى لاتوفر لسكانها الخدمات الضرورية ، التكوين الرئيسى للمنطقة . وتبلغ مساحة الأراضى المستغلة فى الاستعمالات السكنية ، المشتركة مع الحرف والتجارة ، حوالى ٢٦٨ فدانا . وتتركز المناطق التجارية حول جامعى الازهر والحسين ، وعلى جانبى شوارع المعز والجمالية والموسكى والأزهر والغورية . وتتميز فى بعض أجزائها بالتخصص التجارى الحرفى (تجارة العطارة – المنسوجات – النحاس – صناعة وتجارة الذهب – صنع الخيام) . وتبلغ مساحة الأراضى المستغلة فى الاستعمالات التجارية والتجارية الحرفية ، حوالى ٧٥ فدانا ، وتشغل المبانى العامة حوالى ٤٥ فدانا . ويوجد بالمنطقة حوالى ٣٥ فدانا من الأراضى الفضاء والخربة ، تتراكم فيها أكوام الأنقاض والقمامة ، وتبلغ مساحة الحدائق والمساحات الفضاء ، حوالى ٣ أفدنة ، مما يوضح أن المنطقة تكاد تكون خالية من الأنشطة الترفيهية والحدائق .

الدراسات السكانية : كان عدد سكان المنطقة فى عام ١٩٣٧ هو ١٥٤٣٥٤ نسمة . وبلغ عدد سكان المنطقة ٢٥٦١٠٢ نسمة فى عام ١٩٧٦ . وذلك بمعدل زيادة سنوية قدرها ٥٪ خلال الفترة من ١٩٣٧ – ١٩٤٧ ، و٩٥ر٪ فى الفترة ١٩٤٧ – ١٩٦٠ ، و١ر١٪ فى الفترة ١٩٦٠ – ١٩٦٦ ، وبمعدل تناقص سنوى قدرة ٨ر – ٪ خلال الفترة ١٩٦٦ – ١٩٧٦ ، بالمقارنة الى معدلات الزيادة السنوية للسكان بمحافظة القاهرة ، خلال نفس الفترات ، والبالغة ٨ر٥٪ ، و٧ر٤٪ ، و٣ر٤٪ ، ٢٪ على التوالى ومن ذلك يتضح ان القاهرة القديمة ، أصبحت منطقة طاردة لسكانها منذ عام ١٩٤٧ . ويبلغ متوسط الكثافة السكانية الاجمالية على مستوى المنطقة ككل ٣٠٢ شخص فى الفدان ، تصل الى ٨٦٢ شخصا فى الفدان بشياخة درب شغلان . ويبلغ متوسط التزاحم فى المنطقة ١ر٢ شخص فى الغرفة .

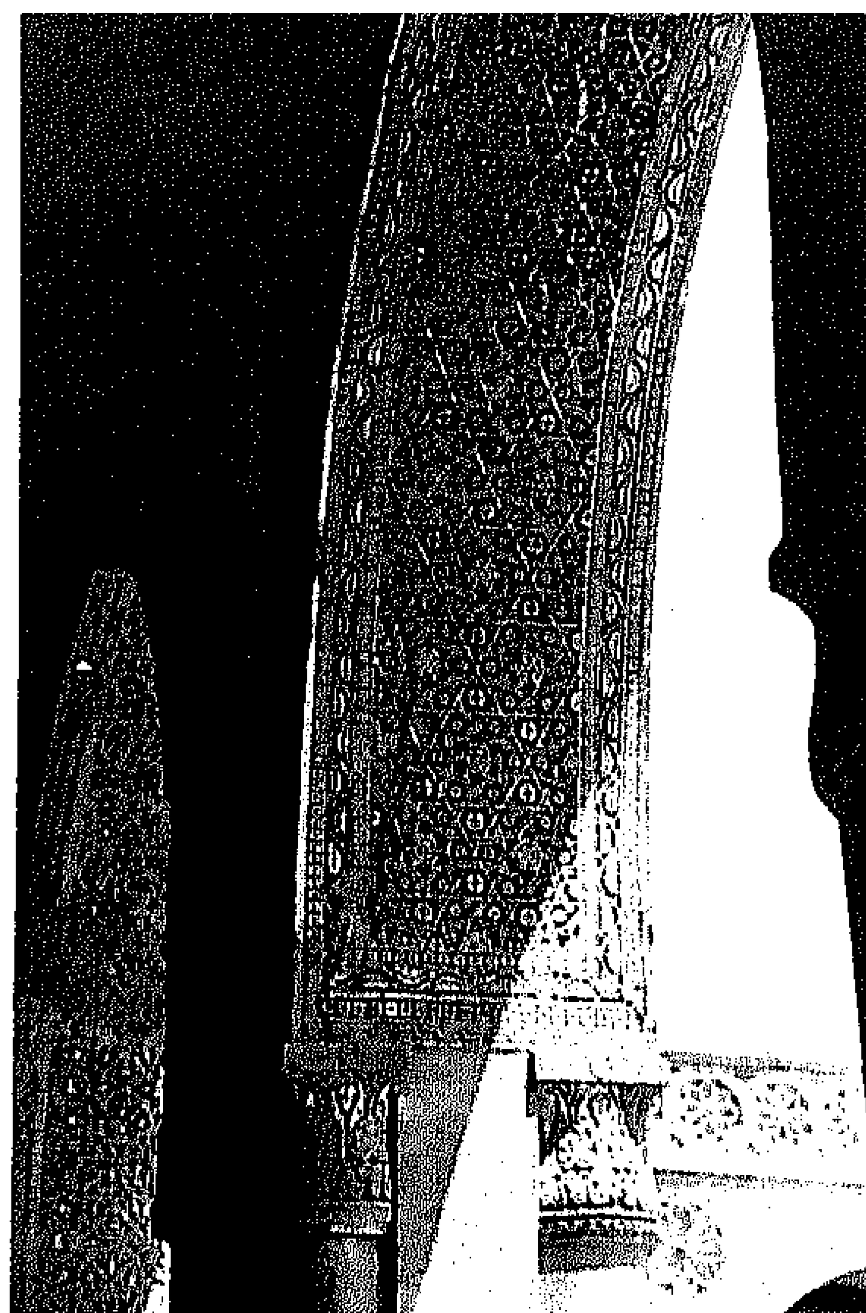
الخدمات فى المنطقة : المرافق بالمنطقة ، سواء شبكات المياه أو الصرف الصحى أو الكهرباء بحالة سيئة . كما تفتقر المنطقة الى الخدمات المختلفة : الصحية ، والتعليمية ، والترفيهية ، والحدائق ، والمساحات المكشوفة .

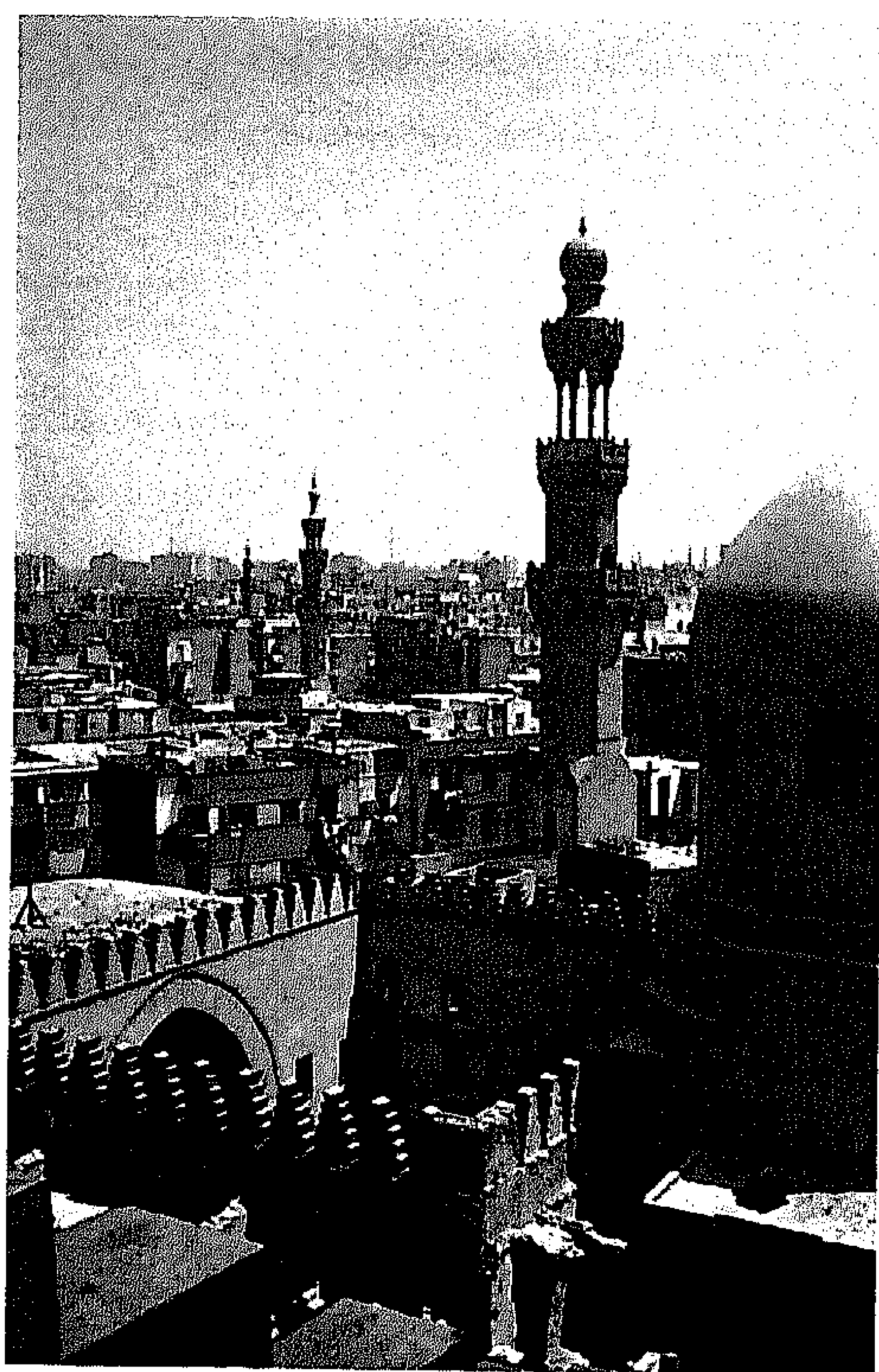
شبكة الطرق : يحد المنطقة طريقان رئيسيان ساعدا على تسهيل عملية النقل والانتقال منها واليها ، وهما : طريق صلاح سالم ، وشارع الخليج المصرى ، ومن أهم الطرق الاشعاعية والعرضية بالمنطقة : شارع الموسكى ، وهو للمشاة فقط . وشارعا القلعة والأزهر ، وهما يختنقان بوسائل المرور المختلفة ، وخاصة النقل الآلى الثقيل . ومن أهم الطرق الداخلية : شارع المعز لدين الله (قصبة القاهرة) ، وشارع الجمالية . وتتركز على جانبيهما ، أهم المجموعات الأثرية . ومع أنهما طريقان ضيقان للمشاة ، الا أن حركة المرور الآلى مسموحة بها ، بالرغم من أنها تكاد تكون مستحيلة .

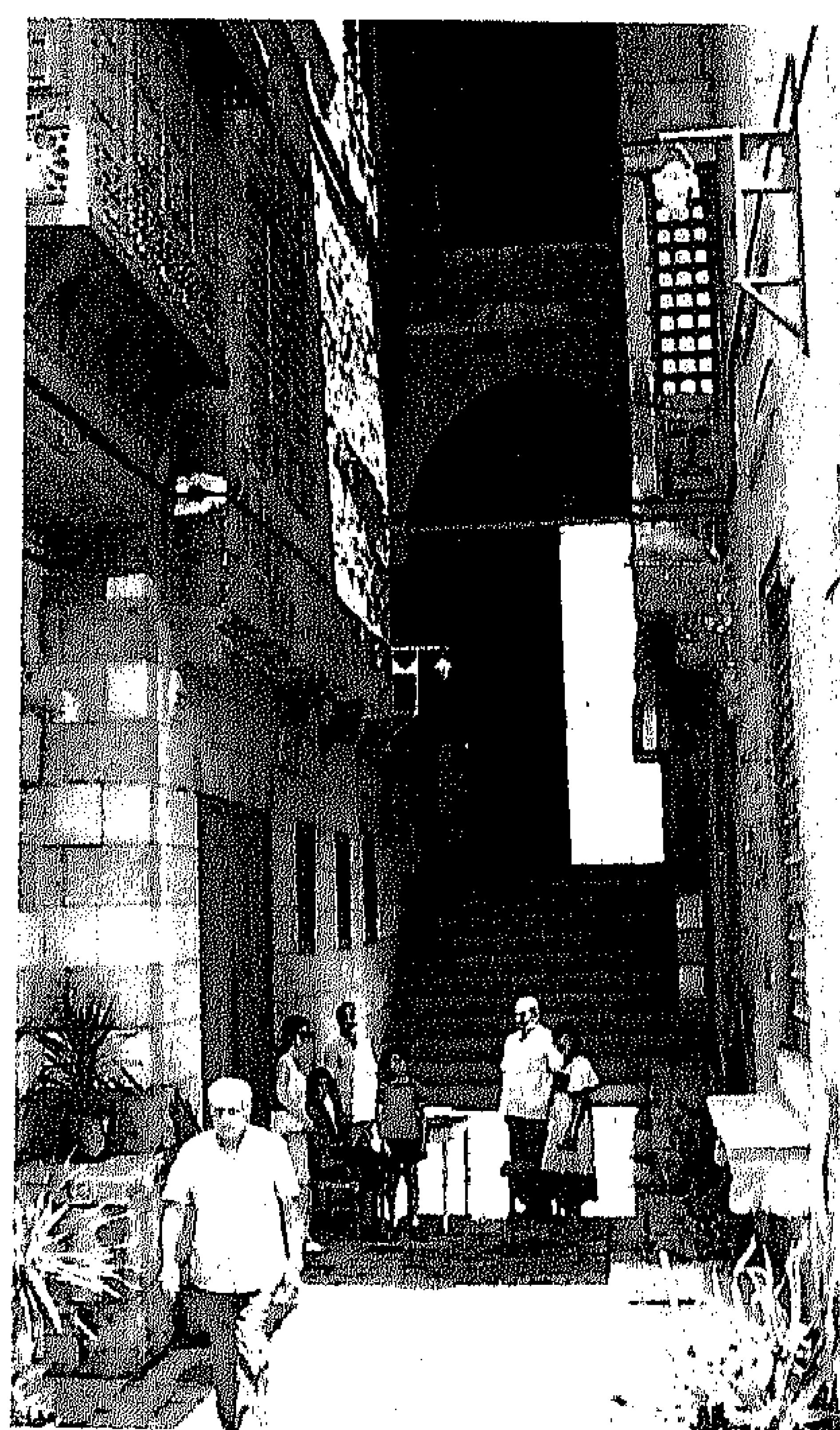
حصر وتقويم المشاكل الرئيسية لقاهرة العصور الوسطى

المشكلات الادارية :

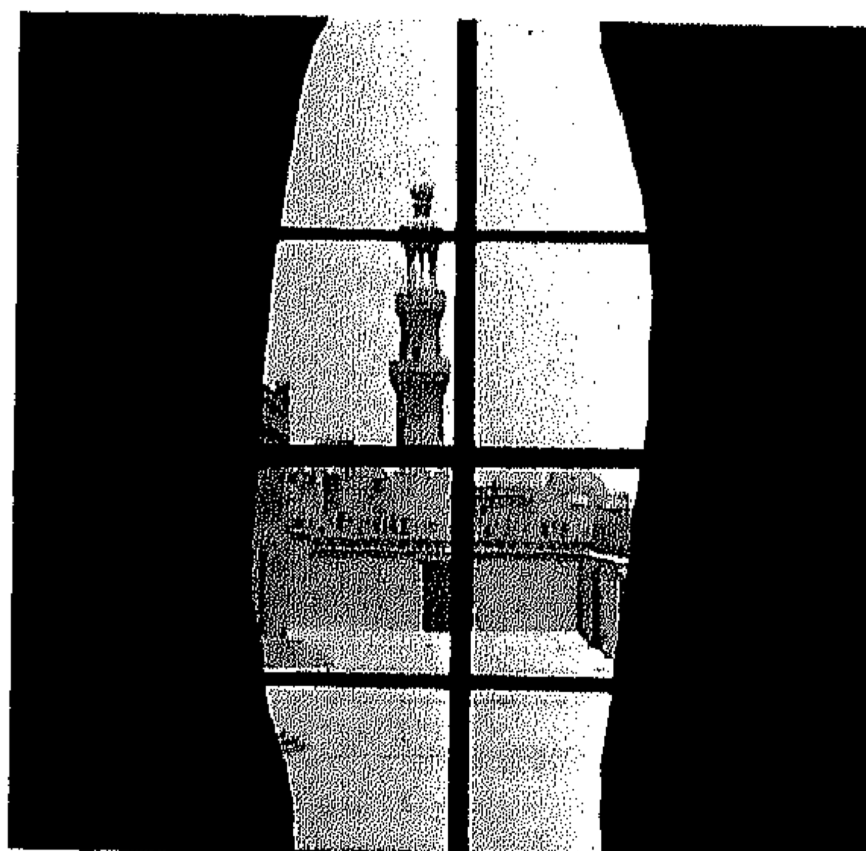
توجد ثلاث سلطات رئيسية مختصة بشئون المنطقة : محافظة القاهرة ، وهى مسئولة عن اعطاء تراخيص المبانى الجديدة ، وتراخيص التعديلات والهدم للمبانى القائمة ، كما أنها الجهة المسئولة عن حل مشاكل الاسكان ، وعن المبانى العامه ، ومبانى الخدمات ، والمرافق العامة ووزارة الأوقاف ، وهى تملك عددا كبيرا من الآثار الاسلامية ، ومن المبانى ذات الطابع الأثرى والتى لاتضمها قائمة الاثار المسجلة ، وهى الجهة المختصة بصيانة هذه الاثار والمبانى . وهيئة الاثار المصرية ، وهى المسئولة عن اعطاء التصاريح الخاصة بالتعديلات للمبانى الاثرية المسجلة . وقد فشل هذا النظام الذى تتداخل فيه السلطات الثلاث بسبب : النقص الخطير فى الخبرات الفنية والادارية والتنظيمية ، فى السلطات الثلاث ، وعدم التعاون بينهما ، وعدم


٢٢٢ جامع ابن طولون ـ القاهرة


٢٢٥ قبة صرغتمش ـ القاهرة


٢٢٣ بيت الكريتلية ـ القاهرة


٢٢٦ جامع عمرو بن العاص القاهرة


٢٢٤ جامع ابن طولون ـ القاهرة

وجود تمويل مالى كاف . والقيام بانشاءات جديدة ، وتغييرات فى المبانى الأثرية ، بواسطة الأفراد ، بدون رقابة من السلطات المسئولة . وأدى ذلك ، الى مشاكل متعددة :

قدم المبانى الاثرية وتهالكها وتداعيها :
وعلى الأخص الآثار غير المسجلة والتى لاتخضع لأى اشراف من هيئة الاثار ، مما يعرضها للزوال . كما أن وزارة الاوقاف وجهت أموالها التى كانت مخصصة لصيانة الآثار ، الى مشاريع اقتصادية مربحة من وجهة نظرها .

اهمال النظافة العامة :
حيث يؤثر على نظام نقل المتعهدين للقمامة ، الازدياد المضطرد فى كميات القمامة ، وتناقص العائد المالى للمتعهدين . ونتج عن ذلك ، وجود أكوام من القمامة فى الأراضى غير المستخدمة ، وفى الطرقات ، وحول المساجد والمبانى الأثرية ، مما يؤثر على الأخيرة . كما نلاحظ أشكالا مضغوطة من القمامة ، تشكل السطح العلوى للطرق .

الخلط فى استعمالات الأراضى :
وهو نتيجة لعدم تحكم السلطات المسئولة عن التنظيم وتراخيص البناء ، فى الحفاظ على طابع استعمالات الأراضى بالمنطقة ، ومما أدى الى انتشار مختلف الاستعمالات المتناقضة . فالورش الصناعية الثقيلة ، بجوار المساكن والاثار . ومقالب القمامة ، فى كل مكان .

المبانى وارتفاعاتها وطابعها :
فى ظل قانون المبانى الحالى ، اختلفت وتباينت المبانى ، فى الشكل وفى الطرز الأوربية ، التى لاتتناسب والطابع المعمارى للمنطقة . كما اختلفت ارتفاعات المبانى ، طبقا لعروض الشوارع . وارتفعت مثل ونصف عرض الشارع ، لتناطح المآذن الجميلة لمساجد القاهرة .

المرافق والخدمات :
حالة شبكة المياه بالمنطقة سيئة ، ومعظمها يحتاج لتجديد . وتتزايد كمية الفاقد منها ، يوما بعد يوم . وتوجد مشاكل ناتجة عن الحالة السيئة لشبكة الصرف ، وعدم كفاءتها . أهمها ، وجود رد عكسى ، ينتج عنه طفح للمجارى ، يؤثر على الصحة العامة ، وعلى المبانى الاثرية . وزحف بعض من أجزاء مركز المدينة الحديث ، المجاور من ناحية الغرب ، الى القاهرة القديمة ، فى صورة شرايين عابرة (باترة) . كما أثقل توسيع شارع الازهر – الذى يربط وسط المدينة الجديدة ، بطريق صلاح سالم السريع كاهلها ، بعبء كانت فى غنى عنه ، من وسائل مواصلات عابرة ، وحجم مرور ضخم ، أحدث فاصلا بين جزئيها الشمالى والجنوبى . هذا بالاضافة لافتقار قاهرة العصور الوسطى ، الى الخدمات العامة ، والاجتماعية . وعلى الأخص الخدمات التعليمية ، والصحية ، والمناطق الخضراء ، والخدمات الترفيهية ، والوحدات الاجتماعية .

المشاكل الاجتماعية :
ارتفاع معدلات الكثافة السكانية والتزاحم ، من العوامل الأساسية فى تدهور المنطقة . وأدى ارتفاع القيمة الايجارية عن مستوى دخل السكان ، الى مشاركة اكثر من اسرة ، فى وحدة سكنية واحدة . واصبحت منطقة المقابر المجاورة للمنطقة . من جهة الشرق ، والغنية بآثارها الفريدة ، منطقة جذب للمهاجرين الفقراء الذين ينزحون الى القاهرة من الريف كما تستقبل المنطقة أعدادا متزايدة من الوافدين اليها ، لزيارة المبانى الدينية والأثرية ، والتبرك بها فى المواسم ، مثل : مولد الحسين ، ومولد النبى (صلعم) وشهر رمضان ، والاعياد . فيتضاعف عدد الأهالى فى هذه المواسم بما يمثل عبئا على خدمات المنطقة الحالية .

تأثير العوامل الطبيعية على المبانى الأثرية :
ومن أهم هذه العوامل : مياه المطر اذا كانت بكميات كبيرة ، والرياح ، والأعاصير ، والصواعق ، والحرائق . وكذلك رطوبة التربة ، التى تحدث غالبا من طفح المجارى المرتدة ، ومن ارتفاع منسوب المياة الجوفية بعد انشاء السد العالى ، وايضا ، التغيرات فى درجات الحرارة بين الصيف والشتاء ، وبين النهار والليل . واضافة احمال زائدة ، وأوزان اكثر من تلك التى صمم المبنى من أجلها . والاهتزازات الأرضية التى تحدثها وسائل النقل الحديث .

تدخل الانسان والاستخدامات السيئة للآثار :
أصبح كثير من القصور والخانات والوكالات مأوى للمهاجرين من الريف وعائلاتهم ، وأيضا ملاذا لسكان المبانى المنهارة . كما انه من الظواهر المنتشرة فى أيامنا الحالية ، احتلال المساجد بسكان انهارت مساكنهم . واستفحل المرض واستشرى فى معظم التجمعات الأثرية ، بتحويل أفنية وأحواش القصور والمنازل ، وادوارها الأرضية ، الى ورش نجارة ، وحدادة ، ومخازن لتجارة الجملة ، واستخدامات أخرى متعددة دخيلة تماما على الاثر وعلى المنطقة .

القصور فى التشريعات والقوانين بالنسبة للحفاظ على الآثار :
لم تستطع أى من الهيئتين المختصتين ، سواء القديمة قدم الزمن وهى هيئة الأوقاف ، أو هيئة الاثار المصرية الاحدث عهدا ، وقف تدهور حال المدينة القديمة . كما أن اكثر من ٥٠٪ من العقارات الموجودة اوقاف اهلية ، لايمكن التصرف فيها بالبيع . واصبحت هذه العقارات متجمدة تماما ضد أى سبيل لتطويرها ، وفى حالة تدهور مستمر . وللأسف ، لم تتضمن قائمة الآثار المسجلة (٦٢٢ اثرا) ، التى أعدتها لجنة حفظ الاثار العربية ، كثيرا من المبانى السكنية والتجارية ، والتى اعتبرتها اللجنة ، من وجهة نظرها ، أقل قيمة تاريخيا وتقنيا. فتركت هذه المبانى مهملة ، لتلقى مصيرها المحتوم ، بالانهيار أو الهدم . كذلك لاتفى الميزانية الضئيلة للغاية ، التى تحصل عليها هيئة الاثار ، باحتياجات صيانة ونظافة الاثار ، وحراستها . كما أن وزارة الاوقاف ، تحولت الى استثمار اموالها فى بناء عمارات سكنية والى بناء جوامع جديدة ، فى المناطق الحديثة ، بدلا من انفاق مبالغ كبيرة ، على صيانة البعض القديم المتداعى منها ، فى المدينة القديمة . وذلك بالاضافة الى وجود عدة هيئات حكومية ، تتضارب وتتنازع سلطاتها داخل المنطقة .

الحل التخطيطى

المدخل للحل التخطيطى :

ان إحياء قاهرة العصور الوسطى الاسلامية ، هو عملية شمولية ، تتكامل وتتبلور فيها ، العلاقة بين ترميم الآثار والحفاظ عليها من ناحية ، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والحضرية للمجتمعات المرتبطة بهذه الآثار من جهة أخرى ،

ولاشك أن كلا من النشاطين متميز ومختلف عن الأخر ، فبينما يرتبط أحدهما بالتراث الثقافى والجمالى للعمارة الاسلامية ، فان الآخر ، يرتبط بالانسان الذى يعيش فى هذه المجتمعات ، مطورا ومنميا لظروفه الاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية .

ان احياء التراث المعمارى الاسلامى هو مدخل حقيقى فعال لحل مشاكل قاهرة العصور الوسطى الحضرية المعاصرة . لأن التراث اذا مافهم بعمق وحلل بتعمق واستيعاب ، وجدنا فيه الجذور والحلول للاستمرارية الحضارية والتنمية المستقبلية للانسان ومجتمعه ، فى توازن متوافق ، مع بيئته ، وخلفيته التراثية .

الهدف من الحل التخطيطى الشامل هو احياء الوحدة العضوية العمرانية لقاهرة العصور الوسطى ، والحفاظ على نسيجها العمرانى . وتنعكس هذه الوحدة ، فى حدود واضحة للمنطقة ، وشريان مركزى رئيسى حيوى (القصبة) ، يربط المدينة من الشمال الى الجنوب . وتتركز كل الأنشطة العضوية ، على هذا الشريان المركزى الحيوى ، كمراكز جاذبة ، متتابعة ، مفعمة بالحياة والحيوية . ويبدأ الشريان المركزى وينتهى أيضا عند نقاط جاذبة للأنشطة التجارية والسياحية المختلفة . ويتكرر مثل هذا النموذج لتكوين النسيج العمرانى ، فى تتابع ايقاعى للمجتمعات المحلية (وحدات اجتماعية اقتصادية) ، مثل : الخيامية ، الفحامين ، النحاسين ، مجمعة بواسطة الشريان المركزى الرئيسى . ولكل مجتمع محلى مركز محلى جاذب أو أكثر (يتمثل فى أثر ذى قيمة أو فى سوق حرفية منتجة) مرتبط بأنشطة السكان – وله أيضا حدوده ، وبدايته ونهايته . وكل هذه المجتمعات ، تتكامل فى وحدة كاملة كبيرة ، تربطها القصبة (الشريان المركزى الرئيسى للحياة والأنشطة) .

لذلك ، يجب معالجة المنطقة كوحدة من وجهة نظر وسائل النقل والمواصلات ، والخدمات والمرافق . ومن ثم فانة يلزم ابعاد النقل الآلى الى الحدود الخارجية للمنطقة . ويجب التخلص من حركة النقل الآلى المتدفقة فى شارع الأزهر ، وذلك بالأخذ فى الاعتبار ، عدة اختيارات تخطيطية ، والتى سوف توضح فى الحلول البديلة المختلفة . ويجب أن تعاد القصبة ، الى وضعها الأصلى كمجال لحركة ونشاط الانسان ، وذلك بتطهيرها من المرور الآلى .

تنقل أنشطة الصناعات وتجارة الجملة خارج المناطق السكنية والحضارية الى الحدود الخارجية للمجتمعات المحلية على كلا الجانبين ، حيث يمكن توفير الخدمات ، بواسطة طرق للسيارات وكذلك توفير مخارج للطوارىء (للحريق والاسعاف) ، ومساحات انتظار للسيارات ، للسياح وللخدمات الأخرى .

بدائل الحلول المختلفة :

بناء على المبادىء التصميمية سالفة الذكر ، طورت مجموعة الباحثين عدة حلول تخطيطية بديلة :

البديل الأول : ابقاء قاهرة العصور الوسطى كما هى موجودة حاليا ، مع استمرار المرور الآلى فى شارع الأزهر ، قاطعا لها . ولكن فى نفس الوقت يتم تطوير تدريجى وتنمية حضارية للمجتمع والبيئة المحلية .

البديل الثانى : وهو حل تخطيطى شامل ، لاحياء تكوين النسيج العمرانى لقاهرة العصور الوسطى ، فى شكل مجتمعات حضرية متتابعة ، لكل منها ، مركزه الحضارى أو الحرفى ، وكلها مجمعة فى وحدة واحدة ، بواسطة الشريان المركزى الرئيسى للمشاة (القصبة) ، والتى تتركز عليه الأنشطة المختلفة المفعمة بالحيوية والحياة والتنوع .

والمميزات الرئيسية لهذا التخطيط ، هى :

نقل تدفق المرور من شارع الأزهر ، بالنزول به الى نفق تحت الأرض ، لإخلاء مستوى الشارع للمشاة ، ولربط الشريان المركزى الرئيسى بالحى الجامعى (جامعة الأزهر) . تحديد خمسة مجتمعات محلية كمجال لعملية الاحياء . تخصص المناطق المحيطة بكل مجتمع محلى لأغراض الاحلال الداخلى للأنشطة والمنافع .

ويرتبط كل مركز من مراكز المجتمعات المحلية بمجموعة من الآثار ، سوف تكون النواة لعملية الترميم واعادة بناء الآثار .

البديل الثالث : وهو مثل البديل الثانى ، فيه عدا طريقة معالجة شارع الأزهر الذى يرفع فيه ، كطريق علوى معلق ، فوق قاهرة العصور الوسطى .

البديل الرابع : وهو يحافظ على الفكرة الأساسية للبديلين الثانى والثالث ، فيما يختص بتحديد خمسة مجتمعات متتابعة . ويختلف عنهما . فى انه يوقف تدفق المرور فى شارع الأزهر ، عن طريق خلق نهايتين مغلقتين ، تنتهى كل منهما برحابة ومكان لانتظار السيارات ، على كل من طرفى الشارع : واحدة عند شارع بورسعيد ، لخدمة الاستعمال التجارى لتجارة الجملة . والاخرى لخدمة التجمع الثقافى الدينى التعليمى ، متمثلا فى جامعة الازهر ، ومسجد الحسين .

تقويم البدائل لاختيار أفضل الحلول :

أختبرت البدائل الأربعة ، وقوّمت ، فى شكل تقويم جدولى ، أجرى بالنقاط . وكان معيار التقويم ، مؤسسا على ثلاثة معايير رئيسية : هى البيئة والانسان والمعاصرة .

البيئة : وتشمل الشق الثقافى : مثل القيم الحضارية والتراث الحضارى والشق الطبيعى : والطابع العام للبيئة وتكامل المنطقة أو عزلها والتاريخ والطبيعة والحركة فى المنطقة .

الانسان : ثقافيا وأنماط المعيشة والكثافة السكانية والاستعمالات وإعادة تنظيمها والتسكين واعادة التسكين .

وتم اختيار البديل الثانى كحل أفضل وطور بالتفصيل فى المشروع المقترح .

المعاصرة فى استخدام التخطيط والتكنولوجيا : ويتضمن هذا المعيار : استخدام التكنولوجيا لتحقيق الاقتصاد ووسائل وطرق النقل والمرور وارتباطها بالمدينة ككل .

تفاصيل الحل المختار

يتسم الحل المختار بالآتى :

اعلان قاهرة العصور الوسطى ، كمنطقة تاريخية ، تخضع لقوانين خاصة ، بالنسبة لجميع أعمال التخطيط والبناء والترميم .

انشاء هيئة عليا لاحياء قاهرة العصور الوسطى ، يفوض اليها ، التحكم فى أنشطة التخطيط والبناء والترميم فى المنطقة .

تركيز عملية الاحياء على التكامل بين ترميم وإعادة بناء الآثار ، وتطوير الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات المحلية .

تحديد الأحياء المحلية الخمسة :

يمكن تحديد المجتمعات المحلية (أو الأحياء) فى قاهرة العصور الوسطى ، كخمسة مجتمعات متتابعة ، هى بدءا من الشمال ، كالآتى : مجتمع باب النصر – مجتمع قلاوون – مجتمع الغورى والأزهر – مجتمع المؤيد – مجتمع الخيامية .

لكل مجتمع محلى (أو حى) مركزه التاريخى والحرفى . وفى كل مجتمع يجب أن يركز فيه على عملية ترميم وإعادة بناء مجموعة آثاره التاريخية ، وعلى تنمية أنشطة اجتماعية واقتصادية ، بالاضافة للأنشطة الثقافية والسياحية .

تبدأ عملية الاحلال ، بخلخلة الكثافة السكانية فى مجتمع باب النصر . وذلك بنقل جزء من السكان الى اسكان جديد ، خارج المنطقة وسوف يترتب على ذلك احلال داخلى للأنشطة والاستخدامات فى كل مجتمع محلى .

نقل الصناعات وتجارة الجملة غير المرغوب فيها الى الحدود الخارجية للمجتمعات المحلية .

احياء نشاطات ثقافية ذات طابع خاص جذاب ، مثل : الأعياد الدينية ، والاحتفالات ، والفنون الشعبية ، فى تطوير وتنمية عملية الاحياء .

أولوية الاختيار لثلاثة أحياء محلية كنواة لعملية الاحياء :

اختيرت ثلاث مناطق (أو أحياء) ، لتكون نواة لعملية الاحياء ولتكون أمثلة لدراسة ومعالجة وصيانة آثار القاهرة الاسلامية ، وهى :

باب النصر – قلاوون – باب زويلة .

اعتمد اختيار هذه المناطق (أو الاحياء) ، على وجود مميزات واضحة فى كل منها : من حيث موقعها ، حيث تمثل المنطقتان الأولى والثالثة ، بدايات لشريان الحفاظ ، بينما تمثل الثانية مركزا هاما لقاهرة العصور الوسطى .

تحتوى كل من هذه المناطق ، على عدد من الآثار الهامة ، من مختلف العصور الاسلامية . كذلك تمكن هذه الآثار ، بعد ترميمها واحياء المناطق المحيطة بها ، من الناحية التخطيطية ، والمعمارية والاجتماعية ، من الحصول على النتائج التالية : الوصول الى الأشكال الجمالية الحقيقية للمجموعات الأثرية – تجانس المبانى المحيطة والآثار – إعادة استخدام المبانى الأثرية فى الحياة اليومية – ابراز المعالم الأثرية فى المنطقة ، والمحافظة على المبانى التاريخية ، وازالة المبانى الدخيلة والمشوهة للمنطقة – ابراز القيم الفنية الرائعة للتصميم المعمارى للمبانى الأثرية .

أجريت الدراسات الأولية للمناطق الثلاث المختارة ، من الناحية الأثرية ، والتاريخية ، وأعمال الترميم ، والتقدير المالى اللازم لترميم كل أثر .

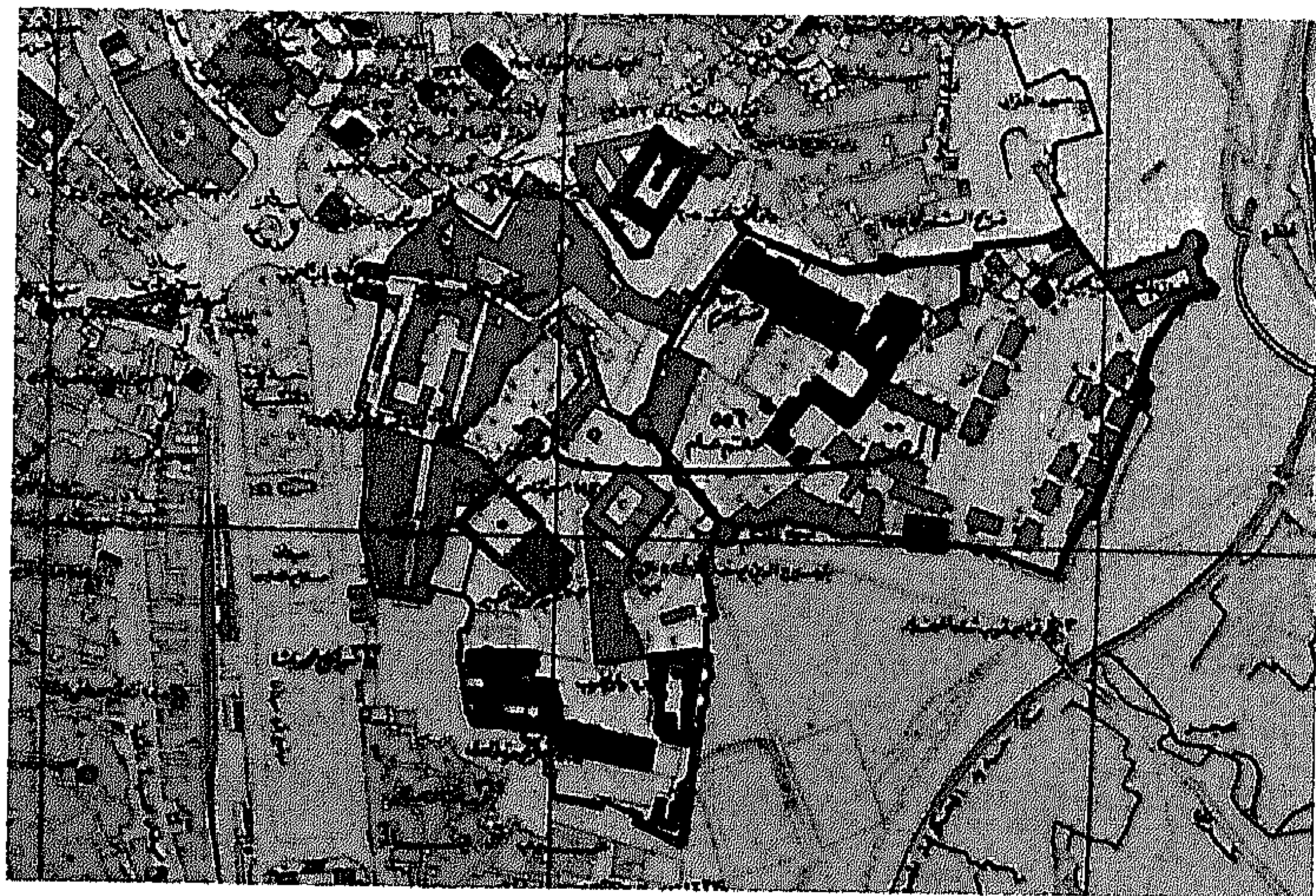
دراسة تفصيلية لحى باب زويلة ، كنموذج لدراسة الاحياء لحى :

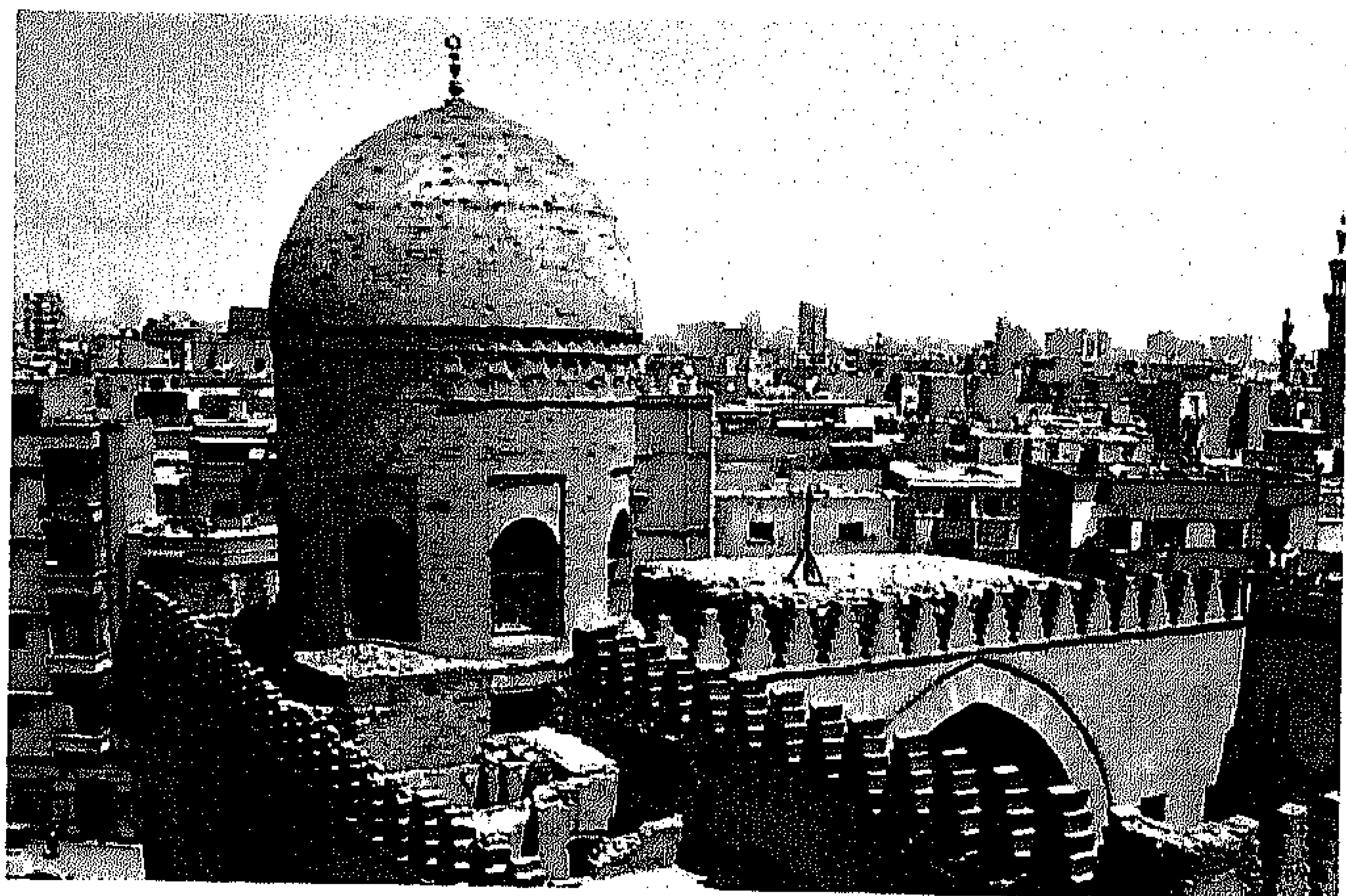
تمثل هذه المنطقة (أو الحى المحلى) مجموعة أثرية نادرة ، اذ تشمل : جامع المؤيد ، وزاوية الست نفيسة ، ومسجد الصالح طلائع وسقيفة رضوان بك ، وغيرها . وهذه الآثار تنتمى الى حقبة تاريخية تبدأ من الفاطميين حتى المماليك . وتعيش هذه المجموعة وسط مجتمع متدفق الحيوية ، تتنوع فيه الأنشطة الحرفية والانتاجية ، وتغلب عليها الحرف المتعلقة بالخيام ، والسرادقات والأقمشة .

فى اتجاه معاكس تماما ، لهذا التجمع الحضارى الرائع ، تدمر الاستعمالات الرئيسية للشوارع والأماكن العامة ، معنى وجمال هذا التجمع . فيحتل أفنية قصبة رضوان ، ورش لتصنيع الأبواب والشبابيك وتقطيع الأخشاب ، مستعملة آلات ثقيلة ، ومستلزمة حركة نقل آلية مستمرة . كما تزدحم السقيفة بسكنى كثير من العائلات التى أساءت استعمال المكان . وتحجب فوضى المرور الآلى وحركته حول باب زويلة وميدان الصالح طلائع أية امكانية للاحساس البصرى بتكامل الموقع وجماله .

تقوم الفكرة الأساسية لتطوير هذه المنطقة على وجود مركز تنبع منه امكانية تنمية الموقع المحيط به ، انتاجيا وحضاريا .


٢٣٠ بيت الكرتيلية ـ القاهرة


٢٢٧ خريطة القلعة ـ القاهرة


٢٣١ جامع صرغتمش ـ القاهرة


٢٢٨ جامع السلطان حسن ومسجد الرفاعي ـ القاهرة


٢٢٩ جامع محمد علي ـ القاهرة

تشمل مراحل الاحياء : خلخلة منطقة الاحلال ، بنقل الأنشطة والسكان منها . وتهيئة الأرحبة ، وطرق التوصيل والخدمة ، والبدء فى تجهيز المرافق والخدمات ، ويلى ذلك ، عرض قطع الأراضى بها للايجار أو الحكر على مدى طويل . وتنقل الورش الثقيلة وكافة الأنشطة الدخيلة على طبيعة المنطقة الى خارجها . ثم البدء فى محورى الاحياء ، فى توقيت واحد :

فى محور الحفاظ : اعادة بناء الأجزاء المتهدمة من سقيفة وقصبة رضوان بك ، وتكملتها بوحدات متجانسة مع الوحدات السكنية التى تعلو المحلات . وبناء مجموعتين معماريتين فى رحاب قصبة رضوان .

فى محور التجديد : وصل سقيفة قصبة رضوان بالرحاب وبمنطقة الاحلال . وتجديد الأنشطة التراثية التى تقع على المسار الموصل بينهما . وبناء الحمامات والحدائق على جانبيه . والبدء فى تجهيز مواقع المراكز الحرفية فى حيز الرحاب ، وعلى جانبيه ، وفى منطقة الاحلال .

تنظم عملية الاحياء فى منطقة الخيامية خمس لجان عمل أو أجهزة تنفيذية لبدء وتشغيل أنشطة ومتطلبات عملية الاحياء ، وهى : جهاز المجمعات الحرفية التصميمية المنتجة . وجهاز احياء التراث لتنمية المجتمع ولجنة المحمل ، ولجنة الاحتفالات الشعبية والموسمية ، ولجنة الأسواق .

وبواسطة هذه الأجهزة ، ترسخ عملية الاحياء ، فى بنيان المجتمع المحلى وبالتالى ، لاتنتهى مهمة الاحياء بانتهاء العمل فى الترميم أو التجديد ، وانما تستمر فى حياة المجتمع المحلى وتطويره .

التوصيات

وفى ضوء دراسة الأوضاع والمشاكل الحالية لمنطقة قاهرة العصور الوسطى والحلول التخطيطية والعمرانية المقترحة واسلوب الحفاظ على آثارها ، فاننا نجمل التوصيات التى توصلت اليها مجموعة العمل فيما يلى : -

أن يكون العمل على مستويين : أولا على المستوى الكلى لموقع قاهرة العصور الوسطى . وثانيا على مستوى مناطق مختارة بالموقع تحتوى على مجموعات من الاثار ذات أهمية وأولوية يمكن اعادة النظر فيها بعد دراسة دقيقة متتالية .

ان يبدأ برنامج لتحسين وتطوير البيئة ككل شاملا قطاعات الاسكان والأنشطة الاقتصادية والخدمات العامة والاجتماعية والمرافق وان يتكامل هذا البرنامج مع سياسة وبرنامج الحفاظ على الاثار .

ان يتم انشاء هيئة عليا لاحياء القاهرة القديمة والحفاظ على آثارها لها كافة الصلاحيات الفنية والمالية والادارية والقانونية بحيث يجمع عملها بين اختصاصات كل من هيئة انقاذ آثار النوبة وجهاز تهجير وتوطين أهالى النوبة وتتلقى المساهمات المالية المحلية والدولية الى جانب الاعتمادات المالية التى تقررها الدولة . وتتخذ الهيئة جميع الاجراءات لتنفيذ خطة احياء القاهرة القديمة عمرانيا وصيانة آثارها بواسطة امكانياتها الفنية أو بالاستعانة ببيوت الخبرة المتخصصة على المستويين المحلى والدولى .

ويمكن تلخيص نتائج الدراسات فى التوصيات التفصيلية التالية :

أولا : بالنسبة للتخطيط العمرانى لإحياء وتنمية المنطقة :

- خلخلة الكثافات السكانية ونقل الصناعات الحرفية من على جانبى المحور الرئيسى لموقع قاهرة العصور الوسطى (شارع المعز لدين الله الفاطمى) وامتداده جنوبا الى مناطق جديدة محددة على المشروع التخطيطى المقترح وذلك بغرض تخفيف الضغط الذى يؤدى الى تلوث البيئة والاضرار بالآثار التى تتركز فى مجموعات على جانب هذا المحور .
- تنظيم معايير لوسائل المرور والنقل بالمنطقة مع الأخذ فى الاعتبار توفير الأماكن المناسبة واللازمة لانتظار السيارات فى الساحات أو الرحبات المقترحة ومنع المرور العابر بالمنطقة وذلك بتحويل مسار السيارات الى نفق تحت أرض شارع الأزهر الذى سيخصص للمشاة .
- الاسراع فى اصلاح وتطوير شبكات المرافق (مياه - كهرباء - صرف صحى) ووضع برامج عاجلة وطويلة المدى لاصلاحها وكذلك تحسين وصيانة الطرق ونظافتها وتوفير نظام صحى لجمع القمامة يتناسب والمظهر العام للمنطقة .
- وضع برامج أولية عاجلة للمناطق الثلاث المختارة ولفترة زمنية ، أربع سنوات . تهدف هذه البرامج الى ترميم الآثار ووضع الاسس والمعايير التصميمية للمبانى الجديدة بها واسلوب تطبيق هذه الأسس مع مراعاة ماوضع فى الحل التخطيطى لدور وظيفة مناطق الاحلال بهدف تخفيض الكثافات السكانية وتحسين حالة القائم منها وتحسين المواقع من تنمية وتطوير وادخال الآثار بهذه المناطق لتؤدى دورها فى الحياة اليومية وذلك باحياء واعادة توظيفها بما يتناسب وحالتها .

ثانيا : بالنسبة للاثار :

تمت دراسة حالة الاثار فى ثلاث مناطق من الموقع تحتوى على آثار هامة وتم تقدير التكلفة التقديرية للترميم المطلوب بصفة عاجلة حفاظا لهذه الاثار من التهالك والتداعى واعادتها لحالة مناسبة وبلغت القيمة التقديرية ٦٠٠٠٤٢٠ جنيه (ستة ملايين وأربعمائة وعشرون الفا من الجنيهات) تستغرق هذه الأعمال حوالى أربع سنوات .

تقترح مجموعة العمل البدء فورا فى دراسة مناطق أخرى تحتوى على مجموعات من الآثار الهامة داخل وخارج موقع قاهرة العصور الوسطى وعلى الأخص مناطق ذات أهمية اثرية خاصة مثل : منطقة القلعة - منطقة الجبانات - منطقة مصر القديمة والفسطاط - منطقة بولاق .

ثم عمل دراسة مبدئية لتقدير المبالغ اللازمة للصيانة والانقاذ العاجل (كاسعاف) للآثار الاسلامية والقبطية بالقاهرة وتبلغ هذه القيمة حوالى ٢٥٠٠٠٠٠٠ جنيه (خمسة وعشرين مليون جنيه) ويقترح البدء فورا بعمل الدراسات التفصيلية ومشروعات الترميم لكافة هذه الآثار .

يجب البدء فورا فى اجراء المسح الأثرى لتصحيح وضبط قوائم تسجيل الاثار واضافة كل ما يرقى لمستوى الأثر من المبانى التاريخية الى هذه القوائم حتى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .

عدم التصرف أو تعديل أو صيانة أو ترميم أى مبنى اثرى أو أى مبان ذات طابع تاريخى حتى غير المسجلة منها فى قوائم الاثار الا بعد الرجوع للهيئة العليا المقترحة سالفة الذكر .

إعاشة الآثار فى الحياة اليومية بعد ترميمها لضمان صيانتها وعلى سبيل المثال يمكن استخدام بعض الوكالات كأماكن للصناعات التقليدية والحرفية والفنية مع اصلاح الطوابق السكنية العلوية منها لتخدم نفس الأغراض . وقد يستغل بعضها وكذلك المنازل والقصور كفنادق سياحية أو إستديوهات للفنانين .

ضرورة معالجة المبانى المجاورة للآثار أو الواقعة فى نطاقها بحيث يتاح استغلالها فى الأنشطة التجارية والحرفية السياحية بواسطة أهالى الحى باسلوب متطور بحيث تعطى لهم عائدا مجزيا يشجعهم ويقنعهم بانهم أول المستفيدين من الحفاظ على الاثار .

البدء فورا فى عمل أبحاث التربة والمياة الجوفية فى مناطق الأثار وتجنيد الخبرات المحلية والعالمية لاقتراح الحلول لمشكلة تآكل أساسات وجدران الآثار بسبب ارتفاع المياة الجوفية فى المنطقة الأثرية نتيجة لثبات مستوى نهر النيل بعد السد العالى ونتيجة رشح المياه من شبكات المياه والصرف الصحى .

تطور قطاع الآثار يشمل رفع مستوى العاملين فى قطاع الآثار الاسلامية والقبطية وتنمية كفاءتهم الانتاجية عن طريق التدريب ورسم سياسة محددة للتدريب سواء فى مراكز تدريبية محلية أو بالخارج أو فى دورات متخصصة . والعناية بالصناع والحرفيين العاملين فى مجال ترميم الآثار وفى مجال الحرف والصناعات التقليدية وتدريبهم وتنظيم زيارات لهم للاستفادة بالأساليب المتطورة والمستعملة لصيانة المبانى الآثرية فى الدول المتقدمة واصدار حوليات عملية محلية عن الآثار الاسلامية مع التركيز على الآثار الاسلامية فى مصر .

ثالثا : توصيات عامة :

عمل البرامج اللازمة لتنمية الوعى بأهمية المنطقة بما فى ذلك الدعوة فى المساجد واشراك سكان المنطقة فى أى لجان لمتابعة عمليات التطوير والاحياء والصيانة .

الدعوة الى تاكيد وتنمية الوعى بأهمية الحفاظ على الآثار والمناطق الأثرية بالمدارس وبمستويات التعليم العام المختلفة والجامعات وكليات واقسام العمارة بكليات الهندسة والفنون الجميلة .

التوعية عن طريق جميع وسائل الاعلام بحملة مستمرة للتعريف بمنطقة القاهرة التاريخية وآثارها وتراثها الحضارى الذى لامثيل له فى العالم .

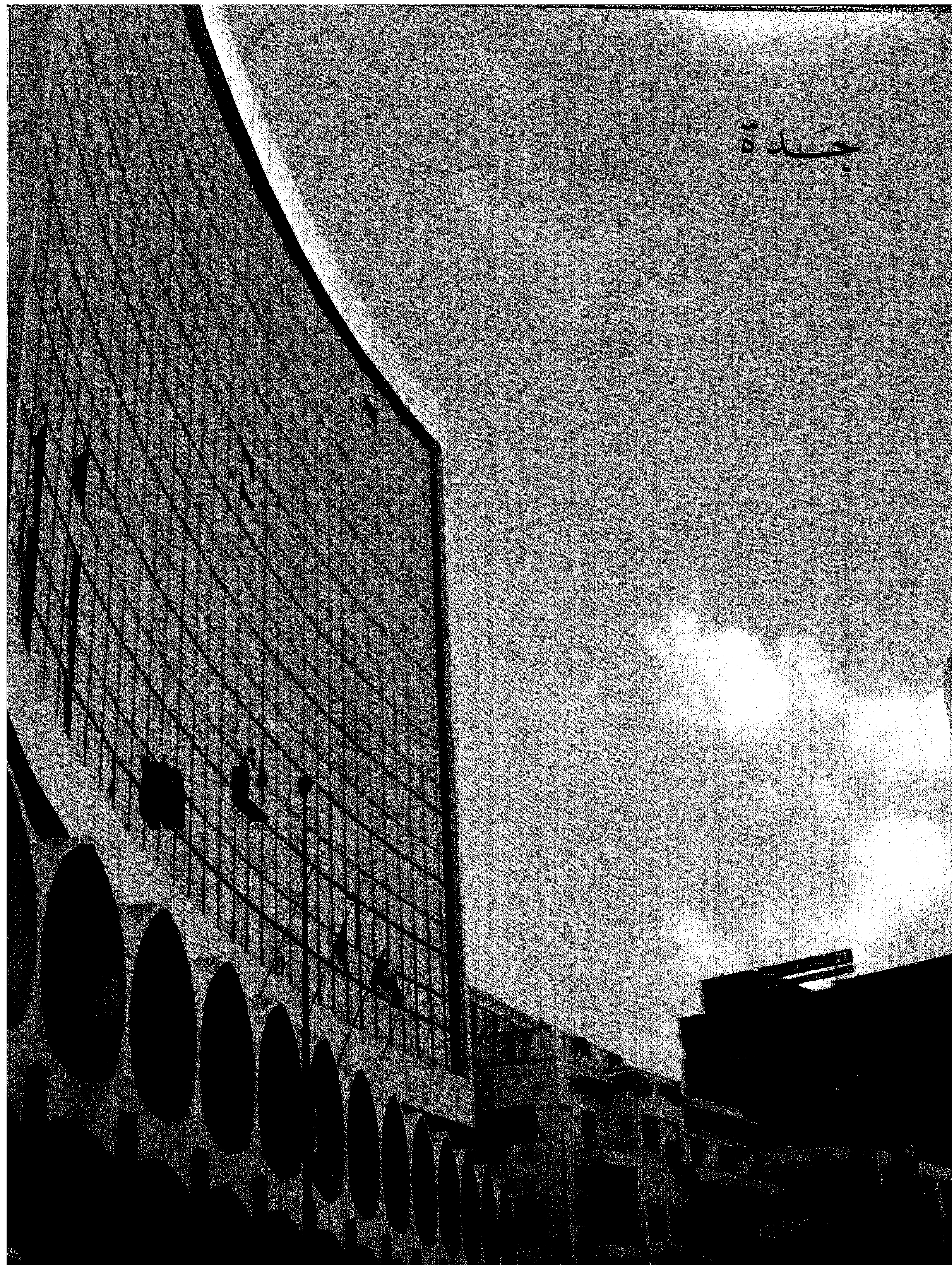
الاعلام والتوعية عن طريق وزارة السياحة لجذب وتنظيم السياحة الى المنطقة لانعاشها اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا الى جانب توفير الخدمات العامة والاجتماعية فى هذه المناطق .

تقوم الهيئة العليا المقترحة برسم سياسات التنمية الاقتصادية (التجارية والحرفية والسياحية) وسياسات الاسكان والخدمات المختلفة التى تهدف الى تنمية واحياء المنطقة .

تضع الهيئة المقترحة السياسات والأسس والمعايير واللوائح المحلية لأساليب البناء والقرارات المنظمة لها وكذا طرق ومواد الانشاء التى يجب ان تستخدم بالمنطقة مع وجود صلاحيات الهيئة بغرض فرض قيود على الارتفاعات حفاظا على الخط السماوى والطابع العام للمنطقة .

تقوم الهيئة المقترحة بتنسيق مختلف المناطق والاهتمام بتنسيق واستغلال الفراغات المدنية المختلفة من ميادين عامة وممرات مشاة ورحبات وطرق وذلك باختيار وتحديد انواع التشجير والمقاعد وعناصر الاضاءة والاعلان بالمجال التجارية ومواد الرصف بما يعطى ويحقق المظهر المناسب كحرم للآثار .

حل مشاكل الاسكان بالمنطقة وذلك بعمل مشاريع للاسكان العاجل والاسكان الاقتصادى بالتعاون مع الهيئات الدولية (مماثلا لمشروع الضويقة ومنشية ناصر) .


جَـدة

جدة القديمة والحديثة

محمد سعيد فارسى وحمزة ابراهيم عامر

مقدمـــة

فيما يلى مقتطفات من بحث مستفيض بعنوان **خصائص العمارة الاسلامية فى الجزيرة العربية وأثرها فى تخطيط مدينة جدة القديمة والحديثة** قدم إلى ندوة المدينة العربية ، وقد تم نشره فى هيئة مستقلة من قبل ادارة الأبحاث بأمانة مدينة جدة .

جدة .. القديمة ..

جدة واحدة من أقدم المدن – كانت ومازالت البوابة لزوار البيت العتيق القادمين بالبر أو بالبحر للحج أو للتجارة – وقديما كانت الجدُّة السهل المنبسط على ساحل البحر – مناخ الابل قبل الصعود الى مرتفعات الحجاز الى الوادى غير ذى زرع عبر فتحة وحيدة فريدة فى سلسلة جبال السروات المتصلة .

ويحكى التاريخ أنها كانت قرية تقوم على الصيد وأن ماءالشرب فيها عزيز يجلبه قاطنوها من تحت مرتفعاتها الشرقية وكانت مساكنهم عرائش متواضعة – وكانت جدة مرعى بما حولها من سهول ووديان .. وكانت مساكن (قضاعة) .. وهى أول من نزح من قبائل معد بن عدنان فى القرن الثانى قبل الميلاد – ومعد هو الجد التاسع عشر لرسول الله ﷺ أى قبل الاسلام بحوالى ثمانية قرون (عبد القدوس الانصارى – تاريخ مدينة جدة) .

وهناك تشابه يكاد يصل الى حد التطابق بين تخطيط مدينة مأرب القديمة (جورجى زيدان) وتخطيط مدينة جدة القديمة كما رسمها ابن المجاور – ومدينة الجار القديمة – شمال جدة كما رسمها عبد القدوس الانصارى .

ولقد وصف سور جدة عدد من الرحالة الذين شاهدوه وهو قائم الى عهد قريب حتى عام ١٩٤٧ – ١٣٦٧هـ . وكانت جدة القديمة نموذجا لمدينة اسلامية من طراز خاص .. فهى بوابة الحرم الشريف – وهى ميناء تجارى مناخه حار رطب وتربتها ملحية جيرية – ومحصورة داخل السور – وكانت بيوتها من أحجار الكاشور الجيرية وهو الحجر الجيرى المرجانى الذى كان يقتطع من شاطىء البحر ومادة البناء هى الطين من بحر الطين (بحيرة الأربعين) فى شمال المدينة القديمة يجلبه السيل المنجرف من وادى بنى مالك ليصب فى هذه البحيرة – وكان يتم تدعيم الاحجار غير المستوية الشكل أو الحجم بعروق خشبية لضبط المنسوب الافقى للبناء وكذلك منسوب الواجهات .. وكانت بيوت جدة متعددة الأدوار – بيضاء اللون الا من العروق الخشبية التى كانت تترك على لونها الطبيعى – وكانت تغطى فتحاتها العريضة رواشين خشبية وأبواب خشبية وكانت معظمها محلاة بعقود مدببة والقليل منها بعقود مستديرة وتعكس فى ذلك طرازا هنديا عربيا للنقش على الخشب .

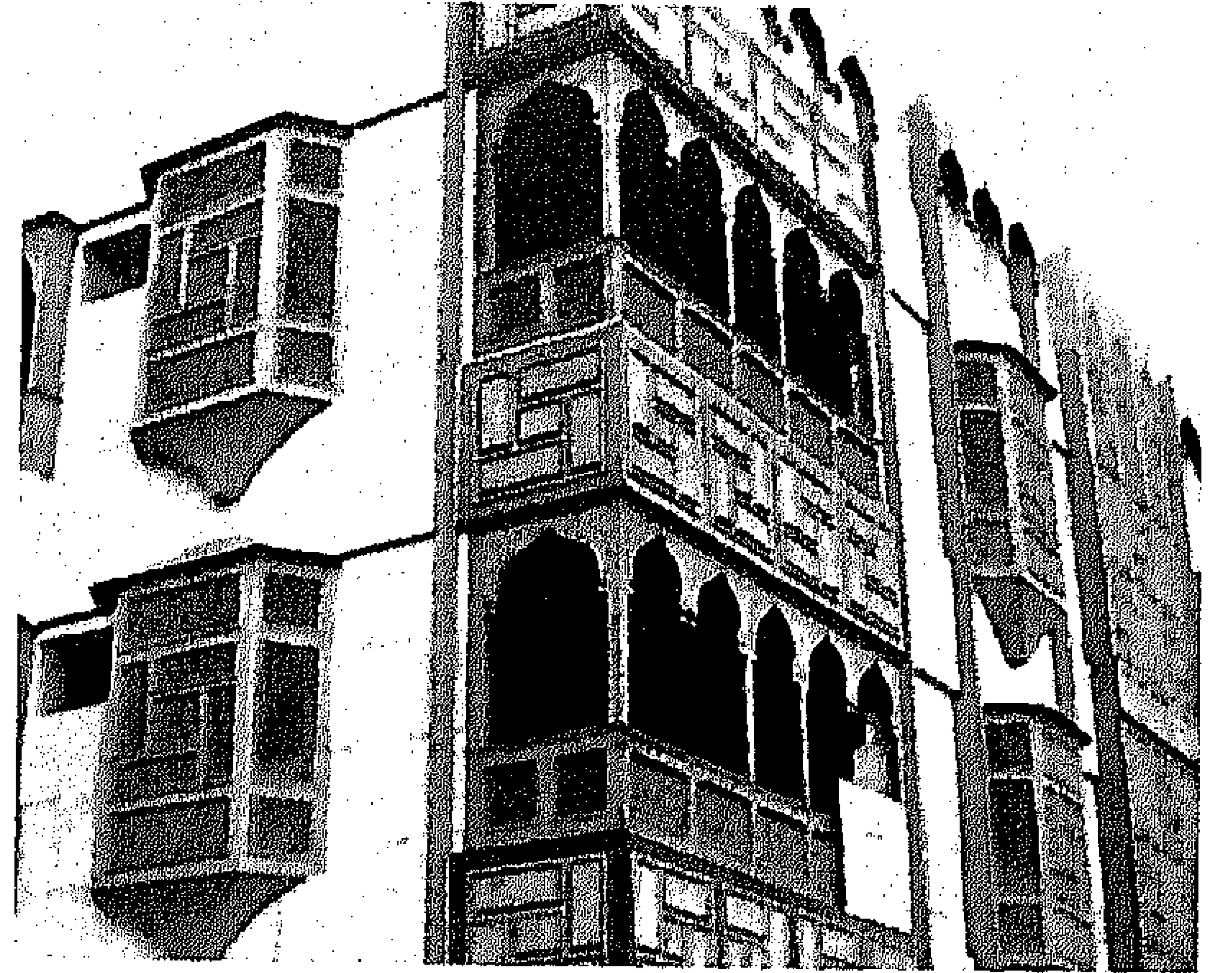
وكان أهل جدة فى تصميمهم بيوتهم لأنفسهم – حريصين على وفائها بأحكام البيت المسلم – فكان الدور الارضى للاستقبال والأول مضيفة والثانى والثالث لأهل البيت – والسطح للسمر والسهر وهو بديل الحوش فى البيت المتسع ذى الامتداد الأفقى .. وكانت البيوت متراصة مترابطة فى حارات معروفة وواجهاتها ذات اتجاهات مختلفة يظلل البيت على جاره لتخفيف حدة الحرارة وخلق تيارات ينشأ عنها نفحات من النسيم فى أيام الحرارة الشديدة .. وكانت حارات جدة .. كلها أسرة مسلمة واحدة وان اختلفت أصولها تحافظ على تقاليد اجتماعية راسخة فى التآزر والتآخى

وهكذا يحمل التراث المعمارى لمدينة جدة بصمات اسلامية واضحة ذات علاقة كبيرة مع ماكان يسود الجزيرة العربية قبل الاسلام – وتأصل ذلك التراث وأخذ طابعا مميزا لجميع مدن الحجاز بعد الاسلام – ومثال ذلك مكة المكرمة والطائف وينبع .. وحتى بور سودان وسواكن على الجانب الآخر من البحر .

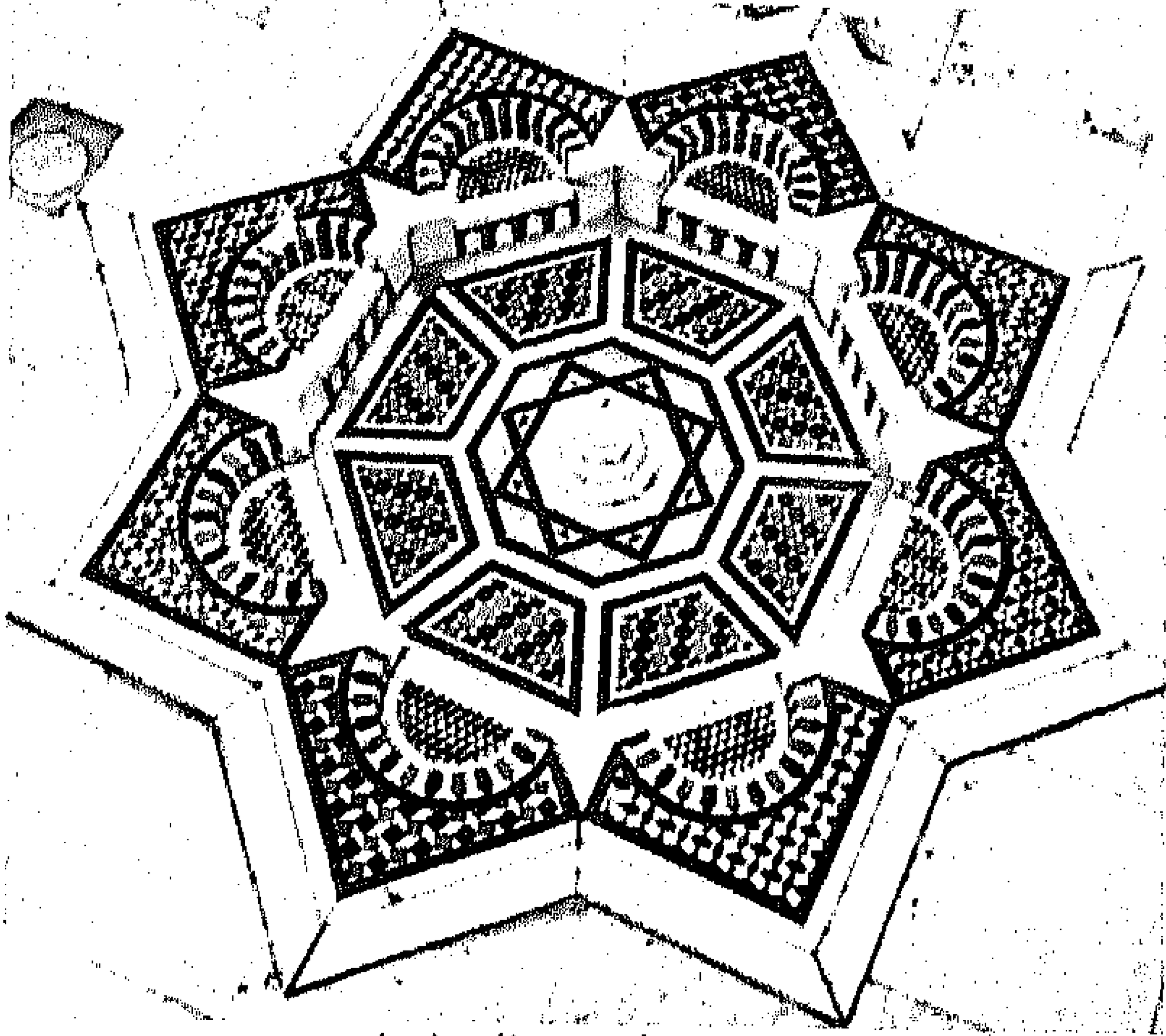
وقد اشتملت جدة القديمة على عدة أنواع من المبانى هى المساجد والخانات والمستودعات والبيوت والمبانى العامة .

وكانت مآذن مساجد مدينة جدة البيضاء العالية هى العلامة المميزة لها يراها المرء من البحر من على بعد كبير ومازالت هذه المساجد حتى اليوم تحمل السمات الاسلامية الأساسية فى البساطة وأهمها مسجد الحنفى الذى تأسس عام ٦٤٩هـ ومسجد عثمان بن عفان والذى تم انشاؤه فى القرن التاسع أو العاشر الهجرى .

وقد بنيت مساجد جدة – مثل بيوتها من الحجر الجيرى المرجانى وغطيت بمادة المصيص الجيرى – ولها فتحات نوافذ صغيرة والتحليات فيها بأشكال بسيطة سطحية وليس لها قباب بالمعنى المعروف ولها مئذنة واحدة – وأجملها مئذنتا مسجدى الشافعى وأبو حنيفة .



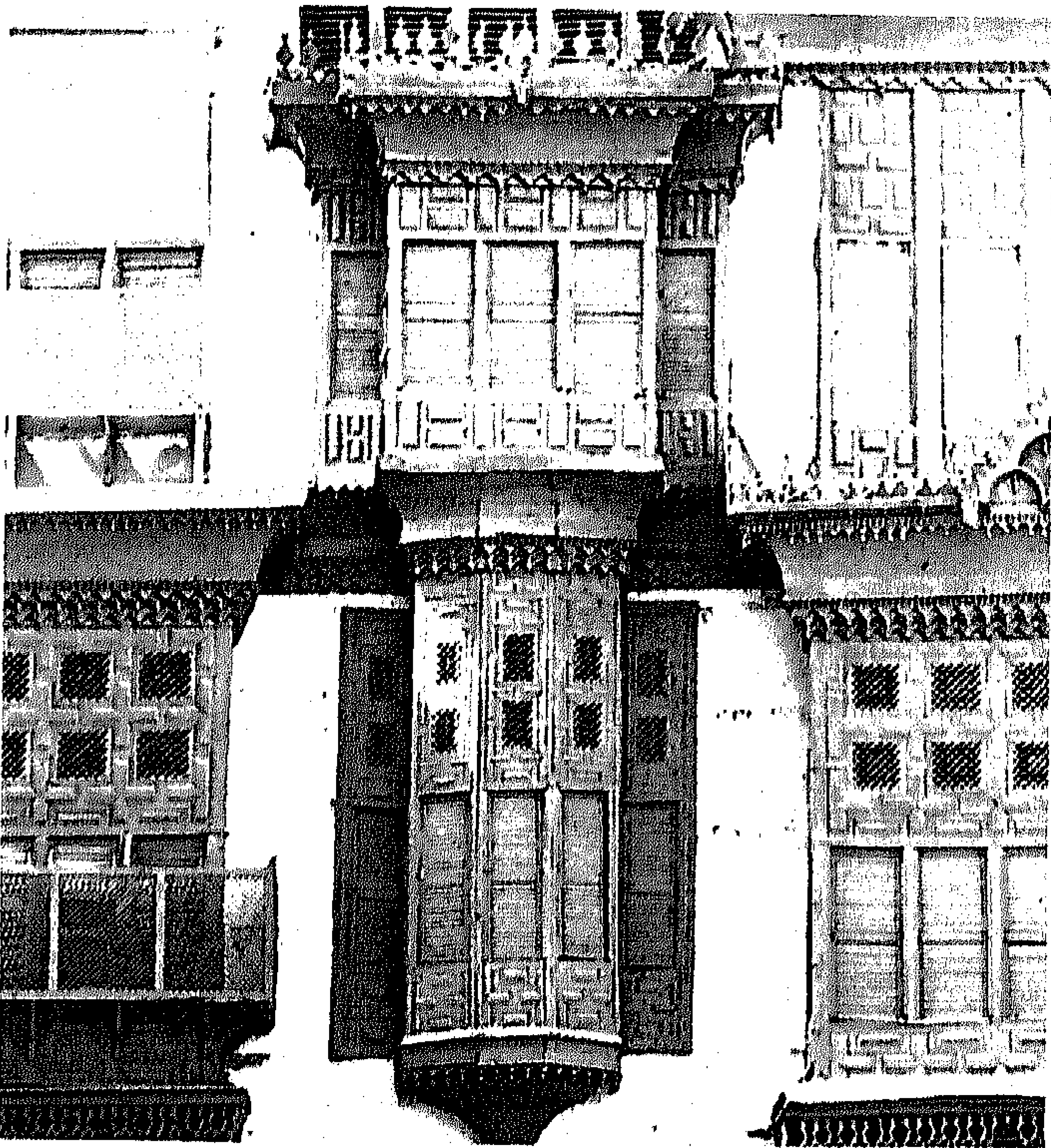
٢٣٣ الرواشين في جدة الحديثة



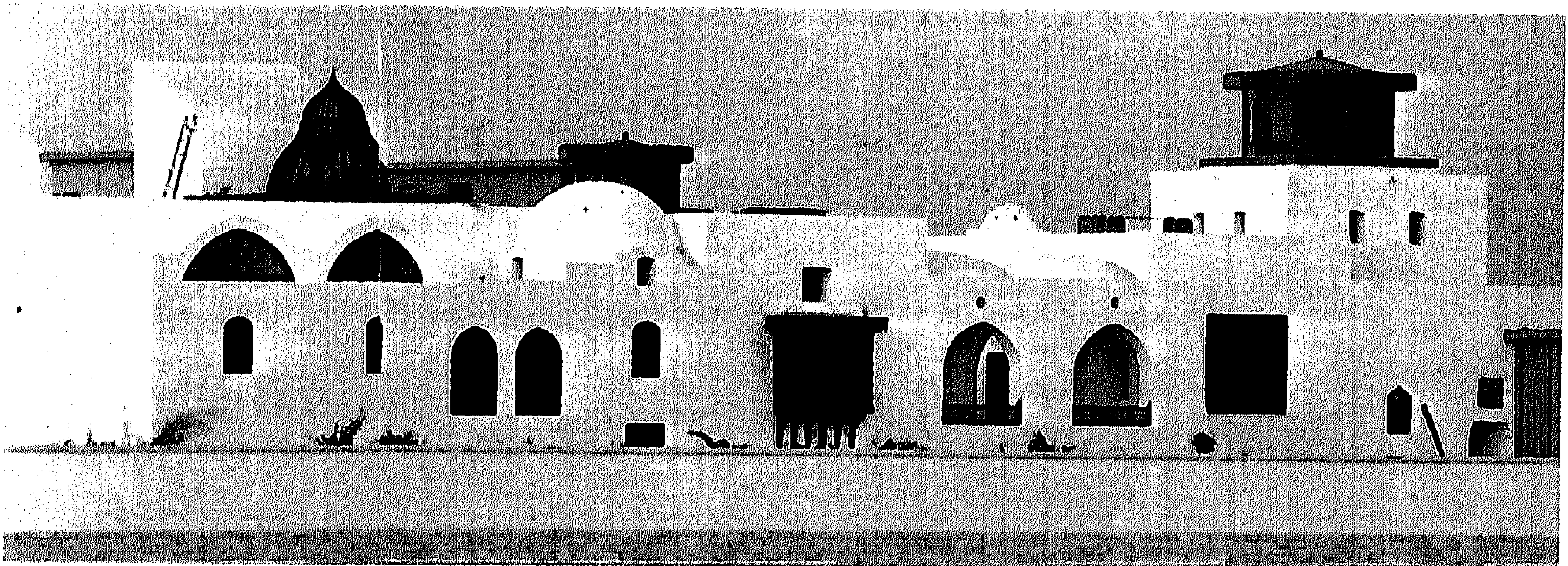
٢٣٦ فسقية (نافورة) من الرخام المحلي – جدة الحديثة



٢٣٤ الرواشين في جدة الحديثة



٢٣٧ الرواشين على بيوت جدة القديمة



٢٣٥ بيت آل سليمان – جدة الحديثة

جدة الحديثة ..

تطورت جدة – ومدن المملكة جميعا – بعد هدم سورها عام ١٣٦٧هـ ومع الاندفاع نحو السهل الساحلي المنبسط شهدت جدة أنماطا وأشكالا ونماذج من العمارة تعكس ثقافات وحضارات مختلفة وغريبة عن الواقع المسلم أظهرت جميعها حماس المخططين الشبان العائدين من الخارج بعد الدراسة متأثرين بحضارات غربية ونماذج معمارية ذات شكل خارجي جميل – ولكن استخداماتها لاتتفق مع الواقع المحلي – ففتحاتها الواسعة وواجهاتها الزجاجية لاتصلح لبيئتنا الحارة المشمسة وأكثر من هذا فهي لاتفي باحتياجات البيت المسلم في الخصوصية والاستقلال .

وشهدت شوارع جدة بيوتا متعددة الوحدات ومتكررة الادوار .. شرفاتها مفتوحة على الشارع وفتحات المكيفات موزعة على واجهاتها والمكيفات بها تدوى ليلا ونهارا – بديلا عن الرواشين الخشبية الجميلة والتي كانت سترا لما خلفها والنسيم يسرى عبر فتحاتها مع التيارات الصاعدة والهابطة خلال الملاقف العلوية وعبر السراديب الرطبة – فتملأ البيت بجو لطيف تحافظ عليه الحوائط السميكة التي لاتتأثر بالحرارة خارجها . ولقد كانت الحاجة ملحة .. والتطور لاينتظر .. والسباق مع الزمن ، فالتخطيط والتنفيذ يسيران جنبا الى جنب

وبعد أن أوفت جدة باحتياجات ساكنيها والوافدين اليها العاجلة للسكن – فان أهلها اليوم يعيدون تراثا خالدا من العمارة الاسلامية في بنايات جميلة بيضاء يتم بناؤها للاستخدام الخاص للأسرة الواحدة .. فبنى آل نصيف مجموعتهم السكنية من الحجر المنقبي (والاسمنت) وستروا فتحاتها بالرواشين الخشبية العريقة الحديثة ولم يستخدموا فيها مكيفات واستعاضوا عنها بملاقف الهواء والقباب لاتاحة الفرصة لتيار الهواء الساخن أن يصعد ويحل محله تيار بارد لطيف . وأقام آل السليمان بيتهم الأبيض الجميل على شارع التحلية وأخرون كثيرون من عائلات جدة القديمة ومن كانت لهم بيوت لاتزال قائمة حتى الآن في وسط البلدة القديمة .

وفي هذه البيوت جميعها قام المسبح مقام البركة أو النافورةالقديمة لمن شاء من الأبناء أن يلهو أو يلعب ومسطح مائي في الحديقة يساعد على سريان نسمة في ليالي الصيف .

وخططت أمانة المدينة أراضي في مربعات سكنية متكاملة الخدمات أتاحت لكل مواطن فيها الحصول على قطعة أرض يبني فيها سكنه الخاص واتصلت البساتين بينها تحيط بالبيوت – وتقوم الازهار والأوراق الخضراء بتنقية الجو وامتصاص الأصوات العالية والغازات الضارة من السيارات التي تزحم شوارعها الطويلة العريضة .


وحارات جدة أصبحت اليوم أحياء تزيد على الخمسين حتى تغطى من المساحة ما يزيد عن ٢٥٠ كيلو مترا مربعا ويسكنها حوالي مليون وثلث نسمة .

ولقد هيأت الظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة الآن في مدينة جدة – ومعظم مدن المملكة العربية السعودية – المناخ المناسب لإحياء العمارة الاسلامية لأن معظم المواطنين يبنون بيوتا خاصة بهم لسكناها وأسرهم فقط وبدون الهدف الى الاستغلال الاقتصادي . وهذا بالطبع غير بيوتهم الأخرى التي تبنى بهدف تأجيرها للوافدين المشاركين في تنفيذ خطط التنمية الكبيرة .. وتختلف قوة الدعوة الى احياء العمارة الاسلامية بمدى حماس الاجهزة الحكومية القائمة على التخطيط العمراني والمتابعة الحقلية المحلية .

وفي سبيل احياء العمارة الاسلامية في جدة تقوم أمانة المدينة بتنفيذ وتطبيق خطة تعتمد على النقاط التالية :

- المحافظة على المدينة القديمة بكامل بيوتها ذات الأهمية العمرانية الخاصة ، واعادة ترميمها بتشجيع أصحابها على اعادة تخطيط استخداماتها لتتحول من أطلال قديمة الى أسواق ومطاعم لأكلات شعبية أو مصانع يدوية لمنتجات محلية أوشكت على الانقراض مع زحف الانتاج الجاهز التصنيع .
- تشجيع أصحاب البيوت التي تم بناؤها على النمط العربي على ستر شرفاتها بمشربيات خشبية بسيطة مع اعادة الطلاء باللون الابيض ابتداء من استخدام الجير (النورة) أو الطرطشة أو الرخام الابيض المحلي .. وهكذا ظهرت في شوارع جدة بيوت حديثة مغطاة برواشين خشبية . اتجاه قوى واستعداد طيب من أصحابها للعودة الى الشكل الاسلامي المحافظ .
- تجميل شوارع المدينة بأشكال مستوحاة من التراث الاسلامي في المآذن والأهلة والسيوف والخط العربي .
- تدقق الأمانة في منح تراخيص للأبنية الجديدة – بحيث يتم مراعاة خصائص العمارة الاسلامية في الاستخدامات الداخلية والتصميم الخارجي . وفي سبيل ذلك خصصت الأمانة جائزة سنوية للمباني المتميزة في الأحياء المختلفة والتي تم تنفيذها خلال العام وحافظ مصممها ومالكها على الهوية الاسلامية .
- تبنت الأمانة الدعوة الى جائزة عربية تمنحها منظمة المدن العربية لأحسن مبنى لمرفق عام في مدينة عضو يراعى خصائص العمارة الاسلامية في التصميم .
- تبنت الأمانة الدعوة الى اقامة معرض المدينة العربية بهدف الاعلام والدعوة بالنماذج التي تم تنفيذها فعلا – الى احياء العمارة الاسلامية – والتعريف بالنهضة الشاملة للمدن العربية الى جانب تبنى الدعوة الى انشاء مركز للمعلومات يتم فيه تجميع كافة المعلومات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية للمدن العربية القديمة والحديثة .

◄ دمشق ٢٣٨



الخصائص المشتركة للمدينة العربية والمتمثلة بمدينة دمشق القديمة

غسان نويلاتي



مقدمــة :

ان البلاد العربية من مشرقها الى مغربها ومن شمالها الى جنوبها تعتبر ذات نسيج عمراني متشابه ، وخاصة لمدنها والمراكز الحضرية فيها فان اختلفت الاشكال فان المضمون لها جميعا متشابة والخصائص التي تميزها عن سائر مدن العالم تجمعها في قالب واحد ذلك لأن هذه الخصائص هي المنعكس الطبيعي لحضارة المجتمعات العربية في الاجيال السابقة والترجمان الصادق لمعيشتهم وحياتهم المادية والروحية وتقاليدهم وطبيعة بلادهم ومناخها وعلى هذا الاساس كان التشابه التنظيمي للمدن العربية جميعها في احيائها وفي التكوين المعمارى للمباني التي تحتويها وقد اختلفت النظرة في تكوين المدينة العربية عن النظره للمدن العصرية القديمة والبابلية والاغريقة — والرومانية اذ ان هذه الحضارات كانت على اسلوب الشوارع المستقيمة والعريضة ذات التقاطعات المنتظمة والساحات الواسعة اضافة الى ضخامة مبانيها ومعابدها بالمقارنة مع المقياس البشرى بهدف تمجيد ملوكهم وقوادهم دون النظر الى مايفرضة المناخ على هذه المدن من تخطيط ، والذى لجأ اليه العرب بعد ذلك هربا من هذا المناخ يجعل — طرقهم ضيقة عبارة عن أزقة ودروب ودخلات وزنقات مسدودة لا يتجاوز عرضها الوسطي مترين وهي بنفس الوقت متكسرة وذلك لمنح الدار العربية بابا على الاملاك العامة دوئما واجهات طويلة على هذه الاملاك كما هو متبع حاليا فى عقارات عصرنا وهذه من الخصائص البارزة في المدن العربية حيث الاهتمام بالمظهر الخارجي للبيت العربي بسيط ومتواضع والابتعاد بقدر الامكان عن المشاريع يجعل مدخله طويلا يمتد الى العمق لتأمين الهدوء وعدم الضوضاء اضافة الى ما تقدم فان العقيدة الدينية ساهمت في هذا الوضع اذ أن الطريق المتعرجة والمتكسرة تمنح الستر للنساء من أعين الفضوليين وطرق المدن العربية صنعت حسب الوظيفة التي تؤديها فالاحياء السكنية التي كانت وسيلة التنقل بينها هي حيوانات النقل وما يمكن أن تحمله فوقها من متاع أو أناس كثيرين بجانبها هي المقياس فى عرض هذه الطرق كما أن مراكز المدن التي تزخر بالعربات وحيوانات النقل والمشاة والتجار والصناع تتوخى زيادة عرض الطرق كي تفي بحركة السير الكثيف واذا أساء العرض الى مبدأ الحماية من الشمس ومن الحركات لابد من تغطية السوق إما بسقف أو بتشييد مبنى كبير مسقوف للاستعمالات التجارية والحرفية لذا فان للطريق في المدن العربية نوعين : طرق رئيسية تجارية وحرفية . وطرق ثانوية سكنية تتفرغ عن الطريق الاولى وتتشعب في حارات ودروب وزنقات غير نافذة ويمكن تشبية الطرق في المدينة العربية بالشجرة فالجزع هي الطريق الرئيسي والفروع والاغصان هى الطرق الثانوية أما الساحات العامة والتي كانت في مدن الاغريق تسمى بالاغنورا وعند الرومان بالفورم فقد كانت في المدن العربية هي المكان الجامع مثل سوق عكاظ قبل الاسلام وبعد الاسلام حل المسجد الجامع محل هذه الاسواق واصبح مكانا للالتقاء لتبادل الرأى وبسط سياسة الدولة اضافة الى قيامه بالمهام الثقافية والتعليمية والاعلامية حيث تمثلت فيه المدرسة والكلية والجامعة والاذاعة ووسائل النشر والاعلام

ومن الخصائص الاخرى للمدن العربية توزع المدينة الى احياء متعددة ليسكن كل حي قبيله حيث أن العرب في حواضرهم لم يتخلصوا من عصبيتهم القبلية التى كانت تجمعهم وتوثق عراهم ولهذا فقد كان كل حي يشبه المجاورة السكنية في الحاضر في عصرنا الحاضر ويتمتع بالخدمات الخاصة به من حمام وجامع ومدرسة تفصله عن باقى المدينة بوابة تعتبر الامان فيما اذا دهم الحي أى مكروه وتحمي افراده وهذه البوابة هي صلة الوصل مع باقى المدينة .

دمشق على مر العصور :

مما تقدم نجد أن الخصائص المشتركة للمدن العربية ميزتها عن غيرها من باقى المدن واعطتها صفة خاصة وملامح مشتركة وما مدينة دمشق الا مثال صادق لهذه المدن فدمشق هي أقدم مدن التاريخ وبقيت في العهدين الآرامي والروماني المدينة الجميلة المقدسة .

ونسبوا بناءها الى البطل دسكوى الذى نزح من بلاد اليونان الى سوريا حيث بنى مدينة باسمه كما قرن اسم دمشق مع الأسماء الدينية القديمة مثل النبي ابراهيم بالتوراة والنبى يونس في الانجيل الا أنه من المعروف والثابت علميا وجودها قبل ٢٥٠٠/ ق.م حيث وجد في حفريات صحن الجامع الأموى تمثال آرامي يعود الى ذلك التاريخ ويعتبر موقع الجامع حاليا الموقع القديم لمعبد حدد الآرامى إله الصواعق والأمطار والذى كرس فيما بعد على اسم جوبتير رب الأرباب وهو الذى عرف باسم جوبتير الدمشقى أما في العهد البيزنطى فقد تحول المعبد الى بازيليكا فتنت ضخامتها وزخارفها الزائرين وأصبحت دمشق مقرا لاسقفية مسيحية لا تتقدمها فى المنزلة سوى اسقفية انطاكيا وبرز منها قديسون مسيحيون أشهرهم يوحنا الدمشقى وحنانيا أما في العصر الاسلامى وخاصة العصر الأموى فقد شهدت دمشق أمجد ايامها وأروعها اذا أصبحت مقرا للخلافة ومركزا دينيا هاما يشع على العالم الاسلامى بأسره من أسبانيا الى الصين والهند وانتشرت فيها المدارس والمعاهد الدينية وبها الجامع الاموى الذى يعتبر من ارق الحضارة الاسلامية في عهودها المبكرة عام ٧٠٥ ميلادية ثم تعاقب عليها عدة عهود العهد العباسى والطولونيون والاخشديون ثم الفاطميون ثم السلاجقة والاكادكة وتلاهم الأيوبيون فالمماليك ثم العهد العثمانى وبالتالي الى العهد الفرنسى الى ظل الحكم الوطنى ومن النادر ان نجد على سطح كرتنا الأرضية مدينة تعاقبت عليها مثل هذه الحضارات بحسناتها وسيئاتها ومخلفاتها التي وان كان قد اندثر الكثير منها فان الباقى لايزال ينطبق عن تراثها العظيم في قيمته الحضارية والثقافية والروحية وبالتالي في قيمته العمرانية والمعمارية .

وقد دلت البحوث على أن دمشق الارامية كانت تقع بحي مئذنة الشحم أما المدينة الافريقية فتقع في حي القميرية وهي الخراب ومعالم الاغوار لاتزال ظاهرة فى هذين الحيين .

أما المدينة الرومانية فهي تقريبا المدينة الحالية التى افتتحها العرب المسلمون وانتزعوها من ايدى الروم فزادت لحضارتهم وتطور عمرانها ووصلت الى النمو العمراني والمعمارى والمطبوع بالطابع العربي الاصيل الذى مر في معظم المدن العربية الرئيسية ولاسيما مدن المغرب القديمة كمدن تونس جميعها وكمثال طنجة والرباط والدار البيضاء وفاس ومكناس في المغرب والتي يخيل الى من يتجول فيها بانه يتجول حقا في مدينة دمشق القديمة والتي تبلغ مساحتها ١٢٨/ هكتارا والتى تشبه الشكل البيضاوى فقطرها الكبير حوالى ١٦٠٠/م ويتمثل بالشارع المستقيم والذى سمى فيما بعد بشارع مدحت باشا أو طريق باب شرقي أما قطرها الصغير فيبلغ ١٠٠٠/م ويمتد من باب الفراديس في حي – العمارة شمالا الى الباب الصغير في حي الشاغور جنوبا ويعتبر هذان الشارعان أساسا لابنية الرومان والاغريق – وبالتالى العرب الا أن استقامة الشارع الشمالى الجنوبي ضاعت على مر الايام بسبب المباني المشيدة في العهود الاسلامية التي ساهمت فى اصباغ الطابع الاسلامى عليها وعلى مبانيها فساهم الدين في تطوير شبكات المياه ، القديمة القائمة منذ العهد الرومانى وتوزيعها الى دورها بشكل متوازن ورائع كما تطورت شبكات المصرف الى اقنية خاصة بها .

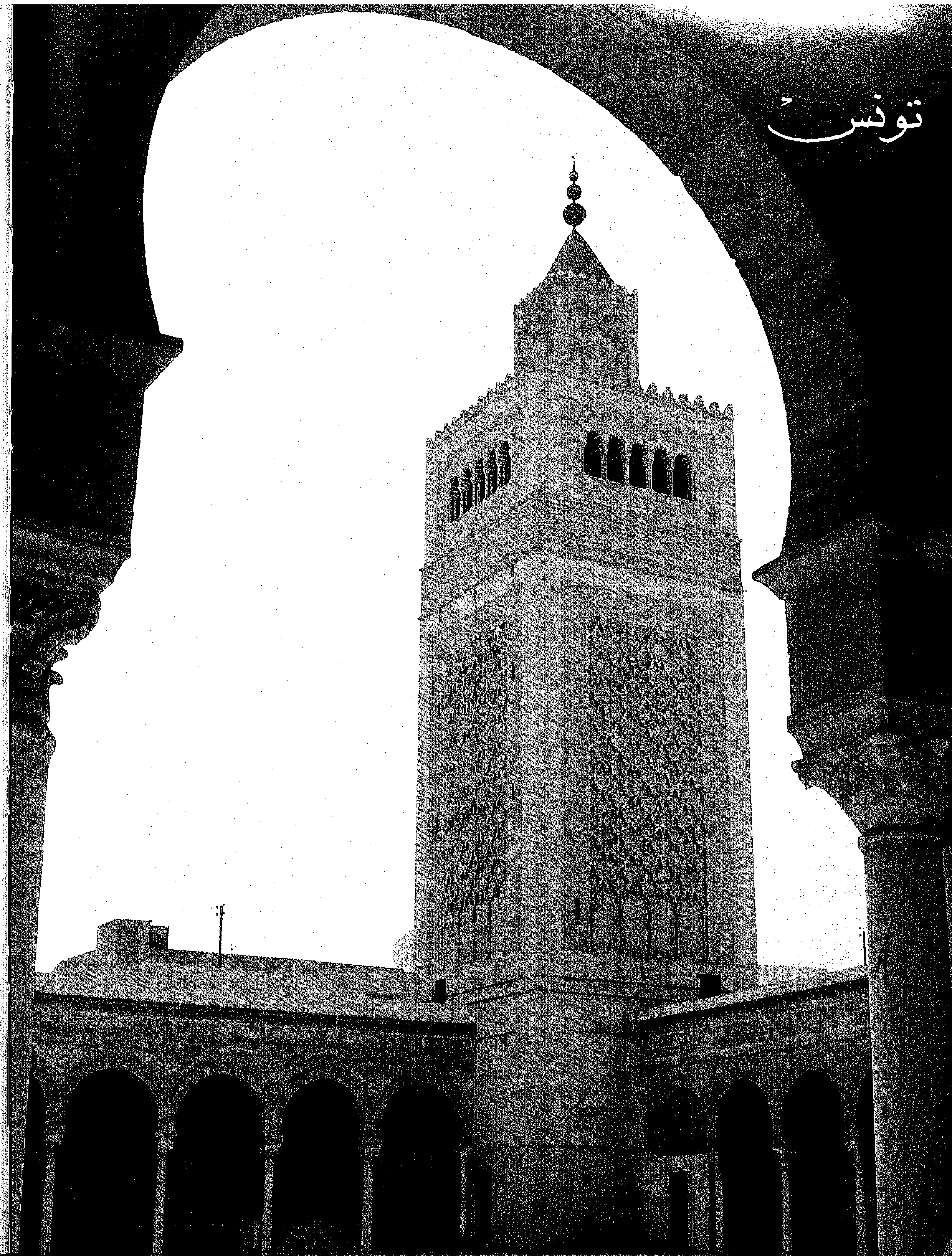
دمشق والكثافة السكانية والعمرانية :

ودمشق في تطورها وباعتبارها عاصمة القطر العربي السوري اخذت تتوسع افقيا من جميع جهاتها وبلغت في عام ١٩٧٨ أكثر من مليونى نسمة بينما كانت في عام ١٩٧٠م ثمانمائة وسبعة وثلاثين الف نسمه وهذا ما أخل ببعض خصائصها فأصبحت تعاني أزمات النقل والتلوث والانفجار السكاني كما أن المدينة القديمة التى مازالت حتى هذا الوقت محتفظة بخصائصها معرضة للاعتداء على مبانيها القديمة باحداث انشاءات ضمنها تعمل على تشويهها وبالتالى تدميرها الا أن الدولة تنبهت الى هذا الواقع واقرت مؤخرا انشاء هيئة عليا خاصة بالمدينة القديمة مخولة بالصلاحيات الخاصة بترميم وتنظيم المدينة من جميع نواحيها الفنية والادارية بما يكفل لهذه المدينة تراثها وخصائصها باعتبار الحفاظ على النسيج العمراني والمعمارى هو الاصل وليس الحفاظ على مباني معينة فقط وهذا ما اقره الميثاق العالمي لحفظ وترميم المباني الاثرية الذى ابرم في اعقاب المؤتمر الثاني العالمي لمهندسي وفنيى المبانى التاريخية المنعقدة في البندقية فيما بين ٢٥ – ٣١ ايار عام ١٩٦٤ اذ نصت المادة الاولى منه على ما يلى : –

أما مفهوم المبني الاثرى فلا يشمل المنشأة المعمارية بمفردها فحسب بل الاطار الذى تقع المنشأة ضمنه ايضا اذ لا يمكن فصل المبنى الاثرى عن الوسط الذى يقوم فيه ولا عن التاريخ الممثل بهذا الشاهد أما المادة الحادية عشرة من الميثاق المذكور فتقول ان احترام المبنى يستلزم احترام الاطار التقليدى الذى يضمه وهذا الاطار لا يمكن تعريضة للخطر بمنشآت جديدة تفسد علاقات الحجم واللون وعلى العموم فان دراسة وظائف المدينة القديمة من ثقافية واقتصادية وسكنية تساهم مساهمة كبيرة في تحديد هذه الوظائف ضمن اطر معينة بالوظيفة الثقافية . يجب أن تحدد المبانى الهامة والنسيج العمراني المتصل بها وازالة المباني الطفيلية التى نمت كالحشائش الضارة بين المبانى والمجمعات وشوهتها وحجبت مظاهرها وبالتالى استخدام هذه المبانى كقاعات عروض فنية وتمثيلية ومراسم ومراكز لجمعية اصدقاء دمشق بينما الوظيفة الاقتصادية للمدينة القديمة يجب أن تبقى المميز لها باسواقها المشهورة من سوق البزورية والحميدية وغيرها من الاسواق التى كانت تشتهر بها على أن يكون حجم الاسواق محددا بحيث لا يتحمل خدمة المدينة التى تتوسع باستمرار وذلك حفاظا على قدرة مبانيها في الاستيعاب للحركة الناتجة من هذه الاسواق واعادة الصناعات الدمشقية التى اشتهرت بها الى مراكزها الطبيعية التي وجدت بها مثل صناعة النسيج الدمشقى والبروكار والحفر على النحاس والخشب وغيرها وبالتالى اخراج الصناعات الحديثة التي داهمت مبانيها مثل صناعة التريكو والموبيليا الحديثة كما ان تحديد حركة مرور السيارات والشاحنات المختلفة والتى تخدم المدينة القديمة عن طريق ايجاد طرق تنتهى الى ساحات بقرب الأبنية الأثرية والأسواق وزيادة طرق المشاة هى الطريقة التي يمكن أن تساعد فى الحفاظ على مبانى المدينة القديمة وتخفيف التلوث بها وبالتالى ترغيب السكان على البناء رغم ان الوظيفة السكنية للمدينة القديمة تقهقرت في الاونة الاخيرة لهجرة سكانها الاصليين منها طلبا لمساكن في الاحياء الجديدة تتوافر فيها رفاهية أكثر وخدمات أحسن مما جعل الدور القديمة هدف المهاجرين الى دمشق من الارياف . كثافة سكانية لم تعد لها هذه الدور مما ادى الى زيادة الاعباء عليها وتعرضها للانهيار اضافة الى اهمال صيانة هذه المباني من قبل هؤلاء الساكنين ، واجد في المجال ضرورة للتنويه بانه لابد لتمكين دمشق القديمة من القيام بالوظائف الثقافية والاقتصادية السكنية التى جرى ذكرها من اتخاذ سياسة عمرانية واضحة ومدروسة تعتمد على معطيات صحيحة وتنفذ على مراحل بعد استخدام طرق واساليب اثبتت التجارب امكان نجاحها مثل ايجاد لجان تشرف عليها .

واحياء يمكن تحديدها جزئيا واحياء لا يكون لها أى طابع أو أهمية مرتبطة بالمدينة القديمة وهذه يمكن أن يعاد بناء مبانيها وفق نموذج المنزل الدمشقى الذى يعتمد الباحة الداخلية والايوان والغرف التي تدل على هذه الباحة وبما يوفر الهواء والشمس والخصوصية والمزروعات التي يشتهر بها البيت الدمشقى ضمن الباحة الداخلية مثل شجر الكباد والنارنج والليمون والياسمين والشمشير اضافة الى بركة الماء في وسط هذه الباحة مع نوعية الساكنين بان الحفاظ على مبانيها وصيانتها هو الحفاظ على تراث المدينة وعلى نسبها وجعل هذه النسبة في مبانيها أكثر انسجاما مع النسب الانسانية الصحيحة واشد انسجاما مع ضرورات البيئة مما يبني في المدينة الجديدة لأن هذه الحجوم والفراغات قابلة للاستخدام صيفا وشتاء وتستفيد من الشمس في كل ساعات النهار وتؤمن تهويتها بشكل دائم ولانها تسمح لمن يعيش فيها بالتمتع بجو عائلى صميم وتهيىء لهم الغرض لكي يلتقوا ببعضهم دوما ويؤلفوا وجدانا مشتركا ويوجدوا مجتمعا متماسكا .

ان مدينة دمشق هي جزء من التراث العربي الاسلامى والحفاظ عليها هو حفاظ على هذا التراث وبالتالى الحفاظ على خصائص المدينة العربية التى اصبحت في طغيان الحياة المادية العصرية وتقليد الحياة الغربية مهددة بالزوال شيئا فشيئا وان الحفاظ على مدن الدول العربية وخصائصها يتطلب اهتماما أكبر من حكومات الدول العربية رغم انه في الاونة الأخيرة اخذ هذا الاهتمام يزداد ويتسع ويترجم الى وقائع منها هذه الندوة التي تبحث في خصائص المدينة العربية والحفاظ عليها .


تونسُ

التطوير مع المحافظة على الطابع الذاتى للمدينة العربية : تجربة باب سعدون

محفوظ الإمام

مقدمـة :

في هذا البحث أعرض نموذجا للاعمال التي تقوم بها السلطات التونسية للتطوير مع المحافظة على الطابع الذاتى للمدينة العربية .

هذا العمل يهدف الى تهيئة جانب من الحى الشمالي لمنطقة باب سعدون التى توجد خارج مدينة تونس ، وهو يمتد من شارع ٩ أبريل الى شارع الهادى السعيدى . هذا الجانب من الحي المذكور يشتمل فعلا على عدة مساكن متداعية للسقوط ، فى حين أنه توجد في نفس المنطقة عمارات فى حالة حسنة .

لقد كانت هذه العملية محل دراسات عديدة ، منها ان مخطط التهيئة لمدينة تونس الذى انجز سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦م كان يتضمن عملية تحسين لهده المنطقة محددا لها محيطا مقاربا للمحيط الموضوع حاليا .

وفى سنة ١٩٦٦م كانت كتابة الدولة للاشغال العامة والاسكان تنوى تضعيف شارعى ٩ أبريل والهادى السعيدى بمسالك لتسهيل حركة المرور مع تهديم المساكن الموجودة بين هذين المحورين وتعويضها بمبان عمودية .

ثم قامت الشركة المركزية للتهيئة الترابية سنة ١٩٧٥م بدراسة الموضوع من جديد حتى تعهد ضبط التقديرات اللازمة للعملية من خلال دراسات اجتماعية ، اقتصادية وعقارية آخذة بعين الاعتبار مسالة حركة المرور .

عمليات التجديد :

يشتمل هذا المشروع على عملية مزدوجة احيائية وتجديدية لمناطق الجهة الشمالية من المدينة قرب بطحاء باب سعدون ، مما ادى الى قيام دراسة شاملة على عين المكان من طرف جمعية صيانة مدينة تونس والمعهد القومى للاثار والفنون ، واعتمد الفنيون هنا على انه لا يلجأ الى عملية التجديد الا اذا اثبت ان عملية الاحياء مستحيلة . كذلك الشأن بالنسبة الى داخل كل رقعة يقع تجديدها فان المبانى التى تكون فى حالة جيدة يقع الابقاء عليها كما هى . ان هذه الطريقة الجديدة فى العمل سميت بـ (التهيئة التكميلية) اذ انها تمكننا من التنقيص من عملية التهديم وبالتالى تنقيص عدد العائلات التى يتم اخراجها من منازلها . والمحيط الذى وقعت دراسته يحتوى على ما يلى :

من الشمال : شارع الهادى السعيدى الى نهج سيدى عبد السلام
من الجنوب : نهج باب العلوج وشارع ٩ ابريل
من الغرب : بطحاء باب سعدون
من الشرق : نهج بوغدير ، نهج بو حميدة ، نهج الاقواس ، نهج باب سعدون ونهج آخر موانى يبعد مائة متر عن شارع الهادى السعيدى .

وثمة ملاحظة اولية فعلى عكس سكان وسط المدينة فان اغلبية سكان الجزء الشمالي يقطنون به منذ عدة أجيال .

ان هذه المنطقة تعد مائتين واربعين عائلة مقابل مائة وستة وعشرين مسكنا الى ما يعادل عائلتين في كل مسكن (وهو عدد غير مشط) ، كما ان ثلاثين بالمائة من السكان يتمتعون بدخل ٣٠ ديناراً فأقل فى الشهر الواحد .

والمشروع في مجموعه يمتد على مساحة معينة للدرس تقدر بثمانية عشر هكتارا . أما المساحة العملية فتقدر باحد عشر هكتارا ويبلغ عدد السكان بها ٧٨٧٠ نسمة ، وعدد المساكن ٧٣١ وعدد العائلات ٢٤٦٢ عائلة .

وتقدر نسبة المالكين بسبعة وخمسين بالمائة . اما المبانى فان اثنين وثلاثين بالمائة منها توجد فى حالة متداعية و ٣٤٪ تتطلب ترميما وصيانة وتجهيزا .

ويحدد القسط الأول بنهج باب العلوج ، باب البنات ، القعادين ، بوغدير ، النفافتة ، بن ضريف ، مراد وشارع ٩ ابريل .

وهذا القسط لا يشمل الا المساحة التى سيقع تجديدها وتقدر بـ ٢٨٢٤٥ مترا مربعا يقطنها ١٢١٣ ساكنا الى ما يعادل ٢٤٠ عائلة تمثل ١٢٦ مسكنا .

اما القطاع الذى سيتم احياؤه فهو يقدر بـ ٢٠٢٩٥ مترا مربعا ويحتوى على ١٢٦ مسكنا و٦٢ محلا تجاريا .

في داخل هذا المحيط الرقاع : ١٠ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ و١٩ يجب الابقاء عليها كما هي اذ ان عملية الاحياء منتظرة فى اقرب الاجال .

كما ان عملية شاملة تجمع الرقاع : ١٠ - ١٣ - ١٤ - ١٥ و١٦ محبذة في هذا الشأن .

ان تظافر الجهود لمختلف القطاعات المعنية بالامر (البلدية ، الديوان القومي للتطهير ، المعهد القومى للاثار والفنون ، والديوان القومي للسياحة) واجبة لتكميل عمل الجامعة القومية لاعانة السكان التى لا تغطي الا قسطا ضئيلا من الاعتمادات المرصودة للاحياء .

الايجابيات والسلبيات

التجديد : عملية غير مبررة بأي حجة متداولة . ونرى ألا يلجأ اليها إلا فى الحالات المستعصية مثل زيادة كثافة السكان فوق ما تنصح به أسس التخطيط السليم ، أو أن تكون حالة المبنى سيئة للغاية مما يؤدى الى ان تكون التقديرات الاجمالية لعملية الاحياء تفوق التقديرات اللازمة لعملية التجديد .

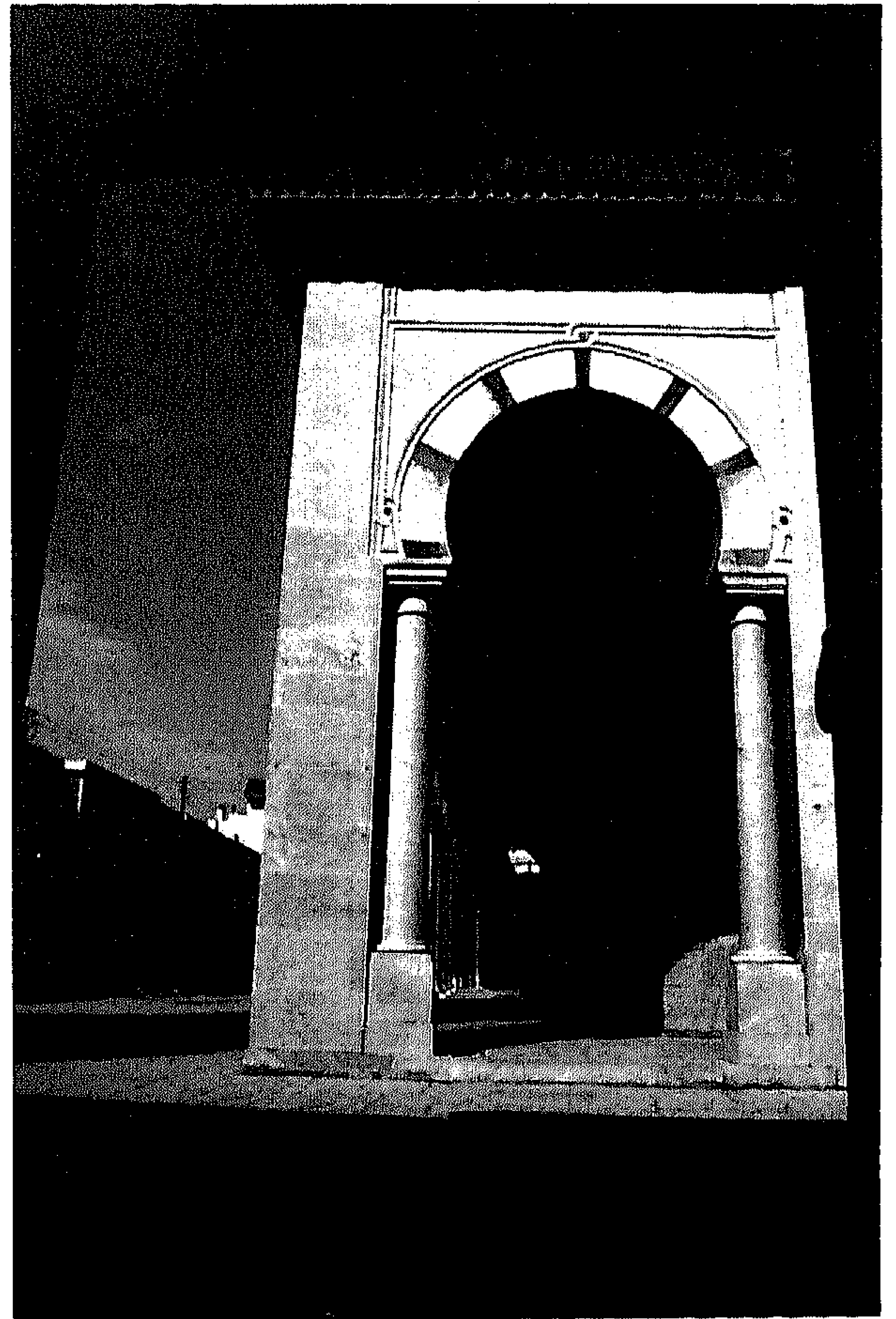
الاحياء : هذه العملية تشتمل على ايجابيات مضمونة ، مثل المحافظة على طابع الحياة فى اطار تقليدى ، ابقاء السكان الاصليين في منطقتهم . كما أن آجال تنفيذ أعمال الاحياء تتماشى بأكثر مرونة مع امكانيات الدولة والاشخاص من عملية التجديد التى تتطلب اعتمادات هامة جدا فى آجال قصيرة الامد ١٣ مليون دينار سنة ٧٥م بالنسبة للقسط الاول فقط .) مما يتيح فرصة استعمال رأس مال الجامعة القومية لاعانة السكان .

الحتميات المتعلقة بصيانة التراث :

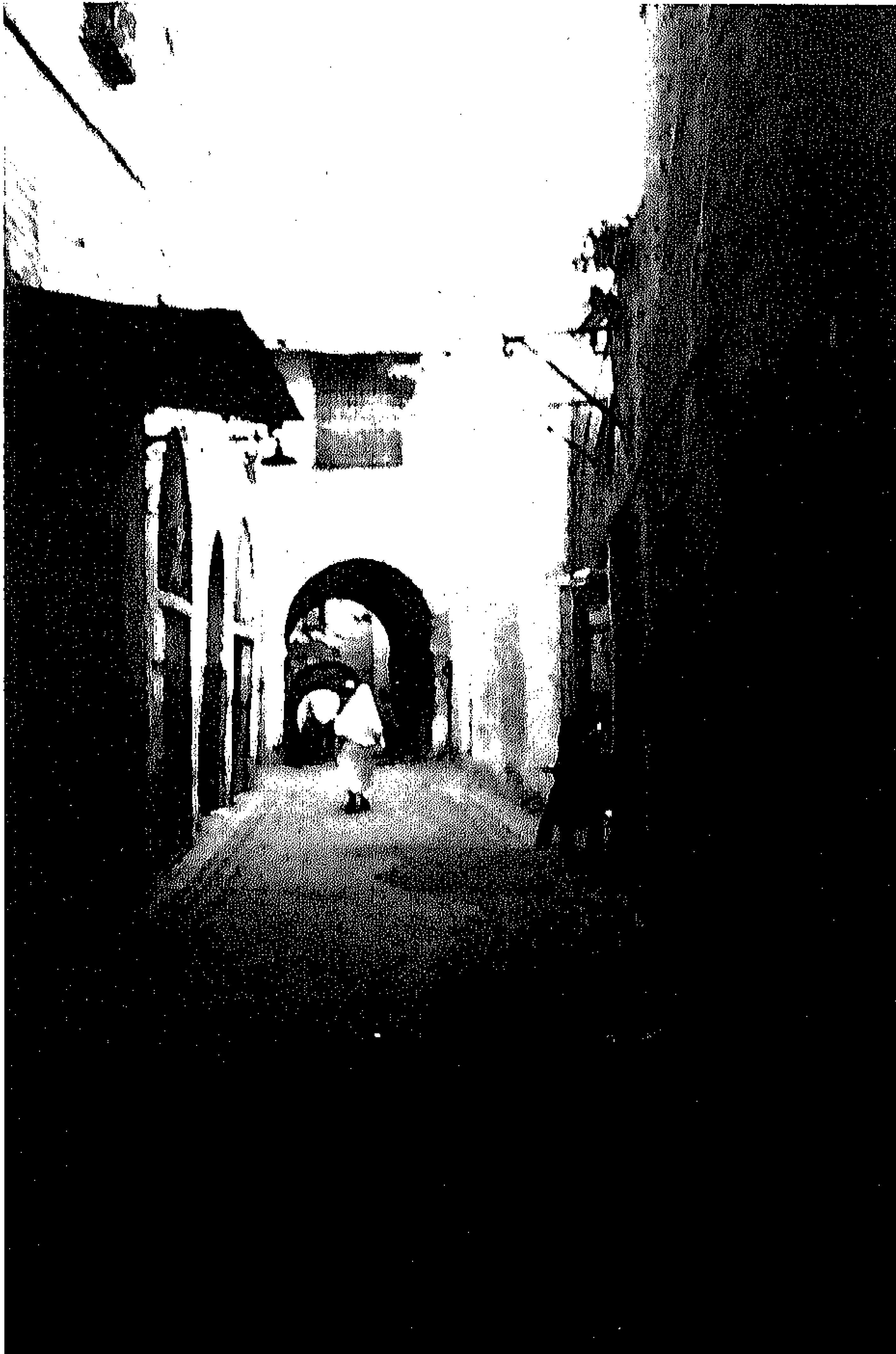
ان الخلية المتكونة من الرقاع (١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٦ - ١٧ -و١٨) يجب المحافظة عليها تماما كما ان عملية الاحياء يجب النظر فيها .

ان نهج الاقواس بهيكله وفضائه العمراني يمثل قيمة تاريخية هامة . والملاحظ انها توجد فى نفس الموقع للسور القديم . ولارجاع الرسم القديم لهذا السور فان التمديد في نهج الاقواس والصاقة بشارع ٩ ابريل يمكن التفكير فيه مع انجاز رواق تجارى في نفس الموقع .

كما ان بطحاء سيدى الجبالى تمثل أيضا بتخطيطها قيمة تاريخية يجب المحافظة عليها .



٢٤١ جامع الزيتونة ـ تونس



٢٤٢ الحفصية ـ تونس

اتجاهات التهيئة

مشروع القسط الاول للعملية

ان اقليم تونس قام بدراسة اولية لمشروع يهتم بالقسط الاول من مثال التهيئة لباب سعدون (مارس ١٩٧٩م) . ان هذا المشروع الاولي سيكون قاعدة لمشروع نهائي كما ان الشركة الاقتصادية لتعبئة منطقة تونس كلفت بالاشراف الرئيسي على هذه العملية .

وعلى اساس تحديد جديد وقع ضبط محيط الانتزاعات ، اما مثال التهيئة الذى قدمته الشركة المركزية للتهيئة الترابية فقد وقع تحويره فى خصوص تقسيم الرقاع .

رفع تقديم المشروع بعد تحويره الى دورة المجلس البلدى لشهر أغسطس ١٩٧٨ والذى قدم خلاله المعهد القومى للاثار والفنون وجمعية صيانة المدينة احترازات واكدوا على الامور الاجبارية .

التقديرات المبدئية للتهيئة تمكننا من تحديد المساحات التالية .

التجهيزات	١٠٤٢٠ مترا مربعا
المساكن ، المكاتب والمحلات التجارية	٦٨٥٠ مترامربعا
المساحات الخضراء	٥٦٣٠ مترا مربعا
المكاتب	٧٠٠٠ متر مربع

ان القيمة الاجمالية لعملية التجديد تقدر بـ ٣,٥٦١,٣٣٣ د.

الاتجاهات الاساسية للمعهد القومى للآثار والفنون

– يجب القيام بدراسة مدققة على عين المكان للتحديد بالضبط عدد المنازل التى يجب تهديمها .
– اقتراح مشروع تهيئة للمساحات المتحصل عليها .
– تحديد المسالك للمرور والتي يمكن ان تهدد الطابع الاصلي للمدينة .
– احياء وسط الحي على ان يتم في نفس الوقت لعملية تجديد الحاشية .
– يجب تحاشي تهيئة المسالك الداخلية التى تعتبر مخالفة لاتجاهات مخطط الصيانة . وبذلك يمكن الابقاء على عدة مساكن مهيأة للتهديم قصد توسيع نهج الاقواس ، نهج بوغدير ، الخ ..

– الابقاء على طريقة التهيئة التكميلية التي تعتمد اقل ما يمكن من عمليات التجديد .

– اعادة توطين السكان الحاليين للمنطقة المهدمة من طرف الشركة القومية العقارية بتونس التي خصصت تجمعات سكنية لهذا الغرض .

– ان توسيع شارع ٩ ابريل لا يمكن ان يتم على حساب المنطقة الموجودة داخل المحيط الذى وقعت دراسة من طرف الشركة المركزية للتهئية الترابية والتى تعتبر منطقة تراثية .

تطبيق الهندسة المعمارية الجديدة على الوسط التقليدى

تنقيص علو المساكن المزمع انشاؤها الى طابق سفلي تعلوه ثلاث طوابق مطلة على شارع ٩ إبريل .

– تماشى العمارات الجديدة مع شكل المدينة وطابعها التقليدى .

– يجب اعطاء الاولوية فى خطة المناطق الى البناءات السكنية ثم فى آخر الامر الى المكاتب الادراية والمحلات العمومية .

– التنقيص من المساحات حتى يمكن ضمان الاعتادات اللازمة للعملية الا انه يجب احداث دراسات حول وفى الأماكن الشاغرة وممرات للمترجلين تتخللها مساحات نصف مغطاة .

بالنسبة للنشاطات الفنية يجب تطبيق المبدأ المتفق عليه في مخطط الصيانة والمتمثل فى اعادة توجيه المبانى القديمة (القصور ، الزوايا ، المدارس الخ ..) بعد ترميمها وتهيئتها .

ان المعهد القومي للآثار والفنون له اليد العليا على مجموع الآثار الموجودة داخل المحيط الذى ستقع به هذه العملية ، والذى يعتبر الاختصاصيون ان بقاءها وعدم تهديمها واجب لقيمتها التاريخية والمعمارية والجمالية مثال ، نهج الاقواس والاسوار القديمة .

مبادىء الصيانة وقضية التجديد : تجربة الحفصية

جميلة بينوس

مقدمــة

خصت مدينة تونس العتيقة طيلة العشرية الفارطة بدراسات شافية شملت جميع الأوجه . فتّم تحليل النسيج العمراني واتضح ما تكتّة المدينة العربية من مميزات من حيث التصميم وتخصيص المناطق والوظائف . كما احصيت المعالم الاثرية الدينية منها كأماكن العبادة والتعليم والأضرحة والمدنية كالقصور والفنادق والحمامات والحصون والثكنات . ولعل أهم قسم من هذه الدراسات هو الذى شمل السكان وحالة السكن فتبين أن عدد النازحين من الارياف يفوق ٥٠٪ يعيش جلهم في قصور المدينة التى انقلبت الى مساكن جماعية هي أشبه شيئا بالاكواخ من حيث انعدام الشروط الصحية والتكاليف السكني .

القضية ليست اذن قضية تراث وكيفيه حفظة من الاندثار فحسب بل هي قضية جزء لا يتجزأ من العاصمة له مشاكل بشرية واقتصادية لا يمكن حلها الا في نطاق تنظيم شامل وسياسة عامة .

وبناء على هذا التحليل ضبطت الاختيارات الاساسية لسياسة الصيانة والتنمية ومن أهم المبادىء المنصوص عليها :

- صيانة المعالم الاثرية وتداركها بالترميم وإعادة استعمالها طبقا لحاجيات الحاضر والمستقبل
- المحافظة على تخطيط المدينة ونسيجها العمراني
- تطور السكن وتحسينه
- تنمية الاقتصاد وتنظيمه

ونعرض عليكم فيما يلي برنامج تجديد حيّ بالمدينة العتيقة تم انجاز القسط الأول منه طبقا لهذه الاختيارات وتجسيما لهذه المبادىء .

تجديد حي الحفصية

يقع هذا الحي في الحاشية الشرقية للمدينة القديمة ملاصقا للمدينة الجديدة غير بعيد عن المركز الاقتصادى المنتصب حول باب البحر .

ويعود عهد بناء هذا الحي الى القرن الرابع الهجرى ويرجع الفضل في تشييده الى الشيخ الولي سيدي محرز الملقب بسلطان المدينة . وظهرت في هذا الحي علامات التدهور منذ بداية القرن فكثرت به الامراض والاوبئة وتقرر تطهيره كما نص عليه مخطط التهيئة لسنة ١٩٢٨ .

ان المراحل التي مرّ بها هذا المشروع من ذلك الوقت الى الآن تدل احسن دلالة على تطور النظرة نحو التراث العمراني الاسلامي .

برنامج تهيئة الحفصية في عصر الحماية :

حظي هذا الحى بمثال تهيئة في عصر الحماية لم يتم انجازه وأعيد النظر فيه بعد الاستقلال ويبرز تحليل كلا المثالين مدى تضارب نظرية المستعمر التي تهدف الى اقحام النسيج فى المدينة العربية مع ما توصلنا الى تحقيقة من عادة انسجام ذلك النسيج في سنة ١٩٣٠ لما عرضت المسألة على المجلس البلدي اتفق على حل يتمثل كما قيل حينذاك في « هدم كامل الحي وتعويضه بحي يخضع لمعطيات العمران العصرى ويتماشى مع نمط المدينة العصرية » ووصف الحي ببؤرة الأوبئة حيث البيوت المكتظة والانهج الضيقة الوسخة ...

ان هذا التقرير البلدى ان دل على شيء فهو يدل على النظرة المحقرة التي ينظر بها المستعمر الى المدينة العربية وعلى عدم فهم علماء الغرب لتلك المدينة وعزم السياسيين منهم على تفكيكها كلما سمحت لهم الفرصة لذلك .

اشتمل برنامج تجديد الخاصية اذ ذاك على فتح الحي للسيارة وادخال البناء العمودى والمزج بين السكن والوظائف التجارية وعلى ضوء هذه الاختبارات خطط المثال التالي

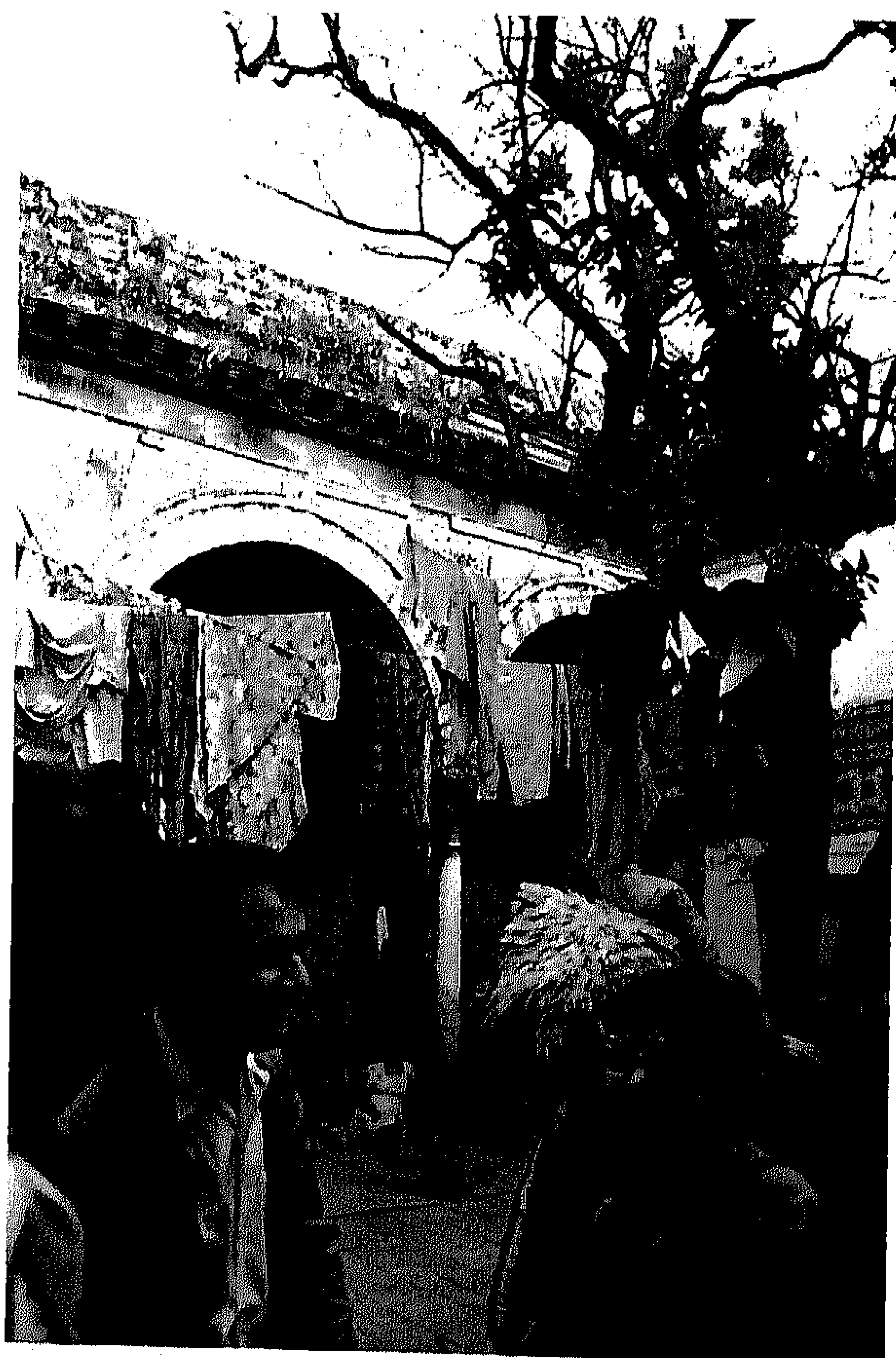
> طريق رئيسية اتجاهها شرقي غربي خارقة محورا تجاريا ذا اتجاه معاكس متألف من أسواق تقليدية يرتادها المستهلكون من جميع أنحاء العاصمة وتمتاز بطابع شعبى وحركة دائبة .

ويجدر بالذكر ان هذه الحركة لم تنقطع قط وأنه رغم زوال المحلات التجارية ورغم الخراب المنتصب في المنطقة كنت ترى البيع والشراء متواصلا على قارعة الطريق بين سوق سيدى محرز وسوق القرانة وهذا أكبر دليل على أهمية الوصل بين الجنوب والشمال في تخطيط مدينة تونس القديمة .

يمثل اذن هذا الشارع الجديد بداية فتحة عريضة في النسيج التقليدى كانت مواصلتها مقررة الى حدّ الحاشية الغربية للمدينة فتكون بذلك نهاية هذه الاخيرة كوحدة فضائية متلاحمة الاجزاء وبداية تفكيكها في سبيل السيارة .



٢٤٣ الحفصية – تونس



٢٤٤ تدهور حال المساكن – الحفصية



٢٤٥ تدهور حال المساكن – الحفصية

طريق فرعية أفقية (نهج الحكيم كسار) شيدت على طولها ثلاث عمارات ذات ثلاثة طوابق امتزج فيها السكن بالتجارة فانتصبت الدكاكين في الطابق الاسفل ، وبيوت السكن في الطوابق الاخرى وفتحت المساكن نوافذها على الشارع الذى أصبح مصدر الاضاءة والتهوية خلافا للبيت العربي ذى الفضاء الداخلي ولكن مع بداية الحرب العالمية الثانية تعطلت الاشغال واستمر الحي في التخريب .

برنامج تهيئة الحفصية بعد الاستقلال :

ولمّا استقلت البلاد استؤنفت عمليات الهدم وكلفت جمعية صيانة المدينة باعادة النظر في تهيئة الحي وتجديده سنة ١٩٧٢ .

حددت الاهداف التي ترمي اليها العملية على ثلاثة مستويات :

- تعديلات ترمى الى ادماج الحي في المجموعة العمرانية التي تكوّن لتونس الكبرى وهي تهم على وجه التحديد الوظائف الاقتصادية . ان موقع الحفصية في قلب تونس العاصمة يؤهلها للمساهمة الفعالة في تنمية الوظائف الاقتصادية وتوسيع رقعتها .
- الهدف الثاني يرمي الى ادماج الحي في المدينة القديمة من حيث النسيج العمرانى وتركيبه ومن أهم مقوماته : الفصل بين الفضاء السكني والفضاء العمومى بترتيب الطرقات الى مسالك خاصة بالمساكن والشوارع العامه . وتنظيم المنازل حول فضاء داخلي غير مسقف – الصحن – يقوم بوظائف التهوية والتشميس والانارة . ومراعاه أفقية البناء لتمكين الصحن من القيام بهذه الوظائف وللمحافظة على الانسجام الشكلي لكامل المدينة .
- والهدف الثالث هو بعث تجهيزات جديدة تتلاءم مع مقتضيات العصر والرفع من مستوى الخدمات وتوفير المرافق وطيب العيش للسكان الجدد .

تحليل القسط الأول من العملية

تسمح رقعة التجديد ١٣ هكتارا انجز قسط أول منها وشمل ٣ هكتارات من الاراضى البيضاء واحتوى على سوق بها ١١٦ دكانا وحيا سكنيا به ٩٤ مسكنا و٣٠ محلا تجاريا

أنجزت السوق على النمط التقليدي : ممراً مسقفا تحيط به دكاكين على اليمين وعلى اليسار . فتّم ببنائها الربط بين سوق سيدى محرز وسوق القرانة وعاد اكتمال المحور التجارى وتحتوى السوق الآن على اصناف تجارية من مستوى متوسط أو فوق المتوسط تتمثل في الاقمشة والاحذية والملابس الجاهزة والداخلية والاواني المنزلية ويتوارد على هذه السوق مستهلكون من كافة أحياء العاصمة .

نظمت حركة المرور وفقا للاختيارات المذكورة فألغى الشارع المستقيم وعوض بطريق اتخذت رسما منكسرا يعسر مرور السيارات به . كما أعد موقف للسيارات في مدخل الحي استجابة لحاجة السكان من جهة وحاجة من يرد على السوق من أصحاب السيارات من جهة أخرى بينما خصصت كافة الأنهج السكنية للراجلين .

صممت بيوت السكنى على عشرة نماذج يمسح أكبرها ١٦٣م ٢ وأصغرها ٢٦٠ يحتوى نموذجين اثنين على صحن يتوسط الدار بينما توجد بالامثلة الاخرى حدائق أمامية .

وحرصنا على توفير شروط الاضاءة والتشميس بالنسبة لجميع البيوت وكذلك المرافق الضرورية . ونزولا عن رغبة السكان أضيف لكل مطبخ صحن خلفى يصلح لاداء بعض الاعمال المنزلية .

يتمتع الحي بالتجهيزات والخدمات اللازمة من ناد للاطفال ومركز ثقافي واجتماعي ومحلات تجارية للحاجيات اليومية وعددها ثلاثون محلّا تقع منفصلة عن السكن اذ تفتح أبوابها على الطرق الرئيسية المذكورة أعلاه .

قامت الشركة القومية العقارية بتمويل الاشغال والاشراف عليها ووزعت المنازل على أساس دفعة أولى تناهز ثلث القيمة وتسديد الباقى على أقساط شهرية لمدة عشرين عاما وتتراوح هذه الدفعة الشهرية بين ٣٠ –١٠٠ دينار تونسى (ما يساوى ١٠٠ و ٢٠٠ دولار) حسب مساحة المحل .

اذ قدرنا بـ : ٣٠٪ معدل النسبة المئوية من الدخل العام التى تنفق على الكراء بالنسبة لكل عائلة يتحتم حينئذ أن تكون العائلات الجديدة من ذات الدخل المرتفع (اطارات متوسطة ، مهن حرّة ...).

خاتمة :

نلاحظ في الخاتمة أن العملية بلغت أهدافها في الميدانين العمراني والمعمارى الا أنها أنشأت شكلا يتمثل في تغيير التركيب الاجتماعي للمنطقة . تعدّ هذه الظاهرة خطرا من اخطار التجديد الذي يترتب عليه حتما ارتفاع كبير في القيمة الكرائية الأمر الذي يجعل السكان القدامى غير قادرين على الدفع ، مما يضطرهم لمغادرة حيهم الاصلي وتركه لمن لهم أكثر قدرة شرائية . لم نتعرض في واقع الأمر الى هذا المشكل في الحفصية بالذات لأن عملية التجديد قامت على اراض خلت من السكان منذ سنين وتمت تسوية مشاكلها البشرية منذ ذلك الحين . لكن هذا لاينفى طرح المشكل والتفكير في الحل الملائم له .




طرابلس لبنان

خصائص العمارة الإسلامية في طرابلس وآثارها المماليكية

(٦٨٨ - ٩٢٢هـ ./١٢٨٩ - ١٥١٦م .)

عمر عبد السلام تدمرى



٢٤٨ خريطة لمنطقة طرابلس لبنان

► ٢٤٧ طرابلس لبنان

مقدّمـــة

تقع مدينة طرابلس على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وفى منتصف الشريط الساحلي الشرقي للبحر المتوسط تقريباً ، بين الإسكندرون وغزّة ، وهي شمالي بيروت بنحو ٨٢ كيلو متراً ، وتعتبر المدينة الثانية في لبنان « مساحة » وعدد سكان ، حيث يسكنها نحو نصف المليون نسمة ، وهي المدينة الإسلامية السنّيّة الأولى في لبنان ، وأغنى مدينة بالعمارة الإسلامية المتنوعة ، ليس فى لبنان فحسب ، بل في الساحل الشرقي للبحر المتوسط على الإطلاق . فهي تنافس بآثارها الإسلامية ، وتراثها الحضارى ، وعمائرها الدينية والمدنية والحربية والتجارية ، المدن الإسلامية الكبرى في مصر والشام والعراق .

ولا غرو ، فقد هيّأت الطبيعة كل المقوّمات الأساسية لقيام مدينة كبيرة فى المنبسط الساحلي القريب من سفح الجبل حيث النهر الذي يوفر المياه اللازمة ، ليس للارتواء فحسب ، بل لإدارة المطاحن ودور الصناعة القديمة ، وحيث المناخ المعتدل بين طبيعة الجبل والبحر ، وحيث المركز الذي يتوسط طريق القوافل على طول الشريط الساحلي ، وحيث اللسان البرّي الداخل فى البحر الذى يوفّر ميناءً طبيعياً ، فيجعل المدينة ذات طبيعتين : بريّة – بحرية ، سهلية – جبلية . وقد لاحظ « شيخ الربوة الدمشقي » هذه الخصائص وهو يصف المدينة في عصر المماليك فقال : « وهي سهلية جبلية ، بحرية بريّة ، يتخلّل الماء في جوانبها » .

ولما كانت طرابلس القائمة الآن تدين بالفضل الى سلطان المماليك المنصور قلاوون الذي حرّرها من الصليبيين وأمر ببنائها من جديد في سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م ، فإنها جاءت بعمارتها صورة مصغرة من القاهرة المماليكية . وبما أنها في إقليم الشام فقد جمعت بين خصائص بلاد الشام في الطبيعة والعادات الاجتماعية ، ولذا جمعت بين الطبيعة الشامية ، والعمارة المصرية المماليكية .

الخصائص الهندسية والجمالية :

يمكن القول إن الخصائص العمرانية في طرابلس المماليكية مرت بمرحلتين متميّزتين عن بعضهما ولوضع الأمثلة على ذلك يجب الأخذ بتطوّر بناء المساجد والمدارس ، فهي أفضل مثال لدراسة تطوّر عمارة المماليك في المدينة ، وفي هندسة بوّاباتها ومآذنها ومحاربها وقبابها قاعاتها وأروقتها وفنائها يمكن قياس النواحى الجمالية في أبنيتها بشكل عام .

وتتميّز المرحلة العمرانية الأولى باعتماد الحصانة في البناء مع البساطة المتناهية في العقود والأقواس والبّوابات والمحارب وأحواض الوضوء التي تخلو جميعها من أية زخرفة ، أو لمسات فنّية تسترعي الاهتمام أو تثير الناظر إليها ، وهذه المرحلة تنحصر زمنياً بين سنة ٦٨٩ وسنة ٧٢٥هـ ./١٢٩٠ – ١٣٢٥م . وتبدو بصماتها على مجموعة عمرانية تم بناؤها خلال تلك الفترة المتقدّمة من تاريخ المدينة المستجدة ، مثل الجامع المنصورى الكبير ، وجامع التوبة ، وجامع السيد عبد الواحد المكناسي ، والمدرسة الشمسية ، والمدرسة الماردانية ، والمدرسة الزريقية ، ومدرسة الخيرية حسن ، وحمّام عز الدين ، والبيمارستان ، وخان الخياطين ، وحمّام أسندمر ، وخان المنزل ، وغيره ، فقد جاءت عمارتها خالية من الزخارف والتزيينات الهندسية ، ولم يدخل فى بناء جدرانها أو أرضيتها عنصر الرخام ، بل اقتصر البناء على استخدام الحجارة الرملية . وليس هناك من عناصر جمالية يمكن التوقف عندها إلا فى بعض اللمسات المتأثرة بأنماط وخصائص عمرانية سبقت فن العمارة المماليكية ، مثل البوابة الرئيسية للجامع المنصورى الكبير ذات الطراز القوطي ، والتى تحمل قوساً من الزخارف النافرة المطلّة على فناء الجامع الخارجى ، مثل القوس الوسائدى الذي يقع فوق النافذة الغربية المطلة على مدخل البوابة الرئيسية للجامع المنصورى ، والذى يُرجعة بعضهم الى العهد اللاتيني ، ومثل الزخرفة الموجودة على عقد بوّابة خان المنزل ، وعلى النافذة الواقعة على يمين البّوابة . وماعدا ذلك فلا شيء يثير الأهتمام .

ومن اساتذة المدرسة المعمارية في هذه المرحلة ، عرفنا اثنين سجلّا اسميهما على أعمالهما هما : « سالم الصهيوني بن ناصر الدين العجمى » الذي بنى الجامع المنصوري ، و « أحمد بن حسن البعلبكي » الذى بنى رواقات هذا الجامع . وهما من أصحاب المدرسة الشامية في العمارة الضخمة القائمة على البساطة في آن معاً .

ولا ريب أن الفترة التي أعقبت فتح طرابلس مباشرة كانت تتطلب الاهتمام بتحقيق البناء المطلوب طالما يؤدى الغاية المرجوّة من إقامته ، فقد كانت ظروف المنطقة وأجواء الحرب لاتزال تنعكس على نفسية السكان ومعاشهم ، وتفرض حالة من الاقتصاد والتقنين في إهدار المال والجهد والوقت في مواضع لا ضرورة لها .

أما المرحلة الثانية للعمارة فى طرابلس ، فقد وضحت معالمها فى الربع الثانى من القرن الثامن الهجرى ، وتجلت بتنوع العناصر الجمالية ، وغنى الزخرفة والأشكال الهندسية ، والكتابات المتنوعة الرشيقة ، وتناغم الألوان فى قطع الرخام الناعم الأملس ، وتناسق الحجارة المصقولة وتناوب الأبيض والأسود منها ، وتعاشق السنجات ، وتتابع التجويفات والمقرفصات وتساقط المدلّيات ، والمبالغة في التأنّق والفخامة والبذخ ، سواء في تزيين البّوابات ، أو المحاريب ، أو جدار بيت الصلاة ، أو القباب ، أو حوض الوضوء ، وحتى أرضيّة حرم المسجد وفنائه .

وإلى تلك المرحلة العمرانية ينتمى بناء جامع طينال ، وجامع البرطاسي ، وجامع العطار ، والمدرسة القرطاوية ، والمدرسة النورية ، والمدرسة الأثرية ، والمدرسة الناصرية ، وكلها حوّت عناصر هندسية وفنّية ذات جمالية رائعة تُحاكى الجمالية والغروة الفنية التي نراها في مساجد قاهرة المماليك ومدارسها . وهذا الترف فى العمارة يعكس الحياة الاقتصادية والاجتماعية والحضارية التي أخذت المدينة تعيشها ، والراحة النفسية والشعور بالأمان والاطمئنان الذي ساد سكانها ، بعد أن اكتملت معالم المدينة وركنت النفوس الى حصانتها ، وإلى تَقلّص خطر الإفرنج وتراجعه ، وإلى استقرار الحياة السياسية للمماليك في بلاد الشام عامة ، وطرابلس على وجه الخصوص .

على أن السمة الدفاعية الحربية ظلّت تطبع العمارة المساجدية في المدينة ، وذلك في بناء المآذن المربعة التي لها خصائص الأبراج الحربية العالية ، وهذا ما نراه في مئذنة الجامع المنصوري الكبير ، ومئذنة جامع العطار ، ومئذنة جامع التوبة ، ومئذنة جامع طينال ومئذنة مسجد ومدرسة البرطاسي ، ومئذنة مسجد الحجيجية .

ومن أساتذة المدرسة المعمارية في المرحلة الثانية بطرابلس عرفنا اثنين أيضاً ، هما : « أبو بكر بن البُصَيص البعلبكي » ، وهو باني جامع العطار ، وقد سجّل اسمه فوق عتبة الباب الغربي (قبل سنة ٧٣٥هـ.) . و« محمد بن ابراهيم المهندس » ، وهو صاحب الباب الشرقي والمنبر الرخامي داخل حرم الجامع نفسه . (سنة ٧٥١هـ.)

وفي الصناعات الخشبية ، وخاصة في صناعة المنابر وزخرفها وَصَلَنا اسم المعلّم « محمد الصندى » ، ونرى اسمه محفوراً على عتبة باب المنبر داخل جامع طينال . (٧٣٦هـ.) .

وهكذا نجد أسماء المهندسين والصناع تنتمى الى المدرسة الشامية في العمارة والصنعة ، ومع ذلك فقد ظهرت تأثيرات أندلسية واضحة في مئذنة مسجد البرطاسي ، وفي النافذة الصغيرة العالية في واجهة المدرسة الطواشية ، مما يعنى أن مهندسين أندلسيين شاركوا بخبراتهم في بناء بعض المعالم العمرانية ، كما ظهر النمط المغربي في بناء مئذنة مسجد عبد الواحد المكناسي ، فهي تتميز بضآلتها وصغر حجمها .

ولم يتحرج المهندسون المسلمون من استخدام بعض الأحجار والأعمدة التي كانت في المعابد الوثنية أو كنائس النصارى ، فألفوا بينها في انسجام معمارى بديع كما هو قائم في الحرم الأول لجامع طينال حيث نرى ثلاثة أنماط معمارية في جزء واحد ، هي عمود غرانيتى ضخم مجلوب من مصر أيام الفراعنه ، يعلوه تاج كورنثي ضخم بتوريقاته التي اختص بها الفن الرومانى – البيزنطى ، ويرتكز عليه دعامة من الحجارة الرملية تساهم مع دعامات أخرى في حمل القبة التي تظهر فن عمارة المماليك . ورغم التباين البعيد تاريخياً وفنياً بين الفراعنة والرومان والمماليك ، فقد تجلت عبقرية المهندس الاسلامى في تدجين تلك العناصر ، وتأليف عنصر جمالي متكامل ترتاح اليه النفس . على أن البّوابة الداخلية للجامع ، التي تفصل بين الحرمين : الأول والثانى ، والتى جاءت إسلامية البناء والهندسة والفن ، فهي تعتبر بحق أجمل بوّابات مساجد طرابلس ولبنان على الاطلاق ، فهي تنافس بفخامتها وروعة تناسقها وزخارفها وألوانها وخطوطها وتجويفاتها ومقرنصاتها وضخامتها أروع بوابّات مساجد المماليك في القاهرة ودمشق . وتكاد بوابة المدرسة القرطاوية تماثلها بفخامتها أيضاً ، ولكن من يتأمل هذه البوابة وتلك يشعر بنكهة متغيرة نوعا ما – إن جاز التعبير . والأرجح أن مهندسي بوابات جامع طينال ، وجامع البرطاسي ، وجامع العطار ، والمدرسة القرطاوية ، والمدرسة النورية ، والمدرسة الناصرية ، والمدرسة الأثرية ، وغيرها ، كانوا أصحاب مدرسة معمارية واحدة ، أوانهم كانوا جميعاً في فترة واحدة نقلوا عن بعضهم فن التجويف والمقرنصات والمدليات ، والتزيين بالفسيفساء ، وتلاعبوا بقطع الرخام الملون ، الأبيض ، والأسود ، والرمادى ، والأحمر ، فطوّعوها وشكلوا منها تربيعات ودوائر هندسية بديعة . ومن يتأمل في بوابات هذه المعالم التي ذكرناها يحسّ لأول وهلة بأنها ذات روح واحدة في الشكل الهندسي العام ، رغم الاختلاف في دقائق الزخرفة ، كذلك يظهر الإحساس الموحد عند تأمل محراب المدرسة النورية ، ومحراب المدرسة القرطاوية ومحراب مسجد البرطاسى ، حيث الرخام الملون يشكل العنصر الأساسى في تزيينة ، ثم تليه قطع الفسيفساء الملونة فوق التجويفة . ولكن محراب البرطاسي يتميز عن كل محاريب طرابلس ولبنان على الإطلاق بالزخرفة النباتية الرائعة من الفسيفساء المذهبة التى تغطى كامل الفجوة والحنية العليا من المحراب ، وهى تشكّل كأسا تتفرع منها أغصان وفروع متناسقة متساوية الأبعاد يميناً ويساراً تضفي جواً من الراحة في نفس المتأمّل لها . ويكاد مسجد البرطاسي أن يكون بناء مكتملًا حاوياً لكل العناصر الجمالية والهندسية البديعة التي تعبّر بقوة ووضوح عن عبقرية البناء والمهندس والفنان المسلم . فمئذنة هذا المسجد تقوم ، مباشرة ، على عقد البّوابة الخارجية ، وهذا النظام في البناء نادر حدوثة إذ يحتاج برج المئذنة إلى قاعدة قوية وعريضة تحمله ، فأتى بناء المئذنة على قبة البّوابة مباشرة وكأنة تحد من البناء والمهندس المسلم لقوانين الهندسة والعمارة ، ونجح في ذلك .

وقد تأثر المهندس بالطراز الأندلسى ، وظهر هذا التأثير على الواجهة الغربية للمئذنة ، حتى ليُخيل للناظر إلى هذه الواجهة أنه يرى إحدى مآذن الأندلس أو المغرب العربى . ويشتد الإحساس بأن المهندس أندلسي الأصل ، هاجر الى طرابلس وساهم في بناء معالمها الإسلامية ، وسجل أصله الأندلسى في زخرفة العقدين التوأمين المنكسرين عند رأسيهما ، وتتناوب فيهما الحجارة البيضاء والسوداء . ويرتكزان على ثلاثة مناكب من الحجارة البيضاء ، وتنفتح تحتهما نافذتان مستطيلتان ، يفصل بينهما عمود داكن اللون . والنافذتان مع العقدين ضمن إطار مجوف مستطيل الشكل غائر في واجهة المئذنة ، بحيث يبدو سطح العقدين بمستوى سطح واجهة المئذنة وفوق هاتين النافذتين ، نافذتان أخريان ترتكز قنطرتهما المدببة على عمود مركزى ، وفوق هاتين النافذتين مباشرة مقرنصات متدرجة تشكل اسافين لقاعدة برج المئذنة المشرف الى الخارج ، بحجم يزيد عن حجم ساق المئذنة .

أما قبة المسجد فهى غاية في الروعة والبهاء والفخامة والإرتفاع والاتساع ، تحتها فسقية من الرخام الملون تعتبر أروع فسقية في مساجد طرابلس ولبنان على الإطلاق ، وأرض المسجد كلها بالرخام الملون ، والفسيفساء تشكل تزيينات هندسية بديعة حول الفسقية ، كما يغطى الرخام كامل الواجهة القبلية لبيت الصلاة .

وجامع طينال يماثل مسجد البرطاسي في روعة البناء والهندسية ، إلا أنه أفخم منه لضخامتة بحيث يتألف من حرمين ، ويحتوى على خمس قباب متفاوتة الأحجام ، وينفرد بمئذنته الجميلة المتميزة بالطابع الحربي في شكلها وفي تصميمها ، ومن خصائصها الفريدة غير المتوافرة في غيرها من المآذن الاسلامية ، أن لها سُلّمان لولبيان ، إذا صعد إليهما شخصان في آن واحد لا يلتقيان أبداً ، وينزلان كذلك بحيث يفضى باب إحدى السلمين إلى داخل الحرم الثاني (الداخلي) من الجامع ، ويفضى باب السلم الأخر الى

خارج الجامع إن تعداد الخصائص الهندسية المتوافرة فى مساجد طرابلس ومدارسها تحتاج الى دراسة أوسع ، ووقت أطول ، ويكفي أننا ألمحنا إليها هنا بهذا البحث المتواضع .

بقي أن أشير إلى خصوصية أخيرة فى بناء المدينة الإسلامية ، تنمّ عن لمسة انسانية وروح متعاطفة بين المهندس والبناء وصاحب البناء ، والتعاطي هندسياً ومعمارياً مع عامة الناس ، وذلك فى كسر حدّه الزاوية لكل بناء يقع في بداية السوق أو في نهايته ، أو عند كل منعطف ، بحيث تشطف الزاوية الحادة للبناء كما يشطف طرف الزجاج للتخفيف من حدته فلا يجرح الأيدى والأصابع التي تحمله أو تمسكه ، ولا يخفى ما في هذه الخصوصية المعمارية التى تراها فى أسواق طرابلس القديمة من لمسة أنسانية تتوخى إزالة كل ما من شأنه يعرض المارة للضرر فى حال الارتطام لسبب ما فى زاوية البناء ولم يكتف البناء بكسر حدّة الزاوية فحسب ، بل أضفى عليها مسحة جمالية ، حيث جعل نهاية الزاوية المشطوفة شبيهة بحنية المحراب ، وزينها ببعض التجويفات المتناسقة ، ترتاح النفس لرؤياها ، وليت بنائينا ومهندسيا يقتدون بالمهندسين والبنائين المسلمين الذين شادوا المدن العربية بتلك الروح السامية الصافين صفاء العقيدة الإسلامية ، والشفافه شفافية الروحخ الإنسانية .



صَفاقسْ



وضعية مدينة صفاقس العربية الاسلامية والتوسع التجارى والصناعى داخلها

علي الزوارى

مقدمة :

تقع مدينة صفاقس بالجمهورية التونسية على ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقى شمالي خليج قابس في ارض منبسطة تربط بين الساحل التونسي ومواقع الجنوب .

دخلت مدينة صفاقس التاريخ المكتوب عندما تم بناء سورها بالطوب وعندما تم جامعها (الجامع الكبير) الذى يحتل قلب المدينة وذلك على يد القاضي علي بن سلم البكرى الوائلي الجبنياني سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م في زمن الامير أحمد بن الاغلب ورقعة المدينة التى يحيط بها السور هي علي شكل مربع مستطيل ومساحتها تساوى ٢٤,٥ هتكار . خططت على النمط العربى وأما السور فيمتد على طول ٢٥٧٠ مترا بينما يتراوح ارتفاعة بين ١٠ و ١٢ مترا عدا القلاع والحصون التي يصل ارتفاعها الى ١٧ مترا واكثر .

والمتتبع لتاريخ مدينة صفاقس يلاحظ انه يصهر في تاريخ الامة العربية الاسلامية فقد تبعت صفاقس القيروان والمهدية في اطوارها الاغلبية والزيرية ، وتبعت تونس الحفصية والتركية واحتضنت في مختلف اطوار حياتها اسرا عربية اتتها مباشرة من الشرق أو عن طريق القيروان ، كما احتضنت اسرا موحدية واندلسية اثرت كلها في اتجاهاتها الحضارية كما تأثرت عن طريق التجارة بالفنون الشرقية وما تزال من كل ذلك في المنازل القديمة التي سلمت من المسخ والمعالم الاثرية العامة من جوامع ومساجد وزوايا ، شواهد معمارية وزخرفية بليغة .

ومن خصائص مدينة صفاقس التي واكبتها منذ بدايتها وجود حزام اخضر من الأجنة « الحدائق والبساتين المثمرة » يتوسطة مسكن هرمي الشكل يعرف بالبرج .

وعاشت مدينة صفاقس العربية الاسلامية داخل سورها قرونا طويلة ، وفي النصف الثانى من القرن الثامن عشر شيد حي جديد خارج السور قرب الميناء يعرف بالربض القبلي . ومنذ ذلك التاريخ تعددت الارباض وظهرت قرى صغيرة حول المدينة في منطقة الاجنة . وفي القرن الذى نعيشة ظهرت مدينة حديثة في مكان الميناء القديم الذى وقع ردمه . واليوم وقد اتسع العمران وامتدت الاحياء السكنية والتجارية والصناعية امتدادا عظيما نجدها في قلب هذا النسيج العمرانى ممثلة رغم وطأة حضارة العصر عليها احد عشر قرنا من التاريخ والحضارة . فالمدينة العتيقة قد حافظت على جوهر كيانها الحضارى المعمارى وعلى تقاليدها الحضرية العريقة وكانت المنهل ولا تزال فى انتشار التقاليد الحضرية في الاحياء والقرى المحدثة خارج سورها . غير ان تلاقي بعض العوامل القديمة مع بعض العوامل الجديدة ، بنت هذا العصر اخذ يضغط على المدينة في اتجاه يعاكس توازنها وتوازن البيئة (حزام الاجنة) التقليدية التى حولها .

أبرز خصائص المدينة :

موقعها الجغرافى : تقع مدينة صفاقس بين البر والبحر . ومنذ اقدم عصورها حافظت صفاقس على عضويتها مع بساتينها فكان السكان حتى مطلع القرن الثامن عشر يقطنون بالمدينة طيلة السنة عدا اشهر الصيف التي يقضونها في الابراج خارج السور حيث الاجنة وجملة الاجنة تسمى الغابة ثم صار بعض الناس يقطنون كامل السنة في البساتين . ولكن اهل الغابة لم يتنكروا للمدينة ولم تتنكر لهم ، ياتونها لقضاء صلاة الجمعة وبيع غلالهم واقتناء كل ما يحتاجون اليه من منتج محلي ومستورد . ومنذ الاحتلال الفرنسي شيدت مدينة حديثة خارج السور حول الربض القبلى فى مكان الميناء الذى وقع ردمه وتوسعت المدينة الحديثة مع الزمن وكثر عدد سكانها . وهؤلاء السكان يلجأون الى المدينة الاسلامية لابتياع المنتجات التقليدية وغيرها وصار سكان الغابة يعبرون المدينة الاسلامية ذهابا الى المدينة الحديثة حيث الادارات والملاهي والمغازات العصرية ويعبرونها ايابا الى منازلهم ، فمن الطبيعي ان تتفاعل الاسواق مع مرور الناس جيئة وذهابا .

النمو الدمغرافى والمكانى : النمو الدمغرافي ظاهرة من ظواهر عصرنا واسبابه معروفة . وعندما نتحدث عن النمو الدمغرافي بالنسبة لصفاقس فليس داخل المدينة فقط بل في منطقتها الكاملة اذ هي كما ذكرنا آنفا بحكم موقعها ووظائفها الصناعية والتجارية مجلبه للحرفاء والمتجولين فعلى سبيل المثال نذكر ان عدد سكان صفاقس قبل الاحتلال لا يتخطى ٢٠,٠٠٠ ساكن ووصل سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦ الى ١٦٧,٠٠٠ ساكن ثم تطور هذا العدد بسرعة خلال السنوات الاخيرة اذ وصل الى ٢٣٥,٩٥٠ ساكن سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م والى ٢٦٠,٠٠٠ ساكن سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١ واقترب سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ من ٣٠٠,٠٠٠ ساكن منهم ١٠,٥٠٠ ساكن فقط في المدينة



٢٥٢ صفاقس



٢٥ صفاقس



٢٥٣ صفاقس

الاسلامية التي تستقبل يوميا من باعة وحرفاء ومتجولين اضعاف عدد سكانها . فعلى سبيل المثال والتقريب اعطتنا احصائية سنة ١٣٨٩/١٩٦٩ عدد ٣٨٨٧ عاملا في المدينة لا يقطن منهم بها الا ٧٢٠ عاملا . ومنذ ذلك الحين تفاقم الفارق ولاشك لان نشاط المدينة تضاعف وقل عدد سكانها كما سنبينه .

طريق المواصلات : ان الثورة التي حصلت في ميدان النقل جعلت مدينة صفاقس قبلة مختلف القرى المنتشرة في سباسبها وقبلة مدن الجنوب التونسي يستمدون منها الالات الفلاحية التقليدية والغرابيل والاحذية والمنسوجات والتوابل والحلي والاقمشة وغير ذلك من المنتجات المحلية والبضاعة والمستودرة .

الحركة التجارية والصناعية :

فلهاته الاسباب الاساسية كلها كثر الطلب فاذا كان الطلب متوافرا فلابد ان يواجهه العرض وذلك ما حصل خاصة وان الصفاقسي تاجر بطبعه وحافظ على صناعاته التقليدية ،هذا من جهة ومن جهة أخرى فالعمل التجارى والصناعي لا يكون الا في محلات ودكاكين ومخازن وحصل الذى لابد ان يحصل مع هاته الوضعية فلم تعد الاسواق التقليدية كافية لاستيعاب النشاط المتزايد فامتدت الحركة داخل الاحياء السكنية . والمتجول اليوم في المدينة العتيقة داخل الاحياء السكنية القديمة يلاحظ كثرة الحذائين والخياطين وباعة الاقمشة والملابس الجاهزة وزادت أعداد الدكاكين منذ سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م بمقدار ٨٠٠ رغم تشديد المراقبة التى لولاها لانتهى أمر مدينة صفاقس .

وان قلة الدكاكين المعروضة للبيع أو الكراء اما اكثرة الطلب ادى الى ارتفاع اثمانها خاصة الدكاكين الموجودة بالشوارع التجارية فقد وصل كراء بعض الدكاكين الى اثمان خيالية ٢٥٠ دينارا تونسيا فى الشهر الواحد ، اما اثمان البيع والحقوق التجارية فتصل الى عدة ملايين من المليمات التونسية . والنتيجة هي تقسيم المنازل الى أكثر عدد ممكن من الدكاكين الى حد ان بعض الدكاكين اقتصرت مساحته على مترين مربعين ودون فتحات تهوية خلاف الباب ومن الطبيعى ان تؤدى هاته الحالة الى تسابق في تحويل المنازل الى دكاكين وحجة اصحابها ان المدينة تجارية والدكاكين في كل مكان وهاته الظاهرة لها تأثير آخر على السكن فاصحاب المنازل الذين بقوا متعلقين بمنازلهم واحيائهم وجاورتهم الدكاكين صاروا يشعرون بالضيق وصاروا بدورهم يفكرون في حلول لا تتماشى مع البيئة الطبيعية للمدينة . ومن نتائج الاحتكار ايضا انعدام وحدة الاسواق ففي سوق الكامور نجد جزارين ، وفي سوق الجزارين نجد الحدادين الى غير ذلك .


ومن جهة أخرى استدعت الحركة التجارية والصناعية وكثرة الناس بالمدينة فتح ابواب جديدة في السور فخلال الفترة الاستعمارية فتحت خمسة ابواب ثلاثة منها واسعة تدخل منها السيارات ومنذ الاستقلال فتحت اربعة أبواب اخرى . وامام ضغط الحركة المتزايد ومن حسن التدبير انه وقع العدول عن التفكير في شق المدينة الى نصفين بطريق واسعة تربط بين باب الجبلي وباب الديوان ولو نفذت هاته الفكرة لذهبت الطريق باثمن ما في المدينة ، جامعها الكبير واسواقها التقليدية . واخيرا استدعت كثرة رواد المدينة توسيع البعض من مساجدها وجوامعها تلك التى يرجع تاريخها الى القرنين السابع عشر والثامن عشر ولكن الحقيقة تقال ان جل المساجد والجوامع بقيت على طابعها .

هذه هي تأثيرات الموقع الجغرافى ، والنمو الدمغرافي ، والنشاط التجارى والصناعي على بيئة المدينة وتوازنها ولكن هناك عاملا آخر هو ضغط الحضارة العصرية في اساليبها الفنية والعمرانية والاشهار التجارى ففي المدينة الاسلامية صارت المظاهر التقليدية تتضارب مع مظاهر الحضارة العامرة ، وتعددت الالوان واخذت الابواب الحديدية التي تطوى تعوض الابواب الخشبية كما اخذت النوافذ الواسعة تعوض النوافذ التقليدية ثم ظهرت محلات تجارية ذات واجهات بلورية للعرض التجارى ، وعلت واجهات المحلات التجارية لافتات اشهارية متباينة في اشكالها والوانها وكيفية وضعها .

الخلاصة :

ولو اردنا ان نلخص لقلنا ان مدينة صفاقس الاسلامية احتفظت بالعديد من مظاهر ماضيها وبيئتها : سور يحيط بها ، جوامع وحمامات بقيت وشبكة طرقات ومسالك لم تتغير واسواق تعمل لفائدة ابنائها ومرتاديها التونسيين ، فمدينة صفاقس من المدن الاسلامية القليلة في تونس التي لم تتأثر بالسياحة ولكن العناصر الجديدة التي دخلت بصفة فوضوية احدثت نشازا غريبا .

فهل نعتبر دخول العناصر الجديدة التي اشرنا اليها خطرا على هاته المدينة ككيان حضارى اسلامي ام نحبذه كنشاط يواكب النمو الحضارى المعاصر نريده لكل مدينة اسلامية يعيشها اناس نريدهم يعيشون ونترك لهم حرية التصرف فيما يملكون ؟


دَومـة الجنـدل

الحفاظ على خصائص المدينة العربية الاسلامية

الادارة العامة للآثار والمتاحف
وزارة المعارف – المملكة العربية السعودية

مقدمة :

تتطلب صيانة المدن التاريخية أنماطا من المباشرة وأصنافا من التخصصات ومقادير من التكاليف عالية تتناسب مع المهمة ومتطلباتها ، اذ يلزم لصيانه المدينة الآتى :

– بيان مصنف لكل محتوياتها الفنية وكل أنشطتها وتطلعاتها .
– تصنيف للأولويات والاحاطة بجوانبها ومتطلباتها .
– اعداد لوسائل العمل وتوفير الطاقات ذات الكفاءة المتخصصة للعمل بأنجح الطرق .
مباشرة شواغل الصيانة بنفس متصل ووسائل متوافرة ومكاتب متابعة وتنفيذ ، قائمة فى المجالات المعنية نفسها .

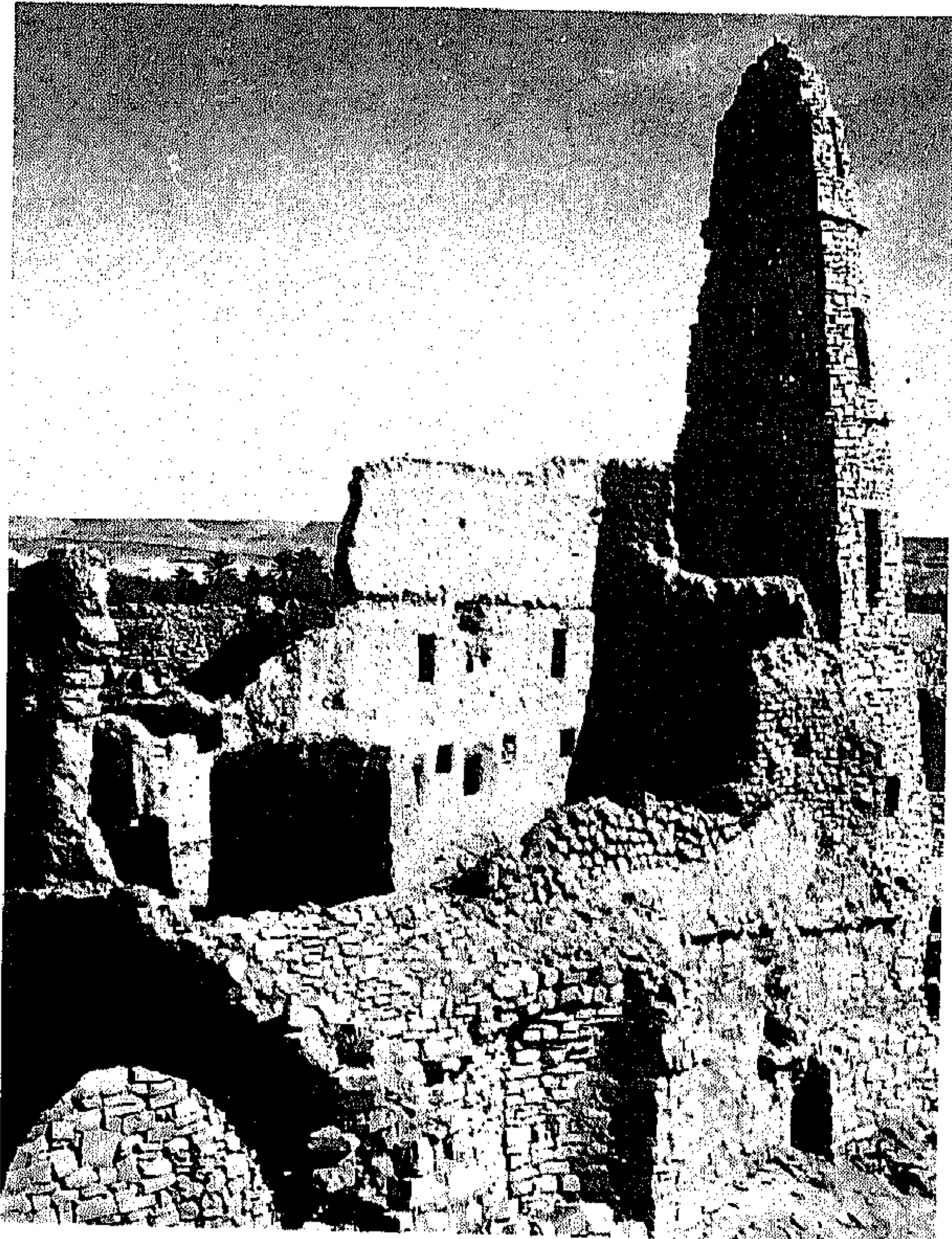
والواقع أن تحقيق هذه الأهداف ليقع على عاتق البلديات اذ انها أقدر الجهات التى يمكنها القيام بهذا العمل العظيم أما دور الادارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف فهو دور المساعد والاستشارى .

ولتحقيق هذه الأهداف فإنه من الضرورى إتخاذ الخطوات الآتية :
– رفع مساحى دقيق وكامل للمدينة المراد صيانتها يوضح المساحة الكلية وأنماط نسيجها الحضارى والتاريخى
– تحديد الخصائص المعمارية الفنية وأساليب البناء ومواده .
انشاء مكتب هندسى يدار بوعى لتوجيه التنفيذ ودفعه ومراقبته وملاحظة نتائجه .

وعلى ضوء الدراسة والأبحاث التى يقوم بها هذا المكتب يمكن اتخاذ الخطوات الآتية :

– فتح الشوارع الضرورية لانسياب الحركة ومسايرة التطور .
– وضع مواصفات المبانى الجديدة لتنسجم مع المبانى القديمة .
– العمل على تشجيع الأسواق القديمة مع الابقاء والاستمرار فى ادخال الخدمات الجديدة بما لا يتعارض مع الصبغة القديمة والطابع الحضارى لها .
– عدم السماح بهدم الاحياء القديمة والعمل على المحافظة عليها وتقديم منح تشجيعية لأعمال الترميم والصيانة .
– الإبقاء على العمارة الدينية وترميمها وعدم السماح بهدمها .
– رصف الأزقة والدروب الضيقة بالمواد القديمة مثل الأحجار .
– انشاء مصانع لتأمين المواد الأولية اللازمة ذات المواصفات الأثرية والحضارية المعنية .

ولقد قامت الادارة العامة للآثار والمتاحف بعدد من المشاريع الهامة التى تهدف الى صيانة هذه المدن وإحيائها والمحافظة عليها ، فضلا عن تعاونها العربي والدولى فى هذا المجال وما يشتمل عليه نظام الآثار لتأمين هذا التراث الخالد وتعريف العالم بتاريخ وحضارة هذا البلد العريق ، من ذلك مشروع إحياء مدينة الدرعية القديمة ومشروع تسجيل وترميم وصيانة قصور الأحساء ومساجدها ، والاحتفاظ بحى الديرة (العلا القديمة) تمهيدا لصيانته وترميمه ، كما تعمل الادارة على الابقاء وصيانة البلدة القديمة بدومة الجندل . وقد قدمت الادارة العامة للآثار ابحاثا عن كل هذه المشروعات (ستنشر تباعا) ، وفيما يلى وصف لمشروع البلدة القديمة بدومة الجندل .



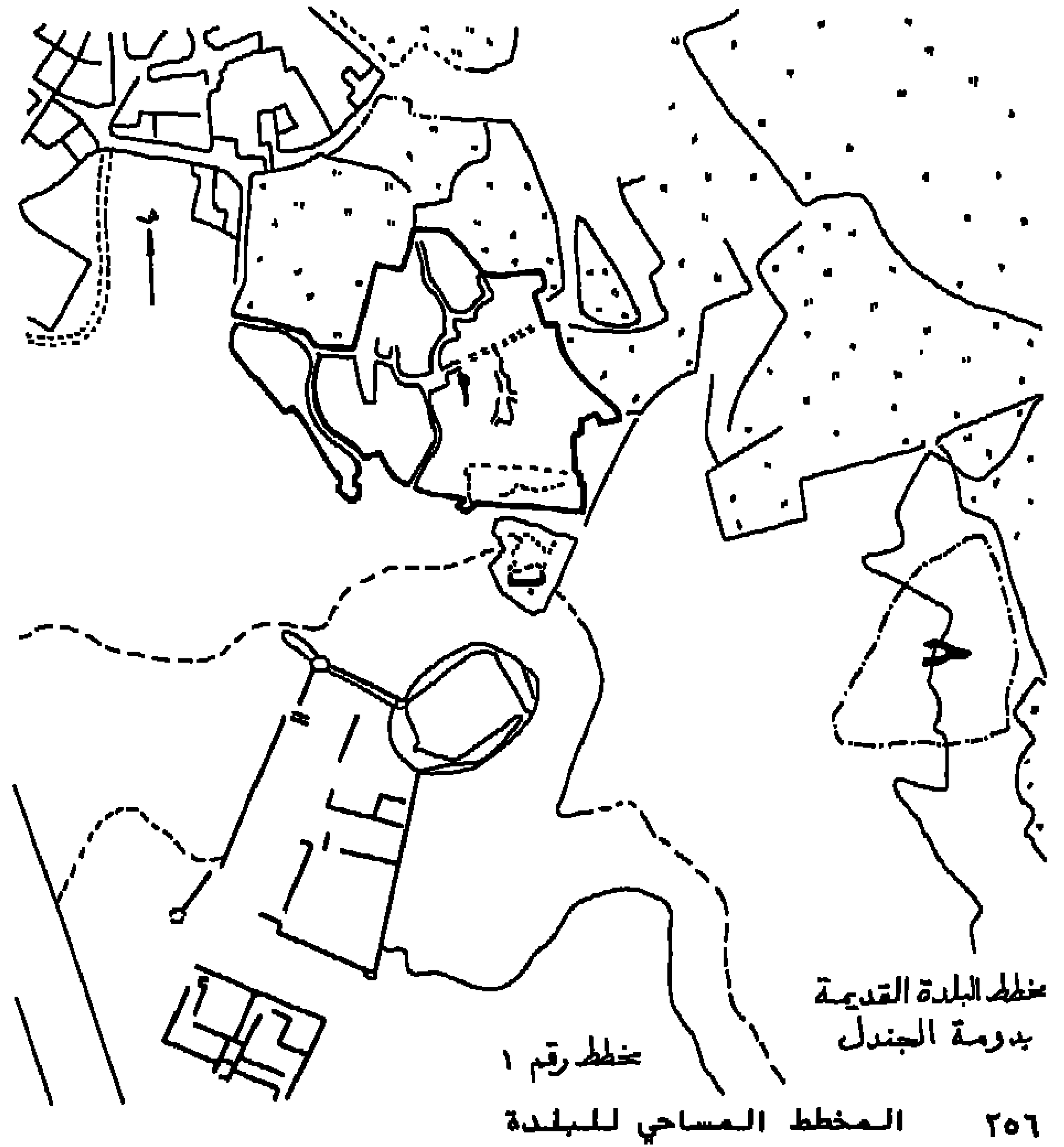
٢٥٥ اطلال من البلدة القديمة

◄ ٢٥٤ مسجد عمر بن الخطاب – دومة الجندل

البلدة القديمة بدومة الجندل :

الموقع : تقع فى الميول الشمالية الشرقية بدومة الجندل فى مساحة غير منتظمة الشكل ، الا أنها تميل الى الاستدارة ، ويحدها من الجهة الشمالية والجهة الشرقية مساحات من النخيل والأشجار ، ومن الجهة الجنوبية مسجد عمر وقلعة مارد وما بينهما من بقايا معمارية قديمة ، كما تتركز بعض البقايا المعمارية القديمة المتهدمة فى الجهة الجنوبية الشرقية ، أما الجهة الغربية فبها الطريق الرئيسى الذى يخترق مدينة دومة الجندل الحديثة .

المخطط : قوامة شبكة معقدة من الطرق المتداخلة وغير المنتظمة الشكل والاستقامة ، اقيم على جانبها المنازل ويدخل اليها بواسطة بوابات هذا الى جانب مسجد عمر وقلعة مارد ، والأسوار كانت تربط منطقة القلعة بالبلدة .



٢٥٦ المخطط المساحي للبلدة

المنازل : تمتد عبر الشوارع الضيقة وهي قليلة المساحة فى معظم الأحيان ومتعددة الطوابق وقوام تصميمها المعمارى فى أغلب الأحيان أفنية مكشوفة تفتح عليها حجرات قليلة العدد والمساحة ، ومتعددة الطوابق اذ يتراوح عدد طوابق بعضهما بين طابق واحد وثلاثة طوابق وتشتمل المداخل على عقود مدببة ومستديرة ، وهي مزودة بنوافذ ضيقة ومرتفعة تطل بها على الشوارع الى جانب مداخلها التى تعلوها أعتاب حجرية محملة على كابولى .

ولقد استخدمت الأحجار الرملية المختلفة الأحجام فى بناء هذه المنازل ، وغطيت جدرانها بطبقة من الطين فى بعض الأحيان ، وتوجد على جانبى مداخل بعض المنازل مصاطب حجرية .

والواقع أن التصميم المعمارى لمنازل هذه البلدة القديمة يشير الى أنها كانت تخضع الى نظام اجتماعى معين إذ يلاحظ أن الطابق الأرضى فى معظمها كان مخصصا للإستقبال ، بينما يصعد الى الطوابق العلوية المخصصة لأهل المنزل بواسطة سلم داخلى ، أى أن فن المعمار بالبلدة القديمة بدومة الجندل قد سبق فن المعمار المعاصر من حيث التصميم وتخصيص أجنحة للإستقبال وأخرى للمعيشة والحياة اليومية .

الأسوار والبوابات : نتج من تلاصق جدران المنازل مع بعضهما ، أسوار أحاطت بالمدينة الى جانب الأسوار الأخرى المستقلة ، وكان يدخل الى البلدة بواسطة عدة بوابات ، ويظهر ذلك فى تلك البوابة التى لاتزال قائمة فى شمال غرب المدينة والتى يعلوها جذوع النخيل .

الشوارع : يتراوح اتساعها بين ١,٥م و٢م ، ويوجد ببعضها مصاطب حجرية للراحة والاسترخاء ولقد أقيمت جسورها فوق الاجزاء المغطاة منها ربما استخدمت كممرات للدفاع من ذلك ثلاثة عقود مدببة يعلوها سقف أفقى من جذوع النخيل والأشجار ، وعلى كلا الجانبين مصاطب (المساحة ٦×٦م) .

العناصر المعمارية :

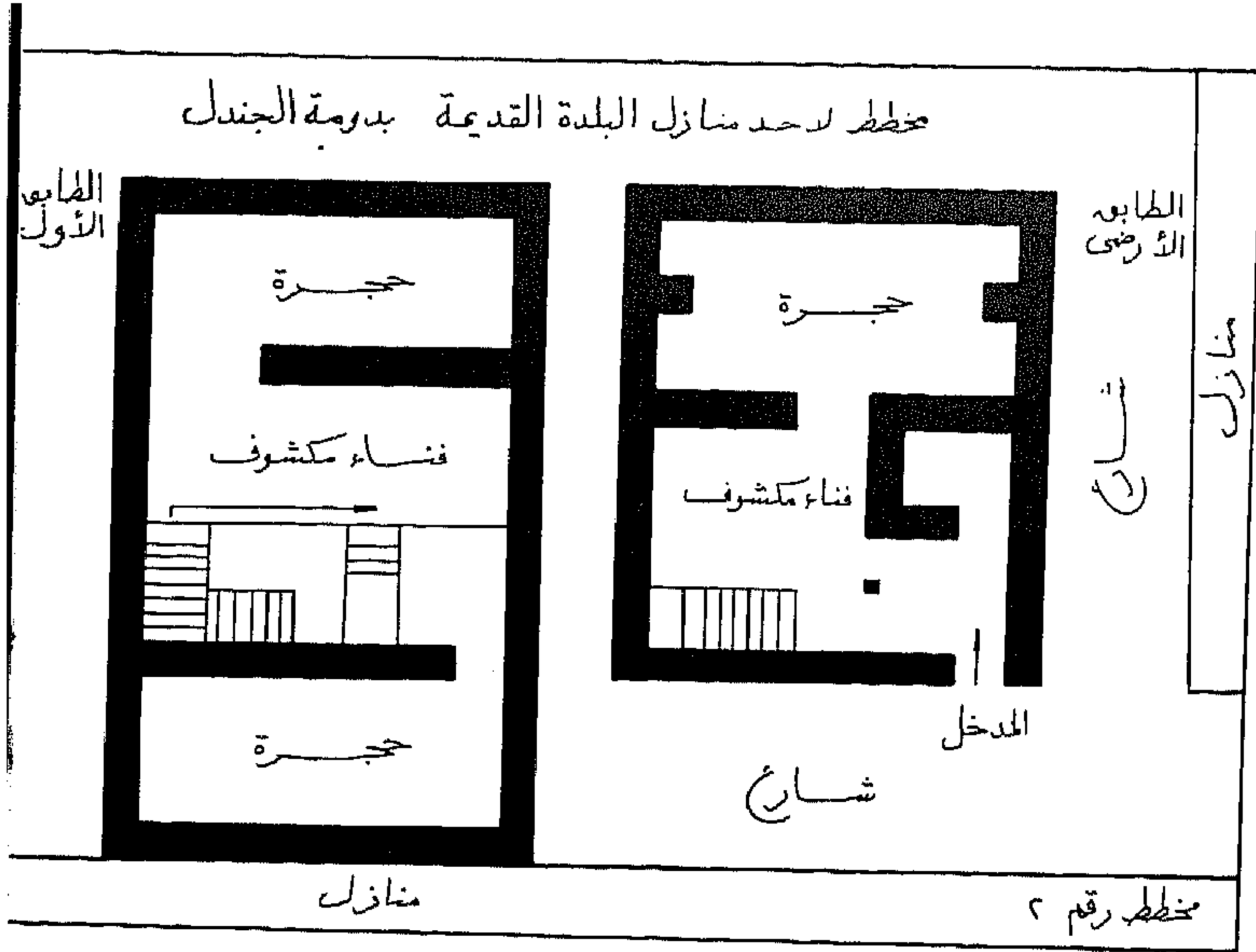
الفتحات : ضيقة فى معظم الأحيان ، وهى إما بوابات خارجية بأسوار البلدة ، وإما مداخل للمنازل أو نوافذ ، تعلوها أعتاب حجرية مرفوعة على كوابل بسيطة ، أو تعلوها جذوع نخيل أو أشجار وضلفها قوامها جذوع نخيل رأسية مثبت فيها عوارض خشبية أفقية ومزودة بترابيس (مزلاج) خشبية ، كما أن الفتحات الداخلية لهذه المنازل عادة ما تكون محمولة على كوابيل حجرية ، كما يلاحظ أن بعض النوافذ للمنازل المطلة على الشارع توجد فى دخلات على هيئة محاريب .

التغطيات : قوامها أسقف مسطحة محمولة على قطع من جذوع النخيل وأشجار الأثل فى معظم الأحيان ، وعلى قطع حجرية أحيانا لاسيما فى بعض المناطق المغطاة بالشوارع .

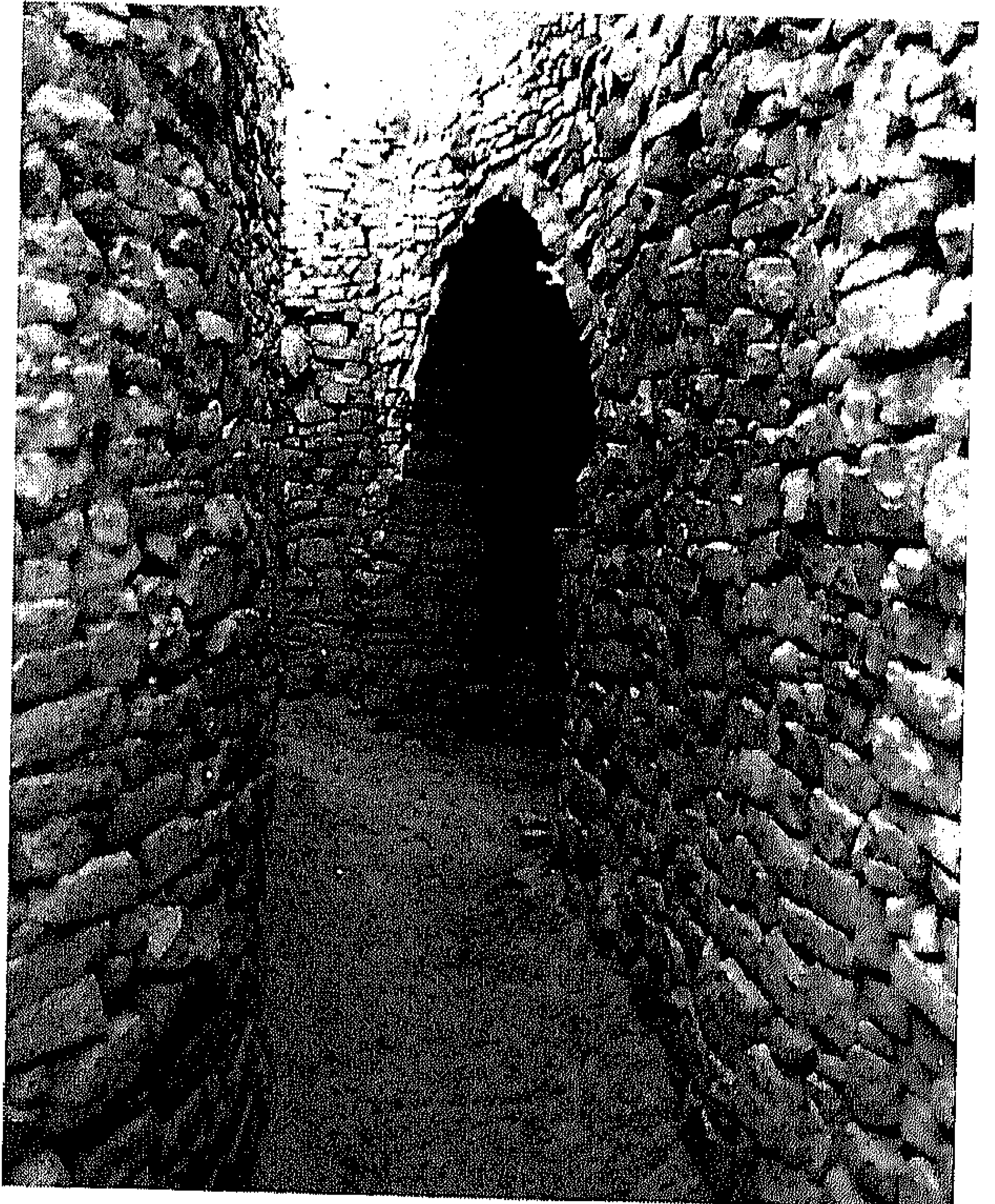
مواد البناء .

- أحجار رملية ، فى جميع مبانى البلدة من أسوار وبوابات ومنازل ، وأعتاب تعلو الفتحات ، وفى العقود المدببة والمستديرة .
- طوب لبن ، فى بعض الأجزاء العلوية من المنازل ، فضلا عن استخدام الطين فى التلييس .
- مونة من الطين والجص للربط بين الأحجار الرملية فى معظم الأحيان .
- أخشاب ، قوامها جذوع نخيل وأخشاب من شجر الآثل استخدمت فى تغطية أسقف المنازل والبوابات وفى الضلف الخشبية لأبواب المنازل وكأعتاب تعلو بعض الفتحات .

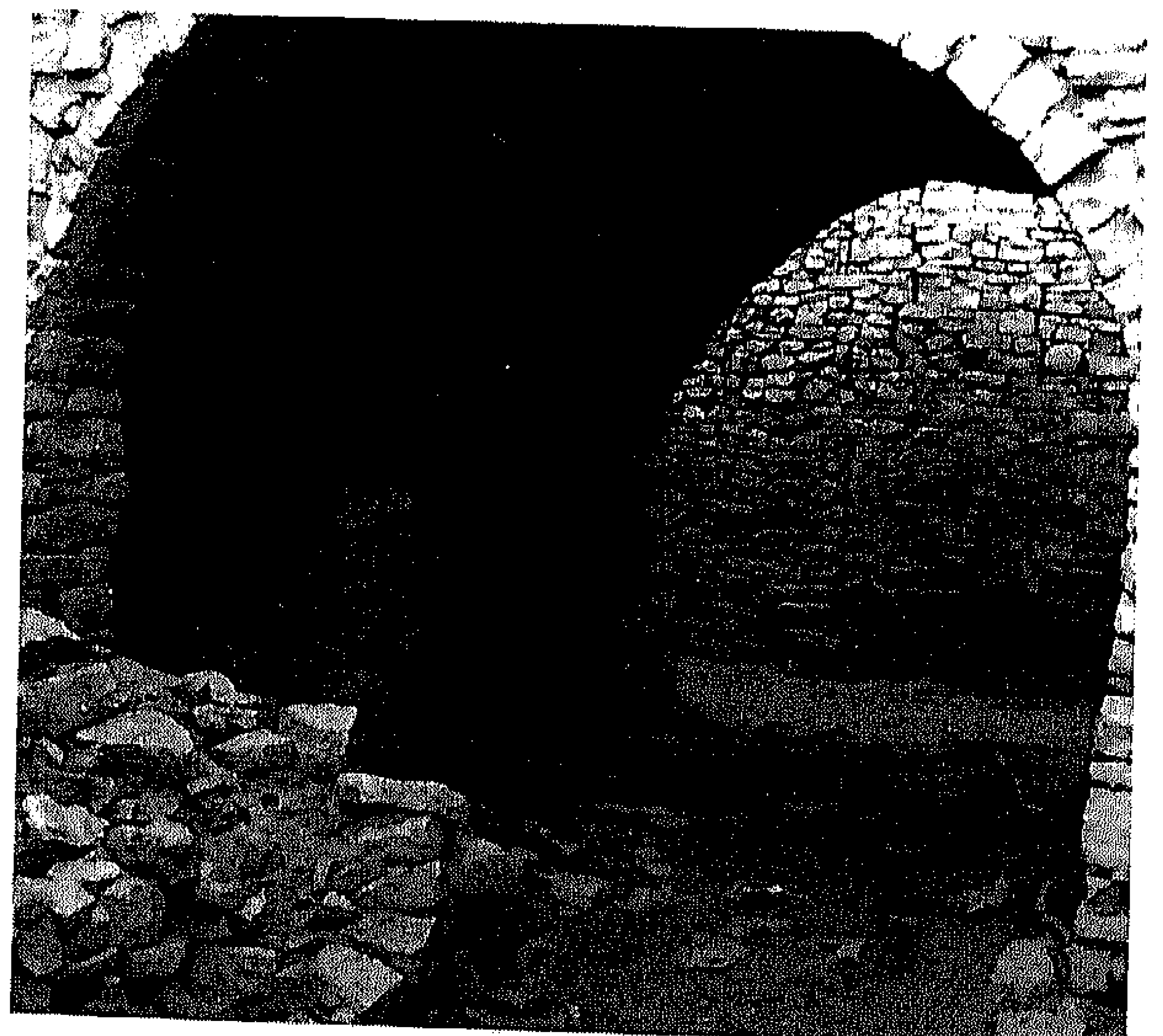
والواقع أن الطراز المعمارى بالبلدة القديمة بدومة الجندل ليتميز بالقوة والمتانة ، الأمر الذى يزيد من أهميتها مستقبلا بالنسبة للدراسات والتقنيات الأثرية ، إذ كشفت المجسات الأختبارية التى أجريت بها عن أساسات عمقية وفخار من العصر النبطى على بعد حوالى ٢م من سطح الأرض ، ويعلوه فخار يرجع الى العصر الإسلامى ، الأمر الذى يشير أيضا الى أن هذه المدينة الإسلامية بطرزها وعناصرها المعمارية قد قامت على أنقاض إحدى مناطق الاستيطان القديمة ، وعلى أن هذه المنطقة كانت مأهولة قبل العصر الإسلامى .

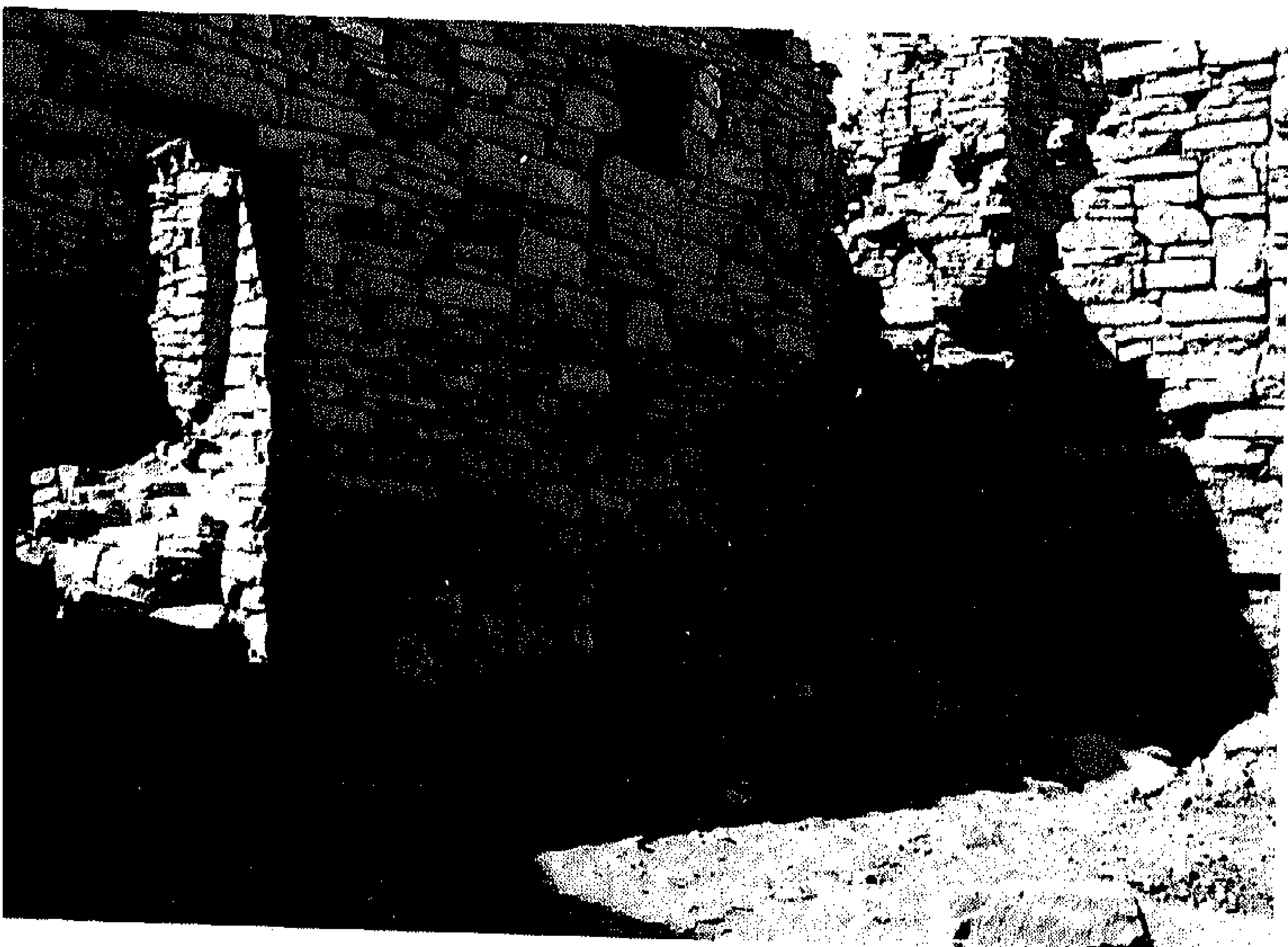


٢٥٧ أحد منازل البلدة القديمة


٢٥٨ أحد شوارع البلدة القديمة


٢٥٩ أحد المداخل الرئيسية للبلدة


٢٦٠ مجموعة العقود المدببة


٢٦١ اسلوب البناء بالبلدة القديمة

مسجد عمر :

الموقع : يقع جنوب شرقى البلدة القديمة ، وتحيط به منازل البلدة القديمة من الجهة الشمالية والغربية ، بينما تقع قلعة مارد على بعد ١٥٠م من جهته الجنوبية .

الوصف المعمارى :

قوامه صحن مستطيل مكشوف (فناء) يحده من الجهة الجنوبية رواق القبلة، وهو يتكون من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة وتفصل بينها ثلاث بوائك كل بائكة تتكون من عشر دعامات .

ويتوسط جدار القبلة محراب عميق يبرز للخارج ويعلوه عقد مدبب وعلي يمينه مباشرة شيد منبر المسجد ، وهو عميق أيضا ويصعد اليه بواسطة ثلاث درجات من الحجر ، ويعلوه أيضا عقد مدبب ويتخلل جدار القبلة وكذلك الجدار الغربى للمسجد أرفف لحفظ المصاحف ويغطى رواق القبلة سقف من جذوع أشجار متعامدة على جدار القبلة ، ويصعد فوقه بواسطة مجموعتين من الدرج أولاهما فى الركن الجنوبى الغربى للمسجد وثانيتهما شرق البروز الخارجى للمحراب .

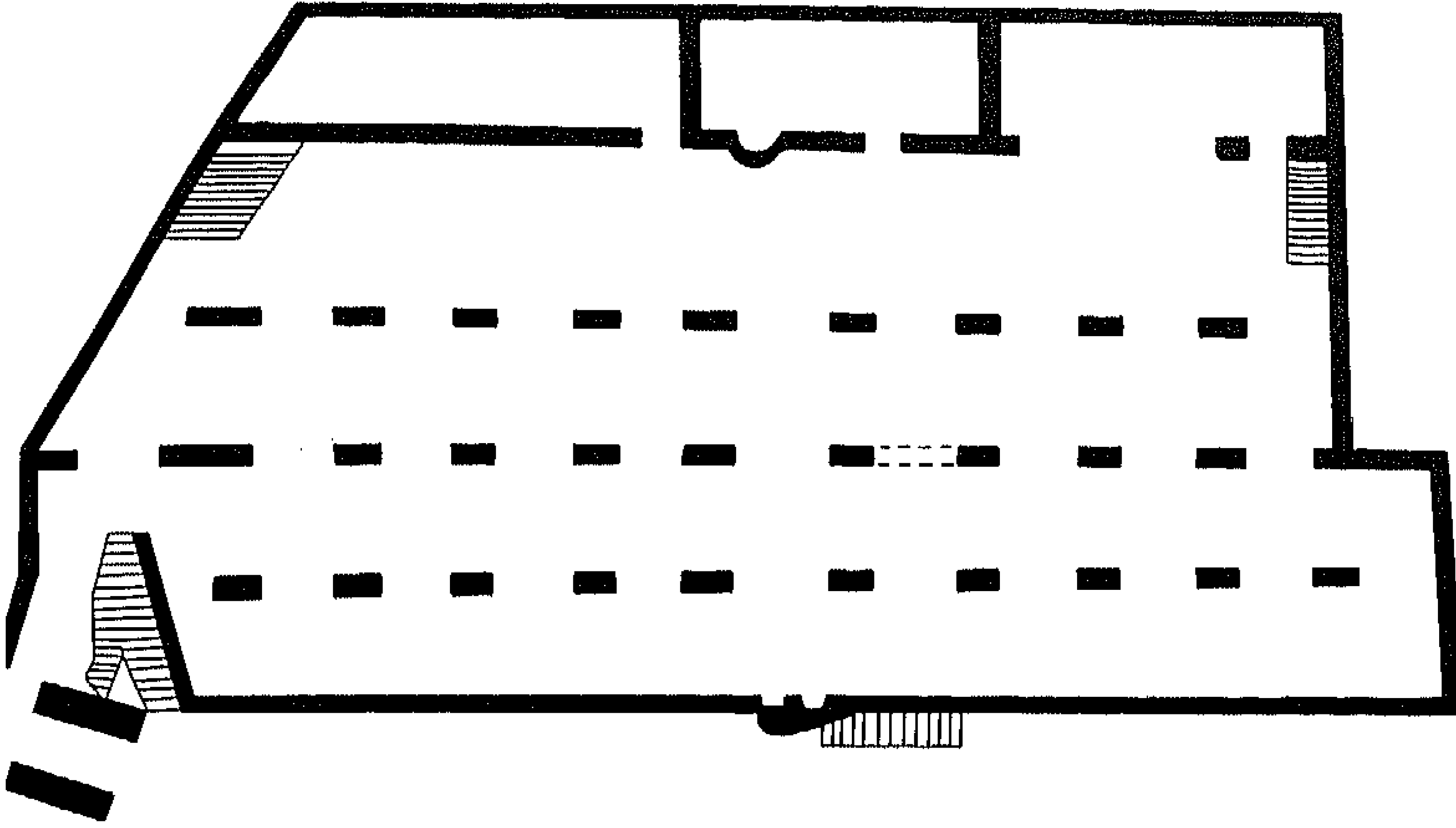
ويحد الصحن من الجهة الشمالية رواق آخر أقل مساحة من رواق القيام الرئيسى ، اذ يتكون من بلاطة واحدة محصورة بين جدار المسجد الشمالى وبائكة واحدة كانت تطل على صحن المسجد .

وفى كل من الركن الشمالى الشرقى ، والركن الشمالى الغربى للصحن ، توجد مجموعة من الدرج تتكون من عشر درجات يصعد بها الى أعلى الرواق المقابل لرواق القبلة .

ويدخل للمسجد بواسطة مدخل رئيسى غرب دعامة المئذنة المتصلة بجدار القبلة يؤدى الى ممر مكشوف الى صحن المسجد ، وفى شرق دعامة المئذنة يوجد مدخل آخر ثانوى يؤدى الى نفس الممر المكشوف وتغلق هذه المداخل بأبواب خشبية .

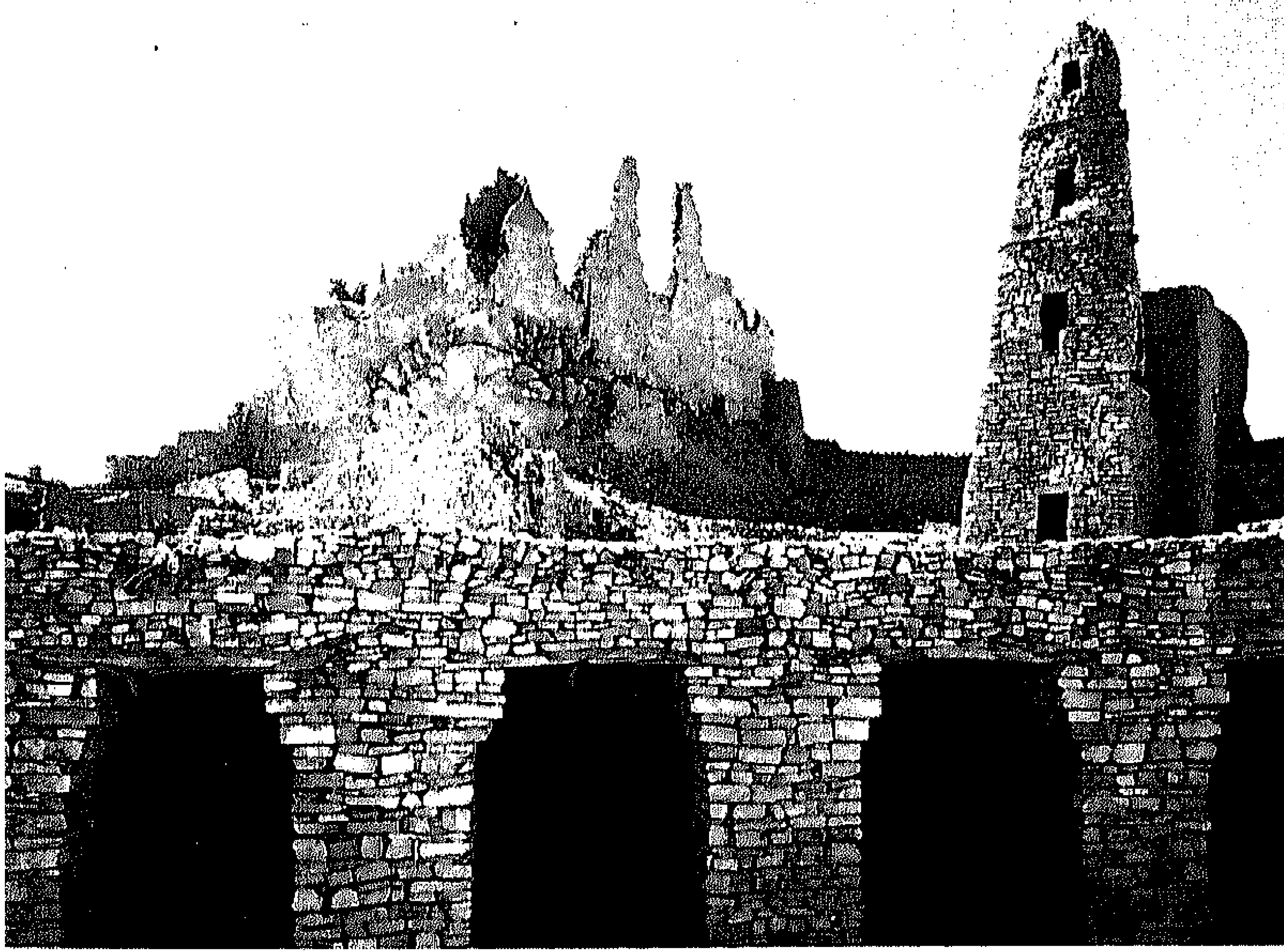
أما عن المئذنة فهى ذات تصميم فريد وتقع فى الركن الجنوبى الغربى للمسجد ، وتبرز عن جدار القبلة وهى عبارة عن كتلة معمارية مقامة على دعامتين مستطيلتى القطاع ، ويعلوها كابولى يتكون من قطع حجرية ضخمة يحمل ثمانى قطع حجرية ضخمة أيضا كأعتاب ، ويصعد اليها بواسطة درج خارجى مقام على قطع خشبية ضخمة ، يصل بالداخل اليها باب قليل الارتفاع فى ضلعها الشمالى الشرقى ، ويبدأ بعده السلم الداخلى للمئذنة الذى قوامه قلبات متعامدة مقامة على قطع من جذوع النخيل الضخمة ، ويمكن تمييز ستة مستويات للمئذنة من الخارج ويوجد بكل من المستوى الثانى والثالث والرابع والخامس أربع فتحات مستطيلة الشكل يعلو كل منها عدد ٢ حجر موزعة على أضلاع المئذنة الأربعة للإضاءة والتهوية ولوصول صوت المؤذن للصلاة الى الناس .

والواقع أن بساطة التصميم العام للمسجد تذكرنا بطابع البساطة الذى ساد معظم المساجد الإسلامية الأولى بالبصرة والكوفة ، كما أن السلم الخارجى للمئذنة ، يذكرنا بملويه سامرا بالعراق ومئذنة أحمد بن طولون بالقاهرة .



مخطط رقم ٣ مخطط مسجد عمر بالجوف

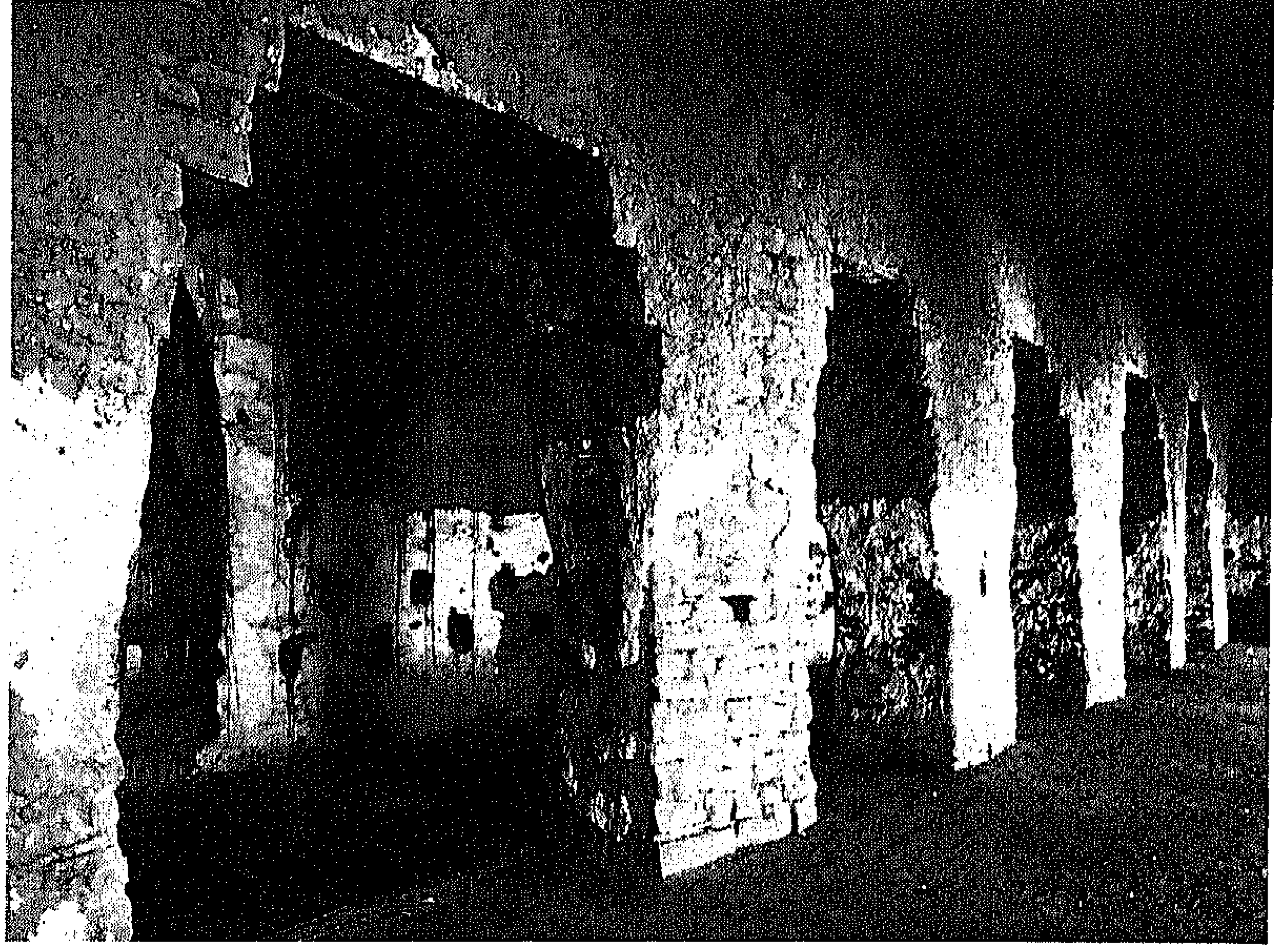
٢٦٢ مخطط مسجد عمـــر



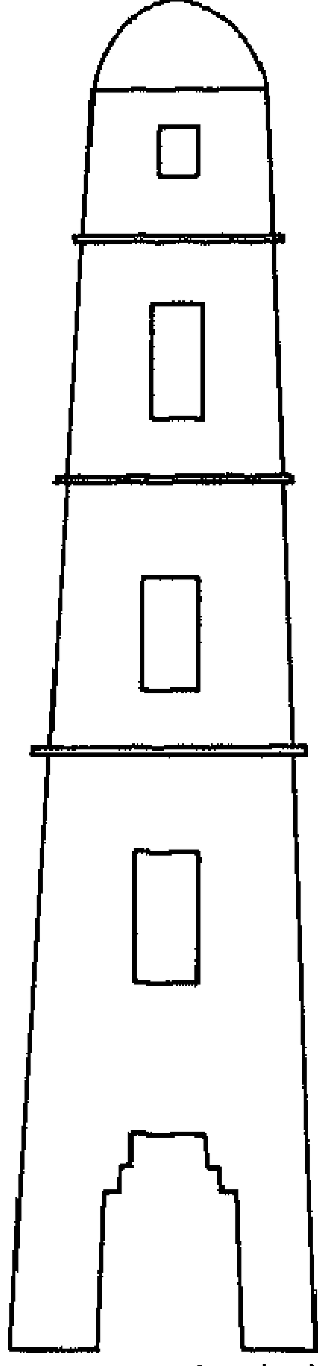
٢٦٣ مئذنة ورواق القبلة بمسجـد عمر



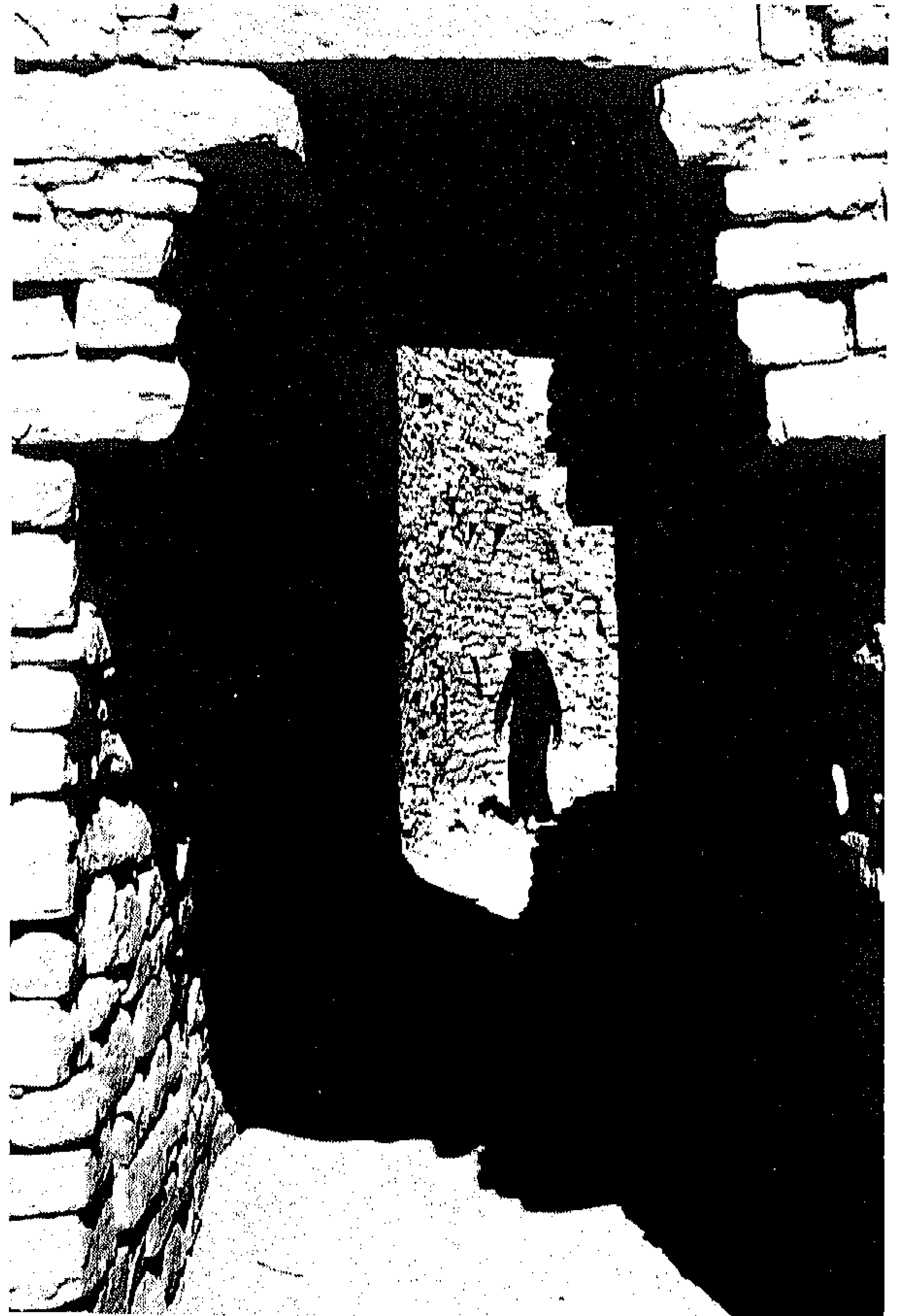
٢٦٤ محراب ومنبر مسجد عمر



٢٦٥ رواق القبلة بمسجد عمر



٢٦٦ رسم تخطيطي لمستويات مئذنة مسجد عمر



٢٦٧ الدعامات التي تحمل مئذنة مسجد عمر

القسم المدنى : يتكون من فناء كبير مكشوف مستطيل الشكل ، يدخل اليه بواسطة مدخل منكسر فى الجهة الشمالية منه وهو مغطى بسقف من جزوع الأشجار يعلوه عدد ٦ مشكولى للمراقبة وإسقاط الأحجار والزيت المغلى ، ويلحق بالمدخل حجرات الحراس ، وبرج مستدير يتصل به ممر مغطى بجذوع أشجار وجريد نخل ، ينتهى ببئر عميقة تبرز عن جدار القلعة وكأنها برج مستدير .

كما يفتح على الفناء من جهته الشرقية مباشرة عدد من الحجرات المتداخلة والمختلفة المساحة يتوسطها فناء مكشوف أقل مساحة من الفناء الرئيسى .

أما فى الجهة الغربية للفناء الرئيسى ، فتوجد بقايا مسجد صغير يبدو انه يتكون من رواق واحد رئيسى للقبلة يتألف من بلاطتين يفصلهما بائكة من أعمدة اسطوانية حجرية مليسة بالجص موازية لجدار القبلة الذى يتوسطه المحراب والمنبر ، ويفتح هذا الرواق على صحن مكشوف .

أما عن الجدار الغربى للفناء الرئيسى فيتوسطه مدخل مباشر غير منكسر يعلوه عتب من الخشب الضخم ويغلق بباب خشبى من جذوع النخيل والأشجار .

ويؤمن هذا القسم المدنى بأربعة أبراج ركنية مستديرة ومخروطية الشكل مبنية من الأحجار فى الأجزاء السفلية ومن الطوب (اللبن) فى الأجزاء العليا .

قلعة مارد :

الموقع : تقع جنوب غرب مسجد عمر بحوالى ١٥٠م ، وينقسم تصميمها المعمارى الى قسمين أحدهما مدنى للاعاشة والسكن والشئون الادارية والآخر حربى للمراقبة والإنذار والحرب والقتال .

القسم الحربى :

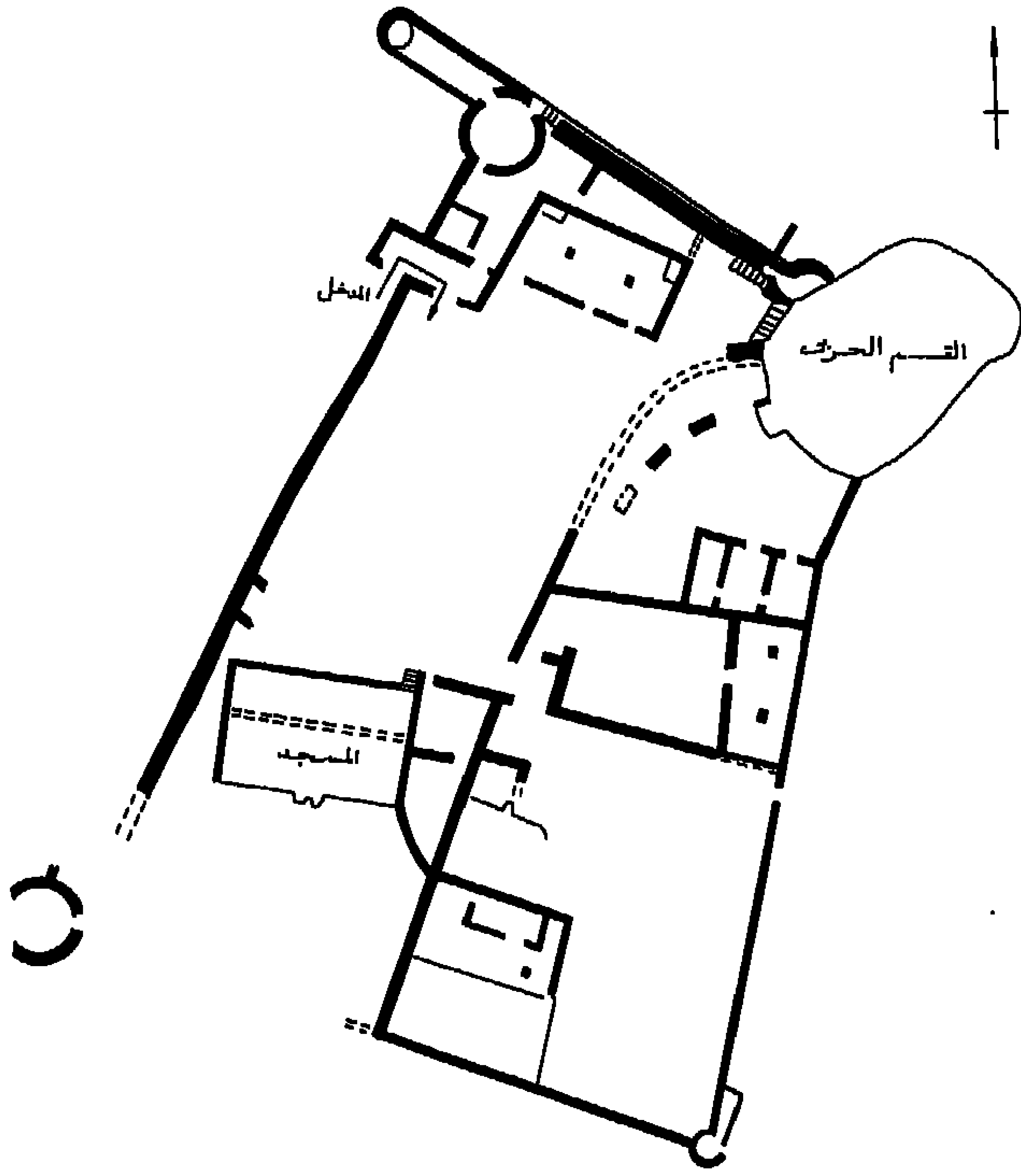
عبارة عن كتلة معمارية ضخمة مقامه فوق هضبة مرتفعة يتقدمها من الجهة الجنوبية الشرقية خندق دفاعى يتراوح عمقه بين ٢,٣ م^{٢} ، ويصعد اليها بواسطة درج بنفس الجهة أيضا ، ويحيط بها سور بينه وبين السور

الرئيسى للقلعة ممر مكشوف من جميع الجهات عدا الجهة الشمالية الغربية ، ويوجد فى الجهة الشرقية منه بئر عميقة قطرها ٤٠سم ، ويتم الوصول الى داخل القسم الحربى من السور الداخلى بواسطة مدخل متوسط الإرتفاع يعلوه عتب حجرى مستقيم كما كان يصل الى نفس المدخل أيضا من داخل القسم المدنى بواسطة درج بجانب البرج الغربي .

ويؤدى هذا المدخل الرئيسى للقلعة الى فناء مكشوف بيضاوى الشكل ، تحيط به فى جهاته الأربع الشمالية والشرقية والغربية والجنوبية أربعة أبراج مخروطية الشكل ، ومستديرة القطاع ، وذات مستويين للإنذار المبكر والدفاع .

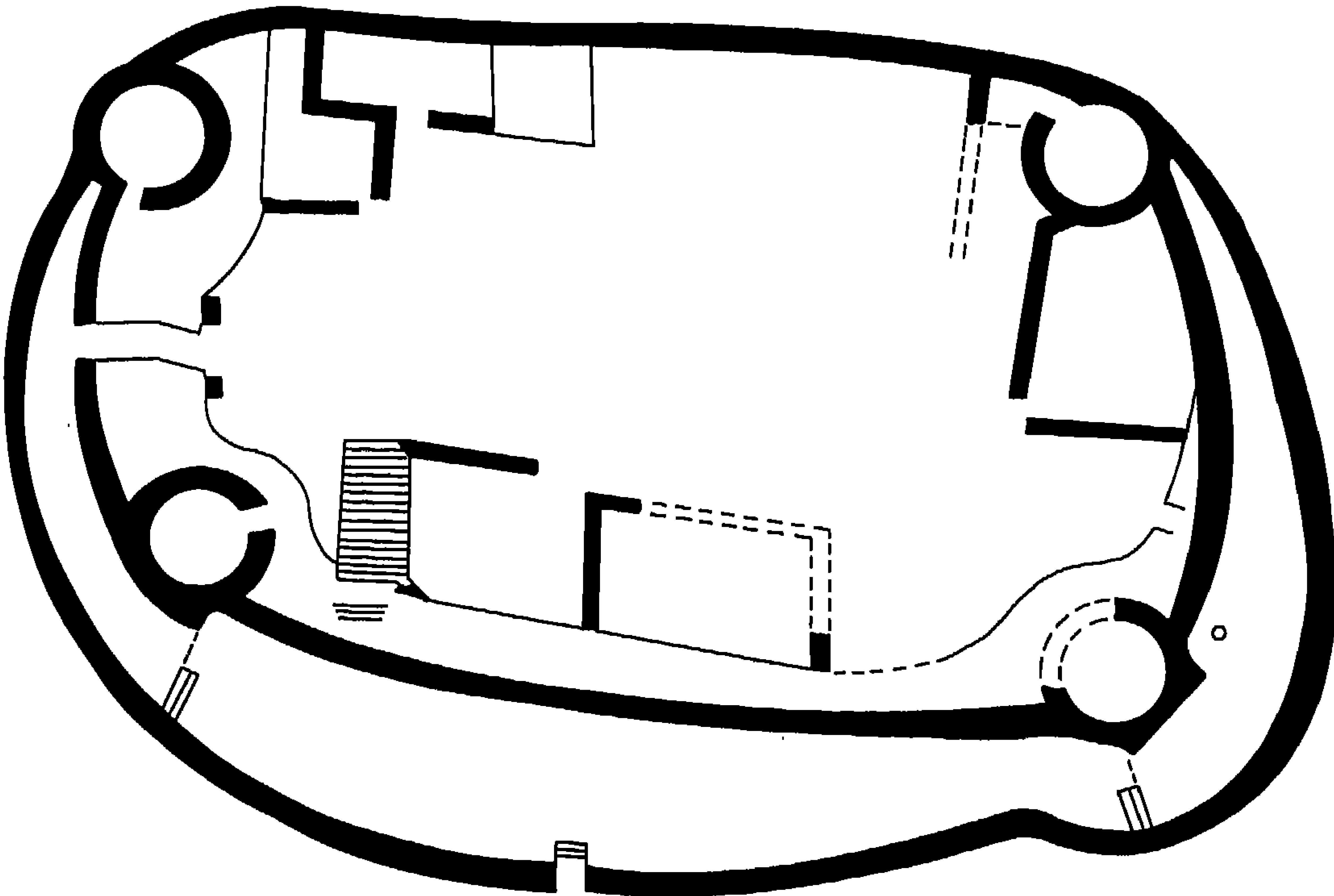
كما يحيط بالقلعة من الداخل – عدا الجهة الشمالية الغربية – ممر مكشوف للدفاع ، يصعد اليه بواسطة درج بجوار البرج الجنوبى .

وتفتح على الفناء مجموعة من الحجرات ذات الجدران السميكة ، فى جهاته الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية والغربية ، تمتاز جدرانها الخارجية بوجود فتحات ضيقة للمراقبة والسهام والبنادق الى جانب الفتحات المنتشرة فى الأجزاء العلوية من الأسوار . والواقع أن بناء قلعة على هضبة تشرف على البلدة القديمة مظهر حضارى عرفته بعض الحضارات الأخرى للدفاع والحماية عندما يدق ناقوس الخطر كما فى مصر والشام ، الا أن قلعة مارد تمتاز بالضخامة واشتمالها على قسم مدنى الى جانب القسم الحربى ، يلجأ اليه فى حالة الحصار ، كما أنها تمتاز بتعدد الأسوار ووجود خندق دفاعى عميق .



مخطط رقم ٥

٢٦٨ القسم المدني بقلعة مارد الذي يتوسطه الفناء المكشوف

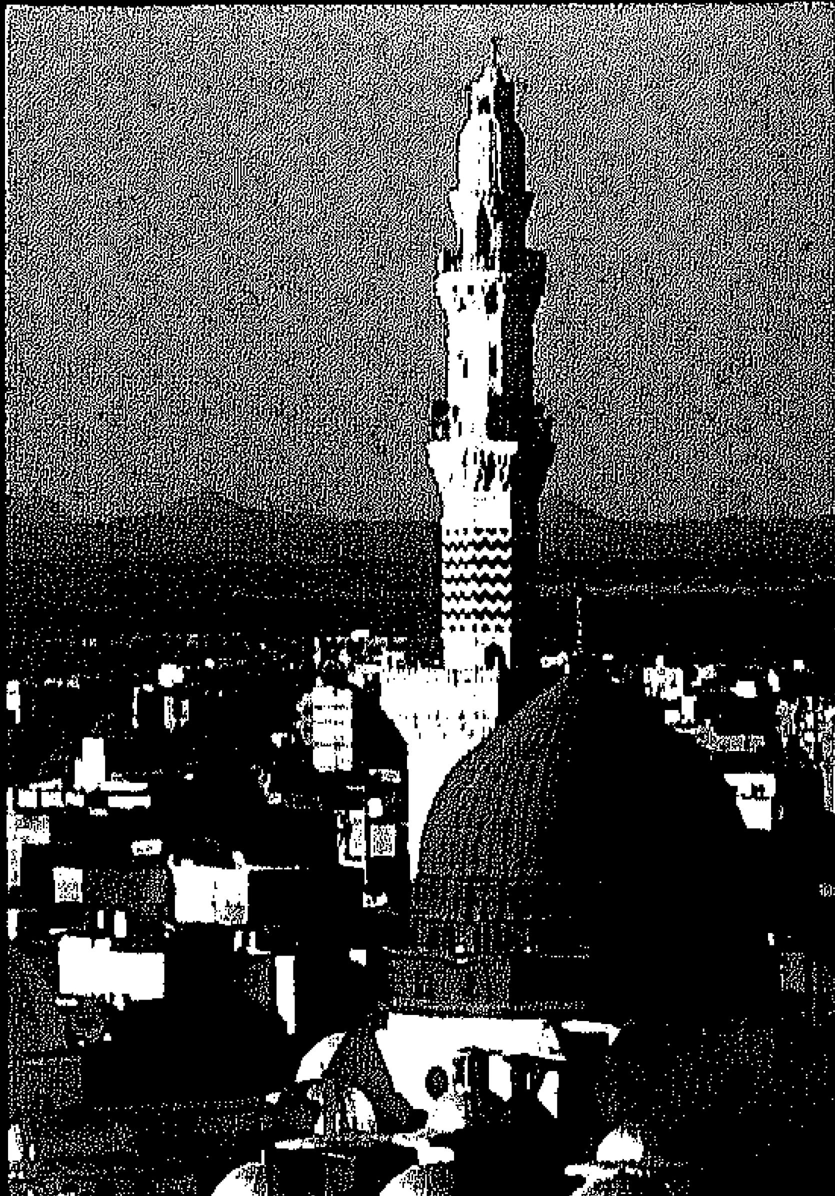


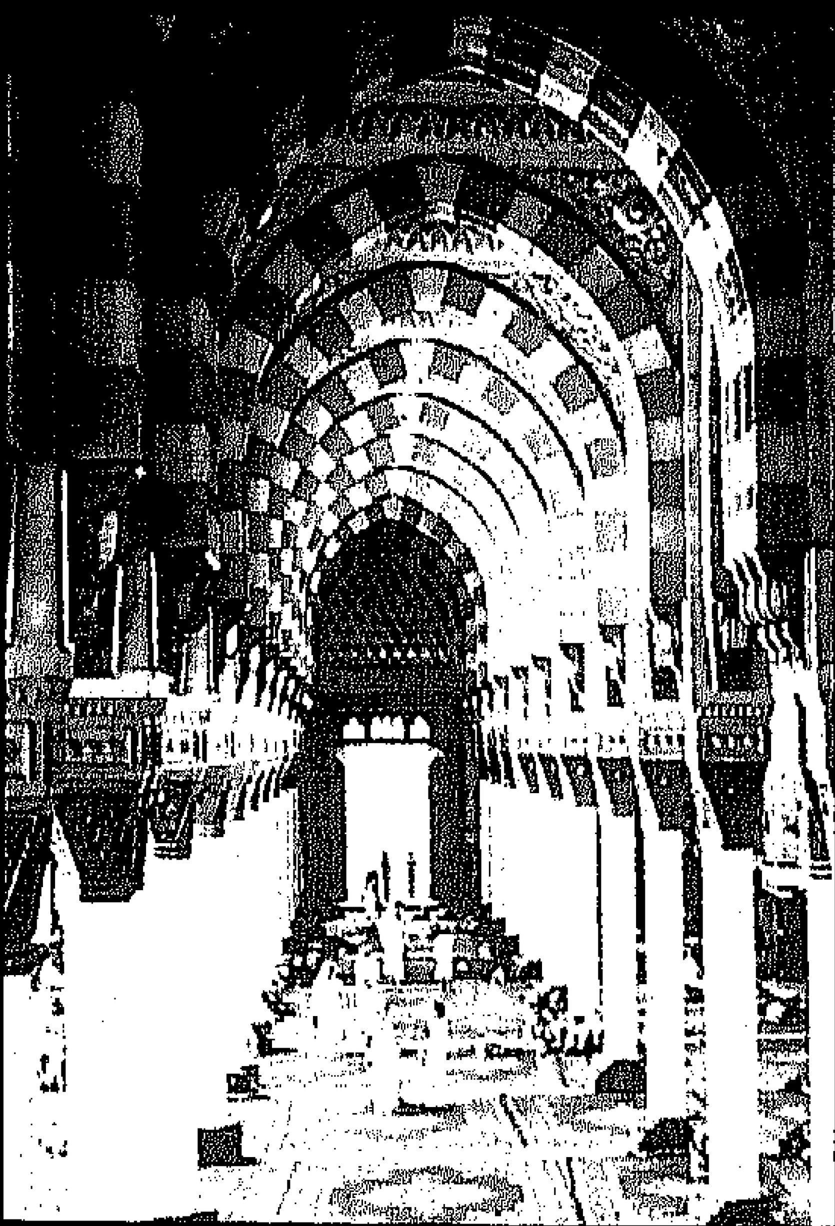
مخطط رقم ٦

٢٦٩ القسم الحربي بقلعة مارد

٢٧٠ القبة الخضراء – المسجد النبوي الشريف ◄

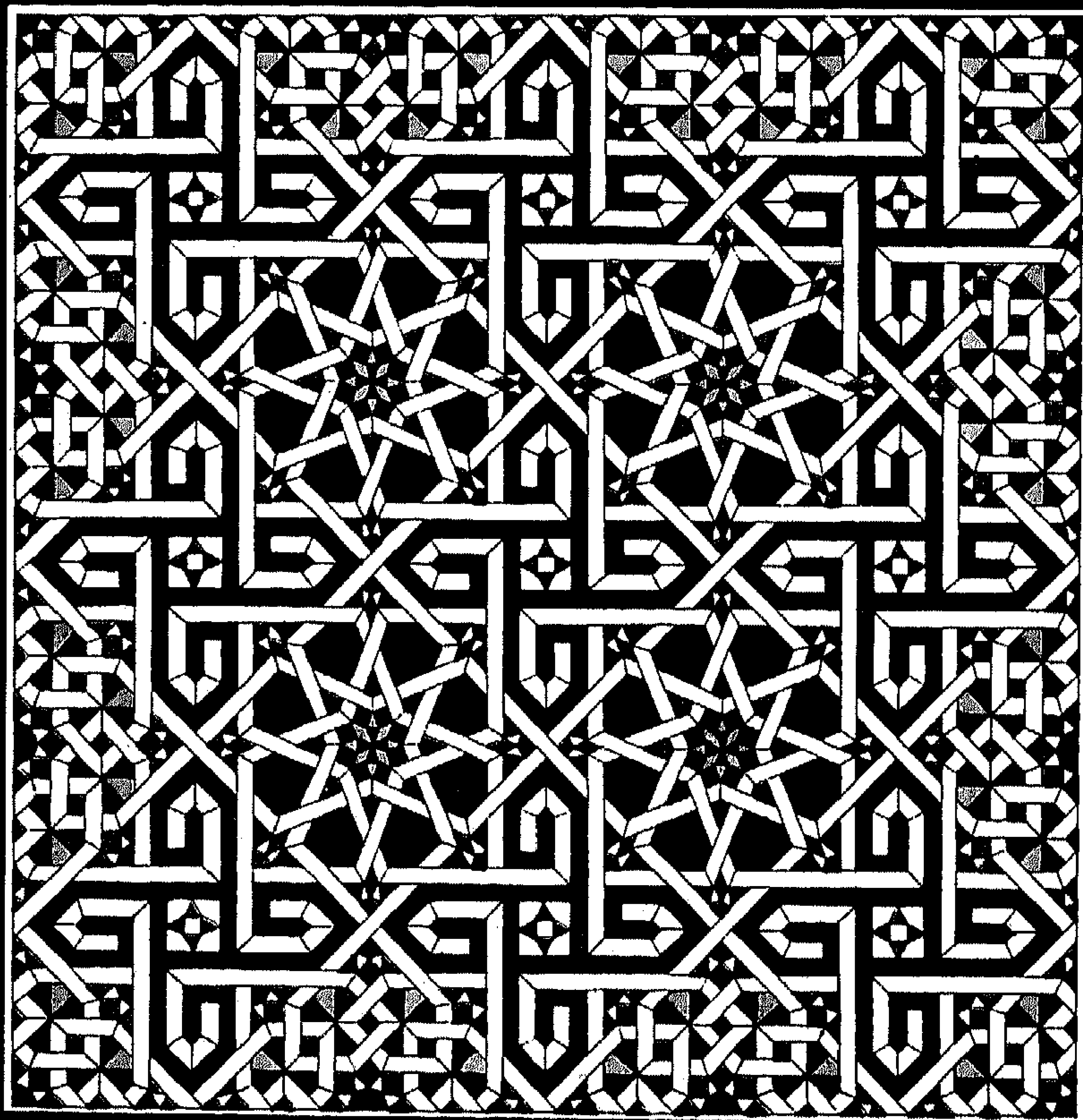
٢٧١ مسجد الرسول من الداخل ◄

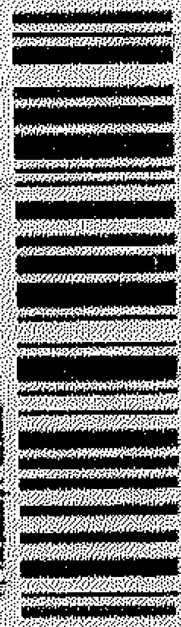




قائمـــة الصـــور والرســـوم والخرائـــط

كل الصور والرسوم والخرائط التي وردت في هذا الكتاب مقدمة من الباحثين أو المحررين أو الهيئات الحكومية العربية المختلفة التي دعمت جهود تحرير هذا الكتاب . ومن ثم اذ نشكر لكل هؤلاء ما قدموه من عون ومساعدة ، نقر انه تعتبر جميع حقوق نقل أو تصوير هذه الخرائط أو الرسوم أو الصور محفوظة لأصحابها .




Bibliotheca Alexandrina
0221952